







XXII-A-11

تفسير السجدة



٤٢٥٨

السمي

ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم

لحائمة المحققين وامام المدققين قاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العبادي

ولد رحمه الله تعالى سنة ١٨٩٦ هجرية وتوفي سنة ٩٥١

الجزء الثاني

صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء وقوبلت على عدة نسخ وقرئت في المرة الأخيرة على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

الشيخ حسن محمد المسمودي

المدرس بالقسم العالي بالأزهر

التمام

محمد محمد عبد اللطيف

صاحب المكتبة المحمدية بالقاهرة

بالأزهر الشريف بمصر

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٧ هجرية - سنة ١٩٢٨ ميلادية

الطبعة المصححة
إدارة جريدة الجمهورية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة هود عليه السلام (مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه مبتدأ والاول هو الاظهر كما أشير اليه في سورة يونس أو النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر أو اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطلاق الاكثر أو لاجل له من الاعراب مسرود على نمط التعدد حسبما فصل في آخره وقوله تعالى (كتاب) خبر له على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجه الباقي (أحكمت آياته) نظمت نظما متقنا لا يعثر به خلل بوجه من الوجوه أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها أو منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا أو أدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل أو على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها أو على حقيقة ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتغل عليها كما اذا قصر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة وأما تفسيره بالمنع من الفساد أخذنا من قولهم أحكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجراح ففيه إيهام مالا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لاسيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في أقصى غاية منتهى ما لا يخفى (ثم فصلت) أي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصاص أو فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي وأما المعنيين الاو لان فيها وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تزل الآيات محكمة مفصلة لأنها أحكمت أو فصلت بعد أن لم تكن كذلك اذا الفعلان من قيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتد بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب أن يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا أنه ليس في مثالبه في استنباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار أو فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان أريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زمني وان أريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها متجا حسبا تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لما حقيق بأن يرتب على وصف احكامها وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل (من لدن حكيم خبير) صفة للكتاب وصفها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلال شأنه من حيث الاضافة وأخير بعد خبر المبتدأ المذكور أو المحذوف أوصل للفعليين وفي بنائها للفعال ثم أراد الفاعل بعنوان الحكمة باللقوة الاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفيضي و ربطها بما لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطابق من الجزالة والدلالة على نفاختها وكونها على اكمل ما يكون

سورة هود عليه السلام

٣

ما لا يكتسب كنهه (لا تعبدوا الا الله) مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط أعني كونه فعلا لفاعل الفعل المفعول جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع أن المصدرية كانه قيل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تبدوا الا الله أي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتتمحضوا في عبادة فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني عما يدعونه الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليهم من الطاعات قاطبة وقيل أن مفسرة لما في التفصيل من معنى القول أي قيل لا تعبدوا الا الله (انني لكم منه) من جهة الله تعالى (نذير) أنذركم عذابه ان لم تتركوا ما أنتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى (وبشير) أبشركم بثوابه ان آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شئون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى وأورد معظم ما نظم في سلك الغاية والامر من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قريبته أعني الاستغفار والتوبة ذكر أن من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد والوعيد للانذار بأن التوحيد في أقصى مراتب الاهمية حتى أفرد بالذكر وأيد ايجابه بالخطاب غيب الكتاب مع تلويح بأنه كما لا يتحقق في نفسه الامقارنا للحكم برسائه عليه السلام كذلك في الذكر لا ينفك أحدهما عن الآخر وقدر وعي في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النبي على الاثبات والتخيلة على التحلية ليتجاوب أطراف الكلام ويجوز أن يكون قوله تعالى لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعاً عما قبله وادعاه لسانه عليه السلام اغراضهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كأنه عليه السلام قال ترك عبادة غير الله أي الزهوه على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهة الله تعالى نذير وبشير أي نذير أنذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير أبشركم بثوابه على تقدير ترككم له وتوحيدهم ولما سبق اليهم حديث التوحيد وأكد ذلك بمخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تباته على وجه يتضمن تفصيل ما أجمل في وصف التبشير والنذير فقول (وأن استغفروا ربكم) وهو معطوف على أن لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول أن مصدرية لجواز كون صلتها أمرا أو نهيا كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك للدين حنيفا لأن مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالة على المصدر وهو موجود فيهما وجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية وأما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانتشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسبما ساغ وقوع الفعل فيتجرد عن ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال (ثم توبوا اليه) عطف على استغفروا والكلام فيه كالنكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة أو تستمروا على ما أنتم عليه من التوحيد والاستغفار أو تستغفروا من الشرك وتوبوا من المعاصي وعلى الثاني أن مفسرة أي قيل في أثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله واستغفروا ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للخطابين وارشادهم الى طريق الابتها في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتع وإتياء الفضل بقوله تعالى (بمتعكم متاعا حسنا) أي تمتعوا وامتصوا به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى أنيتمكم من الأرض نباتا أو على أنه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى بمتعكم عيشا مريضيا لا يقوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينقصه شيء من المكدرات (الى أجل مسمى) مقدر عند الله عز وجل وهو آخر أعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح ورامها طامح جرى التمتع بها مجرى التأييد عادية أو لاهلككم بعذاب الاستئصال (ويؤت كل ذي فضل) في الطاعة والعمل (فضله) جزاء فضله ما في الدنيا أو في الآخرة

وهذه تكملة لما أجمل من التمتع الى أجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين قرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في الدنيا أكثر مما تنفع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضل أكثر تمتعاً بقليل وبعط كل فاضل جزءاً من فضله أما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد وأما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما أجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقليل (وإن تولوا) أي تتولوا عما ألقى إليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وإنما أخر عن البشارة جرياً على سنن تقدم الرحمة على الغضب أولاً لأن العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ: تولوا من ولي (فأني أخاف عليكم) بموجب الشفقة والراقة أو أتوقع (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم أم لا كونه كذلك في نفسه أو وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والأرض وقيل يوم الشدة اندوداً ابتلوا بقطط أكلوا فيه الجيف وأياً ما كان ففي إضافة العذاب إليه تهويل وتفطيع له (إلى الله مرجعكم) رجوعكم بالموت ثم البحث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا إلى غيره (وهو على كل شيء قدير) فيندرج في تلك الكلية قدرته على إمامتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بأفانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما ألقى إليهم غوى الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسبق إليهم ما ينبغي أن يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع أنهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تحر له صم الجبال هل قابله بالاقبال أم تهادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقليل مصداقاً بكلمة التنبيه اشعاراً بأن ما يعقبها من هزائمهم أمر يجب أن يفهم ويتعجب منه (ألا أنهم يثنون صدورهم) يزورون عن الحق وينحرفون عنه أي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لأن من أعرض عن شيء نثي عنه صدره وطوى عنه كشمعه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سبباً للاستخفاف في قوله عز وجل (ليستخفوا منه) التجأ إلى اضرار الإرادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على أعراسهم وجعله في قود المعنى إليه من قبيل الاضرار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فأنفلق ولا يخفى أن انسياق الذهن إلى توسيط الإرادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاف ليس كالنسيان إلى توسيط الضرب بين الأمر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر أن معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفياً مستوراً فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة وإنما لم يذكر ذلك استهجاناً بذكره أو إيماء إلى أن ظهوره مغن عن ذكره وأليذهب ذهن السامع إلى كل ما لا خير فيه من الأمور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي ألقى إليهم دخلاً أولاً لئلا يظن وجه كون ذلك سبباً للاستخفاف ويؤيده ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضم في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد أنها نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم نثي صدره وظهره وطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه إنما كان يصنع ما يصنع لأنه لوراء النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك إلى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ: يتوفى صدورهم بالياء والثاء من اثنتي أفنوع من الثني كالحلولي من الخلاوة وهو بناء بالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لئن توفى وقرئ: تثنون وأصله تثنون من تقعوا على من الثن وهو ما هش من الكلال وضعف يريد مطاوعة صدورهم

لئن كائني الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ: تثنون من اثنتي أفعال منه ثم هزم كما قيل أياضت وادهأت وقرئ: تثنوي بوزن ترعوى (الآحين يستغشون ثيابهم) أي يتغشون بها للاستخفاف على ما نقل عن ابن شداد أو حين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فإن ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويخفي ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي (يعلم ما يسرون) أي يضمرون في قلوبهم (وما يعلنون) أي يستوي بالنسبة إلى غيره المحيط سرهم وعلتهم فكيف يخفي عليه ما عسى يظهره وإنما قدم السر على العلن نعيماً عليهم من أول الأمر ما صنعوا وأيداناً باقتضاحهم ووقع ما يحذرونه وتحقيقاً للمساواة بين العبد وبين الله حيث قدم فيه الاختفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وإن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاختفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله إذ لم يتعلق بأشعار أن الحاسبة بما يخفونه أولى منها بما يدونه غرض بل الأمر بالعكس وأما هنا فقد تعلق بأشعار كون تعلق عليه تعالى بما يسرونه أولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة وأما قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان وارداً بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضا التأكيد والمبالغة في الاخبار بإحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع أنه وقع الغنية عنه بما قبله من قوله عز وجل أني أعلم غيب السموات والأرض ويجوز أن يكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذا ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمرة في القلب فتعلق عليه سبحانه بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية (أنه علم بذات الصدور) تعليل لما سبق وتقرر له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها من البراءة مالا يصفه الواضعون كأنه قيل أنه بالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها أصلاً فكيف يخفي عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز أن يراد بذات الصدور والقلوب من قوله تعالى ولكن تعنى القلوب التي في الصدور والمعنى أنه علم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الإيصال إليها بطريق طبيعي أو ارادى لتكفله إياه تفضلاً ورحمة وإنما جيء به على طريق الوجوب اعتباراً لسبق الوعد وتحقيقاً لوصوله إليها البتة وحلاً للكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اعتاب النفس في طلبه (ويعلم مستقرها) محل قرارها في الأصلاب (ومستودعها) موضعها في الأرحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وإنما خص كل من الأسمنين بمخصص به من المحلن لأن النطفة بالنسبة إلى الأصلاب في حيزها الطبيعي ومنشأها الخلق وأما بالنسبة إلى الأرحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها إلى وقت معين أو مسكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعة من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الأخيرة غاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الأرض والمعنى ما من دابة في الأرض إلا يرزقها الله تعالى حيث كانت من أماكنها يسوقه إليها ويعلم موادها المتخالفة المتدرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الأطوار المتباعدة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادئ وجودها وكالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع بأماكنها في المات ولا يلائمه مقام التكفل بأرزاقها (كل) من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها (في كتاب مبين)

أى مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام أو المظهر لما أثبت فيه للناظرين ولما انتهى الأمر إلى أنه سبحانه محيط بجميع أحوال مافي الأرض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدأ فطرته إلى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق السموات والأرض والحكمة الداعية إلى ذلك فقليل وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) السموات في يومين والأرض في يومين وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق مافي الأرض لكونه من تيات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تنمة لزمان خلقها في قوله تعالى في أربعة أيام أى في تنمة أربعة أيام والمراد بالأيام الأوقات كما في قوله تعالى ومن يومهم يومئذ دبره أى في ستة أوقات أو مقدار ستة أيام فإن اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الأرض ولا يتصور ذلك حين لا أرض ولا سما وفي خلقها مدرجاً مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على أنه قادر مختار واعتبار النظر وحش على التأني في الأمور وأما تخصيص ذلك بالعدد المعين فأمر استأثر به يعلم ما يقتضيه علام الغيوب بجلت حكمته وإثارة صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الإشارة إلى كونها أجراماً مختلفة الطبايع ومتفاوتة الآثار والاحكام (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة أو كان موضوعاً على منتهى كما ورد في الآثار فلا دلالة فيه على إمكان الخلا كيف لا ولولد لبل على وجوده لا على إمكانه فقط ولا على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد العرش وإنما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق السموات والأرض من غير تعرض للنسبة بينهما (ليلاؤم) متعلق بخلق أى خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها أتم ورتب فيها جميع ما تحتاجون إليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم وأودع في تضاعيفها من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يتتليكم (أيكم أحسن عملاً) فيجازيكم بالثواب والعقاب بما تبين المحسن من السيئ وأما رتبه درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارتهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب أعمالهم المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله أيكم أحسن عقلاً وأودع عن محامد الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل من القلب والقلب عملاً مخصوصاً به فكأن الأول أشرف من الثاني فكذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد أثر ذي أثر وإنما طرقتها النظرى التفكير في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الأنفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم مافي مطاوى الكتاب الحكيم من الأوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تفضلوني على يونس ابن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكير في أمر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لأن أحداً لا يقدر على أن يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وتعلق فعل البلوى أى تعقبه بحرف الاستفهام للتعليل المشهور الذي يقتضى عدم إيراد المفعول أصلاً مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق التثليل أو الاستعارة التبعية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقيح أيضاً إلى الحسن والأحسن فقط للإيذان بأن المراد بالذات والمقصود الأصلي مما ذكر من أبداع تلك البدائع على ذلك النقط الرائع إنما هو ظهور كمال احسان المحسنين وأن ذلك لكونه على أتم الوجوه اللائقة وأكمل الأساليب الراقية بوجوب العمل بموجبه بحيث لا يحميد أحد عن سننه المستبين بل يهتدى كل فرد إلى ما يرشد إليه من مطلق الإيمان والطاعة وإنما التفاوت

بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة وأما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهابى الضلال ليعجزوا من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن أن ينظم ظهوره في سلك العلة الغائية إن ذلك الصنع البديع وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تخفيف مافيه من الترغيب في الترقى إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها والله تعالى أعلم (ولئن قلت أنكم مبعوثون من بعد الموت) على ما يوجب قضية الابتلاء ليقترب عليه الجزاء المنفر على ظهور مراتب الأعمال (ليقولن الذين كفروا) أن وجه الخطاب في قوله تعالى أنكم إلى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص أى ليقولن الكافرون منهم وإن وجهه إلى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم (أن هذا إلا سحر مبين) أى مثله في الخديعة أو البطلان وهذا إشارة إلى القول المذكور أو إلى القرآن فإن الأخبار عن كونهم مبعوثين وإن لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو إلا أنهم عند سماعهم ذلك تخلصوا إلى القرآن لآبائه عنه في كل موضع وكونه علماً عندهم في ذلك فعمدوا إلى تكذيبه وتسميته سحراً تآمداً منهم في العناد وتقادي عن سنن الرشد وقيل هو إشارة إلى نفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فإنه إنما يطلق على شيء هو جود ظاهره لا أصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحيث وتعلق الآية الكريمة بما قبلها أما من حيث أن البعث كما أشير إليه من تيات الابتلاء المذكور فكأنه قيل الأمر كما ذكر ومع ذلك أن أخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تياتها لا يتلششون في الرد ويعدون ذلك من قبيل مالا صحة له أصلاً فضلاً عن تصديق ما ههنا من تياتها وأما من حيث أن البعث خلق جديد فكأنه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداءً لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك أن أخبرتهم بأنه يعيدهم تارة أخرى وهو أهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرأ حمزة والكسائي السحار على أن الإشارة إلى القائل أو إلى القرآن على أسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت أو على أن أنك بمعنى عنك في ذلك أى ولئن قلت لعلكم مبعوثون على أن الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين أى توقفوا ذلك ولا تبثوا القول بانكاره أو على أنه مجازاة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا إلى اللجاج والعناد ريثما قرع أسماعهم بضيق القول بخلاف ما ألفوا والفواعل عليه آياتهم من انكار البعث ويكون ذلك أدعى لهم إلى التأمل والتدبر وما فعلوه قاتلهم الله أنى يؤفكون (ولئن أخرجنا عنهم العذاب) المترتب على بعثهم أو العذاب الموعود في قوله تعالى فإن تولوا فإني أغاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قتل جبريل عليه السلام للمستهزئين والظاهر أن المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص ببعض منهم على أنه لم يكن موعوداً يستعجل منه المجرمون (إلى أمة معدودة) إلى طائفة من الأيام قليلة لأن ما يحصره العدد قليل (ليقولن ما يحبسهم) أى أى شيء يمنعهم من الجحيم فكأنه يريد فيه منعه مانع وإنما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزا بالقوله تعالى ما كانوا به يستهزئون ومرادهم انكار الجحيم والحبس رأساً لا الاعتراف به والاستقصار عن حاسبه (إلا يوم يأتيهم) ذلك (ليس مصروفاً) محبوساً (عنهم) على معنى أنه لا يرفعه رافع أبناً أن أريد به عذاب الآخرة أولاً يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم أن أريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدماً عليه واستدل به الصريون على جواز تقديمه على ليس إذا المفعول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع متبوعه ورد بأن الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعاً وبأنه قد يقدم المفعول حيث لا يحال لتقديم العامل كما في قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فإن اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المحزونين قد تقدم على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليهما. قال أبو حيان وقد تبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم مفعوله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية

الكرامة وقول الشاعر
 فأي فسا يزداد الا لجاهة وكنت أياً في الخنا لست أقدم
 (وحاق بهم) أي أحاط بهم (ما كانوا يستهزئون) أي العذاب الذي كانوا يستعجلون به أسهزاه وفي التعبير عنه
 بالموصول تهويل لمكانه وأشعار بعليّة ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنها بالماضي وارد
 على عادة الله تعالى في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنات الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن
 الخبر وتقرير وقوع الخبر به مالا يخفى (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة) أي أعطينا نعمة من محبة وأمن وجدة
 وغيرها وأوصلناها إليه بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) أي سلبناها إياها وإيراد النزع للاستعارة بشفة تعلقه بها
 وحرصه عليها (أنه ليؤوس) شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود أمثاله عاجلاً أو آجلاً بفضل الله تعالى
 لفلة صبره وعدم توكله عليه وقتته به (كفور) عظيم الكفران لماسلف من النعم وفيه إشارة إلى أن النزع إنما
 كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقبلون فيه من نعم الله عز وجل وتأخيرهم عن وصف بأسهم مع تقدمه عليه لرعاية
 القواصل على أن اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن أفاضة أمثاله في العاجل وإيصال أجره في الآجل من
 باب الكفران للنعمة السالفة أيضاً (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج
 بعد شدة وفي التعبير عن ملازمة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملازمة الضراء
 بالمس الشعور بكونها في أدنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واستناد الأول إلى الله عز وجل دون الثاني مالا يخفى
 من الجزالة والدلالة على أن مراده تعالى إنما هو إيصال الخير المرغوب فيه على أحسن ما يكون وأنه إنما يريد عباده
 اليسر دون العسر وإنما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم لا يسيراً كما نالهم بالحق البشارة من غير تأثير وأما نزع الرحمة فأنما
 صدر عنه بقضية الحكمة الداعية إلى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتذكير الرحمة باعتبار حقوق النزع بها (ليقولن
 ذهب السيئات عني) أي المصائب التي تسوقني ولن يعتريني بعد أمثاله كما هو شأن أولئك الأشرار فإن الترقب
 لورود أمثاله مما يكدّر السرور وينقص العيش (أنه لفرح) بطر وأشر بالنعم مغتر بها (نخور) على الناس
 بما أوق من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقوقها واللام في ثلث في الآيات الأربع موطئة للتقسيم وجوابه ساد مسد
 جواب الشرط (الذين صبروا) على ما أصابهم من الضراء سابقاً أولاً حقاً إيماناً بالله واستسلاماً لقضائه
 (وعملوا الصالحات) شكرًا على آلائه السالفة والآتية واللام في الإنسان اما لاستغراق الجنس فالاستثناء متصل أو
 للعهد فتقطع (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة ومما فيه معنى البعد للايدان بعلو
 درجاتهم وبعدهم منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون بتلك الصفات الحيدة (لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم وإن
 جنت (وأجر) ثواب لأعمالهم الحسنة (كبير) ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث إن أذاعة
 النعماء وساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن
 عملاً والمعنى أن كلا من أذاعة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للإنسان أشكر أم يكفر لا يهتدى إلى سنن الصواب بل يهتدى
 في كلتا الحالتين عنه إلى مهالوى الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الصابرين الصالحين أو من حيث أن انكارهم
 بالبعث واستهزائهم بالعذاب بسبب بطرهم وغرهم كأنه قيل إنما فعلوا ما فعلوا لأن طبيعة الإنسان مجبولة على ذلك
 (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) من البينات الدالة على حقيقة نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن
 له أذن وإعانة (وضائقه بصدرك) أي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه إليهم في أثناء الدعوة والحاجة
 (أن يقولوا) لأن يقولوا تعامياً عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى محبتها على أحد ممن له أدنى بصيرة وتماذيا في العناد

على وجه الاقتراح (لولا أنزل عليه كنز) مال خطير مخزون يدل على صدقه (أوجاهه معه ملك) يصدقه قيل
 قاله عبد الله بن أمية المخزومي وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال
 مكة ذهباً إن كنت رسولاً وقال آخرون اتتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزلت فكانت عليه الصلاة
 والسلام لما عين اجترأهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم إلى القبول لو
 كانوا من أرباب العقول وشاهد ركوهم من المكابرة بمن كل صعب وذلول مسارعين إلى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء
 وتسميتها سحراً مثل حاله عليه الصلاة والسلام بحال من يتوقع منه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة
 عليهم وتبليغها إليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشتفاق فليل (إنما أنت نذير) ليس عليك إلا الإنذار
 بما أوحى إليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول (والله على كل شيء وكيل) يحفظ أحوالك وأحوالهم
 فتوكل عليه في جميع أمورك فإنه فاعل بهم ما يليق بحلمه والاقتصار على النذير في أقصى غاية من إصابة المخز (أم يقولون
 افتراه) اضطراب بأم المقطعة عن ذكر ترك اعتدائهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات
 الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقيقة نبوته عليه الصلاة والسلام وشرع في ذكر ارتكابهم لما
 هو أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهمة للتوبيخ والانتكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبى صلى الله
 عليه وسلم والبارز لما يوحى أي لم يقولوا افتراه وليس من عند الله (قل) إن كان الأمر كما تقولون (فأتوا)
 أنتم أيضاً (بعشر سور مثله) في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور رأى أمثاله وتوحيدها باعتبار مماثلة كل واحدة
 منها أولاً لأن المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثني بالمفرد كما في قوله تعالى أتؤمن لبشرين مثلاً أولاً لئلا يأتى وجه
 الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية إلى مرتبة الإعجاز فكان الجميع واحد (مفتريات)
 صفة أخرى لسور أخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لأنها الصفة المقصودة بالتكليف إذ بها يظهر عجزهم وقعودهم
 عن المعارضة وأما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدى وإنما ذكر على نهج المساهلة
 وارجاع العنان ولأنه لو عكس الترتيب لم يأتهم أن المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في
 البلاغة مختلفات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عندي فأنكم أقدر على ذلك مني لأنكم عرب فصحاء بلغاء قد
 مارستم مبادئ ذلك من الخطب والأشعار وحفظتم الوقائع والأيام وزاولتم أساليب النظم والنثر (وادعوا) للاستظهار
 في المعارضة (من استطعتم) دعاهم والاستعانة به من ألفتكم التي تزعمون أنها بمدة لكم في كل مأتاتون ومائتاتون
 والكهنة ومدارهم الذين تلجؤون إلى آرائهم في الملأ ليسعدوكم فيها (من دون الله) متعلق بادعوا أي متجاوزين
 الله تعالى (إن كنتم صادقين) في أني افتريته فإن ذلك يستلزم إمكان الاتيان بمثله وهو أيضاً يستلزم قدرتهم
 عليه والجواب مخدوف يدل عليه المذكور (فإن لم يستجيبوا لكم) أي فإن لم يفعلوا ما كفوهم من الاتيان بمثله كقوله
 تعالى فإن لم تفعلوا وإنما عبر عنه بالاستجابة إيماء إلى أنه عليه الصلاة والسلام على كمال أمن من أمره كأن أمره لهم
 بالاتيان بمثله دعاهم إلى أمر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم كما في قول من
 قال وإن شئت حرمت النساء سواكم أوله وللمؤمنين لأنهم أتباعه عليه الصلاة والسلام في الأمر بالتجدي وفيه تنبيه
 لطيف على أن حقهم أن لا ينفكوا عنه عليه الصلاة والسلام ويناصبوا معه لمعارضة المعارضين كما كانوا يفعلونه في الجهاد
 وأرشاد إلى أن ذلك مما يفيد الرسوخ في الإيمان والطائفة في الايقان ولأنك رتب عليه قوله عز وجل (فاعلموا)
 أي أعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علماً يقيناً متأكداً لعين اليقين بحيث لا مجال معه للشائبة

دب بوجه من الوجوه كأن ما عداهم من مراتب العلم ليس يعلم لكن لا للشعار بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه المرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه أو اثبتوا واستمر واعلى ما كنتم عليه من العلم ﴿انما أنزل﴾ ملتبسا ﴿بعلم الله﴾ المخصوص به بحيث لا تحوم حوله العقول والافهام مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم والرائق والاخبار بالغيب ﴿وأن لا اله الا هو﴾ أى واعلوا أيضا أن لا شريك له في الالهية وأحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه أحد ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أى مخلصون في الاسلام أو ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز أن يكون الخطاب في الكل للبشر كمين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا تحت الأمر بالتحدى والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجب لكم اهتكم وسائر من اليهم تجارون في مهماتكم ومدا تكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا أن ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وأنه منزل من خالق القوى والقدر فايراد كلمة الشك حيثئذ مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تكلمهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الأمر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث أنه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرابهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجاؤم اليهم بعد ما اضطربتم الى ذلك وضاعت عليكم الخيل وعيت بكم العلل أو من حيث ان من يستمدون بهم أقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجزهم أنفسهم يكون عجزهم أظهر وأوضح وعللوا أيضا أن اهتكم بمعزل عن رتبة الشراكة في الالهية وأحكامها قبل أنتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيقته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا أوليا أو منقادون للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام إيجاب بليغ لماسقيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقتطاع من أن يجيرهم آلهتهم من بأس الله عن سلطانه هذا والاول أنسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدوركم ولما ساقى من قوله تعالى فلا تلك في مرة منه وأشد ارتباطا بما يقية كما ستحيط به خيرا ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ أى ما يزينا ويحسنها من الصحة والامن والسعة والرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا بمجرد الارادة القلبية لقوله تعالى ﴿نوف اليهم أعمالهم فيها﴾ وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة أصلا وليس المراد بأعمالهم أعمال كلهم فانه لا يحد كل متمن ما يتمناه ولا كل أحد يتال كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل أعمالهم بل بعضها الذى يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الأجر والجزاء من أعمال البر وقد أطلقت وأريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وقرى يوفى على الاسناد الى الله عز وجل وتوفى بالفوقانية على البناء للفعول ورفع أعمالهم وقرى نوفى بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله

وان أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم

﴿وهم فيها﴾ أى في الحياة الدنيا ﴿لا يخسرون﴾ أى لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخل الذى هو نقص الحق مع أنه ليس لهم شائبة حق فيها أو توه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التى هى اعطاء الحقوق مع أن أعمالهم بمعول من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي النقص كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكرم أصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات أعمالهم وأجورها نقصا

كلها مطردا ولا يحرمونها حرمانا كلياً وأما في الآخرة فهم في الحرمان المطاق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى ﴿أولئك﴾ الخ فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحياة الدنيا أو باعتبار توفيتهم أجورهم من غير بخش أو باعتبارهما معا وما فيهم من معنى البعد لا يذنب بعدهم نزلتهم في سو الحال أى أولئك المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات أعمالهم من غير بخش ﴿الذين ليس لهم في الآخرة الا النار﴾ لأن مهمهم كانت مصر وفاقا الى الدنيا وأعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتروا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد ﴿وحيط ما صنعوا فيها﴾ أى ظهر في الآخرة جحوظ ما صنعوه من الأعمال التى كانت تؤدى الى الثواب لو كانت معمولة للآخرة أو جحط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر اذ شرط الاعتداد بها بالاخلاص ﴿وباطل﴾ أى في نفسه ﴿ما كانوا يعملون﴾ فى أثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل أن الاول من شأنه استتباع الثواب والأجر وأن عدمه لعدم مقارنته لايمان والنية الصحيحة وأن الثانى ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الجحوظ المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنهى عن الحدود وبالثانى البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته أصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازماله ثابتا فيه وفي زيادة كان فى الثانى دون الاول إيماء الى أن صدور أعمال البر منهم وان كان لغرض فسد ليس فى الاستمرار والدوام كصدور الأعمال التى هى من مقدمات مطالبتهم الدنية وقرى وبطل على الفعل أى ظهر بطلانه حيث علم هناك أن ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته أو انقطع أثره الدنيوى فبطل طلقا وقرى وباطلا ما كانوا يعملون على أن ما ابهامية أو فى معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن أنس رضى الله عنه أن المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى ان أعطوا سائلا أو وصلوا رجلا جعل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وأنت خير بأن ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم أهل الرياء يقال للقرء منهم أردت أن يقال فلان قارى فقد قيل ذلك وهكذا لغيره من يعمل أعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بأن ليس لهم بسبب أعمالهم الربانية الا ذلك والذى تقتضيه جزا النظم الكريم أن المراد به هطالك الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا أوليا فانه عز وعلا لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بأن يزدادوا علما ويقينا بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة لغيره على شئ أصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شئ أصلا اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شئونهم الموهمة لكونهم على شئ في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان أن ذلك بمعول عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك أى بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقبل ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أى برهان نير عظيم الشأن يدل على حقيقة ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن واعتباره أو بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ﴿ويتلوه﴾ أى يتبعه ﴿شاهد﴾ يشهد بكونهم من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظم المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالقياس وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير أنه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز ﴿منه﴾ أى من القرآن غير خارج عنه أو من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهة تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك أيضا من الشواهد التابعة للقرآن

الواردة من جهة تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى أفمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى فاعلموا أهل أنتم دخولا أوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل المراد بالبيئة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضهير في منه لله تعالى أو البيئة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان النبي صلى الله عليه وسلم على أن الضهير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظ والأولى هو الأول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله قابلا للبحث لا يفارقه في شهادته من المشاهد فان القرآن بيئة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن ومجاهد عطف كتاب موسى في قوله عز قائلنا ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بيئة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وإنما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما لا غير مفارق عنه ولعرقته في وصف التلو والتكرير في بيئة وشاهد للتفخيم (اماما) أي مؤتمنا في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بعد بيان تلو الكتاب لا يخفى من تفخيم شأن التلو (ورحمه) أي نعمة عظيمة على من أنزل اليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه الباقية المؤبدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب (أولئك) الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهو الكون على بيئة من الله ولما أن ذلك عبارة عن مطاق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء الدين من غير غشور على دقائق الحقائق وصفهم بأنهم (يؤمنون به) أي يصدقونه حق التصديق حسبما تشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيقته (ومن يكفر به) أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة (من الأحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالتار موعده) يردها لالحالة حسبا نطق به قوله تعالى ليس لهم في الآخرة إلا النار وفي جملها موعدا اشعار بأن له فيها مالا يوصف من آفات العذاب (فلاتك في مرة منه) أي في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غيبا شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به (أله الحق من ربك) الذي يريك في دينك ودينك (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك اما لقصور أنظارهم واختلال أفكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فمن في قوله تعالى أفمن كان على بيئة من ربه مبتدأ حذف خبره لا غناء الحال عن ذكره وتقديره أفمن كان على بيئة من ربه كأولئك الذين ذكرت أعمالهم وبين مصيرهم وما لهم يعني أن بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراعى ناراهما وإيراد الفاء بعد الحمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعدد من هتاتهم كأنه قيل بعد ظهور رحالم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى أفأتخذتم من دونه أوليا أي أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أوليا وقوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعنى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن نسب إليه مالا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لأهلهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني أنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مقترون عليه كذبا وهذا التركيب وإن كان سبكا على انكار أن يكون أحد أظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصد امطراد انكار المساواة ونفيها وإفادتهم أظلم من كل ظالم كإني عنهم ما سبيل من قوله عز وجل لا جرم أنهم في الآخرة هم الآخرون فاذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد منه حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل (أولئك) الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الإشارة حصلت الغنية عن استناد العرض إلى أعمالهم واكتفى باستاده بهم حيث قيل (يعرضون) لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لأعمالهم على وجه أبلغ

فان عرض العامل بعمله أفضع من عرض عمله مع غيبته (على ربهم) الحق وفيه إيما إلى بطلان رأيهم في اتخاذهم أربابا من دون الله عز وجل (ويقول الأشهاد) عند العرض من الملائكة والنبين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد أو شهود كصحاب وأشرف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بالافتراء عليه كأن ذلك أمر واضح غنى عن الشهادة بوقوعه وإنما المحتاج إلى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز أن يكون المراد بالأشهاد الحضاروم جميع أهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذمالم بذلك لاشهادة عليهم كما يشعر به قوله تعالى ويقولون ويشهد الخ وتوطئة لما يعقبه من قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالافتراء المذكور ويجوز أن يكون هذا على الوجه الأول من كلام الله تعالى وفيه توبيخ عظيم لما يحق بهم من عقوبة ظلمهم اللهم أنا نمود بك من الخزي على رؤس الأشهاد (الذين يصدون) أي كل من يقدر على صده أو يفعلون الصد (عن سبيل الله) عن دينه القويم (ويغونها عوجا) انحرافا أي يصفونها بذلك وهي أبعد شيء منه أو يغونها أهلها أن ينحرفوا عنها يقال يغيتك خيرا أو شرا أي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم أنه ليس من عند الله (وهم بالآخرة هم كافرون) أي يصفونها بالعوج والحال أنهم كافرون بها لأنهم يؤمنون بها ويرعون أن لها سبيلا سوا ما يهدون الناس إليه وتكرر الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم (أولئك) مع ما وصف من أحوالهم الموجبة للتدمير (لم يكونوا معجزين) الله تعالى مفتلين بأنفسهم من أخذه لو أراد ذلك (في الأرض) مع سعتها وإن هربوا منها كل مهرب (وما كان لهم من دون الله من أوليا) ينصرونهم من بأسه ولكن آخر ذلك لحكمة تقتضيه واجمع اما باعتبار أفراد الكفرة كأنه قيل وما كان لأحد منهم من ولي أو باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية (يضاعف لهم العذاب) استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخظة وقرأ ابن كثير وابن عامر يعقوب بالشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كأنهم لا يقدر على السمع ولما كان قبض حالهم في عدم ادعائهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع أشد منه في عدم قبولهم لساير الآيات المنوطة بالإبصار بالغ في نفي الأول عنهم حيث نفي عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الإبصار فقال تعالى (وما كانوا يصرون) لتعاميمهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان مالا يسمع ولا يبصر يعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيما عليهم من أول الأمر سوء العاقبة (أولئك) المعتونون بما ذكر من القبائح (الذين خسروا أنفسهم) باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها أو خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة (لاجرم) فيه ثلاثة أوجه الأول أن لانا في ماسبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع مافي حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق (أنهم في الآخرة هم الآخسرون) وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام أي كسب ذلك خسرا عنهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرا عنهم والثالث أن لا جرم بمعنى لا بد أي لا بد أنهم في الآخرة هم الآخسرون وأيا ما كان فعناهم أنهم آخسرون من كل خاسر فبين أنهم أظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بيئة من ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا أبلغ تقرير فانهم حيث كانوا أظلم من كل ظالم وأخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين أحد من الظالمين الآخسرين فإظلمك بالمماثلة بينهم وبين من هو في أعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار وأعمالهم

وبين مصيرهم وما لهم شرع في بيان حال أعدائهم أعنى فريق المؤمنين وما يؤل إليه أمرهم من العواقب الحيدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى أفن كان على بيته من ربه الآية ليتين ما بينهما من التباين بين حالا وما لا يقليل (ان الذين آمنوا) أى بكل ما يجب أن يؤمن به فيندرج تحتها نحن بصدد من الإيمان بالقرآن الذى عبر عنه بالكون على بيته من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدى الى ذلك فى النفس والآفاق أو ضلوا الايمان كما فى يعطى ويمنع (وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) أى اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهى الأرض المطلقة ومعنى أخبت دخل فى الخبت كأنهم وانجند دخل فى تهامة ونجد (أولئك) المتعوتون بتلك النفوس الجيلة (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون وبعد بيان تباين حالهما عقلا أريد بيان تباينهما حسا فقليل (مثل الفريقين) المذكورين أى حالهما العجيب لأن المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الأحوال والصفات (كالاغنى والأصم والبصر والسمع) أى كحال هؤلاء يكون ذواتهم كذواتهم والكلام وإن أمكن أن يحصل على تشبيه الفريق الاول بالأغنى والأصم وتشبيه الفريق الثانى بالبصر والسمع لكن الأدخل فى المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانصب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار أن يحصل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين الصم والبصر وتشبيه الفريق الثانى بمن جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو في قوله تعالى والأصم وفى قوله والسمع لعطف الصفة على الصفة كما فى قول من قال

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية فى المزدحم

وأيا ما كان الظاهر أن المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهى التى يدور عليها أمر التشبيه ما يلائم الأحوال المذكورة المعترضة فى جانب التشبيه من تعالى الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة فى العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقاها بالقبول حسبما ذكر فى قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب هنا لكون الأغنى أظهر وأشهر فى سواد العالم من الأصم ومن استعمال الفريق الثانى لكل من أبصارهم وأسماعهم فإذ كرا يكفى المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاختيار حسبما فسر به فيما سلف فلا يكون التشبيه تشبيها لاجتماع الأحوال المحدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدى اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ فى أحدهما وعن النعيم المقيم فى الآخر فإن اعتبار ذلك ينزع الى كون التشبيه تشبيها بأن يتوزع من حال الفريق الاول فى تصامهم وتصامهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك فى العذاب المضاعف والخسران الذى لا خسران فوقه هيئة تشبه بهيته منزعة من فقد مشعرى البصر والسمع فتخط فى مسلكه وقوع فى مهاوى الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا ويتوزع من حال الفريق الثانى فى استعمال مشاعرهم فى آيات الله تعالى حسبما ينبغى وفوزهم بدار الخلود هيئة تشبه بهيته منزعة من بله بصروهم وسمع يستعملها فى مهماتهم فيبتدى الى سبيله ويثاب مرارته (هل يستويان) يعنى الفريقين المذكورين والاستغناء عن أنكارى مذكر لما سبق من أنكار المائدة فى قوله عز وجل أفن كان على بيته الآية (مثلا) أى حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان (أفلا تذكرون) أى أن تكون فى عدم الاستواء وما بينهما من التباين أو أن تغفلون عنه فلا تذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المخطوفين مما أو أنتمسعون هذا فلا تذكرونه فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما فى قوله تعالى أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فان الغاء هناك لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أفلا تعقلون التذكر أو أفلا تعقلون ومعنى الهمة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وأنه ليس مما يصح أن يقع لاهن

قبيل الانكار فى قوله تعالى أفن كان على بيته من ربه وقوله تعالى هل يستويان فإن ذلك لئنى المائلة ونفى الاستواء. ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام أنها كتاب محكم الآيات مفصلا نازل فى شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وأن الذى أنزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر فى تضاعيف ذلك ماله مدخل فى تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزمام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتولية الرسول صلى الله عليه وسلم بما عراه من ضيق الصدر العارض له من افتراحتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحر وأخرى مفتري وثبثته عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على أبلغ وجه وأدبر أسلوب شرع فى تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقين أحدهما أن ما أمر به من التوحيد وفروعه مما أطبق عليه الانبياء قاطبة والثانى أن ذلك انما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى فى حقيقته كلام أصلا وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من أمهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقليل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) الواو ابتدائية واللام جواب قسم مخذوف وحره الباء لا الواو كما فى سورة الاعراف لتلا بجمعت واوان ولا يكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لاها مظنة التوقع وأن المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ماصدريها ونوح هو ابن ملك بن شوشل بن ادريس عليها السلام وهو أول نبي بعث بعده. قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بعث عليه الصلاة والسلام على رأس أربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعة وتسعين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعة وتسعين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة (افى لكم نذير) بالكسر على ارادة القول أى فقال أو قالنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسافى بالفتح على اضمار حرف الجر أى أرسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو ائى لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقصر على ذكر كونه عليه الصلاة والسلام نذيرا لا لان دعوته عليه الصلاة والسلام كانت بطريق الانذار فقط ألا يرى الى قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخيل لانهم لم يقتنموا مغائهم ابشارة عليه الصلاة والسلام (مبين) أي بين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلام المخذور لا مجرد التخويف والازعاج بل للحد منه فتعلق صفة بكلا وصفيه (ألا تعبدوا الا الله) أى بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية والباء متعلقة بأرسلنا ولا نهاية أى أرسلناه ملتبسا بنهم عن الشرك الا أنه وسط بينهما بيان بعض أوصافه وأحواله عليه الصلاة والسلام وهو كونه نذيرا مبينا ليكون أدخل فى القبول ولم يفعل ذلك فى صدر السورة لتلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من أوصافه وأحواله أو مفسرة متعلقة به أو نذير أو مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من أى لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المخذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله تعالى (افى أخاف عليكم عذاب يوم الهم) تعليل لموجب النهي وتصريح بالمخذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة أو يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاستناد المجازى للبالغة كما فى نهاره صائم وهذه المقالة وما فى معناها مما قاله عليه الصلاة والسلام فى أثناء الدعوة على ما عزى اليه فى سائر السور لما لم تصدر عنه عليه الصلاة والسلام مرة واحدة بل كان يكررها عليهم فى تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب انى دعوت قولى ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الارسل المقارن لها أو القول المقدربعد جوابهم المتعرض لأحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام بعد

التي والى بالفاء التعقيب قليل **﴿فقال الملا الذين كفروا من قومه﴾** أي الأشراف منهم من قولهم فلان ملي بكذا أي مطبق له لأنهم مثلوا بكفانيات الأمور أو لأنهم ملا أو القلوب هية والمجالس أهيبة ولأنهم مثلوا بالاحلام والآراء الصائبة وصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من أول الأمر لا لأن بعض أشراهم ليسوا بكفرة **﴿ما نراك الا بشرا مثلاً﴾** مرادهم ما أنت الا بشر مثلاً ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة لو كان كذلك لرأيته لا أن ذلك محتمل ولكن لانراه وكذا الحال في قولهم **﴿وما نراك اتبعك الا الذين هم أرادنا بادي الرأي﴾** فالفعلان من روية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلاً حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله أو بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز أن يكون من روية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الرأي في الأول بالمثلية لا البشرية فقط وانما لم يبتوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه اذ اذنه بأن ذلك لم يصدر عنهم جزافاً بل بعد التأمل في الأمر والتدبر فيه ولذلك اقتصر على ذكر الظن في سياق وتعرضوا من أول الأمر برأي المتبعين فكان قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من أنه عليه الصلاة والسلام ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته واغتم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعوا أن هؤلاء أرادنا أي أخصائنا وأدائنا جمع أرذل فانه صار بالغلبة جارياً بجري الاسم كالأكابر أو جمع أرذل جمع رذل كالكالب والكلب وكلب يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزاة عقل ولا اصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي أي ظاهره من غير تعمق من البدو أو في أوله من البدء والياء مبدل من الحمرة لا تنكسار ما قبلها وقد قرأه أبو عمرو وبها واتصاه على الظرفية على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلهم مع كونهم أولى الأبواب الراجحة لفقرهم فانهم لم يعلموا الا ظاهر الحياة الدنيا كان الأشراف عندهم الأكثر منها حظاً والأرذل من حرمها ولم يفقهوا أن ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وأن النعم انما هو نعيم الآخرة والأشراف من فاز به والأرذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك **﴿وما نرى لكم﴾** أي لك ولتبعك قلب المخاطب على الغائبين **﴿علينا من فضل﴾** يعنون أن اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديهم فضيلة تستحق اتباعاً لك واقتصارهم هنا على ذكر عدم روية الفضل بعد تصريحهم بربذلتهم فيما سبق باعتبار حلم السابق واللاحق ومرادهم أنهم كانوا أرذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا **﴿بالنظر كما يبين﴾** جميعاً لكون كلامكم واحداً ودعواكم واحدة أو اياك في دعوى النبوة وياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجازاة معه عليه الصلاة والسلام بطريق الازالة على نهج الانصاف **﴿قال يا قوم أرايتم﴾** أي أخبروني وفيه إيماء الى ركاكة رأيهم المذكور **﴿ان كنت على بينة﴾** برهان ظاهر **﴿من ربي﴾** وشاهد يشهد بصحة دعواي **﴿وأتاني رحمة من عنده﴾** هي النبوة ويجوز أن تكون هي البينة نفسها جئ بها ايداناً بأنها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قرله تعالى **﴿فعميت عليهم﴾** حينئذ ظاهر وإن أريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما أو لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستانزام خفائها خفاء النبوة أو لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت أعميت وقرى وعميت ومعناه خفيت وحقيقته أن الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعى لا يهتدى ولا يهتدى غيره وفي قراءة أبي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل **﴿أنزلهم كوهها﴾** أي أنكرهم على الاهتداء بها وهو جواب أرايتهم وساد مسد جواب الشرط وقرأ أبو عمرو وبأخفا حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم أعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كافي قوله تعالى فيسكت فيكمهم الله **﴿وأتهم لها كارهون﴾**

لا تغفار ونها ولا تأملون فيها ومحصول الجواب أخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا أنها خافية عليكم غير مسجلة عنكم أمكننا أن نكرهم على قبولها وأتم معروضونها غير متدبرين فيها أي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه الصلاة والسلام بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه يحمل على أن مراده عليه الصلاة والسلام ردهم عن الاعراض عنها وحشمهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الزامهم حال كراهتهم لها لا الى الزام مطلقاً وهذا ويجوز أن يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملك الفضل وبجسه يمتاز أفراد البشر بعضها من بعض وبه بناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتهاد للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على أن الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه الصلاة والسلام عليها وبالرحمة النبوة التي أنكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظنرائهم والمعنى أنك زعمتم أن عبد النبوة لا يناله الا من له فضيلة على سائر الناس مستتعبة لاختصاصه به دونهم أخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وأتاني بحسبها نبوة من عنده تخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيها ولم تالوها ولم تعلوها حيازتي لها وكوفي عليها الى الآن حتى زعمتم أني مثلكم وهي متحققة في نفسها أناركم بقبول نبوت التابعة لها والحال أنكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الأنسب بمقام الحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه الصلاة والسلام جواباً عن شبههم التي أدرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشراً قصارى أمره أن يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأنه آرائهم الريكة **﴿ويا قوم لأسألكم عليه﴾** أي على ماقلته في أثناء دعوتكم **﴿مالاً﴾** تؤدونه الى بعد ايمانكم واتباعكم فيكون ذلك أجراً لي في مقابلة اهتدائكم **﴿ان أجرى الا على الله﴾** الذي يثبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية **﴿وما أنا بطارذ الذين آمنوا﴾** جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم أرادنا من أنه لو اتبعه الأشراف لوقفهم وأن اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم تؤمن لك واتبعتك الأرذلون فكان ذلك انقاساً منهم لطردهم وتعليقاً لايمانهم به عليه الصلاة والسلام بذلك أنفة من الانتظام معهم في سلك واحد **﴿انهم ملاقو ربهم﴾** تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم أي أنهم فازون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كأنه قيل لا أطردهم ولا أبعدهم عن مجلسي لأنهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم أو مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقوفون به عالمون أنهم ملاقوه لاعالة فكيف أطردهم وحمله على معنى أنهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما عني أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم ان كان الأمر كما تزعمون بإياه الجزم بترتب غضب الله عز وجل على طردهم كما سيأتي وأيضاً فهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مداراً للطرد في الدنيا ولا للواخذة في الآخرة غايته أن لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاءه بأن بناء الايمان على ظاهر الرأي يؤدي الى الرجوع عنه عند التأمل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يريدون عنه تسفلاً لا يخفى **﴿ولكني أراكم قوما تجهلون﴾** بكل ما ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبمزالمتهم عنده واستيجاب طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه أنفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعمائهم أن الرذالة بالفقر والشرف بالغنى واثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار أو تنساقون على المؤمنين بنسبتهم الى الحساسة **﴿ويا قوم من ينصرني من الله﴾** يدفع حلول بسخطه عني

﴿ان طردتهم﴾ فان ذلك أمر لا مرد له لكون الطرد ظاهرا موجبا لخلول السخط قطعاً وانما لم يصرح به اشعاراً بأنه عني عن البيان لاسيما غيا قدم ما يلوح به من أحوالهم فكانه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بذلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبي عنه قوله تعالى ﴿أفلا تذكرون﴾ أى أتسترون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور فلا تذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما أتوا به بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد أفردت عن التعليل السابق وصدرت بياقوم ﴿ولا أقول لكم﴾ حين أدعى النبوة ﴿عندى خزان الله﴾ أى رزقه وأمواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نقتلكم كاذبين فان النبوة أعز من أن تنال بأسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ﴿ولا أعلم الغيب﴾ أى لا أدعى في قولى انى لكم نذير مبين انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ﴿ولا أقول انى ملك﴾ حتى تقولوا ما نراك الا بشراً مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعنى انكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة ذريعة الى تكذيبى والحال انى لا أدعى شيئاً من ذلك ولا الذى أدعيه يتعلق بشئ منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التى بها تتفاوت مقادير البشر ﴿ولا أقول﴾ مساعدة لكم كما تقولون ﴿الذين يزدري أعينكم﴾ أى تقتحمهم وتحقرهم من زراه اذا عابه واستاد الازدراء الى أعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم آرادنا واما للاشعار بأن ذلك لقصور نظرهم ولوتدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك أى لا أقول في شأن الذين استرذلوهم لفقرهم من المؤمنين ﴿ان يؤتيم الله خيراً﴾ في الدنيا وفى الآخرة فعسى الله أن يؤتيمهم خيراً المداين ان قلت هذا القول ليس بما تستكره الكفرة ولا بما يتوهمون صدورهم عنه عليه السلام أسالة أو استبعاداً كدعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزان مما تفاه عليه الصلاة والسلام عن نفسه بطريق التبرؤ والتزعة عنه فمن أى وجه عطف فيه على نفيها قلت من جهة أن كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذى تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا أن النبوة تستلزم الامور المذكورة وأنها لا تنسب عن ليس على تلك الصفات فان العثور على مكانها وانغنام مقامها ليس من دأب الأراذل فأجاب عليه الصلاة والسلام بنفى ذلك جميعاً فكانه قال لا أقول وجود تلك الأشياء من موانع النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير ﴿الله أعلم بما فى أنفسهم﴾ من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع أنه عليه الصلاة والسلام جازم بأن الله سبحانه سيؤتيهم خيراً عظيماً في المداين وأنهم على يقين راسخ في الايمان جرياً على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادهم الى مسلك الهداية بأن اللائق لكل أحد أن لا يفت القول الا فيما يعلمه يقيناً وبني أموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة ﴿انى اذا﴾ أى اذا قلت ذلك ﴿لمن الظالمين﴾ لهم بحيط مرتبتهم وتنقص حقوقهم أو من الظالمين لأنفسهم بذلك فان وبالراجع الى أنفسهم وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدراءهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئاً مذكراً من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزان وهو بعيد لأن تبعة تلك الأقوال مغنية عن التعليل بازوم الانتظام في زمرة الظالمين ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ خاصمتنا ﴿فاكثرت جدالتنا﴾ أى أطلته أو أثبتته بأنواعه فانما كثر الجدال يتحقق بعد وقوع أصله فلذلك عطف عليه الفاء وأردت ذلك فأكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما حججه عليه الصلاة والسلام وأبرز لهم بينات واضحة المدلول وحججاً تتلقاه العقول بالقبول والتميم الحجر يردشبههم بالباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العال وقالوا ﴿فانتنا بما تعدنا﴾ من العذاب المعجل أو العذاب الذى أشير اليه في قوله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم على تقدير أن لا يكون المراد باليوم يوم القيامة ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فيما تقول ﴿قال انما يأتيكم

به الله ان شاء﴾ يعنى أن ذلك ليس موكولاً الى ولا هو مما يدخل تحت قدرى وانما يتولا الله الذى كفرتم به وعصيتموه بأنتم به عاجلاً أو آجلاً ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه مالا يخفى من تهويل الموعد فكانه قيل الاين به أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بالحرب أو بالمداغة كما تدافعوننى في الكلام ﴿ولا ينفعكم نصيحى﴾ النصيحة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول أو فعل وحقيقته اعراض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع النفي ليقى وموضع الرشد ليقنى ﴿ان أردت أن أنصح لكم﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصيحى وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى ﴿ان كان الله يريد أن يغويكم﴾ والتقدير ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصيحى هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط وأما على ما ذهب اليه الكوفيون من جواز فحوله عز وعلا ولا ينفعكم نصيحى جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثانى وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثانى وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فأكثر جدالتنا صدر عنه عليه الصلاة والسلام اظهاراً للعجز عن الزامهم بالحجج والبيات لقادريهم في العناد وايداناً بأن ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبأنه لم يأل جهداً في ارشادهم الى الحق وهذا يتيم الى سبيله المستبين واعراض النصيحة لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصيحة بآرادته مع أنه محقق لاحالة لايندان بأن ذلك النصيحة منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين مواقع آزاره من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وعلا حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته تعالى زماناً كتحققها رتبة وللدلالة على تجددتها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فانتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من أول الامر وتسجيلاً عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على أن ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وأن خلاف مراده غير واقع وقيل معنى أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصل غوى اذا بشم وهلك ﴿هو ربكم﴾ خالفكم ومالك أمركم ﴿واله ترجعون﴾ فيجازيكم على أعمالكم لا محالة ﴿أم يقولون افتراه﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى نوحاً عليه الصلاة والسلام ومعناه بل أقول قوم نوح ان نوحاً افتراه بما جاء به مستنداً الى الله عز وجل ﴿قل﴾ يا نوح ﴿ان افتريته﴾ بالفرض البحث ﴿فعلى اجرامى﴾ أى وبال اجرامى وهو كسب الذنب وقرى بلفظ الجمع ونصره أن فسره الاولون بآبائى ﴿وأنا برى﴾ مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعتراضكم عني ومعادتكم لي وقال مقاتل يعنى بمخدا عليه الصلاة والسلام ومعناه بل أقول مشركو مكة افتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكانه انما سجي به في تصاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقاً لحقيقتها وتأكيذاً لوقوعها وتشويقاً للسامعين الى استماعها لاسيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من الحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم ﴿وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك﴾ أى المصرين على الكفر وهو اقطاع له عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه كالحال الذى لا يصح توقفه ﴿الا من قد آمن﴾ الامن قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى الاما قد سلف ﴿فلا تبئس بما كانوا يفعلون﴾ أى لا تحزن حزن بانس مستكين ولا تنغم بما

كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستعزاء والابناء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم
 (واضح الفلك) ملتبسا (بأعيننا) أي بحفظنا وكلنا كما كنا مع الله عز وجل حفاظا وحراسا يكونونه بأعينهم
 من التعدى من الكفرة ومن الزيف في الصنعة (ووحينا) اليك كيف تصنعها وتعلمنا والها هنا عن ابن عباس
 رضى الله تعالى عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للجؤجؤ أن يذلا
 سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بأن يحمل على أن هذا مسبوق بوحى الله تعالى
 اليه عليه السلام أنه سيبلكهم بالغرق وينجيهم ومن معه بشئ يصنعه بأمره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه
 كذا واما اللجنس . قيل صنعها عليه الصلاة والسلام في ستين وقيل في أربعين سنة وكانت من خشب الساج وجعلت
 ثلاثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والحوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى
 جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه الصلاة والسلام وقيل جعل في
 الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا
 وسحبها ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى
 عليه الصلاة والسلام لو بعثنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كتيب من تراب فأخذ كفا
 من ذلك التراب فقال أندرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حاتم قال فضرب بعصاه فقال قم باذن
 الله فاذا هو قائم ينفخ التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام أهكذا هلك قال لا مت
 وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فثمة شئت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها
 ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانسان وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله تعالى
 كما كنت فماد ترابا (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أي لا تراجعني فيهم ولا تدعي باستدفاع العذاب عنهم وفيه من
 المبالغة ما ليس فيها لوقيل ولا تدعي فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالسبية أكد التعليل فقيل (أنهم مفرقون)
 أي محكوم عليهم بالاغراق قدمنى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا أن يجعلوا عبرة
 للمعتبرين ومثلا للآخرين (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية لاستحضار صورته العجيبة وقيل تقديره وأخذ
 يصنع الفلك أو قبل بصنعها فانصر على يصنع وأياما كان فيه ملائمة للاستمرار المقصود من الجملة الواقعة حالا من
 ضميره أعني قوله تعالى (وكلمنا مر عليه ملائمة من قومه وسخروا منه) استعزاء به لعمله السفينة اما لأنهم ما كانوا
 يعرفونها ولا كيفية استعجالها والارتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لأنه كان يصنعها في برية بهما في
 أبعد موضع من الماء وفي وقت عزه عزة شديدة وكانوا يتضاككون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا
 وقيل لأنه عليه الصلاة والسلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا أثرا عدوه من باب
 الحال ثم لما رأوا اشتغاله بأسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار أن يكون لعمله عليه الصلاة
 والسلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستعجاله عليه السلام في ذلك (قال ان
 تسخر وامننا) مستجيبين لنا فيما نحن فيه (فاما نسخر منكم) أي نستجلكم فيما أنتم عليه واطلاق السخرية
 عليه للمشاكلة وجمع الضمير في مناما لأن سخرتهم منه عليه الصلاة والسلام سخرية من المؤمنين أيضا أو لأنهم
 كانوا يسخرون منهم أيضا الا أنه اكتفى بذكر سخرتهم منه عليه الصلاة والسلام ولذلك تعرض الجميع للجازاة
 في قوله تعالى فاما نسخر منكم الخ فكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استعجاله عليه الصلاة والسلام ايامهم بما فعلوا من

السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه الصلاة والسلام ايامه بذلك والا فعده عليه الصلاة والسلام ايامه جاهليين فيما
 يأتون ويذرون أمر مطرد لاتعلق له بسخريتهم منهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصدى لظاهره جريا على
 نهج الاخلاق الحيدة وانما أظهره جزاء بما صنعوا بعد الدنيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجديد
 مرورهم عليه ولم يكن يحيبهم في كل مرة والا لقليل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما أجابهم بعد بلوغ أذهام الغاية كما
 يؤذن به الاستئناف فكان سائلا فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا أي ان
 تسبونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لأسباب الخلاص من العذاب الى الجبل وتسخروا منا لاجله فاننا ننسبكم
 اليه فيما أنتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لأسباب
 حلول سخط الله تعالى التي من حملتها استجبالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله تعالى (كأتسخرون) اما في
 مجرد التحقق والوقوع أو في التجدد والتكرار حسبا صدر عن ملائمة ملائمة لافى الكيفيات والأحوال التي
 لاتليق بشأن النبي عليه الصلاة والسلام فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم
 اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والآخر ولعل مراده تعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس
 السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لاسداده لأن حاله اذ ذاك ليس مما يلائم السخرية أو ما يجري
 مجراها فتأمل (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) وهو عذاب الغرق (ويحل عليه) حلول الدين المؤجل
 (عذاب مقيم) هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع أو موصولة
 في محل نصب تعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين أو مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان
 مدار سخريتهم استجبالهم ايامه عليه الصلاة والسلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على
 زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قبل بعد استجبالهم فسوف تعلمون من يأتيه
 العذاب يعني أن ما أبشره ليس فيه عذاب لاحق في فسوف تعلمون من المعبذ ولقد أصاب العلم بعد استجبالهم مخزه
 ووصف العذاب بالاخرا لما في الاستعزاء والسخرية من حقوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم
 للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالايان في غاية الجزالة (حتى اذا جاء أمرنا) حتى التي يتبدأ بها
 الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب
 لكلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كاذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر أو صفة ملا وقد
 عرفت أن الحق هو الاول لان المقصود بيان نتائجهم في اياديه عليه الصلاة والسلام وتحمله لأذيتهم لا مسارعة عليه
 الصلاة والسلام الى جوابهم كما وقع منهم ما يؤذيهم من الكلام (وفار التور) نبع منه الماء وارتفع بشدة كما تنور
 القدر بغليانها والتنوير تهرا الخبز وهو قول الجمهور . روى أنه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام اذا رأيت الماء فيقور من
 التور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه الصلاة والسلام وكان
 من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو أبعث شئ من الماء على غرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها
 عن يمين الداخل مما يلي باب كنده وكان عمل السفينة في ذلك الموضع أو في الهند أو في موضع بالشام يقال له عين
 وردة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعكرمة والزهرى أن التنور وجه الأرض وعن قتادة أشرف موضع في
 الأرض أي أعلاه وعن علي رضى الله تعالى عنه فار التنور طلع الفجر (فلما احمل فيها) أي في السفينة وهو جواب اذا
 (من كل) أي من كل نوع لا بد منه في الأرض (زوجين) الزوج ماله مشا كل من نوعه فالذكر زوج للأنثى

كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل (اثنتين) كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على أهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيها أرى به من الخلل لأنه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه الصلاة والسلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين الأزواج فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف أحمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب يديه في كل جنس فيقع الذكر في يده العيني والاثني في اليسرى فيجعلهما في السفينة وأما البشر فأنما يدخل الفلك باختياره فيخضعه معنى الخلل أو لانها انما تحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم ايها (وأهلك) عطف على زوجين أو على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونسأولهم (الامن سبق عليه القول) بأنه من المقرعين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وأمه واعدة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان أريد بالاهل الاهل ايما وهو الظاهر كما ستعرفه أو متصل ان أريد به الاهل قرابة وبكفي في محبة الاستثناء المعروفة عند المراجعة الى أحوالهم والتفحص عن أعمالهم وحجى بعلى لكون السابق ضارالحكم كما جى باللام فيها هو نافع لهم من قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقتم منا الحسن (ومن آمن) من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وياثر صيغة الافراد في أمن محافظة على لفظ من لا يذنب بقاتلهم كما أعرب عنه قوله عز قاتلا (وما آمن معه الا قليل) قيل كانوا ثمانية نوح عليه الصلاة والسلام وأهله وبنوه الثلاثة ونسأولهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا أنهم كانوا عشرة سوى نساءهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونسأولهم فجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ما بينهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة (وقال) أي نوح عليه الصلاة والسلام لمن معه من المؤمنين كما بينى عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب أن يقال ان ربي لم ولعل ذلك بعد ادخال ما أمر بحمله في الفلك من الأزواج كأنه قيل لحمل الأزواج أو ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين (اركبو فيها) كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستحاله ههنا بكلمة في ليس لأن المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان أظهر الروايات أنه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الأعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه أن معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان أو قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفى له حظ الاصل فيقال ركب الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركب في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قاتلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ربك في السفينة خرقها (بسم الله) متعلق بركبوها حال من فاعله أي اركبوها مسمين الله تعالى أو قائلين بسم الله (مجرىها ومرساها) نصب على الظرفية أي وقت جرائها وارسائها على أنهما اسم زمان أو مصدران كالأجراء والارساء يحذف الوقت كقولك آتيتك خفوق النجم أو اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل أو ارادة القول ويجوز أن يكون بسم الله مجرىها ومرساها مستقلة من مبتدا وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك أي اركبوها فيها مجرة ومرساة باسم الله بمعنى التدبير كقوله تعالى ادخلوها خالدن أو جملة متضمنة على أن نوحا أمرهم بالركوب فيها ثم أخبرهم بأن اجرائها وارسائها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه الصلاة والسلام قيل كان عليه السلام اذا أراد أن يجرىها يقول بسم الله فيجرى واذا أراد أن يرسها يقول بسم الله فترسو ويجوز أن يكون الاسم مقحفا كما في قوله

الى الخول ثم اسم السلام عليهما ويراد بالله اجرائها وارسائها أي بقدرته وأمره وقرئ مجرىها ومرساها على صيغة الفاعل مجرور والخل صفتين له عز وجل ويجريها ومرساها بفتح الميم مصدرين أو زمانين أو مكانين من جرى ورسا (ان ربي لغفور) للذنوب والخطايا (رحيم) لعباده ولذلك تجاكم من هذه الطامة والذاهية العامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على أن نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه رأى أهل البتة (وهي تجري بهم) متعلق بمحذوف دل عليه الأمر بالركوب أي فركبوها فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم (في موج كالجبال) وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موج من ذلك تجل في ارتفاعها وتراكبها وما قيل من أن الماء ملق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه كالخوت فقير ثابت والمشهور أنه علا شوانخ الجبال خمسة عشر ذراعا أو أربعين ذراعا واثن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قيل أن يتفاهم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى (ونادى نوح ابنه) فان ذلك انما يتصور قبل أن تنقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حيث يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه الصلاة والسلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاقتصاص بالجبل وقرئ ابنها وابنه يحذف الألف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من أنه كان لغير رشدة لقوله تعالى فغاثتها فارتكاب عظيمة لا يقدر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه أرفع من أن يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالحياة الحياتة في الدين وقرئ ابنه على التدبيرة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وأنت خير بأنه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في أنه لم يقع في حياته بأس بعد (وكان في معزل) أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه واخوته وقومه بحيث لم يتناولوا الخطاب بركبوها واحتاج الى التذلل المذكور وقيل في معزل عن الكفار وقد انفرد عنهم وطن نوح أنه يريد مقاربتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان يناقض أباه فظن أنه مؤمن وقيل كان يعلم أنه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه الصلاة والسلام ظن أنه عند مشاهدة تلك الأحوال يزرع عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الامن سبق عليه القول نفاقا كون ابنه داخلا تحت بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك (يا بني) بفتح الياء اقتصاوا عليه من الألف المبذولة من يا الاضافة في قولك يا بني وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليهم من يا الاضافة أو سقطت الياء والألف للانقضاء الساكنين لأن الراء بعدهما ساكنة (اركبو معنا) قرأ أبو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في الخروج وانما أطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعنيها وللإيدان بضيق المقام حيث حال المريض دون المريض مع اغناء المعية عن ذلك (ولا تنك مع الكافرين) أي في المكان وهو وجه الأرض خارج الفلك لافي الدين وان كان ذلك مما يوجب ركوبه معه عليه الصلاة والسلام كونه معه في الايمان لأنه عليه الصلاة والسلام يصد التحذير عن الهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر (قال ساوئ الى جبل) من الجبال (يعصموني) بارتفاعه (من الماء) زعمانه أن ذلك كسائر المياه في أمانة السيول المعتادة التي ربما بقي منها بالصعود الى الريا وأنى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بأن ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وأن لا يخص من ذلك سوى الاتلجاء الى ما يجأ المؤمنون فلذلك أراد عليه الصلاة والسلام أن يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر أن يحجب بما يتعاطى عليه كلامه ويتعرض انني ما أثبت له للجل من كونه عاصيا له من الماء بأن يقول لا يعصمك منه مفيدا انني وصفت العصمة عنه فقط من غير تعرض انفيه عن غيره ولا ثني الموصوف أصلا لكنه عليه الصلاة والسلام حيث (قال لا عاصم اليوم من أمر الله) سلك طريقة نفي الجنس المتشتمل انني جميع أفراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا يجيب أي أحد من الناس البالغة في نفي كون

الجليل عاصم بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للثنية على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلق فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالاتجاه إلى بعض الأسباب العادية وغير من الماء في محل اضيائه بأمر الله أي عذابه الذي أشير إليه حيث قيل حتى إذا جاء أمرنا فنجحنا لنشأته ونهولاً لأمره وتنبهنا لابنه على خطئه في سميت ما ويوم أنه كسائر المياه التي يغص منها بالهرب إلى بعض المهارب المعهودة وتعالينا للثني المذكور فإن أمر الله لا يتغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من أمر الله إلا هو وإنما قيل (الامن رحم) تفخيا لشأنه الجليل بالابهام ثم التفسير والابجمال ثم التفصيل وإشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه الصلاة والسلام بتحقيق ما توخاه من نجاته ابنه ببيان شأن الداهية وقطع أطاعه الفارغة وضرره عن التعال بما لا يفتني عنه شيئا وإرشاده إلى العباد بالمعاد الحق عز وجل وقيل لا مكان بعصم من أمر الله إلا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا إذا عصمة الامن رحمه الله تعالى (وحال بينهما الموج) أي بين نوح وبين ابنه فالتقطع ما بينهما من المجاورة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى (فكان من المغربين) اذ هو إنما يتفرع على حيولة الموج بينه عليه الصلاة والسلام وبين ابنه وبين الجبل لأنه بمنزل من كونه عاصما وإن لم يحمل بينه وبين الملتحي - اليوم وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على أبلغ وجه فكان ذلك أمراً مقرر الوقوع غير مفتقر إلى البيان وفي إيراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم (وقيل يا أرض ابلعي) أي انثني استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد للتدريج (ماك) أي ماعلى وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والآبار وغيره بالماء بعد ما عبر عنه فيسأل بأمر الله تعالى لأن المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفضيم والتحويل (وإسبا أفلح) أي أمسك عن إرسال المطر يقال أفلحت السماء إذا انقطع مطرها وأفلحت الحى أي كفت (وغيض الماء) أي نقص ما بين السماء والأرض من الماء (وقضى الأمر) أي أجز ما وعد الله تعالى نوحا من أهلاك قومه وإنجائه بأهله أو أتم الأمر (واستوت) أي استقرت الفلك (على الجودي) هو جبل بالموصل أو بالشام أو بأمل . روى أنه عليه الصلاة والسلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصار ذلك اليوم شكراً فصار سنة (وقيل بعداً للقوم الظالمين) أي هلاكهم والتعرض لوتخلف الظلم للاشعار بعلية للهلك ولتذكيره ما سبق من قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغفرون ولقد بلغت الآية السكرية من مراتب الإعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري أن ذلك فوق ما يصفه الواصفون فخرى بنا أن نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الأمر إلى تأمل أولى الألباب والله عنده علم الكتاب (ونادى نوح ربه) أي أراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى (فقال رب انبني من أهلي) وقد وعدت أنجائهم في ضمن الأمر بمحملهم في الفلك أو النداء على الحقيقة والفاء تفصيل مافيه من الاجمال (وان وعدك الحق) أي وعدك ذلك أو أن كل وعد تعده حتى لا يتطرق اليه من خلف فيدخل فيه الوعد المعهود ودخولاً أوليا (وأنت أحكم الحاكمين) لأنك أعلمهم وأعدتهم وأنت أكثر حكمة من ذوى الحكمة على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه الصلاة والسلام على طريقة دعاء أيوب عليه الصلاة والسلام إذا نادى ربه في مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (قال ياتوج) لما كان دعاءه عليه الصلاة والسلام بتذكير وعده جل ذكره مبني على كون كنعان من أهله نبي أو لا كونه منهم بقوله تعالى (أنه ليس من أهلك) أي ليس منهم أصلاً لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمنين والكافر أو ليس من أهلك الذين أمرتكم بحملهم في الفلك لخر وجه عنهم بالاستثناء وعلى

التقديرين ليس هو من الذين وعد بأنجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيق بقوله تعالى (أنه عمل غير صالح) أصله أنه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كافي قول الحسناء فأنما هي أقبال وإدبار وإتيار غير صالح على فاسد أما لأن الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الإصلاح فلا يكون نصاً فيها هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم وأما للتلويع بأن نجاته من نجا أمما هي إصلاحه وقرأ الكسائي ويقوب أنه عمل غير صالح أي عملاً غير صالح ولما كان دعاءه عليه الصلاة والسلام مبني على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من أهله وقد نفي ذلك وحقق ببيان علته فرغ على ذلك النهي عن سؤال أنجائه إلا أنه جى بالنهي على وجه عام يتدرج فيه ذلك اندراجاً أولياً فقل (فلا تسألني) أي إذا وقعت على حيلة الحال فلا تطلب مني (ما ليس لك به علم) أي مطالبا لا تعلم يقيناً أن حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المستول الذي هو مفعول للسؤال أو مطالبا لا تعلم أنه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي وارداً بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشقة الحال ويجوز أن يكون المعنى ما ليس لك علم بأنه صواب أو غير صواب فيكون النهي وارداً في مشقة الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الأولى وعلى التقديرين فهو عام يتدرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في أن نداه عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل ليس استفصاراً عن سبب عدم أنجائه ابنه مع سبق وعده بأنجائه أهله وهو منهم كما قيل فإن النهي عن استفصار ما لم يعلم غير موافق للحكمة إذ عدم العلم بالشيء دافع إلى الاستفسار عنه لا إلى تركه بل هو دعاء منه لأنجائه ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد أما بتقريره إلى الفلك بتلاطم الأمواج أو بتقريرها إليه وقيل أو بأنجائه في قلة الجبل وبأباه تذكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم ومجرد حيولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلاً عن العلم به لظهور إمكان عصمة الله تعالى إياه برحمته وقد وعد بأنجائه أهله ولم يكن ابنه مجاهراً بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز زعيله عليه السلام أن يدعو إلى الفلك أو يدعو به لأنجائه واعتزله عنه عليه الصلاة والسلام وقد صدق ما لا اتجاه إلى الجبل ليس بصرف في الاصرار على الكفر لظهور جواز أن يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك ورحمه أن الجبل أيضاً يجري مجراه أو لكرامة الاحتباس في الفلك بل قوله سألني إلى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال له نوح عليه الصلاة والسلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في إيمانه حيث لم يقل أكون معهم أو سألني أو يعصمنا فانفراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزله عنهم وامثاله ببعض ما أمره به نوح عليه الصلاة والسلام إلا أنه عليه الصلاة والسلام لو تأمل في شأنه حق التأمل وتفحص عن أحوالهم في كل ما يأتي ويذكر لا اشتبه عليه أنه ليس بمؤمن وأنه المستثنى من أهله ولذلك قيل (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) فغير عن ترك الأولى بذلك وقرئ (فلا تسألني بغيري) الإضافة بالنون الثقيلية وبغيري (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك) أي أطلب منك من بعد (ما ليس لي به علم) أي مطلوباً بالأعلم أن حصوله مقتضى الحكمة أو طلبة لا أعلم أنه صواب سواء كان معلوم الفساد أو مشقة الحال أو لا أعلم أنه صواب أو غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام بما وقع منه وأعلم بقول أسألك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة وإظهار للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو أبلغ من أن يقول أتوب إليك أن أسألك لمافي من الدلالة على كون ذلك أمراً هائلاً محذوراً لا يحصى منه إلا بالعوذ بالله تعالى وأنت قدرته قاصرة عن النجاة من المسكاره إلا بذلك (والا تنفر لي) ما صدر عني من السؤال المذكور (وترحمي) بقول توبتي (أمن من الخاسرين) أعمالاً يسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لاسيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة

التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاستغفار بما لا يعني خصوصا بمبادئ خلاص من قيل في شأنه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في أمره معاملة غير رابحة وخسران مبین وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع أن حقه أن يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبا وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن لا يقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتل الذي هو اول القصة وكان حقا أن يقال واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقتلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرري موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديدهم جناياتهم المتنوعة وثنية التفرع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة اذبحوا بقرة الخ لتقرعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الاشتال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذا قتلتم نفسا الخ للتفرع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لغات الغرض الذي هو ثنية التفرع ولظن أن المجموع تفرع واحد وأما ما نحن فيه فليس بما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك التكلفة أصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع أيضا بل لأن ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه الصلاة والسلام المؤدى ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه الصلاة والسلام من الفلك بالسلام والبركات الفاتحة عليه وعلى المؤمنين حسبا سيجي مفصلا ولا ريب في أن هذا المعاني أخذ بعضها بحجة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المتطوية عليها بعضها من بعض وأن ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب أن ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذا التكلفة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى أن يرد قوله انه ليس من اهلك أنه ينجو بدعائه عليه الصلاة والسلام فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الأزلية بما ذكر من الغيظ والاقلاع وبين بلوغ أمر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام ذلك الطوفان واستواء الفلك على الجودي فقصة القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك أي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح عليه السلام وبين رب العزة جل جلالته فذكر بعد توبته عليه الصلاة والسلام قبولها بقوله **(قيل يا نوح اهبط)** أي انزل من الفلك وقرى بعض الباء **(بسلام)** ملتبسا بسلامة من المسكارة كائنة **(منها)** أو بسلام ونجاة منها عليك كما قال سلام على نوح في العالمين **(وبركات عليك)** أي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الارزاق وقرى بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران فيضآن أنواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يندر **(وعلى أمهم)** ناشئة **(من معك)** الى يوم القيامة متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد بالام المؤمنة المتناسلة عن معه الى يوم القيامة **(وأمهم سمعهم)** أي ومنهم على أنه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان اراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم تكرة يدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم أمم يمتعون في الدنيا معديون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما ومباركا

عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه الصلاة والسلام ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز أن تكون من بانية أي وعلى أمهم الذين معك وانما سموا أمم لأنهم أمم متحيزة وجماعات متفرقة أو لأن جميع الامم انما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وأمهم سمعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيامة ويبقى أمر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره المحذوف خفاء لأن من المذكورة بانية والمحذوفة تبعضية أو ابتدائية فتأمل **(ثم يسمهم)** اما في الآخرة أو في الدنيا أيضا **(من عذاب أليم)** عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيها بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم المعتمة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب منازل بهم **(تلك)** إشارة الى ما قص من قصة نوح عليه الصلاة والسلام اما لكونها بتقصيها في حكم البعيد أو للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره **(من أبا الغيب)** أي من جنسها أي ليست من قبيل سائر الانباء بل هي نسيج وحدها منفردة عما عداها أو بعضها **(نوحها اليك)** خبر ثان والضمير لها أي هو حاق اليك أو هو الخبر ومن أبا متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة أو حال من أبا الغيب أي موحة اليك **(ما كنت تعلمها أنت ولا قومك)** خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك **(من قبل هذا)** أي من قبل إحيائنا اليك واخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبه بالوحي أو من قبل هذا الوقت أو حال من لها في نوحها أو الكاف في اليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على أنه عليه الصلاة والسلام لم يتعلمه اذ لم يخاطب غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يعلموه فكيف بواحد منهم **(فاصبر)** متفرع على الايجاء أو العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا أي واذا قد أوحيناها اليك أو علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة وأذنة قومك كما صبر نوح على ما سمعته من أنواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك الخ **(ان العاقبة)** بالظفر في الدنيا والفوز في الآخرة **(للتقين)** كما شاهدته في نوح عليه الصلاة والسلام وقومه ولك فيه اسوة حسنة في تلبية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحيدة للتقين وهو في أقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون بما يليه عليه الصلاة والسلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدره وهذا على تقدير أن يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه أي التوقي من العذاب المخلد بالبر من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى ويجوز أن يراد الدرجة الثالثة منه وهي أن يتزهد عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشرائه وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حتى تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطوق على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين **(والى عاد)** متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى أرسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى **(أخاهم)** أي وأرسلنا الى عاد أخاهم أي واحدا منهم في النسب كقولهم يا أخا العرب وتقديم الجور على المنسوب ههنا للحذر عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور في سابق وأخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى **(هودا)** عطف بيان لأخاهم وكان عليه الصلاة والسلام من جهلهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الحلود بن العوص بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن عم أبي عاد وانما جعل منهم لأنهم أفهم للكلامه وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه **(قال)** لما كان ذكر ارساله عليه الصلاة والسلام اليهم مظنة للسؤال عما حال لهم ودعاهم اليه أجيب

عنه بطريق الاستئناف فقيل قال **﴿يا قوم اعبدوا الله﴾** أي وحده كما ينبغي عنه قوله تعالى **﴿ما لكم من اله غيره﴾** فانه استئناف يحرى بحرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للامر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرى بالجر حملا له على لفظه **﴿ان أنتم﴾** ما أنتم بتخاذكم الأصنام شركاء لها أو يقولكم ان الله أمرنا بعبادته **﴿الا مقترون﴾** عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا **﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجرا﴾** ان أجرى الا على الذي فطرني مخاطب به كل نبي قومه اذ احاطت له على يثومونه واحاطا للصيغة فانها مادامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وإيراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه أقدم النعم الفاضلة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى الا بالجزيل على موجب أمره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جنسها الاجر **﴿أفلا تعقلون﴾** أي أنغفلون عن هذه القضية أو ألا تفكرون فيها فلا تعقلونها أو أنجهلون كل شيء **﴿فلا تعقلون﴾** شيئا أصلا فان هذا مما لا ينبغي أن يخفى على أحد من العقلاء **﴿ويا قوم استغفروا ربكم﴾** أي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالإيمان والطاعة **﴿ثم توبوا إليه﴾** أي توسلوا إليه بالتوبة وأيضا التبرؤ من الغير انما يكون بعد الإيمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده **﴿يرسل السيل﴾** أي المطر **﴿عليكم مدرارا﴾** أي كثير الدرور **﴿وزيدكم قوة﴾** مضافة ومنصبة **﴿إلى قوتكم﴾** أي يضاعف لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا أحباب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر وأعمق أرحام نسايتهم ثلاث سنين فوعدهم عليه الصلاة والسلام كثرة الأمطار وتضاعف القوة بالناسل على الإيمان والتوبة **﴿ولا تتولوا﴾** أي لا تعرضوا عما دعوتكم إليه **﴿مجرمين﴾** مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام **﴿قالوا يا هود ما جئنا بينة﴾** أي بحجة تدل على صحة دعواك انما قالوه لفرط غنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفاتية للحص **﴿وما نحن بتاركي آلهتنا﴾** أي تاركي عبادتها **﴿عن قولك﴾** أي صادقين عنه أي صادرا تركنا عن ذلك باستناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التحليل على أبلغ وجه له لانه على كونه عللة فاعلية ولا يفيد الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الأعراف **﴿أجئنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾** **﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾** أي بمصدقين في شيء ما تأتي وتذرفين درج تحت ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشككة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى **﴿ان نقول الا اعتراك﴾** أي ما نقول الا قولنا اعتراك أي أصابك **﴿بعض آلهتنا بسوء﴾** بجهنن لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الألوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون والتكثير في سوء التقليل كما أنهم لم يبالغوا في سوء كما ينبغي عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه الصلاة والسلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعدهم من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يرضون ان لا نعد كلامك الا من قيل مالا يحتمل الصدق والكذب من الهذيان الصادرة عن المجانين فكيف تصدقه وتؤمن به وتعمل بموجبه وقد سلكتوا في طريقة الخرافة والعماد الى سبيل الترقى من الأدنى الى الأعلى حيث أخبروا أو لا عن عدم مجيئه بالبينه مع احتمال كون ما جاء به عليه الصلاة والسلام حجة في نفسه وان لم تكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامثال بقوله عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه الصلاة والسلام في كلامه ثم نقروا تصديقهم له عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه الصلاة والسلام مما يقبل التصديق ثم نقروا عنه تلك

المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله أي يؤفكون **﴿قال اني أشهد الله واشهدوا أني برى﴾** مما تشركون من دونه **﴿أي من أشرككم من دون الله أي من غير أن ينزل به سلطانا﴾** كما قال في سورة الأعراف **﴿أتجادلونني في أساءة سيئوها﴾** أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان أو بما تشركونه من آلهة غير الله أجاب به عن مقالهم الحق المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر أو ينفع وأنها بمعزل عن ذلك ولما كان ما وقع أو لا منه عليه الصلاة والسلام في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الألوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يوثق شيئا حتى زعموا أنها تصديه عليه الصلاة والسلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه الصلاة والسلام بالحق وصدع به حيث أخبر ببرائة القديمة عنها بالجملة الاسمى المصدرة بان وأشهد الله على ذلك وأمرهم بأن يسمعوا ذلك ويشهدوا به استأنفة بهم ثم أمرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبا يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه الصلاة والسلام ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال **﴿فكيدوني جميعا ثم لا تنظرن﴾** أي ان صرح ما لو ستم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني برى منها فكفرتوا أنتم معها جميعا وبشروا كيدى ثم لا تمهلوني ولا تساعوني في ذلك قالوا لنفزع الامر عن زميرهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البرائة كليهما وهذا من أعظم المعجزات فانه عليه الصلاة والسلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادئ المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لأسباب المعازة والمعارة فلم يقدر واعلى مباشرة شيء كما كفروا وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع رفيع واعتم على جبل متين حيث قال **﴿انني توكلت على الله ربي وربكم﴾** يعني انكم وان بذلت في مضارتي مجهودكم لا تقدرن على شيء مما تريدون في فاني متوكل على الله تعالى وانما سجي بلفظ الماضي لكونه أدل على الانشاء المناسب للقيام واتق بكالاتي وحفظي عن غوائلكم وهو مالمكي وما لكم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر الا بإرادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله **﴿ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها﴾** أي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستصية عليه فان الأخذ بالناصية تمثيل لذلك **﴿ان ربي على صراط مستقيم﴾** تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره أي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم على اذ لا يضع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد وما لا ن فائدة كونه تعالى مالكهم أيضا راجعة اليه عليه الصلاة والسلام **﴿فان تولوا﴾** أي تتولوا بخذف احدي التامين أي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التول والاعراض **﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم﴾** أي لم أعاب على تفريطي في الابلاغ وكنتم محجوجين بأن بلغكم الحق فأيتتم الا التكذيب والجحود **﴿ويستخلف ربي قوما غيركم﴾** استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم وأمواهم قوما آخرين أو عطف على الجواب بالقاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجرم عطف على الموضوع كأنه قيل فان تولوا يغيرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصار اضافة الرب عليه عليه السلام رمز الى اللطف به والتدبير للمخاطبين **﴿ولا تنصرونه﴾** بتوليكم **﴿شيئا﴾** من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف أسقط منه النون **﴿ان ربي على كل شيء حفيظ﴾** أي رقيب مبين فلا تخفى عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ لكل **﴿ولما جاء أمرنا﴾** أي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن زيل المجامع **﴿ما لا يخفى من التضمين والتحويل﴾** وورد أمرنا بالعذاب **﴿نجينا هودا والذين**

استواحه) وكانوا أربعة آلاف (برحة) عظيمة كانت لهم (منها) وهي الايمان الذي انعمت به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه (ونجيتهم من عذاب غليظ) أي فانت تلك النجاة تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أديارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل أريد بالثانية التنبيه من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد وهذه النجاة وإن لم تكن مقيدة بمعنى الأمر لكن جى بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بأن المملكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) أنت اسم الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها بعد ما استيقنوها (وعصوا رسله) جمع الرسل مع أنه لم يرسل اليهم غير هود عليه الصلاة والسلام تفضيلا لحالهم وظهارا لكال ككفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم له عليه الصلاة والسلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتصاق كلمتهم على التوحيد لا يفرق بين أحد من رسله فيجوز أن يراد بالآيات ما أتى به هود وغيره من الأنبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملامة لما تقدم من جميع الآيات وما تأخر من قوله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) من كبرائهم ورؤسائهم الدعاء الى الضلال وإلى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا أمر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد منهم فإن الانبعاث للأمر من أوصاف الأسافل دون الرؤساء وعيند فعيل من عند عندا وعدا إذا طاعنا والمعنى عصوا عن دعاءهم الى الهدى وأطاعوا من حادهم الى الردى (واتبعوا في هذه الدنيا لعمركم) إبعادا عن الرحمة وعن كل خير أي جعلت اللعنة لازمة لهم وغير عن ذلك بالتيعة للبالغة فكانها لاتتأرقهم وإن ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيث داروا ولو وقع في محبة اتباعهم رؤسائهم يعني أنهم لما اتبعوهم أتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا (ويوم القيامة) أي أتبعوا يوم القيامة أيضا لعنة وهي عذاب النار المخلدة حذفت لدلالة الأولى عليها وللايذان بكون كل من اللتين نوعا برأسه لم يجمع في قرن واحد بأن يقال وأتبعوا في هذه الدنيا يوم القيامة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة قلنا يا باختلاف نوعي الحسنتين فإن المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الآخرة الثواب والرحمة (ألا إن عاد أكرهوا ربهم) أي برهم أو نعمة ربهم حلاله على نقيضه الذي هو الشكر أو جحدوه (ألا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين أي هلاك تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التثنية وإعادة دلالة في تفضييع حالهم والحث على الاعتبار بقصصهم (قوم هود) عطف بيان لعاد فائدة التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايما الى أن استحقاقهم البعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه الصلاة والسلام وهم قومه (والى عمود أخاهم صالحا) عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد أخاهم هودا وعمود قبيلة من العرب سمو باسم أبيهم الأكبر عمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سمو بذلك لثقله مائهم من الله وهو الماء القليل وصالح عليه الصلاة والسلام هو ابن عبيد بن اسف بن ماشج ابن عبيد بن جادر بن عمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسأل ويقال ماذا قال لم يقل جوابا عنه بطريق الاستئناف (قال يا قوم اعبدوا الله) أي وحده وعمل ذلك بقوله (مالك من الله غيره) ثم زيد فيها يعشهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله (هو أنشأكم من الأرض) أي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب أو قصر أفراد فان خلق آدم عليه الصلاة والسلام منها خلق جميع أفراد البشر منها لما مر من أن خلقته عليه الصلاة والسلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت أمودها منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستجد الى يوم القيامة انطوا اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه الصلاة والسلام وانشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب

انشاء بلج الخالق من الارض فتدبر (واستعمركم) من العمر أي عمركم واستبقاكم (فها) أو من العارة أي أقدركم على عمارتها أو أسركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أسركم فيها دياركم وبرثمايتكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها للملك (فاستغفروهم ثم توبوا اليه) فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفریط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبايح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل (ان ربي قريب) أي قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين (موجب) لمن دعاه وسأله وقد روى في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المقدمة على الأمر بالاستغفار والتوبة وأخر عنه ذكر الغاية المتأخرة عنها في الوجود أعني الاجابة (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا) أي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد أن تكون لنا سيذا ومستشارا في الأمور وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاضلا خيرا تقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (قيل هذا) الذي بشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الألهة أو قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على بأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجائنا وقرأ طلحة مرجوا بالمد والمهمزة (أتينا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) أي عبده والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية (واتنا في شك ما تدعونا اليه) من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة (مرتب) أي موقع في الربة من أراه أي أوقعه في الربة أي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة أو من أراه إذا كان ذارئة وأيهما كان فالاستدحاج والالتفات في شك للتفخيم (قال يا قوم أرايتم) أي أخبروني (ان كنت) في الحقيقة (على بيته) أي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة (من ربي) مالك وموتلى أمرى (وأتاني منه) من جهته (رحمة) نبوة وهذه الأمور وإن كانت محقة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين و رعاية لحسن المحاوراة لاستزالمهم عن المكابرة (فمن ينصرني من الله) أي ينجي من عذابه والعدول الى الاعطال لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ابتاء النبوة وكونه على بيته من ربه على تقدير العصيان حسبا يعرب عنه قوله تعالى (ان عصيته) أي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاهرة معكم فيها تأتون وتذرون فان العصيان عن ذلك شأنه بعد والمؤاخضة عليه ألزم وانكار نصرتة أدخل (فما تزيدونني) اذن باستباةكم إياي كما ينبغي عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أي لا تفيدوني اذ لم يكن فيه أصل الحشران حتى يزيدوه (غير تخسير) أي غير أن تجعلوني خاسرا بابطال أعمالى وتعريضى لخطأ الله تعالى أو فاستزيدوني بما تقولون غير أن أسبكم الى الحشران وأقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما يغيبه من كونه عليه الصلاة والسلام على بيته من ربه وإيتائه النبوة (ويا قوم هذه ناقة الله) الاضافة للتحشيف والتثنية على أنها مفارقة لسان ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق (لكم آية) معجزة دالة على صدق نبوتى وهي حال من ناقة الله والعامل مافى هذه من معني الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكزة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز أن يكون ناقة الله بدلا من هذه أو عطف بيان ولكم خيرا وعاملا في آية (فذروها) خلوها وشأنها (تأكل في أرض الله) ترع نباتها وتشرب ماها واضافة الأرض الى الله تعالى لترتبة استحقاقها لذلك وتعليل الأمر بتركها وشأنها (ولا تمسوها بسوا) بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادئ الاصابة ونكر السوا أي لاتضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من السوا فضلا عن عقربها وقتلها (فياخذكم عذاب قريب) أي قريب الزول . روى أنهم طلبوا منه أن يخرج من صخرة تسمى الكابرة ناقة عشرا

عذرة جوفاء وبرا وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فآخذ صالح عليه الصلاة والسلام عليهم موافقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فمحضت الصخرة تمحض التنوج بولدها فانصدعت عن نافعة عشر كما وصفوا وهم ينظرون ثم اتجت ولدا مثلبا في العظم فآمن به جندع ابن عمرو في جماعة ومنع الباقي من الايمان دواب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب كاهنهم فكشت النافعة ولدها ترعى الشجر وترد الماء غيا فاسترفع رأسها من البر حتى تشرب كل ما فيها ثم تفجج فيجلون ماشوا حتى تمتلأ أوثانهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظفر الوادي قهرب منها أنعامهم الى بطنه وتشتو بطنه قهرب مواشهم الى ظهره فشق عليهم ذلك **﴿فمقرها﴾** قيل زينت مقرها لم عذرة أم غنم وصديقة بنت المختار فقروها واقتصدوا لها فرقى سقيا جلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لم أدركوا الفصل عسى أن يرض عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغاثة فدخلها **﴿فقال﴾** لم صالح **﴿تمتعوا﴾** أى عيشوا **﴿في داركم﴾** أى في منازلكم أوفى الدنيا **﴿ثلاثة أيام﴾** قيل قال لهم تصحب وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد حمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصحبكم العذاب **﴿ذلك﴾** إشارة الى ما يدل عليه الأمر بالمتع ثلاثة أيام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيخه **﴿وعذير مكذوب﴾** أى غير مكذوب فيه خفف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامراً أو غير مكذوب كأن الواعد قال له فى بك فان وفى به صدقه والا كذبه أو وعد غير كذب على أنه مصدر كالمجود والمعقول **﴿فلما جاء أمرنا﴾** أى عذابنا أو أمرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل **﴿نجينا صالحا والذين آمنوا معه﴾** متعلق بنجينا أو بأمنوا **﴿برحمة﴾** بسبب رحمة عظيمة **﴿منا﴾** وهى بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كإمر أو ملتبسين برحمته رافة منا **﴿ومن خزي يومئذ﴾** أى ونجيتهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيتهم من عذاب غليظ على معنى أنه كانت تلك النتيجة نتيجة من خزي يومئذ أى من ذلك ومماته أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيتهم من عذاب يوم القيامة بعد نتيجتنا إياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله تعالى من عذاب يومئذ وقرى بالتووين ونصب يومئذ **﴿الزبرك﴾** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم **﴿هو القوى العزيز﴾** القادر على كل شيء والغالب عليه لا غير ولو لكون الاخبار بتنجية الأولياء لا يساعدهم الا بالانفعال العذاب أم ذكرها أو لا ثم أخبر بهلاك الأعداء فقال **﴿وأخذ الذين ظلموا﴾** عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم وأشعارا بعلية نزول العذاب عليهم **﴿الصيحة﴾** أى صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل أنهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء فى الأرض ففطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فأخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستبعدة لقبح الهواء **﴿فأصبحوا﴾** أى صاروا **﴿في ديارهم﴾** أى بلادهم ومساكنهم **﴿جامعين﴾** هاء مدين موق لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاختذ وسرعة الله انا نفوذك من حلول غضبك قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه الصلاة والسلام ففجأه الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان نحو اليوم الرابع وهو يوم السبت تحفظوا وتكفوا بالانقطاع فانهم الصيحة ففطعت قلوبهم فهلكوا **﴿كان لم يتقوا﴾** أى كانوا لم يقيموا **﴿فيها﴾** فى بلادهم أوفى مساكنهم وهو في موقع الحال أى أصبحوا جامعين مائلين لمن لم يوجد ولم يقيم في مقام قط **﴿ألا ان نمود﴾** وضع موضع الضمير لزيادة البيان ونونه أبو بكر هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان والمعنكوب بغير تووين

﴿كفروا بهم﴾ صرح بكفرهم مع كونه معلوما مسبق من أحوالهم تصيحاً لحالهم وتعليلاً لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى **﴿الابعد أثود﴾** وقرأ الكسافي بالتووين **﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم﴾** وهم الملائكة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم جبريل وملاك وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدى أحد عشر على صور الغلمان الوضوء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكاً وانما أسند اليهم مطلق المجي بالبشرى دون الارسل لانهم لم يكونوا رسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا أرسلنا الى قوم لوط وانما جاءه لداعية البشرى ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الأمم السالفة مع الرسل المرسل اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد أخاهم هودا والى ثمود أخاهم صالحاً ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين أخاهم شعيب **﴿بالبشرى﴾** أى ملتبسين بها قيل هى مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فيشربناها باسحق الآية وقوله تعالى وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم والبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاهته البشرى لظهور تفرج المجادلة على مجيئها كإسائى وقيل هى البشارة بهلاك قوم لوط وبأباده مجادلته عليه الصلاة والسلام في شأنهم والظاهر أنها البشارة بالولد واستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بتنجيتهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بأنهم ما قالوا أوجب بأنهم **﴿قالوا سلاما﴾** أى سلمنا أو سلم عليكم سلاما ويجوز أن يكون نصبه بقالوا أى قالوا قولاً دالاً سلام أو ذكروا سلاما **﴿قال سلام﴾** أى عليكم سلام أو سلام عليكم حياهم بأحسن من تحيتهم وقرى سلم تحرم في حرام وقرأ ابن أبي عتبة قال سلاما وعنه أنه قرأ بالرفع فيما **﴿فألبث﴾** أى ابراهيم **﴿أن جاء بعجل﴾** أى فى المجي به أو الملبث بجيئه بعجل **﴿حنيد﴾** أى مشوى بالرضف فى الاختدود وقيل سمين بقطر دمه لقوله بعجل سمين من حذت الفرس اذا عرقته بالجلال **﴿فلما رأى أيديهم لا تصل اليه﴾** لا يمدون اليه أيديهم للاكل **﴿نكرهم﴾** أى أنكرهم يقال نكروه وأنكروه واستنكروه معنى وانما أنكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجي بغيره وقد روى أنهم كانوا ينكتون بقداح كانت فى أيديهم فى اللحم ولاصل اليه أيديهم وهذا الإنكار منه عليه الصلاة والسلام راجع الى فعلهم المذكور وأما إنكاره المتعلق بأنفسهم فلا يتعلق لهبرؤية عدم أكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعبد من الناس ألا يرى الى قوله تعالى فى سورة الذاريات سلام قوم منكرون **﴿وأوجس منهم﴾** أى أحس أو أضمر من جهتهم **﴿خيفة﴾** لما ظن أن نزولهم لآمر أنكره الله تعالى عليه أو لتعذيب قومه وانما أخر المفعول الصريح عن الطرف لأن المراد الاخبار بأنه عليه الصلاة والسلام أوجس من جهتهم شيئاً هو الخيفة لأنه أوجس الخيفة من جهتهم لآمن جهة غيرهم وتحقيقه أن تأخير ما حقه التقديم يوجب تقرب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن **﴿قالوا لا تخف﴾** ما قالوه بمجرد ما رأوا منه تخاليل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره عليه الصلاة والسلام له قالت الى فى سورة الحجر قال انتمكم وجاؤنكم بذكر ذلك هنا اكتفاء بذلك **﴿أما أرسلنا﴾** ظاهره أنه استئناف معنى التعليل للنهي المذكور كما أن قوله تعالى انا انبشرك لتليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب أنهم من الخوف أى أرسلنا بالعذاب **﴿الى قوم لوط﴾** خاصة لأنه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين صريح بأنهم قالوه جواباً عن سؤاله عليه الصلاة والسلام وقد أوجز الكلام اكتفاء بذلك **﴿وامرأته قائمة﴾** وراى الست بحيث تسمع عاوى ربهما وعلى رؤسهم للخدمة حسباً هو المعتاد والجملة حال من

ضمير قالوا أي قالوه وهي قائمة تسمع مقاتلتهم (فضحكتم) سرورا بزوال الخوف أو بهلاك أهل الفساد أو بهما جميعا وقيل بوقوع الأمر حسبما كانت تقول فيها سلف فأنها كانت تقول لأبراهيم اضعم اليك لوطا فاني أرى أن العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكتم حاضت ومنه ضحكك الشجر فإذا سال صغها وهو بعيد وقرى بفتح الحاء (فبشرناها بإسحق) أي عقبنا سرورها بسرور أتم منه على ألسنة رسلنا (ومن وراء إسحق يعقوب) بالنصب على أنه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها أي ووهبناها من وراء إسحق يعقوب وقرى بالرفع على الابتداء خبره الظرف أي من بعد إسحق يعقوب مولود أو موجود وكلا اليمين داخل في البشارة كجي أو واقع في الحكاية بعد أن ولدا فسيما بذلك وتوجيه البشارة ههنا إليها مع أن الأصل في ذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقد وجهت إليه حيث قيل وبشرناه بغلام حلیم وبشره بغلام علم للإيذان بأن ما يشربه يكون منها ولكونها عقيدة حريصة على الولد (قالت) استئناف ورد جوابا عن سؤال من سأل وقال فافعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت (يا ويلتنا) أصل الويل الحزى ثم شاع في كل أم فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في اللفظ وبأعجا وقرأ الحسن على الأصل وأمالها أبو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا أوان حضورك وقيل هي ألف التندبة ويوقف عليها بها السكت (ألدوا نأجوز) بفت تسمين أوتع وتسمين ستة (وهذا) الذي تشاهدونه (يعلى) أي زوجي وأصل البعل القائم بالامر (شيخا) وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الإشارة وقرى بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر ويعلى بدل من اسم الإشارة أو يأن له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في ألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله أي ألد وكلانا على حالة منافية لذلك وإنما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه الصلاة والسلام لأن مآية حالها لما ذكر من الولادة أكثر اذ ربما يولد للشيخ من الثوباب أما المعجزة داوهم عظام ولأن البشارة متوجهة إليها صريحا ولأن العكس في البيان ربما يوم من أول الأمر نسبة المنافع من الولادة إلى جانب إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لأنها المستبعد وأما ولادتها فلا يتعلق بها استبعاد (ان هذا) أي ما ذكر من حصول الولد من هذين مثلنا (لشيء عجيب) بالنسبة إلى ستة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحققي ومقصدها استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب العادي لاستبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى (قالوا أتعجبين من أمر الله) أي قدرته وحكمته أو تكونه أو شأنه أنكروا عليها تعجبها من ذلك لأنها كانت ناشئة في بيت النبوة ومبسط الروح والآيات ومظهر المعجزة والأموح الحارقة للعادات فكان حقها أن تتورق ولا يرد عليها ما يرد على سائر النساء من أمثال هذه الحوارق من اللطاف الله تعالى الخفية وإطائف صنعه الفائضة على كل أحد مما يتعلق بذلك مقيته الأزلية لاسيما على أهل بيت النبوة الذين ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وأن تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده وإلى ذلك أشاروا بقوله تعالى (رحمة الله) التي وسعت كل شيء واستبعت كل خير وإنما وضع المظهر موضع المضمير لزيادة تثيرتها (وبركاته) أي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الأولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلمهم من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام (عليكم أهل البيت) نصب على المدح أو الاختصاص لأنهم أهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة إلى جمع المذكر لتعميم حكمه لإبراهيم عليه الصلاة والسلام أيضا ليكون جوابا له أيضا أن خطر ياله مثل ما خطر بآلها والجملة كلام مستأنف على به

انكار تعجبها كأنه قيل ليس المقام مقام التعجب فإن الله تعالى على كل شيء قدير ولستم بأهل بيت النبوة والكرامة والزلي كسائر الطوائف بل رحمة المستبعدة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته أي خيراته النامية الفاضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لتفارقكم (انه حميد) فاعل ما يستوجب الحمد (حميد) كثير الخير والاحسان إلى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم (فلما ذهب عن إبراهيم) أي ما أوجس منهم من الخيفة وإطمان قلبه بعرفاتهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض أحوال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببعض غيب انفصالها بما ليس بأجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السباق والسباق وتأخير الفاعل عن الظرف لأنه مصعب الفائدة فإن تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس منتظرة إلى وروده فيتمكن فيها عند وروده إليها فضل تمكن (وجاءته البشري) ان فسرته البشري بقولهم لا تخف فسيب ذهاب الخوف ومحى السرور للجملة المدلول عليها بقوله تعالى (يجادلنا في قوم لوط) أي جادل رسلنا في شأنهم وعدل إلى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها أو طفق يجادلنا ظامرة وأما ان فسرته ببشارة الولد أو بما يعينها فعل سببها لما من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان قلب بسلامته وسلامة أهله كافة ومجادلته إياهم أنه قال لهم حين قالوا له أنا مهلكوا أهل هذه القرية أراهم لو كان فيها مخسوف رجلا من المؤمنين أهلكتها قالوا لا قال فأرعبون قالوا لا قال فلا توثقوا لاحتى بلغ العشرة قالوا لا قال أراهم ان كان فيها رجل مسلم أهلكتها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام أن يكون إبراهيم عليه السلام قد علم أنهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قيل ذهاب الروح عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروح فرغ فجمع أن ذهاب الروح انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف أنا أرسلنا إلى قوم لوط قتلنا كان لوط عليه السلام على شريعة إبراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة أمته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف وأما الذي علمه عليه السلام بعد النبي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله الموفق (ان إبراهيم حلیم) غير عجول على الانتقام من أساء إليه (أواه) كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع إلى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حملة عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة (يا إبراهيم) أي قالت الملائكة يا إبراهيم (أعرض عن هذا) الجدال (انه) أي الشأن (قد جاء أمر ربك) أي قدره الجاري على وفق قضائه الأزل الذي هو عبارة عن الإرادة الأزلية والعناية الإلهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقي بالاشياء في أوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر (وانهم أتهم عذاب غير مردود) لا يجدال ولا بدعا ولا يغيرها (ولما جاء رسلنا لوطا) قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلقوا من عند إبراهيم عليه السلام إلى لوط عليه السلام وبين القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مردحسان الوجوه فلذلك (سئ بهم) أي ساء مجيئهم لظنه أنهم أناس يخاف أن يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عمر والكسائي وأبو عمرو سئ وسيت باشتام السين الضم. روى أن الله تعالى قال للملائكة لا تهلكتهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم متطلعا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انما لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجلا ما رأيت مثل وجوههم قط (وضاق بهم ذراعا) أي ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه وطاقه وهو كناية عن شدة الاقباض المعجز عن مدافعة المكروه والإجتبال فيه وقيل ضاقت

نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكأنه قدر البدن مجازاً أي أن بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجراحة من المرفق إلى الأنامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذراعهم صرما كما أن معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك أن القصير الذراع إذا مدها ليتناول ما يتناول الطويل الذراع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرِبَ مثلاً للذي قصرت طاقته دون بلوغ الأمر ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ شديد من عصبه إذا شده ﴿وجاءه﴾ أي لوطاً وهو في بيته مع أضيافه ﴿قومه يهرعون إليه﴾ أي يهرعون كأنهم يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه واجملة حال من قومه وكذا قوله تعالى ﴿ومن قبل﴾ أي من قبل هذا الوقت ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ أي جاءوا مسرعين والحال أنهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضرِبوا بها وتمزقوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا عما فعلوا من مجيئهم مبرعين بجاهرين ﴿قال يا قوم هؤلاء بنائي من أظفر لكم﴾ فزوجوهن وكانوا يطالبونهن من قبل ولا يجيبهن لحشيم وعدم كفائتهم لعدم مشروعية فإن تزوج المسلمات من الكفار كان جائزاً وقد زوج النبي عليه الصلاة والسلام ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وأيا ما كان فقد أراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من إرادة التسكين بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم وإظهار الشدة امتناعه مما أوردوا عليه طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيزجر واما أقدموا عليه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعاً بأن لا مناة فيهم وهو الأنسب بقولهم لقد علمت مآلنا في بئناك من حق كما يستق عليه ﴿فاتقوا الله﴾ بترك الفواحش أو بابتزارهم عليهم ﴿ولا تخزون في ضيفي﴾ أي لا تفضحوني في شأنهم فإن أخوان ضيف الرجل وجار أخوانه أو لا تفجّلوني من الحزاية وهي الحياء ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ يهتدى إلى الحق الصريح ويرعوى عن الباطل القبيح ﴿قالوا﴾ معرضين عما نصحهم به من الأمر بتقوى الله والنهي عن أخوانه محيين عن أول كلامه ﴿لقد علمت مآلنا في بئناك من حق﴾ مستشهدين بعلمه بذلك يعنون أنك قد علمت أن لا سبيل إلى المناكة بيننا وبينك وما عرضك إلا عرض ساربري ولا مطمع لنا في ذلك ﴿وانك لتعلم ما نريد﴾ من آيات الذكر أن ولما يؤس عليه السلام من أروعائهم عما هم عليه من الغي ﴿قال لو أنزل بك قوة﴾ أي لفعلت بك ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموق ﴿أو أوى إلى ركن شديد﴾ عطف على أن لا بك إلى آخره لمساهمة من معنى الفعل أي لو قويت على دفعكم بنفسي أو أويت إلى ناصر عز يزقني أمتنع به عنكم شبه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطاً كان يأوى إلى ركن شديد. روى أنه عليه السلام أغلق بابَه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأته الملائكة ما على لوط من الكرب ﴿قالوا﴾ أي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه ﴿بالوط أنا ورسول ربك لن يصلوا إليك﴾ بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا وياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها ففشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرِبَ بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاة النجاة فان في يد لوط قوما مسحرة ﴿فأسر بأهلك﴾ بالقطع من الأسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى والقاء لترتيب الأمر بالأسراء على الإخبار برسالتهن المؤذنة بمرور الأمر والنهي من جناحه ورجل إليه عليه السلام ﴿بقطع

من الليل﴾ بطائفة منه ﴿ولا يلتفت منكم﴾ أي لا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه ﴿أحد﴾ منك ومن أهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فإن من يلتفت إلى ما وراءه لا يتجاوز عن أدنى وقف أو لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم ﴿الامرأتك﴾ استثناء من قوله تعالى فأسر بأهلك ويؤيده أنه قرى فأسر بأهلك بقطع من الليل الامرأتك وقرى بالرفع على البدل من أحد فاللغات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فإن النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مأمور بالأسراء بها والرفع كونه مأموراً بذلك والاعتذار بأن مقتضى الرفع انما بمجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الأمر بالأسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز أن تسرى هي بنفسها كما يروى أنه عليه السلام لما أسرى بأهلك تبعتهن فلبس سمعت هذه العذاب التفتت وقالت يا قوم ما فؤدكم كما حجر فقتلها وأن يسرى بها عليه السلام من غير أمر بذلك إذ هو وجب النصب انما هو عدم الأمر بالأسراء بها لا النهي عن الأسراء بها حتى يكون عليه السلام بالأسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لأن انصراف الاستثناء إلى الالتفات يستدعي بقاء الأهل على العموم فيكون الأسراء بها مأموراً به قطعاً وفي محل الأهلية في إحدى القراءتين على الأهلية الدينية وفي الأخرى على النسبية مع أن فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كره على ما فر منه من المناقضة فالأولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فإن ابن عامر قرأه بالنصب وإن كان الأنصح الرفع على البدل ولا بعد في كون أكثر القراء على غير الأنصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيا عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله ﴿انه مصيبهما أصابهم﴾ من العذاب وهو امطار الأجبار وإن لم يصبها الحسف والضفير في انه لثنا وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما أصابهم مبتدأ واجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الثنا وفيه ما لا يخفى من تفخيم شأن ما أصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع ﴿ان موعدهم الصبح﴾ أي موعدهم عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالأسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع ﴿ليس الصبح بقريب﴾ تأكيدياً لتعليل فان قرب الصبح داع إلى الاسراع في الأسراء للتباعد عن مواعيد العذاب وروى أنه قال للملائكة متى موعدهم هلاكهم قالوا الصبح قال أريد أسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميعات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ أظفح ولانه أنسب بكون ذلك عبرة للناظرين ﴿فلساجاً أمرنا﴾ أي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح ﴿جعلنا عاليها﴾ أي على قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها أربع مائة ألف ألف ﴿سافليها﴾ أي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولاً أول للجعل وسافليها مفعولاً ثانياً له وإن تحقق القلب بالعكس أيضاً لنهويل الأمر وتقطيع الخطب لأن جعل عاليها الذي هو مقامهم ومساكنهم سافليها أشد عليهم وأشق من جعل سافليها عاليها وإن كان مستلزماً له . روى أنه جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأساند الجمل والامطار إلى ضيعه سبحانه باعتبار أنه المسبب لتفخيم الأمر وتوهيل الخطب ﴿وأمطرنا عليها﴾ على أهل المدائن أو شدائهم ﴿حجارة من سجيل﴾ من طين متحجر كقوله حجارة من طين وأصله سك كل غريب وقيل هو من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيتو والمعنى من مثل الشيء المرسل أو مثل العطية في الإدرا أو من السجل أي مما كتب الله تعالى أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت نوته لاما ﴿متنود﴾ فسد في السماء فسد معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه أثر بعض كقطار الأمطار ﴿مسومة﴾ معلبة للعذاب وقيل معلبة ببياض وحرارة أو بسيا تتميز به عن حجارة الأرض أو بسام من قرى به ﴿عند

ربك في خزانته التي لا تصرف فيها غيره عز وجل (وما هي) أي الحجارة الموصوفة (من الظالمين) من كل ظالم (يعبد) فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لأهل الظلم كافة . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظلمي أمك ما من ظالم منهم الا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قرية من ظالمي مكة يهرون بها في مسايرهم وأسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجارة بالحجر أو جراته على موصوف مذكر أي بشي بعيد أو بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الأرض الا أنها حين هوت منها فهي أسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم أو لانه على زنة المصدر كالزفير والصيل والمصادر يستوى في الوصف بها المذكر والمؤنث (والى مدين) أي أولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أو جعل اسم القليلة بالغلبة أو أهل مدين وهو بلد بنام مدين فسمى باسمه (أخاهم) أي نسبيهم (شعيبا) وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مرآجته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى نوح أخاه صالحا أي وأرسلنا الى مدين أخاهم شعيبا (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكانه قيل فاذا قال لهم فليل فليل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام (يا قوم اعبدوا الله) وحده ولا تشركوا به شيئا (مالك من اله غيره) تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به ويعد ما أمرهم بمأهول ممالك أمر الدين وأول ما يجب على المكلفين نهام عن ترتيب مبادئ ما اعتادوه من البخل والتطقيف عادة مستمرة فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) كي تتولوا بذلك الى بخش حقوق الناس (ان اراكم تخير) أي ملتبسين بشرة وسعة تنبئكم عن ذلك أو نعمة من الله تعالى حقا أن تقابل بغير ما تأتونه من المساحة والتفضل على الناس شكرا عليها أو أراكم تخير فلا تزلوه بما أنتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت بعله أخرى أعنى قوله عز وجل (والى أخاف عليكم) ان لم تنهوا عن ذلك (عذاب يوم يحيط) لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى وأحيط بشره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاستناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا أحاط بعباده فقد اجتمع للمعذب ما اشتعل عليه منه كما اذا أحاط ببعيذه ويجوز أن يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) أي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تقضلا مندوبا اليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعن الزائد للاستعمال عند الاكتيال والنقص للاستعمال وقت الكيل وانما أمر بتسويتها وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الإيفاء والمنع من البخل وتبنيها على أنه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخل بل يجب عليهم اصلاح ما أفسدوه وجعله معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم (ولا تبخسوا الناس) بسبب نقصهما وعدم اعتداهما (أشياءهم) التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخل بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بإبقائه اهتماما بشأنه وترغيبا في إيفاء الحقوق بعد التهيب والزجر عن نقصها ويجوز أن يكون المراد بالامر بإيفاء المكيال والميزان الأمر بإيفاء المكيالات والموزونات ويكون النهي عن البخل عاما للنقص في المقدار وغيره تعديما بعد التخصيص في قوله تعالى (ولا تعثروا في الأرض مفسدين) فان العثي يعمر نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل البخل المكس كالأخذ العشور في المعاملات قاله زهير بن أبي سلمى (في كل أسواق العراق أتاوة) وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم والعثي في الأرض السرعة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال أخرجا بقصد به الاصلاح كما فعله الحضرة عليه السلام من

خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثروا في الأرض مفسدين أمر آخرتكم ومصالح دينكم (بقية الله) أي ما أبقاه لكم من الحلال بعد التثرة عن تعاطي المحرمات (خير لكم) مما تجمعون بالبخل والتطقيف فان ذلك هباء منثورا بل شر محض وان زعمتم أن فيه خيرا كقوله تعالى يحق الله الربو وربى الصدقات (ان كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا فان خيرتها باستتباع الثواب مع التجارة وذلك مشروط بالايمان لا محالة أو ان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعات كقوله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرى تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظكم من القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجاز بكم وانما أنا ناصح مبلغ وقد أعدت اذ أنذرت ولم آل في ذلك جهدا أو ما أنا بحافظ ومستيق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما أنتم عليه من سوء الصنيع (قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا) من الآثان أجابوا بذلك أمره عليه السلام بإمام بعبادة الله وحده المقتضى لنههم عن عبادة الأصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا أقصى مراتب الخلاعة والجور والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الأمر بذلك حتى ادعوا أن لا أمر به من العقل واللب أصلا وأنه من أحكام الوسوسة والجور وعلى ذلك بنوا استقامهم وقالوا بطريق الاستهزاء أصلا لك التي هي من نتائج الوسوسة وأفاعيل المجانين تأمرك بأن تترك عبادة الآثان التي تورثها آبا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مأمورا مع أن الصادر عنه إنما هو الأمر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وأنه كان يعلمهم بأنه مأمور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الأمر الى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك وكانوا اذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرى أصولاتك (أو أن تفعل في أموالنا ما نشاء) جواب عن أمره عليه السلام بإيفاء الحقوق ونهي عن البخل والنقص معطوف على ما أي أو أن تترك أن تفعل في أموالنا ما نشاء من الأخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرى بالثا في الفعلين عطفا على مقول تأمرك أي أصلا لك تأمرك أن تفعل أنت في أموالنا ما نشاء ونحوين العطف على ما قيل يستدعي أن يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام إيجاب الإيفاء والعدل في معاملاتهم لأنفس الإيفاء فان ذلك ليس من أفعاله عليه السلام بل من أفعاله وانما لم نقل عطفا على أن تترك لأن الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام بإمام وأمره بذلك والمعنى أصلا لك تأمرك أن تكلفنا أن تترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى أصلا لك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك من أفاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رآه عليه السلام واستهزاء بهم تلك الجلية بأباده دخول الهمة على الصلاة دون الأمر ويستدعي أن يصدر عنه عليه السلام في أثناء الدعوة ما يدل على ذلك أو يومه أو في ذلك فتأمل وقرى بالنون في الأول والثاني في الثاني عطفا على أن تترك أي أو أن تفعل نحن في أموالنا عند المعاملة ما نشاء أنت من التسوية والإيفاء (أنك لانت الحليم الرشيد) وصفه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما أرادوا بذلك وصفه بنضهيهما كقول الخزنة فق أنك أنت العزيز الكريم ويجوز أن يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكره على معنى أنك لانت الحليم الرشيد على زعمك وأما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم الا أن يراد بالصلاة الدين كما قيل (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة) أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما أتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقاتلهم الشقاق في جعلهم أمره ونهيه غير مستند الى سند (من ربي) ومالك أمورى وإيراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما هو عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كاذكرناه في نظائره (ورزقني منه) أي من لده

(رزقا حسنا) هو التوبة والحكمة أيضا عبر عنها بذلك تنبها على أنها مع كونها بيئة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأتمته وجواب الشرط محذوف يدل عليه غوى الكلام أى أقولون فى شأنى ما تقولون والمعنى انكم تظنتمون فى سلك السفها والغرأة وعدتم ماصدر عنى من الأوامر والتواهى من قبل ما لا يصح أن يتفوهه عاقل وجعلتموه من أحكام الوسوسة والجنون واستزأتم فى وبأفعالى حتى قلتم ان ما أمرتكم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به أمر العقل ويقضى به قاضى الفطنة وانما يأمر به صلاتك التى هى من أحكام الوسوسة والجنون فأخبرونى ان كنت من جهة ربي ومالك أمورى ثابتا على التوبة والحكمة التى ليس ورامها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقى بذلك رزقا حسنا أقولون فى شأنى أفعالى ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر ورائه هذا هو الجواب الذى يستدعيه السابق والسباق ويساعده النظم الكريم وأما ما قيل من أن المحذوف أصبح لى أن لا أمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى وهل يسع لى مع هذا الاتهام الجامع للسعادات الرومانية والجبانية أن أخون فى وحيه وأخالفه فى أمره ونهيه فيعمل من ذلك وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلاة الذين على معنى أدبناكم بأمركم أن تكلفنا بترك عبادة ألهتنا القديمة وترك التصرف المطلق فى أموالنا وتغالطنا فى ذلك وتشق عصانا وهذا لما ينبغى أن يصدر عنك فانك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فبينا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرودا على ذلك الخط فأجيبوا بما أجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذى آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ أخبرونى ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقى ما لا حلالا أستغنى به عن العالمين أصبح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تذرون (وما أريد) بنهى اياكم عما أنها كمنه من البخس والتطفيف (أن أخالفكم الى ما أنها كمنه) أى أقصده بعد ما وليتم عنه وأستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصده وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الأمر على العكس (ان أريد) أى ما أريد بما أباشره من الأمر والنهى (الا الاصلاح) الا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة (ما استطعت) أى مقدار ما استطعت من الاصلاح والتقىيد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح فى الجملة لا عن ارادة ما ليس فى وسعه منه (وما توفيقى) أى كوفى موقفا لتحقيق ما أنتجه من اصلاحكم (الا بالله) أى بتأييده ومعونه بل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما أنا من مبادئ الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يؤممه اسناد الاستطاعة له بارادته من استبداده بذلك (عليه توكلت) فى ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وماعده عاجز محض فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار يعزل عن مرتبة الاستعداد به والاستظهار (وايه أئيب) أى أرجع فيما أنا بصدده ويجوز أن يكون المراد وما كوفى موقفا لاصابة الحق والصواب فى كل ما أتى وأذرا بالهدية ومعونه عليه توكلت وهو إشارة الى محض التوحيد الدائق والفعلى واليه أئيب أى عليه أقبل بشر اشر نفسى فى مجامع أمورى وإشار صيغة الاستقبال على الماضى الأنسب للثبوت والتحقيق كما فى التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما فى جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورقى الاستئزال والمحافظة على قواعد حسن المجاورة والمخاورة وتمهيد معاهد الحق بطلب التوفيق من جناب الله تعالى والاستعانة به فى أمره وحسم أطاع الكفار واطهار الفراع عنهم وعدم المبالاة بمذاتهم وأما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لان الانابة إنما هى الرجوع الاختيارى بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطرارى للجزاء أو ما يعمه (ويا قوم لا يحرمكم) أى لا يكسبكم من جرمتكم ذنبا مثل كسبته مالا (شقاى) معادى وأصلها من أحد المتعادين يكون فى عدوة وشق والآخر فى آخر (أن يصيبكم) مفعول ثان

ليحرمكم أى لا يكسبكم ما ذنبتكم لى أن يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الریح (أو قوم صالح) من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرته ذنبا اذا جعلته جازما له أى كسبا وهو مقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال فكذلك لافرق بين كسبه مالا وأكسبته اياه لافرق بين جرته ذنبا وأجرته اياه فى المعنى الا أن الأول أصح وأدور على السنة الفصحى وقرأ أبو حنيفة مثل ما أصاب بالفتح لضافته الى غير متمكن كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطق حمامة فى غصون ذات أوقال

وهذا وان كان بحسب الظاهر نيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب ليكنه فى الحقيقة نبى للكفرة عن مشاقته عليه السلام على لطف أسلوب وأدب كما مر فى سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يخرجكم شتان قوم الآية (وما قوم لوط منكم بعيد) زمانا أو مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم فكانه إنما غير أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذكر قريهم اذنا بأن ذلك مغن عن ذكره لشبهة كونه منظوما فى سطر ما ذكر من دواهى الأمم المرقومة أو ليسوا بعيد منكم فى الكفر والمعاصى فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما أهلاكم على نية المضاف أو وما هم بشئ بعيد لان المقصود افاضة عدم بعدهم على الاخلاق لامن حيث خصوصية كونهم قوما أو ما هم فى زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد أن يكون ذلك لكونه على رثة المصادر كالنبيق والشريق ولما أنذرهم عليه السلام بـ عاقبة صنيعهم عقبه طمعا فى ارجعائهم عما كانوا فيه يعمرون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) مر تفسير مثله فى أول السورة (ان ربي رحيم) عظيم الرحمة للثابتين (ودود) صانع فى فعل ما يفعل البالغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما (قالوا يا شيعب ما نفقه كثيرا مما تقول) الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أى ما نفقه مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغ وضافت عليهم الحيل وعيت بهم العمل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن مناهج الحق والسلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن المقسم المحجوج بقابل البنات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتعل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك لغواه وأدجموا فى ضمن ذلك أن فى تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخظة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الأمم السالفة ولذلك قالوا (وانا نراك فينا) فبينا (ضعيفا) لا هو لك ولا قدرة على شئ من الضر والنفع والايقاع والدفع (ولو لا رهطك) لولا مراعاة جهنم لاولاهم بما نفقونا ويدافعونا (لرجناك) فان عناية رهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة أو الى العشرة لهم وهم ألوف مؤلفة بما لا يكاد يتوهم وقد أيد ذلك بقوله عز وجل (وما أنت علينا بعزير) مكرم محترم حتى تمتنع من رجلك وانما نكف عنك بالحفاضة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وإيالا الضمير حرف التثنية وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع التثنية الى الفاعل دون الفعل لاسيما مع قرينة قوله ولو لا رهطك كأنه قيل وما أنت علينا بعزير بل رهطكم هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظمتهم هذه عائدا الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانية حسبما يوجه كونه على بيئة من ربه مؤيدامن عندوه يقتضيه طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداده والاعتبار (قال) عليه السلام فى جوابهم (يا قوم أرهطى أمر عليكم من الله) فان الاستئانة بمن لا يعز زالا به عز وجل استئانة بمناهج العزير وانما أنكر عليهم أعز يرهطه منه تعالى

بمعنى المُرشد أو دى الرشد حقيقة لغوية والاستناد مجازى وعلى الثاني مجاز والاستناد حقيقى (يقدم قوله) جميعا من الأشراف وغيرهم (يوم القيامة) أى يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله فى الآخرة أى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم فى النور وهم يتبعونه أو لتوضيح عدم صلاح ما لأمروءه وعلته (فأوردتهم النار) أى يوردهم وأينار صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالقارط الذى يتقدم الواردة إلى الماء وأتباعه بالواردة والنار بالماء الذى يردونه ثم قيل (وبس الرد المورد) أى بس الرد الذى يردونه النار لأن المورد إنما يرد للسكين العطش وتبريد الأكباد والنار على ضد ذلك (وأبغوا) أى الملاء الذين أتبعوا أمر فرعون (فى هذه) أى فى الدنيا (لعنة) عظمى حيث يلعنهم من بعدهم من الأمم إلى يوم القيامة (ويوم القيامة) أيضا حيث يلعنهم أهل الموقف قاطبة هى تابعة لهم حينئذ وأدائرة معهم أيضا داروا فى الموقف فكان أتبعوا فرعون أتبعهم اللعنة فى الدارين جزاء وفاقا وكفى بيان حالهم القطيع وشأنهم الضعيف عن بيان حال فرعون إذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من أغواهم وأنقام فى هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع أن يكونوا أعوانا للتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التكميل قليل (بس الرد المرفود) أى بس العون المعان وقد فسر الرد بالعطاء ولا يلائمه المقام وأصله ما يضاف إلى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أى رفدهم وهى اللعنة فى الدارين وقوة مرفودا من حيث أن كل لعنة منها معية وعدة لصاحبها ومؤيدة لها (ذلك) إشارة إلى ما قص من أنباء الأمم وبعده باعتبار تقضيه فى الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره (من أنباء القرى) المهلكة بما اجتته أبدا أهلها (نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النقص أنباء القرى مقصود عليك (عنها) أى من تلك القرى (قامت وحيد) أى منها حصه حذف لدلالة الأول عليه شبه ما بقى منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالتحديد والجملة مستأنفة لا محل لها من الأعراب (وما ظنكم) بأن أهل كتابكم (ولكن ظنوا أنفسهم) بأن جعلوا عرضة للهلاك باقتراف ما يوجب (فما أغثت عنهم) فما تقهتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم (ألهمهم التى يدعون) أى يعبدونها (من دون الله) أو ترصيعه المضارع حكاية للحال الماضية أو دلالة على استمرار عبادتهم لها (من شئ) فى موضع المصدر أى شيأ من الاعتناء (لما جاء أمر ربك) أى حين يجى عذابه وهو منصوب بأغثت وقرى ألهمهم اللاتى ويدعون على البناء للمجهول (وما زادهم غير تنبيذ) أى أهلك وتدمير فانهم إنما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها (وكذلك) أى ومثل ذلك الأخذ الذى مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله (أخذ ربك) وقرى أخذ ربك فحل الكاف نصب على أنه مصدر مؤكد (إذا أخذ القرى) أى أهلها وإنما أسند إليها للاشتراك بسبب أن أثرها إليها حسبا ذكر وقرى إذا أخذ (وهى ظلمة) حال من القرى وهى فى الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامهم فى الأخذ أجريت الحال عليها وفانتهت الأشعار بأنهم إنما أخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم (ان أخذناهم شديد) وجع صعب على المأخوذ لا رخص منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير (أن فى ذلك) أى فى أخذه تعالى للام المهلكة أو فى قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على أحوال عذاب الآخرة وأما من أنكر الآخرة وأحال فناء العالم وزعم أن ليس هو ولا شئ من أحواله مستند إلى الفاعل المخبر وأن ما يقع فيه من الحوادث فاما يقع لأسباب تقتضيه من أوضاع فلكية تتفق فى بعض الأوقات لئلا ذكر من المعاصى التى يقتربها الأمم المهلكة فهو بمنزل من هذا الاعتبار تأملهم ولما لم من

الأفكار (ذلك) إشارة إلى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة (يوم مجموع له الناس) أى يجمع له الناس للحاسبة والجزاء والتغير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقيق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو أبليغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع (وذلك) أى يوم القيامة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له (يوم مشهود) أى مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والأرضين فأتبع فيه بآجزاء الظرف مجرى المفعول به كما فى قوله فى محفل من نواحي الناس مشهود أى كثير شاهده ولجعل نفس اليوم مشهوداً لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وهويله وتمييزه عن غيره فلا سائر الأيام أيضاً كذلك (وما توفره) أى ذلك اليوم الملحوظ بعنوان الجمع والشهود (الآجل معدود) إلا لانقضاء مدة قليلة ونسبة حساباً تقتضيه الحكمة (يوم يأت) أى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر بانقضاء أجله كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتى الجزاء الواقع فيه وقيل أى الله عز وجل فإن المقام مقام تفخيم شأن اليوم وقرئ بآباء الباء على الأصل (لأنكم نفس) أى لا تسكن بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو العامل فى الظرف أو الانتهاء المحذوف فى قوله تعالى إلا لآجل معدود أى ينتهى الآجل يوم يأتى أو الضمير المعبود أعنى أذكر (الآبائنه) عن ساطعائه فى التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وهذا فى موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر من مواقفه كما أن قول سلبه عنه يوم تاتى كل نفس بما عملت تجادل عن نفسها فى آخر منها أو المأذون فى الجوابات الحققة والمنوع عنه الاعتذار الباطلة ثم قد يؤذن فيها أيضاً لآظهار بطلانها كما فى قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره (فهم شقي) وجبت له النار بموجب الوعيد (وسعيد) أى ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الأول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لأهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس إلا وللأس وتقدير الشقي على السعيد لأن المقام مقام التحذير والالذار (فأما الذين شقوا) أى سبقت لهم الشقاوة (فى النار) أى مستقرون فيها (لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالها فى أول النهيق وآخرة قال الشايع يصف حمار الوحش بعد مدى التطرب أول صوته زفير ويسأله شهيق محشر

والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الخير وقرئ شقوا بالضم والوجه مستأنف كأن سائلًا قال ما شأنهم فيها فقل لهم فيها كذا وكذا أو منصوبة المحل على الحالة من النار أو من الضمير في الجار والمجرور وقوله عن اسمه (خالد بن فيها) خلا أنه أن أريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة (مادامت السموات والأرض) أي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأييد ونقى الانقطاع بناء على مناج قول العرب مادام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طاب البحر وغير ذلك من كلمات التأييد لاتعلق قرائعها بدوام هذه السموات والأرض فان النصوص القاطعة دالة على تأييد قرائعها وانقطاع دوامهما وإن أريد التعليق فلما دامت سموات الآخرة وأرضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله تعالى وأورثنا الأرض تبعوا من الجنة حيث نشاء وجزم كل أحد بأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظلة وعقلة دائمتين يكتفي في تعليق دوام قرائعها بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل أحوالهما وكيفياتهما (الاماشاء ربك) استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى وقوله ولا تتكلموا ما ننكح آبائكم من النساء الا ما قد سلف وقوله تعالى حتى يبلغ الجبل في سم الخياط غير أن استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني انهم

مستقرون في النار في جميع الأزمنة الا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا إمكان تلك المشيئة ولا زمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا إمكان لانتها مدة قرارهم فيها ولينفع ماعسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال (ان ربك فعال لما يريد) يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكيمته الداعية الى ترتيب الاجزىة على افعال العباد والعدول من الاضمار الى الاظهار لترتية الهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبتأويل آخر من العذاب وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسوه لهم واهانتهم ايام وأنت تدري أنا وان سلنا أن المراد بالآثار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على أنواع العذاب بل نفس النار فخلا عذاب الزمهرير من تلك الأنواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء ولك أن تقول انهم ليسوا يخلدون في العذاب الجسدي الذي هو عذاب النار بل لهم من آفانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهي العقوبات والآلام الروحية التي لا يقف عليها في هذا الحياة الدنيا المنغمسون في أحكام الطبيعة المقصور اذراهم على ما ألفوا من الأحوال الجسدية وليس لهم استعداد لتلقى ما وراء ذلك من الأحوال الروحية اذا ألقى اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانها واكتفى بهذه المراتبة الاجالية المنبئة عن التحويل وهذه العقوبات وان كانت تعزيمهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون به وهذه المراتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الاعمى سوى وهو أوفق بما ذكر وقيل ما معنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مقدرين للخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدون فيها مادامت السموات والأرض) الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا أنه لم يذكر هنا أن لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في أهل النار من أنه لهم فيها زفير وشهيق لأن المقام مقام التحذير والانذار (الاما شاء ربك) ان حمل على طريقة التعليق بالمحال فقول سبحانه (عطاء غير محذوف) نصب على المصدرية من معنى الجلالة لأن قوله تعالى في الجنة خالدون فيها يقتضى عطاء وانعاما فكانه قيل يعطهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء أو مصدر يحذف الزوائد كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتا وان حمل على ما أعد الله لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة أو تميز فان نسبة مشيئة الخروج الى الله تعالى يحتمل أن تكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للايهام عن النسبة قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار ويجوز أن يتعلق بكلا التبيينين أو بالأول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه (فلذلك في مرة) أى في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخرية (عما يعبد هؤلاء) أى من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عقابها أو من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص ليكن غاية سوء حال الكفرة وبكال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والبصير والسميع والابصير يستويان مثلا أفلا تذكرون وقد قص عقب ذلك من أنباء الامم السالفة مع رسالهم المبعوثة اليهم ما يتذكرون به المذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير أمر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) الذين قصت عليك قصصهم (من قبل) أى هم وآباؤهم

سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا لعبادتهم أو ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبده من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها أو مثل ما كانوا يعبدونه خنفا كانا لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بالغك المالحق بآبائهم فيسلبهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضى تماثل المسببات (وانا لموفهم) أى هؤلاء الكفرة (نصيهم) أى حظههم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائزهم من العذاب عاجلا وأجلا كما وفينا آباؤهم أنصاعهم المقدرة لهم أو من الرزق المقسوم لهم فيكون بياناً لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجب (غير منقوص) حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبنى على التحول عن كون العامل هو التوفية فأعمل (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فاختلف فيه) أى في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيها آتيناك من القرآن وقولهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيامة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك (لقضى بينهم) أى لأوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذلك (وانهم) أى وان كفار قومك أريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للأمن من الالباس (لن يشك) عظيم (منه) أى من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر آياتنا كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لاسيما بصدد التسليية ينادى به نداء غير خفي (مرتب) موقع في الرتبة (وان كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه أى وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الأعمال اعتباراً للأصل (لما يوفونهم ربك أعمالهم) أى اجزىة أعمالهم واللام الأولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة أو الموصولة وأصلها لمن فقلت التو من ميلا للادغام فاجتمع ثلاث ميات فحذفت أولاهن والمعنى لمن الذي أول من خلق أول من فريق والله يوفونهم ربك وقرى لما بالتخفيف على أن ما مر به للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله يوفونهم الآية وقرى لما بالتنوين أى جميعا كقوله سبحانه أكلأما وقرأ أنى وان كل لما يوفونهم على أن ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرى به (انه بما يعملون) أى بما يعمل كل فرد من المختلفين من الخير والشر (خير) بحيث لا يخفى عليه شيء من جلالته ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزىة أعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل أعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص توجب توفية كل ذى حق حقه ان خيرا أو غير وان شرأ فشر (فاستقم كما أمرت) لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل وأشير الى أن حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل أولئك المعذنين وأن نصيهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وأن تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وأنه لو لم تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومواخذتهم التامة الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وأنهم يوفون نصيهم غير منقوص وأن كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما أمر به في العقائد والأعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الأعمال الخاصة به عليه السلام من تبليغ الأحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل أعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما أمر به فيها سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الامر منتظم بجميع محاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكالات النظرية والعملية والخروج من عهده في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيتنى سورة هود ﴿ومن تاب معك﴾ أى تاب من الشرك والكفر وشاركك في الإيمان وهو المعنى بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة أى المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على أنه مفعول معه كما قاله أبو البقاء والمعنى استقم مصاحباً لمن تاب معك ﴿ولا تغلوا﴾ ولا تنحرفوا عما حد لكم بأفراط أو تفریط فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم وإنما سمي ذلك طرفاً وهو تجاوز الحد تغليظاً أو تغليفاً لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام ﴿أنه بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للأمر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فإنه طغيان وضلال وأما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعمل النص من ذلك من باب الاستقامة كما أمر على موجب النص والامر بالاجتهاد ﴿ولا تكونوا﴾ أى لا تعملوا أذى فيل (الذين ظلموا) أى إلى الذين وجد منهم الظلم في الجملة مدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار حماية المخاطبين وما قيل من أن ذلك للبالغة في النهي من حيث أن كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداونتهم إنما يمتد أن لو كان المراد النهي عن الركون إليهم من حيث إنهم جماعة وليس كذلك ﴿فتمسك﴾ بسبب ذلك ﴿النار﴾ وإذا كان حال الليل في الجملة إلى من وجد منه ظلم ما في الاضواء إلى مساس النار هكذا فاشكك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلاً عظيماً يتألك على مصاحبته ومنادمتهم ويأق شرارهم على مؤانستهم ومعاشرتهم ويتبع بالترى بزيمهم ويمد عينه إلى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القلوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف يجعل عن أن تمل إليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فإن الميل إلى أحد طرفي الافراط والتفریط ظلم على نفسه أو على غيره وقرئ تركوا على لغة تميم وتركوا على صيغة البناء للمفعول من أركنه ﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾ أى من أنصار يفتقدونكم من النار والخلقة نصب على الحالية من قوله فتمسك النار وقى الأولياء ليس بطريق نفي أن يكون لكل واحد منهم أولياء حتى يصدق أن يكون له ولي بل لمكانكم بطريق انقسام الأحاد على الأحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بصير بل على معنى نفي أن يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ﴿تم لا تصرون﴾ من جهة الله سبحانه إذ قد سبق في حكمه أن يعذبكم بركونكم إليهم ولا يبق عليكم وتم لتراخي رتبة كونهم غير منصوبين من جهة الله بعد ما أوعدهم بالعذاب وأوجه عليهم ويجوز أن يكون منزلاً منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فإنه لما بين أن الله تعالى معذبهم وأن غيره لا ينقذهم أتبع أنهم لا ينصرون أصلاً ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ أى غدوة وعشية واتصابه على الظرفية لكونه مضافاً إلى الوقت ﴿وزلفاً من الليل﴾ أى ساعات منه قريبة من النهار فإنه من أزلفه إذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلاتها صلاة العداة والعصر وقيل الظاهر موضع العصر لأن ما بعد الزوال عتي وبصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفاً بضمين وضعة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقرى بمعنى قرية ﴿إن الحسرات﴾ التي من حملتها بل عمدتها ما أشرت بهن الصلوات ﴿يذهبن السيئات﴾ التي قبلها غلو منها البشر أى يكفرنها وفي الحديث أن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل زلت في أى اليسر الانصراف أدقيل امرأة ثم ندم فأق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال عليه السلام أنتظر أمر ربى فلما صلى صلاة العصر نزلت قال عليه السلام ثم اذهب فإنها كفارة لما عملت أو يمنعن من اقترافها كقولته تعالى أن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿ذلك﴾ إشارة إلى قوله تعالى فاستقم فابعده وقيل إلى القرآن ﴿ذكرى للذاكرين﴾ أى عظة للمعتطين

﴿واصبر﴾ على مشاق ما أشرت به في تضاعيف الآمر السابقة وأما ما نهى عنه من الطغيان والركون إلى الذين غلبوا فليس في الإلتفات عنه مشقة فلا رجة لتعميم الصبر له اللهم إلا أن يراد به ما لا يمكن عادة خلق البشر عنه من أذى ميل بحكم الطبيعة عن الاستقامة المأمور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية إلى من وجد منه ظلماً فإن في الاحتراز عن أمثاله من المشقة ما لا يخفى ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أى يوفيهم أجوراً أعظم من غير يحسن أصلاً وإنما عبر عن ذلك بنى الاضاعة مع أن عدم إعطاء الأجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها البيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصوره بصورة ما يتمتع صدورهم عنه سبحانه من القياح وازرار الأثابة في معرض الأمور الواجبة عليه وإنما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع قاعدة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للأمر بالصبر وفيه إيماة إلى أن الصبر على ما ذكر من باب الاحسان ﴿فلولا كان﴾ فلما كان ﴿من القرون﴾ الكاتنة ﴿من قبلكم﴾ على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كاتنة من قبلكم ﴿أولوية﴾ من الرأى والعقل أو أولو فضل وغير وسماها لأن الرجل إنما يستبقى ما يخرج عادة أحواله وأفضله فصار مثلاً في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ومنه ما قيل في الروايات أخباراً وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالبقية من الثمورى أى قبلها كان منهم ذور أبقا على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده أنه قرئ أولوية وهى المرة من مصدر بقاء بقيته إذا رقبه وانتظره أى أولو مراقبة وخشية من عذاب الله تعالى كأنهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ﴿ينهن عن الفساد في الأرض﴾ الواقع منهم حسب ما حكى عنهم ﴿الاقليلا من أنجينا منهم﴾ استثناءً ينقطع أى لكن قليلاً منهم أنجيناهم لكونهم على تلك الصفة على أن من البيان لا للتبعض لأن جميع الناجين ناهون ولاحة للاتصال على ظاهر الكلام لأنه لا يكون تخصيصاً لأولى البقية على النهي المذكور الا قليلاً منهم كما إذا قالت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم مريداً لاستثناء الصلحاء من المحضفين على القرائن نعم يصح ذلك إن جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكأنه قيل ما كان من القرون أولوية الا قليلاً منهم لكن الرفع هو الأوضح حيث قد على البدلية ﴿وأتبع الذين ظلموا﴾ بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ﴿ما أتفوا فيه﴾ أى أنعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها أما المباشر فظاهر وأما المساهلون فلما لم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركو النهي وأنت خير بأنه يلزم منه عدم دخول مباشرى الفساد في الظلم والأجرام عبارة ﴿وكانوا مجرمين﴾ أى كافرين فهو بيان لسبب استئصال الأمم المهلكة وهو فسو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتباع عطف على مضمحل عليه الكلام أى لم ينهوا واتباع الخ فيكون العدول إلى المظهر لأدراج المباشر معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللأشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب أو على استئناف يترقب على قوله الا قليلاً أى الا قليلاً ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتباع الذين ظلموا من مباشرى الفساد وتاركى النهي عنه فيكون الاظهار بمقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على أتفوا أى اتبعوا الأتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالأجرام اغفالهم للشكر أو على اتباع أى اتبعوا أجزاء ما أتفوا فكانوا الأوائل للحال ويجوز أن يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء ﴿وما كان ربك ليهلك القرى﴾ أى ماصح وما استقام بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التي أهلها حسب ما بلفك أنبأوها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله ﴿يظلم﴾ أى ملتبها به قبل هو حال من الفاعل أى ظالمها لها والتنكير للتفخيم والإيذان بأن أهلك المصلحين ظلم

عظيم والمراد تنزيهه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدور عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كما نأمن ما كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وإن الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى ﴿وأهلها مصلحون﴾ حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقيده بما وقع حالاً من فاعله أعني بظلم لدلائله على تقيده نفي الإهلاك ظلماً بحال كون أهلها مصلحين ولا ريب في فساد بل مطلقاً عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والياء للسببية أي لا يهلك القرى بسبب إشراك أهلها وهم مصلحون يتعاملون الحق فيما بينهم ولا يضمنون إلى شركهم فساداً آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله تعالى الغني الخيد وقيل الملك يبي مع الشرك ولا يبق مع الظلم وأنت تدري أن مقام النبي عن المنكرات التي أقبحها الإشراف بالله لا يلائمه فإن الشرك داخل في الفساد في الأرض دخولا أولياً ولذلك كان نبي كل من الرسل الذين قصت أنباؤهم أمته أولاً عن الإشراف ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاملون بها فوجه حمل الظلم على مطاق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي وحمل الإصلاح على إصلاحه والإفلاق عنه يكون بعضهم متصددين للنهي عنه وبعضهم متوجهين إلى الاعتاض غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ مجتمعة على الحق ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ في الحق أي مختلفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴿إلا من رحم بك﴾ إلا قوما قد هداهم الله تعالى بفضلهم إلى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه أي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من الحق والمبطل بأباه الاستثناء المذكور ﴿ولذلك﴾ أي ولما ذكر من الاختلاف ﴿خلقيم﴾ أي الذين بقوا بعد الدنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة أولاً لترحم فالضمير لمن واللام في معناها أولها معاً فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين ﴿وتمت كلمة ربك﴾ أي وعيده أو قوله للملائكة ﴿لا ملأ من جهم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي من عصايتها أجمعين أو منها أجمعين لا من أحدهما ﴿وكلا﴾ أي وكل نأ فالتثنية عوض عن المضارع اليه ﴿نقص عليك﴾ تخبرك به وقوله تعالى ﴿من أنباء الرسل﴾ يان لكلا وقوله تعالى ﴿ما ثبت به فؤادك﴾ بدل منه والأظهر أن يكون المضارع اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص أي كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله تعالى ما ثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على أن المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتياط أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق ﴿وجاءك في هذه﴾ السورة أو الأنبياء المقصودة عليك ﴿الحق﴾ الذي لا محيد عنه ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ أي للجماهير من كونه حقاً في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الأول حالاً له في نفسه حتى باللام دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره وتقديم الظرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة أو الأنبياء المقصودة فيها واشتغالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غير ما ولا أن عند تأخير ما حقه التقديم بقي النفس مترتبة إليه فيتمكن فيها عند الوجود فضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول يحمل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم ﴿وقل للذين لا يؤمنون﴾ بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ على حالكم وجهتكم التي هي عدم الإيمان ﴿أنا عاملون﴾ على حالنا وهو الإيمان به والاعتاض والتذكير به ﴿وانظروا﴾ بنا الدوائر

﴿انما تنظرون﴾ أن ينزل بكم نحو ما نزل بأمتالك من الكفرة ﴿ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله﴾ فيرجع لاحتلاله أمره وأمرهم إليه وقرى على البناء للفاعل من يرجع رجوعاً ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ فانه كافيك والفاء لترتيب الأمر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الأمور كلها إلى الله تعالى وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة شعار بأنه لا ينفع دونها ﴿ومار بك بغافل عما يعملون﴾ فيجازيهم بموجبه وقرى تعملون على تغليب المخاطب أي أنت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الأنبياء المعدودين فيها عليهم الصلاة والسلام ويعددهم كذبههم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى

سورة يوسف عليه السلام

(وهي مائة وأحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿الر﴾ الكلام فيه وفيه ما أريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى ﴿تلك آيات الكتاب﴾ عين ما سلف في مطلع سورة يونس ﴿المبين﴾ من إبان معنى بأن أي الظاهر أمره في كونه من عند الله تعالى وفي إعجازه بنوعه لاسباب الأخبار عن الغيب أو الواضح معانيه للرب بحيث لا يشبه عليهم حقائقه ولا يتيسر لديهم دقايقه لئلا يلهيهم أو يبعي بين أي المبين لما فيه من الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت وأسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فإبانه أنباء عن قصة يوسف عليه السلام فانه قد روي أن أحبار اليهود قالوا لربؤساء المشركين سلوا عنده صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالإبانه من قبيل براعة الاستبلال لما ساق ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف والناقي عقب ذلك بما يدل على الشرف الإضافي فقيل ﴿أنا أنزلناه﴾ أي الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليله فإن كان عبارة عن الكل وهو الأظهر الأنسب بقوله تعالى ﴿قرآنا عربيا﴾ إذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع إلى الفهم عند اطلاعهما فالأمر ظاهر وإن جعل عبارة عن السورة قسمتها قرآناً لما عرفته في سلف والسر في ذلك أنه اسم جنس في الأصل يقع على الكل والبعض كالكتاب أو لانه مصدر بمعنى المفعول أي أنزلناه حال كونه مقروءاً بلقنكم ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لكي تفهموا معانيه طرأ وتحيطوا بمغايه من البدائع خبراً وتطلعوا على أنه خارج عن طرق البشر منزل من عند خالق القوى والقدر ﴿نحن نقص عليك﴾ أي تخبرك وتحدثك واشتقاقه من قص أثره إذا أتبعه لأن من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ﴿أحسن القصص﴾ أي أحسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع إيهام لمافي اقتصاص أهل الكتاب من القبح والحال وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل ﴿بما أوحينا﴾ أي بأوحائنا ﴿إليك هذا القرآن﴾ أي هذه السورة فإن كونها موحاة مني عن كون ما في ضمنها مقصوداً والتعرض لعنوان قرآنيها لتحقيق أن الاقتصاص ليس بطريق الإلهام أو الوحي غير المتلو وأما لظهوره من سؤال المشركين بتلقيه علماء اليهود وأحسنه لانه قد اقتص على أبداع الطرائق الرائعة الرائقة وأعجب الأساليب الفاتكة اللاتفة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الأولين والآخرين وإن كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال

واليسين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لمافي قوله تعالى قرأنا عريبا بأن يكون المراد بذلك المجموع فتأمل أو
نقص عليك أحسن ما نقص من الأنباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على أن القصص فعل بمعنى المفعول كالبناء
والجبر أو مصدر سمي به المفعول كالحاقق والصيد ونصب أحسن على المفعولية وأحذيتها لتضدها من الحكم والعبر
علا لا ينبغي حال حسنة (وإن كنت) ان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الواقع اسمها المحذوف واللام قارة والجملة
خبر والمعنى وإن الشأن كنت (من قبله) من قبل إيماننا اليك هذه السورة (لمن الغافلين) عن هذه القصة لم
نظر ببالك ولم تفرغ سمحك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبر عن عدم العلم الغفلة لاجلال شأن النبي عليه السلام
وإن غفل عنه بعض الغافلين (إذا قال يوسف) نصب باضار إذا ذكر وشروع في القصة انجازا للوعد بأحسن
الاقتصاص أو بدل من أحسن القصص على تقدير كونه مفعولا ببدل اشتغال فان اقتصاص الوقت المشتغل على
المقصود من حيث اشتغاله عليه اقتصاص للمقصود و يوسف اسم عبري لا عربي لخالوه عن سبب آخر غير التعريف
وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لاعلى أنه مضارع بنى للمفعول أو الفاعل من أسف لشهادة
المشهوره بمعجمته (لأيه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وقد روى عنه عليه السلام ان
الكريم بن الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (يأبى) أصله يأبى فعوض
عن الياء تاء التأنيث لتناسبها في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وكسرتها
لأنها عوض عن حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لأنها حركة أصلها أولان الاصل يأبى تخفف الالف
وبقى الفتحة وانما لم يجر ياء ياء لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجرا لما جرى الالفاظ المؤتدة بالتاء
من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب
(أني رأيت) من الرؤيا لأمن الرؤية لقوله لا تنقص رؤياك هذا تأويل رؤياي ولان الظاهر أن وقوع مثل هذه
الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فيكون طامة كبرى لا ينبغي على أحد من الناس (أحد
عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر رضى الله عنه أن يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت النبي عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فأخبره
بذلك فقال عليه السلام اذا أخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال عليه السلام جريان والطارق والذباب وقابض
وعمودان والفلق والمصبح والضروح والفرع وثواب وذو الكتفين رآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر
زنن من السماء وسجد له فقال اليهودي اى والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبو موغانه والكواكب
اخوته وانما آخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار منزلة ما شرفها على سائر الطوائع بعظمتها عليها كما في
عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جاز أن تكون الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس
والقمر ولا يبعد أن يكون ذلك اشارة الى تأخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاختوته وعن وهب ان يوسف
عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طولا كانت مراكوزة في الأرض كهيئة الدارة واذا
عصا صغيرة تنب عليها حتى اقلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال اياك أن تذكر هذا لاختوتك ثم رأى وهو ابن
ثلاث عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال لا تقصها عليهم فيغفوا لك الغوائل وقيل
كان بين رؤيا يوسف ومضير اخته اليه أربعون سنة وقيل ثمانون (وأرأيتهم لى ساجدين) استئناف بيان حالهم التي
رآهم عليها كأنه سأل فقال كيف أرأيتهم فأجاب بذلك وانما أجريت مجرى العقلا في الضمير لوصفها بوصف

الغلاء أغنى السجود وتقدم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الامر مع ما في ضمنه من رعاية الفاضلة
(قال ياق) صفرة الشفقة أو لها ولصغر السن وهو أيضا استئناف مبنى على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد
سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا أن يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة
ويصطفه للتوبة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيم فقال صيانة لهم
من ذلك وله من معابة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان وثاقا بأن الله تعالى سيحقق ذلك لاحالة وطعما في حصوله
لا مشقة (لاقتصر رؤياك) هي ما في المنام كما أن الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما في القرى
والقرية وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من أفق التخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون بانصال
النفس بالملكوت لما بينهما من التماس عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ تصور بما فيها مما يليق من المعاني
الحاصلة هناك ثم ان التخيلة تخاطبه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة
المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكيفية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه
(على اخوتك فيكدوا) نصب باضار ان أى يفعلوا (لك) أى لاجلك ولاهلاك (كيدا) متينا
راسخا لا تقدر على النقص عنه أو خفيا عن فهمك لا تصدى لدافعت وهذا أوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه
السلام يعلم أنهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب أكد من أن يقال فيكدوك
كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جرى باللام لضمينه معنى الاحتيال المتعدى
باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد أى فيجتالوا لك ولاهلاك كك حيلة وكيدا والمراد باخوته هنا الذين
يخشى غوائلهم ومكايدهم بنوعاته الاحد عشر وهم يهودا وروبول وشعرون ولاوى وربالون ويشجر ودية بنو يعقوب
من لياث خاتمة ودان ونفثال وجاد وآشر بنوه من سرتين زلفة وبله وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر
وأما بنيامين الذى هو شقيق يوسف عليه السلام وأمه راحيل التى تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة أختها ليا
أوفى حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذلك عمر ما فليس بدخل تحت هذا النهى اذ لا توهم مضرة ولا يخشى معرفته ولم
يكن معدودا معهم فى الرؤيا اذ لم يكن معهم فى السجود ليوسف والمراد نهيهم عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا أو بعضا
(ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة فلا يلجأ لجهدا فى اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير
فيه وهو استئناف كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين فى بيت التوبة فقيل ان الشيطان
يحملهم على ذلك ولما نهى عليهما السلام على أن لرواه شأن أعظما يستمتع بمنافع وحزره اشاعها المؤيدة الى أن يحول
اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها أو يوعروا سبيل وصولها شرع فى تعبيرها وتأويلها على وجه اجمالى فقال
(ولذلك) أى ومثل ذلك الاجتهاد البديع الذى شاهدته آثاره فى عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلية للتيرة
لك وبحسبه وعلى وقته (يحيتيك ربك) يشارك لجناب كبريائه ويستبوك اقتضال من جباه اذا جمعه
ويصطفيك على أشرف الخلائق وسرارة الناس قاطبة ويرى مصداق تلك الرؤيا فى عالم الشهادة حسب
ما عاينه من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة بين الصور المرمية فى عالم المثال وبين ما وقعت
هى صوراً وأشباحاً له من الكائنات الظاهرة بحسبها فى عالم الشهادة أى كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك
وجوه الناس ونواصيمهم مذعنين لهما تترك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراة بان اطاعة أبوه واخوته له لكنه
انما لم يصرح به حذرا من اذاعته (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه أراد به عليه السلام تأكيده لقائه

وتحقيقها وتوطئتها نفس يوسف عليه السلام بما أخبر به على طريقة التعبير والتأويل كأنه قال وهو يعلمك (من تأويل الأحاديث) أي ذلك الجنس من العلوم أو طرفا صالحا منه فقطع على حقيقه ما أقول ولا يخفى ما فيه من تأكيد ما سبق والبعث على تلقى ما ساقى بالقبول والمراد بتأويل الأحاديث تعبير الرؤيا هي أحاديث الملك كأن كانت صادقة أو أحاديث النفس أو الشيطان أن لم تكن كذلك والأحاديث اسم جمع للحديث كالأباطيل اسم جمع للباطل لاجتماع أحذوثة وقيل كأنهم جمعوا حديثا على أحدثه ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطع وأقطع وقيل هو تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الأنبياء عليهم السلام والأول هو الأطهر وتسمية التعبير تأويلا لأنه جعل المرقي أنلا إلى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه إليه فكأنه عليه الصلاة والسلام أشار بذلك إلى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة إلى ما يبلغه الله تعالى إليه من الراسية العظمى التي عبر عنها بإتمام النعمة وإنما عرف يعقوب عليه السلام ذلك منه من جهة الوحي أو أراد كون هذه الخصلة سببا لظهور أمره عليه السلام على الإطلاق فيجوز حينئذ أن تكون معرفته عليه السلام لذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمغالب بأن من وقته الله تعالى مثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعريفها وتأويل أمثالها وتخيير ما هو آفاق منها لمعلوم أنقى كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون أقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الأمور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة وأقوى وقفا على النسب الواقعة بين الصور المعانية في أحد ذين العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وأن هذا الشأن البديع لا بد أن يكون انموذجا لظهور أمر من اتصف به ومدار أجزاياه أحكامه فان لكل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة بها تظهر آثاره وتجري أحكامه (وتم نعمته عليك) بأن يضم إلى النبوة المستفادة من الاجتهاد الملك ويجعله تمتعها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتهاد ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما أشرنا إليه من كون أثره وسيلة إلى تمام النعمة ويجوز أن يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة إليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة (وعلى آل يعقوب) وهم أهله من بيده وغيرهم فان رؤيته يوسف عليه السلام أخوته كواكب يمتد إلى أنوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلائلها على مصير أمرهم إلى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة إلى الفعل من كالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة وأما إذا أريد بتمام تلك النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة إليهم باعتبار أنهم يقتسمون أنواره من العز والجاه والمسال (كما أتمها على أيوب) نصب على المصدرية أي ويتم نعمته عليك اتصافا كأننا كاتما نعمته على أيوبك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتصافا على إبراهيم عليه السلام باتخاذ خليله وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانه من الذبح وقداؤه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقست نعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه (من قبل) أي من قبل هذا الوقت أو من قبلك (إبراهيم واسحق) عطف بيان لأيوبك والتعريف عنهما بالآب مع كونهما أباه ورواها في ضم من التعبير الإجمالي لرؤياه والاقصاف في المشبه به على ذكر اتصاف النعمة من غير تعرض للاجتهاد من باب الاكتفاء فان اتصاف النعمة بقضية سابقة للنعمة المستدعية للاجتهاد لا محالة (إن ربك) استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة أي يفعل ما ذكر لانه (عليم) بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتهاد وما يفرع عليه من التعليم المذكور واتصاف النعمة العامة على الوجه المذكور (حكيم) فاعل لكل شيء حسبما تقتضيه

الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل جريا على سنن عليه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضوعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الأفاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة أي وبما اجتبتك لمثل هذه الرؤيا الدال على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك أولا أمور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا أنبياء وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى الجنة كما أتمها على أيوبك بالرسالة فتأمل والله الهادي (لقد كان في يوسف وأخوته) أي في قصتهم والمراد بهم هنا أما جميعهم فان لبنيا من أيضا حصه من القصة أو بنو علاته المعدودون فيها سلفا إذ عليهم يدور رحاها (آيات) علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة (للسائلين) لكل من سأل عن قصتهم وعرفها أو الطالبين للآيات المعبرين بها فانهم الوقفون عليها والمتفكرون بها دون من عداهم عن اندرج تحت قوله تعالى وكان من آية في السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص أو على نبوته عليه السلام لمن سألهم من المشركين أو اليهود عن قصتهم فأخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من أحد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات حيث لا لاشار بأن اقتصاص كل طائفة من القصة آية بيّنة كافية في الدلالة على نبوته عليه السلام على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام إبراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا ما قيل من أنه لتعددية الاجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خير يوسف وبني أخوته عليه لما رأى من بغى قومه عليه ليأتى به (أذ قالوا ليوسف وأخوه) أي شقيقه بنيامين وأما المذكر باسمه تلويحا بأن مدار المحبة أخوته ليوسف من الطرفين ألا يرى إلى أنهم كيف اكتفوا بإخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف (أحب إلى أينا منا) وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لأن أفضل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم إذا عرف وجب الفرق وإذا أضيف جاز الأمران وفائدة لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتأكيده (ونحن عصبه) أي والحال أنا جماعة قادرين على الحل والعقد أحقاه بالمحبة والعصبه والعصاة العشرة من الرجال ضاعداً سمو بذلك لأن الأمور تعصب بهم (إن أبانا) في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمنزل من كفاية الأمور بالصغر والقلّة (لني ضلال) أي ذهب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزله (مبين) ظاهر الحال . روى أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من مغاليل الخير وكانت أخوته يحدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حدهم حتى حلهم على مباشرة ما قص عنهم (أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً) من جملة ما حكي بعد قوله أذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطباً للباقيين بقضية الصيغة فكأنهم رضوا بذلك كما يروى أن القائل شمعون أودان والباقيون كانوا راضين إلا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كأنهم القائلون وأدرجوا تحت القول المسند إلى الجميع أو قاله كل واحد منهم مخاطباً للبقية وهو أدل على مسارعهم إلى ذلك القول وتنكير أرضاً واختلاؤها من الوصف للإيهام أي أرضاً منكورة بمجولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل) بالجزم جواب للأمر أي يخلص (لكم وجه أيكم) فيقبل عليكم بكنيته ولا يثقت عنكم إلى غيركم ولا يساهمكم في محبة أحد فذكر الوجه لتصوير معنى أقباله عليهم (وتكنوا) بالجزم عطفا على يخل أو بالنصب على اضمار أن أو الواو بمعنى مع مثل قوله وتكنوا الحق وإثارة الخطاب في لكم وما بعده للبالغة في حلهم على القبول فان اعتناء المرء بشأن نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه أتم وأكمل (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه (فوما صالحين) ثابتين إلى الله تعالى

عما جئتم أو صالحين مع أيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعد تهادونه أو صالحين في أمور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه أيكم **(قال قائل منهم)** هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً وهو الذي قال فلن أبرح الأرض الخ وقيل روييل وهو استئناف مبنى على سؤال من سأل وقال أنفقوا على ما عرض عليهم من خصلي الضيع أم خالفهم في ذلك أحد فقيل **(قال قائل منهم)** لا تقتلوا يوسف **(أظهره في مقام الاضمار استجلاً بالشفقة عليهم عليه أو استعظاماً لقتله وهو هو فانه يروى أنه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الأخرى وأحاله على أولوية ما عرضه عليهم بقوله)** **(والقوه في غيابة الجب)** أي في قعره وغوره سمى بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطوب بعد لأنها أرض جبت جبا من غير أن يزداد على ذلك شيء **(وقرأ نافع في غيابات الجب كان لتلك الجب غيابات أو أراد بالجب الجنس أي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة)** **(يلقطه)** يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط أخذ شيء مشرف على الضياع **(بعض السيرة)** أي بعض طائفة تسير في الأرض واللام في السيرة كما في الجب وما فيها وفي البعض من الأبهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويح كلامه بموافقة لغرضهم الذي هو تثنى يوسف عنهم بحيث لا يدري أثره ولا يروى خبره وقرئ **(تلقطه على التأنيث لأن بعض السيرة سيرة كقولهم)**

كما شرقت صدور القاتل من الدم ومنه قطعت بعض أصابعه **(ان كنتم فاعلين)** بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تأليفاً لقلوبهم وتوجيهاً لهم إلى رآيه وحذراً من نسبتهم له إلى التحكم والافتيات أو ان كنتم فاعلين ما أزمعتم عليه من ازالته من عند أبيه لا لاعتقوله بل كان هناك مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه أو لا أعجب بطريق الاستئناف على وجه أدراج في تضاعفه قبولهم له بما سيجي من قوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فقيل **(قالوا يا أبا ناس)** خاطبوه بذلك تحريكاً لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيراً لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف عليه الصلاة والسلام ليسبوا بذلك إلى استنزاله عليه السلام عن رأيه في حفظه منهم لما أحس منهم بأمارات الحسد والبغى فكأنهم قالوا **(مالك)** أي أي شيء لك **(لا تأمننا)** أي لا تجعلنا أمناً **(على يوسف)** مع أنك أبونا ونحن بنوك وهو أخونا **(وانا له لنا محزون)** يريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يغفل بالصيغة والمقة قط والقرارة المشهورة بالادغام والاشياء وعن نافع رضى الله عنه ترك الاشياء ومن الشواذ ترك الادغام **(أرسله معنا غداً)** إلى الصحراء **(يرتفع)** أي يتبع في أكل القواكه ونحوها فان الرفع هو الاتساع في الملاذ **(ويلعب)** بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التأهب للغزو وأما غير ما عن ذلك باللعب لكونه على هيئة تحقيقات لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرئ **(ترتع وتلعب بالنون)** وقرأ ابن كثير **(ترتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء)** فيه وفي لعب وقرئ **(يرتع من ارتع ماشيته وترتع بكسر العين)** ولعب بالرفع على الابتداء **(وانا له لحافلون)** من أن يناله مكروه أو كدوا مقاتلتهم بأصناف التأكيد من إيراد الجملة اسمية وتحليلها بأن واللام واستناد الحفظ إلى كلهم وتقديره على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم **(قال)** استئناف مبنى على سؤال من يقول فإذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال **(اني ليحزني)** اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ذكرك ليحكم بينهم **(أن تذهبوا به)** لشدة مفارقة على وقلة صبري عنه **(و)** مع ذلك **(أعافان يا كاهل الذئب)** لأن الأرض كانت مذبذبة والحزن ألم القلب بقوت المحبوب والخوف ازعاج النفس لنزول المكروه ولذلك استند الأول إلى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني إلى ما يتوقع نزوله من أكل الذئب وقيل رأى في المنام أنه قد شدد عليه عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لفتهم العلة ان البلاء موغل بالطنق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية

الذي يلحس على الاصل وأبو عمرو به وقفا وعاصم وابن عامر وحزمة درجا وقيل اشتقاقه من تذابيت الرميخ اذا ما جئت من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو أظهر لفظاً ومعنى **(وانتم عنه غافلون)** لا تشغلكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه **(قالوا لن أكله الذئب ونحن عصبة)** أي والحال أنا جماعة كثيرة جدية بأن يعصب بنا الأمور العظام وتكفي الخطوب بأرائنا وتدبيرنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله **(انا اذا لحاسرون)** جواب مجزئ عن الجزاء أي لما لكون ضعفا وخورا وبجرا أو مستحقون للهلاك اذا لاغنا عندنا ولا جدوى في حياتنا أو مستحقون لأن يدعى علينا بالحساب والدمار ويقال خسروا الله تعالى ودمروا حيث أكل الذئب بعضهم وهم حضوز وقيل ان لم تقدر على حفظه وهو أعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصر على جواب خوف يعقوب عليه السلام من أكل الذئب لأنه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على أنهم يأتون به عن قرب **(فلما ذهبوا به وأجمعوا)** أي أزمعوا **(أن يجعلوه)** مفعول لأجمعوا يقال أجمع الأمر ومنه فأجمعوا أمركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها **(في غيابة الجب)** قيل هي بئر بأرض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام يكتمان التي هي من نواحي الاردن كما أن مدين كذلك وأما ما يقال من أنها بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالنقاط السيرة ومجيئهم بأبهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف اي انا يظهره واشعاراً بأن تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا يروى أنهم لما برزوا إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلوه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتموني أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فتعلق بشايمهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قيصة لما عزموا عليه من تعلقه بالدم احتيالا لآية فقال بالاختوتاه ردوا على قبضي أنوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها انقوت ليلوت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه وظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه فتعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم ويروى أن ابراهيم عليه السلام حين أتى في النار وجرى عن يابه أنه جبريل عليه السلام فقبض من حر الرحمة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم إلى اسحق واسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تيمية وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فأخرجه من التيمية فألبسه اياه **(وأوحينا اليه)** عند ذلك تبشيراً له بما يؤمل إليه أمره وازالة الوحشة وإيناساً له قبل كان ذلك قبل ادراكه كما أوحى إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذلك مدركاً قال الحسن رضى الله عنه كان له سبع عشرة سنة **(تلتئمهم بأمرهم هذا)** أي لتتخلصن مما أنت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك **(وهم لا يشعرون)** بأنك يوسف تباين حالك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم وقيل بعد العهد المبذل للبيئات المخير للاشكال والاول أدخل في التسلية روى أنهم حين دخلوا عليه بمتارين فعرفهم وهم له متكرون دعا بالصواع فوضع على يده ثم نقره فطن فقال انه يخبرني هذا الجاه أنه كان لكم أخ من أيكم يقال له يوسف وكان يدينه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقتلهم لا يكم أكله الذئب وبتموه بشن بنحس وبجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بالانجاء على معنى أنا أنساه بالوحى وأزلنا عن قلبه الوحشة التي أوتوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون أنه مرقق ومترحش لا أيسر له وقرئ **(لنبئتهم بالنون)** على أنه وعيدهم بقوله تعالى وهم لا يشعرون بأوحينا لا غير **(وجاؤا بأبهم عشاء)** آخر النهار وقرئ **(عشيا)** وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أي عشا من البكاء **(يكونون)**

متباكين. روى أنه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فرجع وقال ما لكم يا بني وأين يوسف **(قالوا يا أبانا انا ذهبنا نسقيك)** أي متباكين في العدو والرمي وقد يشترك الاعتقال والتفاعل كالاتصال والتداخل ونظائرهما **(وتركنا يوسف عند متاعنا)** أي ما تمتع به من الثياب والأزواد وغيرهما **(فأكله الذئب)** عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعبد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة إلا في مقام يؤمن فيه القرائن لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لاسيما إذا لم يبرحوه ولم يضيوا عنه فكانهم قالوا انالنا نقص في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في ما آمننا وبجمعنا يمر أي منا لأن ميدان السباق لا يكون عادة إلا بحيث يتراعى غايته وما فرقاه الأساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان **(وما أنت بمؤمن لنا)** بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في أمره **(ولو كنا)** عندك وفي اعتقادك **(صادقين)** موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سبي الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لوفى أمثال هذه المواقع ليان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الاحمال بأدخالها على أيديها منه وأشدّها منافاة له لظهور بثبوتها أو انتفاءه معه بثبوتها أو انتفاءه مع غيره من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافى القوي ثلاثا يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجهة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الأعراف عند قوله تعالى أولو كنا كارهين **(وجاؤا على قبضه)** محله النصب على الظرفية من قوله **(بدم)** أي جاؤا فوق قبضه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال أو على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على الجور وفيها إذا لم يكن الحال ظرفا **(كذب)** مصدر وصف به الدم بمبالغة أو مصدر بمعنى المفعول أي مكذوب فيه أو بمعنى ذى كذب أي ملابس لكذب وقرئ كذبا على أنه حال من الضمير أي جاؤا كاذبين أو مفعول له وقرأت عائشة رضي الله تعالى عنها بغير المعجمة أي كدر وقيل طرى قال ابن جني أصله من الكذب وهو القوف البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث كأنه دم قد أثر في قبضه. روى أنهم ذبحوا سخله ولطخواه بدما وزل عنهم أن يمزقوه فلما سمع يعقوب بغير يوسف عليهما السلام صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كالיום ذبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قبضه وقيل كان في قبض يوسف عليه السلام ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عليه السلام حين قدم دبر **(قال)** استئناف مبنى على سؤال فكانه قيل ما قال يعقوب هل صدقتم فيما قالوا أم لا فقليل قال لم يكن ذلك **(بل سولت لكم أنفسكم)** أي زينت وسميت قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتصافه قال الأزهري كان التسويل تعجيل من سؤال الإنسان وهو أمتيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره وأصله ميموز وقيل من السؤل وهو الاسترخاء **(أمرا)** من الأمور منكرا لا بوصف ولا يعرف **(فصبر جميل)** أي فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجل أو أمثل وفي الحديث الصبر الجليل الذي لا شكوى فيه أي إلى الخلق والافتقار قال يعقوب عليه السلام انما أشكوى وحزنى إلى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصاة فقبل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الإحزان فأوحى الله عز وجل إليه يا يعقوب أشكوى في قال يارب خطيئة فاغفرها لي وقرأ أي فصبرا جميلا **(والله المستعان)** أي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة **(على ما تصفون)** على اظهار حال ما تصفون ويان كونه كذبا واظهار سلامته

فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وهو الايق بما سيجي من قوله تعالى فصر جيل عصى الله أن يأتيهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزق فيه بأباد تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا تساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما أشير إليه **(وجاءت)** شروع في بيان ما جرى على يوسف في الحب بعد الفراغ من ذكر ما وقع بين اخوته وبين أبيه والتعبير بالجنى ليس بالنسبة إلى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصرى من مدين بل إلى مكان يوسف وفي إشارته على المرور أو الايمان أو نحوهما إيماء إلى كونه عليه السلام في الكرامة والزاني عند ملك مقتدر والظاهر أن الحب كان في الالهم المتألف من المبادر من اسناد المجي إلى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت **(سيارة)** أي رفقة تسير من جهة مدين إلى مصر وقوله باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيا سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم تكن إلا للراحة فأخطوا الطريق فزلوا قريبا منه وقيل كان مأواه ملحا فغذب حين ألقي فيه عليه السلام **(فأرسلوا وادهم)** الذي رد الماء ويستقى لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الإرسال كما لم يذكر منتهى الجنى أي الحب للإيدان بأن ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر فصحا **(فأدلى دلوه)** أي أرسلها إلى الحب والحذف لما عرفته فتدل بها يوسف فخرج **(قال)** استئناف مبنى على سؤال يقتضيه الحال **(يا بشرى هذا غلام)** كأنه نادى البشرى وقال تعالى فهذا أولئك حيث فاز بنة باردة وأي نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على إخراجهم وقرأ غير الكوفيين يا بشرى وأمال فتحة الراء حرة والكسائي وقرأ ورش بين اللظفين وقرئ يا بشرى بالادغام وهي لنة وبشرى على قصد الوقف **(وأسرده)** أي أخفاه الوارد وأحجابه عن بقية الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له في الحب وقالوا لم دفعه إلينا أهل الماء لتبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاختوة يوسف وذلك أن يهودا كان يأتيه كل يوم بطعام فأثاه يومئذ فلم يجد فيه ما أخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد **(بضاعة)** نصب على الحالية أي أخفوه حال كونه بضاعة أي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه أي قطعت للتجارة **(والله عليم بما يعملون)** وعبد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو عرضة للابتذال بالبيع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل **(وشروه)** أي باعوه والضمير للوارد وأحجابه **(بثمان بخص)** زيف ناقص العيار **(درهم)** بدل من ثمن أي لادناني **(معدودة)** أي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه إذ المعتاد فيها لا يبلغ أربعين العدد دون الوزن فمن ابن عباس رضي الله عنهما أنها كانت عشرين درهما وعن السدي رضي الله عنه أنها كانت اثنين وعشرين درهما **(وكانوا)** أي البائعون **(فيه)** في يوسف **(من الزاهدين)** من الذين لا يرغبون فيها بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من ثمن البخل وسبب ذلك أنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به أو غير واثق بأمره يخاف أن يظهر له مستحق فينتزعته منه فيبيع من أول ما ساءم أو كس ثمن ويجوز أن يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكى وهم غير راغبين في شراء خشية ذهاب ما لهم لمساطين في آذانهم من الابق والعدول عن صينة الاعتقال المنبئة عن الاتخاذ لما مر من أن أخذهم إنما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والافتناء وفيه متعلق بالزاهدين أن جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كأنه قيل في أي شيء زهدوا فقل زهدوا فيه لأن ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول **(وقال الذي اشتراه من مصر)** وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير أو اطفير ويان كونه من مصر لثرية ما يفرع عليه من الأمور مع الاشعار بكونه غير

من اشتراه من المكثنين بما ذكر من الثمن اليخس وكان ذلك يومئذ الريان من البراءة العاقبة ومات في حياته يوسف عليه السلام بعد أن آمن به فلك بعده قابوس بن مصعب نداه الى الاسلام فأبى وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عليه السلام عاش أربعين سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين أيضاً وقيل أدخلوه في السوق يعرضونه فقرأوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وزنه ورقاً وزنه حريراً فاشتراه قبطاً بذلك المبلغ وكان سنة اذ ذاك سبع عشرة سنة وأقام في منزله مع ماهر عليه من مدة لثمة في السجن ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة **(لامرأته)** راعيل أو زليخا وقيل اسمها هو الأول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشرته **(أكرمى شواهد)** اجعلني محل اقامته كريماً مرضياً والمعنى أحسن تعهده **(عسى أن ينفعنا)** في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا **(أوتخذوه ولداً)** أي تنبأه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما **(وكذلك)** نصب على المصدرية وذلك إشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتخصيصه أي مثل ذلك التمكن البديع **(مكننا يوسف في الأرض)** أي جعلنا فيها مكاناً يقال مكنة فيه أي ابتغى فيه ومكن له فيه أي جعل له فيه مكاناً ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكما أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم أي ما لم نمكنكم فيها أو مكننا لهم في الأرض والمعنى كما جعلنا له مثوى كريماً في منزل العزيز أو مكننا علياً في قلبه حتى أمر أمراته دون سائر حواشي به باكرام شواهد جعلنا له مكانة رفيعة في أرض مصر ولعله عبارة عن جعله وجهاً بين أهلها ومحبباً في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لأنه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى **(ولعلمه من تأويل الأحاديث)** أي توفقه لتعريف بعض المناسبات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلك كما علمني ربي سواء جعلناه معطوفاً على غاية مقدرة يساق اليها الكلام ويستدعيها النظام وكأنه قيل ومثل ذلك التمكن مكننا ليوسف في الأرض وجعلنا قلوب أهلها كافة محبة ليرتب عليه ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولعلمه بعض تأويل الأحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة العظيمة ولعل ترك المظوف عليه للاشعار بعدم كونه مراداً بالذات أو جعلناه عدلة لعمال محذوف كأنه قيل ولله الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكن دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك أن الذي عليه تدور هذه الأمور إنما هو التمكن في جانب العزيز وأما التمكن في جانب الناس كافة فتأديته الى ذلك إنما هي باعتبار اشتغالهم على ذلك التمكن فاذن الحق أن يكون ذلك إشارة الى مصدر قوله تعالى مكننا ليوسف على أن يكون هو عبارة عن التمكن في قلب العزيز أو في منزله وكون ذلك تمكيناً في الأرض بملازمة أنه عزيز فيها لاعتنا تمكين آخر يشبهه كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً من أن ذلك إشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالجواب مقتضى الدلالة على نغمة شأن المشار اليه اقحاماً لا تكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يدخل وهكذا ينبغي أن يحقق المقام وأما التمكن بمعنى جعله ملكاً يتصرف في أرض مصر بالامر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائج المتفرعة عليه كما عرفت لاعتنا مبادئه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غايته ولم يعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل

وقوعها عبداً مصححاً لجعله غايته لولايته ومواقع من التدارك في أمر السنين فأنما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الآن يراد بتعليم تأويل الأحاديث ما سبق من تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حيثئذ مكناله في أرض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولتعلمه معاني كتب الله تعالى وأحكامها ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيقضي بها فيما بين أهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وإن كان غير متأخر عن تمكينه بذلك المعنى إلا أن تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازل من النوازل متأخر عن ذلك صالح لأن يكون غايته **(والله غالب على أمره)** لا يستعصى عليه أمر ولا يمانعه شيء بل إنما أمره شيء إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شئونه المتعلقة يوسف دخولا أولياً أو متولياً على أمر يوسف لا يملكه الا غيره وقد أريد به من الفتنة ما أريد مرة فلم يكن الا ما أراد الله له من العاقبة الحيدة **(ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** أن الأمر كذلك فيأتون ويذرون زعماءهم أن لهم من الأمر شيئاً وأنى لهم ذلك وإن الأمر كله لله عز وجل أو لا يعلمون لطافت صنعه وخفايا فضله **(ولما بلغ أشده)** أي سبى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الأربعين وقيل سن الشباب وبدأ بلوغ الحلم والأول هو الاظهر لقوله تعالى **(آتيناه حاكماً)** حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكاية بين الناس وفقها أو نبوة **(وعلى)** أي تفقها في الدين وتكثيرها للتفخيم أي حكاية وعلى لا يكتنه كنهها ولا يقدر قدرهما فيها ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس أو غيرهما كيف لا وقد جعل آياتهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل **(وكذلك)** أي مثل ذلك الجزاء العجيب **(ينجزى المحسنين)** أي كل من يحسن في عمله فيجب أن يكون ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التي من أجلها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تأويل الأحاديث ولا حجة له الا أن يخص بعلم تأويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تنهاى أيام البلاء صرح أن بعد آتائه من جملة الجزاء وأما رؤيا صاحبي السجن فقد ثبت عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلمه الاحسان له وتنبه على أنه سبحانه إنما آتاه ما آتاه لكونه محسناً في أعماله متقياً في عصفوان أمره هل جزاء الاحسان الا الاحسان **(ورأوته التي هو في بيتها)** رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما أمر أمراته باكرام شواهد وقوله تعالى وكذلك مكننا ليوسف الى هنا اعتراض جى به أعوذ جازاً للقصص ليعلم السامع من أول الامر أن ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكي بتفاصيلها لغاية جملة وعاقبة حميدة وأنه عليه السلام محسن في جميع أعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يغفل بنزاهته ولا يخفى أن مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة إنما هو التمكن البالغ المقصود من كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت الإشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكننا كما فعله الجهورنا من التقريب فأنامل والمرادة المطالبة من راد برود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطلب الماء والكلام وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومما طلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرهما ما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الأفعال وإن كانت صادرة عن أحد الجانبين لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنها وهذا باب لطيف المسلك مبنى على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقام مقامه أو يطلق عليه اسمه كما في قولهم يا تدين تدين أي كما تجزى تجزى فان فعل البادى وإن لم يكن جزاء لكنه لكونه سبباً للجزاء أطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلاة واردة قراءة القرآن حيث كانت أسباب القيام والقراءة عبر عنها بهما فقيل اذا قم الى الصلاة فاذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت أسباب الأفعال المذكورة فيها نحن فيه صادرة

عن الجانب المقابل لجانب فاعلمنا فان مطالبة الدائن للماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه للباطلة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمريض الذي هو من جانب المريض وكذلك مرادها فيا نحن فيه لجلال يوسف عليه السلام نزل صدورهما عن محالهما بمنزلة صدور رسلها التي هي تلك الافعال في الصيغة على ذلك وروى جانب الحقيقة بأن أسند الفعل الى الفاعل وأوقع على صاحب السبب فتأمل ويجوز أن يراد بصيغة المخالفة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز أن يكون من الرويد وهو الرقيق والتحمل وتعديتها بمعنى تشخيصها معنى المخادعة فاعلمنا عادته **(عن نفسه)** أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد انحراده من يده وهو يتحال أن يأخذه منه وهي عبارة عن التحل في مواقفه اياها والعدول عن التصريح باسمها للحفاظ على السر أو للاستيجان بذكره وإيراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لو ائتمرت على ما أنت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الرساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستصعابه عليها مع كونه تحت ملكتها يتبادى بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والنزاهة **(وعلمت الأبواب)** قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الاثاق والاحكام **(وقالت هيت لك)** قرى بفتح الهاء وكسرهما مع فتح التاء وبناء كيناء ابن وعيط وهيت بكسر وهيت كحيت اسم فعل معناه أقبل وبادروا الامم للبيان أي لك أقول هذا كما في هيت لك على صيغة الفعل بمعنى تيتا يقال هاه يبي بكاء يحيى اذا تيا وهيت لك واللام صلة للفعل **(قال معاذ الله)** أي أعوذ بالله معاذاً عما تدعيني اليه وهذا اجتناب منه على آثم الوجوه وإشارة الى التعليل بأنه متكرهاتل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذلك الا لأنه عليه السلام قد شاهده بما أراه الله تعالى من البرهان النير على ماهو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل **(انه ربى أحسن مثواي)** تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثراً عندها وداعياً لها الى اعتبارها بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا تتكاد تقبله لما سولت لها نفسها والضمير للشأن ومدار وضعه موضع ادعاء شهرته المعنوية عن ذكره وفائدة تصدير الجملته الى ابدان فضامة مضمونها مع ما فيه من بادة تقر بروفي الذهن فان الضمير لافهم منهم من أول الامر الا شأن مبهمه خطر فيق الذهن متراً بالمسابقة فيتمكن عندو ودعاه فضل تمكن فكأنه قيل ان الشأن الخطير هذا وهو ربى أي سيدى العزيز أحسن مثواي أي أحسن تعبدى حيث أمرك يا كرامى فكيف يمكن أن أسى اليه بالحياة في حرمة وفيه ارشاد لما الى رعاية حق العزيز بالظف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربى خبران وأحسن مثواي خبر ثان أو هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى أن الحال هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لهما من عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين في الافتصار على ذكر هذه الخالقين غير تعرض لاقتضاء الامتناع عمادته اليه ايدان بأن هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالة كونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلاً وقوله تعالى **(انه لا يفلح الظالمون)** تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والقلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى أفلح دخل فيه كاصبح وأخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائناً من كان فدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساسة والعصاة لامر الله تعالى دخولاً أولياً وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم ولزنى بأهلهم **(ولقد همت به)** بمخالطته اذ هم لا يتعلق بالاعيان أي قصدتها وعزمت عليها عزماً جازماً لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مبادئها وفعلت ما فعلت من المراودة وتقليق الأبواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال آخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الحرب نحو الباب والتأكيد دفع

ما سوى يوم من احتفال افلاها عما كانت عليه بما في مقاتله عليه السلام من الزواجر **(وهم بها)** بمخالطتها أي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلاً جليلاً لا يكاد يدخل تحت التكليف لانه قصدها قصداً اختيارياً لا يرى الى ما سبق من استعصامه المنهي عن كمال كراهيته له ونفرت عنه وحكمه بعدم افلاح الضالمين وهل هو الانسجول باستحالة صدورهم منه عليه السلام تسجيلاً محكماً وانما عبر عنه بالهم لجرد وقوعه في حجة ههنا في الذكر بعار يبق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد أشير الى تباينهما حيث لم يلزما في قرن واحد من التعبير بأن قيل ولقد هما بالمخالطة أو هم كل منهما بالآخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسوى وعقب الثاني بما يعفو أثره من قوله عز وجل **(لولا أن رأى برهان ربه)** أي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنى وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لما شاهده واصله الى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتتخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نفاق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان النير على ماهو عليه في حد ذاته أقيح ما يكون وأوجب ما يجب أن يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنى لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهداً له من قبل استمر على ماهو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل محض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص أئمة الصناعة على أن لولاً في أمثال هذه المواضع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقيد الحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلننا عن آلمتنا لولا أن صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم أصلاً وقد جوز أن يكون وهم بها جواب لولا جرياً على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فاهم حيث نزل على معناه الحقيقي فالمعنى لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث اتنى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه اتنى الهم رأساً هذا وقد فسرهم عليه السلام بأنه عليه السلام حل الحيمان وجلس المجلس الختان وأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها ورؤيته للبرهان بأنه سمع صوتاً اياك وياها فلم يكثر ثم وثم الى أن تمثل له يعقوب عليه السلام عائداً على أئمنته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل بدت كف فيها بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلاً فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجريل أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف أتمتع عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى مثال العزيز وقيل ان كل ذلك الاخرافات وأباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان ويل من لا كهاولفها أو سمعها وصدقها **(كذلك)** الكاف منصوب المحل وذلك إشارة الى الارادة المدلول عليها بقوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه أي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناهم برهاننا فيما قبل أو الى التثبيت اللازم له أي مثل ذلك التثبيت ثباته **(لنصرف عنه السوء)** على الاطلاق فدخل فيه خيانة السيد دخولاً أولياً **(والفحشاء)** والزنى لانه مغرط في القبح وفيه آية بيته وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالمصيبة ولا تفرجه اليها قط والا لقل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرى ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب **(انه من عبادنا المخلصين)** تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين أخاصهم الله تعالى لطاعته

بأن يحضنهم عما هو قاذح فيها وقرى على صيغة الفاعل وهم الذين أخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زميرتهم من أول أمره بقضية الجملة الاسمية لأن ذلك حدث له بعد أن لم يكن كذلك فانضم مادة احتال صدورهم بالهم بالسوء منه عليه السلام بالكلفة **(واستبقا الباب)** متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وقوله كذلك إلى آخره اعتراض جى به بين المعطوفين تقرير لزواجه عليه السلام كقوله تعالى وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض والمعنى لقد همت به وأنى هو واستبقا الباب أى تسابقا إلى الباب البرأى الذى هو المخلص ولذلك وجد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر وأوصل الفعل إلى المجرور نحو وإذا كالوهم أو ضمن الاستباق معنى الابتدار واستناد سبق في ضمن الاستباق إليها مع أن مرادها مجرد منع يوسف وإذا كالوهم أو ضمن إلى الباب لأنها لما رآه يسرع إلى الباب ليتخلص منها أسرعته هي أيضا لتسببه إليه وتمنعه عن الفتح والخروج أو عبر عن اسراعها أثره بذلك مبالغة **(وقدت قيصة من دبر)** اجتذبه من وراءه فانشق طولاً وهو القد كما أن الشق عرضاً هو القط وقد قيل في وصف على رضى الله عنه أنه كان إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط واستناد القد إليها خاصة مع أن لقوة يوسف أيضا دخل فيه أما لأنها الجزء الأخير للعللة التامة وأما للايدان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب أو لخوف الانقضاح **(وألفيا سيدها)** أى صادفها وزجها وإذا لم يكن مملوكاً ليوسف عليه السلام صحيحاً لم يقل سيدهما قيل ألفياه مقبلاً وقيل كان جالسا مع ابن عم المرأة **(لدى الباب)** أى البرأى كما مر. روى كعب رضى الله عنه أنه لما عرّب يوسف عليه السلام جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب **(قالت)** استناف مبنى على سؤال سائل يقول فماذا كان حين ألفيا العزيز عند الباب فقيل قالت **(ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً)** من الزنى ونحوه **(الا أن يسجن أو عذاب أليم)** ما نافية أى ليس جزاؤه الا السجن أو العذاب الأليم قيل المراد به الضرب بالسياط أو استنفامية أى أى شئ جزاؤه غير ذلك أو ذلك ولقد أتت في تلك الحالة التي تدش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضها وهما تيرته ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رأيه في استعصائه عليها وعدم موافاقته على مرادها بالقائه الرعب في قلبه من مكرها طمعا في موافقتها لما كرها عند بأسها عن ذلك اختياراً كما قالت ولئن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين ثم أنها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام أمراً محققاً مفروغاً عنه غنياً عن الاخبار بوقوعه وأن ما هي عليه من الأفاعيل لاجل تحقيق جزائها فهي تريد ابقاعه حسبما يقتضيه قانون الالة وفي إيهام المرید تهويل لسان الجزاء المذكور بكونه قانوناً مطرداً في حق كل أحد كائن من كان وفي ذكر نفسها بعنوان أهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما تنوخواه بحكم الغضب والحمة **(قال)** استناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال **(هى راودتنى عن نفسى)** أى طالبتنى للدواتة لاني أردت بها سوءاً كما قالت وإنما قاله عليه السلام لتزيه نفسه عما أسند إليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الأمرين الأمرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاة لحسن الأدب مع الأيماء إلى الاعراض عنها **(وشهد شاهد من أهلها)** قيل هو ابن عمها وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكماً يرجع إليه الملك ويستشير به وقد جوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من حيث لا تشمر فأغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وإنما ألقى الله سبحانه الشهادة إلى من هو من أهلها ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنى للثمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبياً في المهد أنطقه الله تعالى ببرائته وهو الاظهر فإنه روى أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال تكلم أو يعقوبهم صفاراً من ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريح وعيسى عليه السلام وأما الحكم عن أبي هريرة رضى الله عنه وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من أهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم **(ان كان قيصة قد من قبل)** أى ان علم أنه قد من قبل من قبل ونظيره ان أحسنت إلى فقد أحسن إليك فيما قيل فان معناه ان تمتد باحسانك إلى ما عتد باحسانى السابق إليك **(فصدقت)** بتقدير قد لا تقرب الماضى إلى الحال أى قد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهى وان لم تصرح بأنه عليه السلام أرادها سوءاً الا أن كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه أسند إليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانها كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعرضان للانشاءات **(وهو من الكاذبين)** وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مدعى ما وتاليها ليست من الشهادة فى شئ وإنما ذكرت توسيعاً لآثاره وأرخا للعنان إلى جانب المرأة باجرا ما عصى بمقتضى الحال في الجملة بأن يقع القدر من قبل بدفعها له عليه السلام عن نفسها عند ارادته المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريباً لما هو المقصود بأقامة الشهادة أعنى مضمون الشرطية الثانية التى هي قوله عز وجل **(وان كان قيصة قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين)** إلى التسليم والقبول عند السامع لكونه أقرب إلى الوقوع وأدل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها أيضاً ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الأقوال أو بتقدير القول أى شهد قائلاً الخ وتسببها شهادة مع أنه لاحكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها بل لأنها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها أما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بها من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايدان بأن ذلك ظاهر من الملامح أيضاً وأما على تقدير كونه غيره فلا ن ظاهر أن صورة الحال معلومة له على ما هي عليه أما مشاهدته أو اخباراً فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم باتفاه تالى الاولى ويوقع تالى الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساقاً مأموماً من الجرح والطنع حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهراً بين نفعها ونفعه وأما حقيقة فلا تردد فيها قطعاً لأن الشرطية الاولى تعليق له دقياً بما يستحيل وجوده من قد القعيص من قبل فيكون محالاً لا محالة ومن ضرورته تقرير كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بأمر محقق الوجود وهو القدر من دبر فيكون محقق البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة زوجي نفسك فقال على زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لى زوج فقد وجئت نفسى قبل الرجل فاذا لازوجها فهو نكاح اذ تعليق الشئ بأمر مقرر ترجيح له وقرى من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعاً عن الاضافة كقبول وبعد وبالفصح كاتهما جمعاً لعين الجنتين فتعسا الصنف للتأنيث والعلية وقرى بسكون العين **(فلسا رأى قيصة قد من دبر)** كأنه لم يكن رأى ذلك بعد أو لم يتدبره فلما ناله هو علم حقيقة الحال **(قال انه)** أى الأمر الذى وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة سوء التى أسندت إلى يوسف وتدير عقوبته بقولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلى آخره لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاستناد عنها بل مع قطع النظر عن تلك لئلا يخلو قوله تعالى **(من كذبك)** أى من جنس حيلتك ومكر نكأتها النساء لامن غير كمن عن الافادة وتدير العقوبة وان لم يمكن تجريد عن الاضافة إليها لأنها لما صورته بصورة الحق أفاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق لمن عريق

ولاحسباً هذا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غاية هند

ورجع الضمير إلى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً فقط عدول عن البحث عن أصل ما وقع فيه النزاع من أن ارادة

السوء عن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعل السوء أو للامر المعبر به عن طمعها في يوسف عليه السلام بأباه
الخبر فان الكيد يستدعي أن يعتبر مع ذلك هناء آخر من قبلها كما أشرنا اليه **(ان كيدك عظيم)** فانه أطف وأعلق
بالقلب وأشد تأثيرا في النفس. وعن بعض العلماء اني أخاف من النساء مالا أخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان
كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدك عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال
(يوسف) حذف منه حرف النداء لقر به وكال نقطته للحديث وفيه تقرب له وتلطيف لمحلله **(أعرض عن هذا)**
أي عن هذا الامر وعن التحديث به واكتفه فقد ظهر صدق وزاهدك **(واستغفرى)** أنت باهذه **(لذنبك)**
الذي صدر عنك وثبت عليك **(الملك كنت)** بسبب ذلك **(من الخاملين)** من جملة القوم المتعمدين للذنب أو
من جنسهم يقال خطي اذا اذنب عدوا هو تعليل الامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز
رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة **(وقال نسوة)** أي جماعة من النساء وكن خسا
امرأة الساق وامرأة الحياض وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد جمع
المرأة وتأنيته غير حقيقى كتأنيث الله وهي اسم جماعة النساء والثبة وهي اسم جماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تأنيث
التأنيث **(في المدينة)** ظرف لقال أي أشعن الامر في مصر أو صفة لنسوة **(امرأة العزيز)** أي الملك يردن
تلفيز واصنافهن لها اليه بذلك العنوان دون أن يصرحن باسمها أو اسمه ليست لقصد المبالغة في إشاعة الخبر بحكم أن
النفس الى سماع أخبار ذوى الاخطار أميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشباع في لومها
يقولن **(تراودناها)** أي تطالبه بمواقعة لها وتمحل في ذلك وتخادعه **(عن نفسه)** وقيل تطلب منه الفاحشة
وايثارن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والغنى من الناس الشاب وأصله في لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه
فتية وفتيان ويستعار للملوك وهو المراد هنا في الحديث لا يقل أحدكم عدي وأمتي وليقل فتى وفتاتى وتعبيرهن
عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا تستلزم الاضافة اليه الحوان بل ربما يشعر بنوع عزة
لابانة ما بينهما من التباين بين الناس عن المالكية والملوكية وكل ذلك لترية ما من من المبالغة والاشباع في اللوم
فان من لا زوج لسان النساء أو لها زوج دنى قد تمرد في مراودة الأخدان لاسيا اذا كان فيهم علو الجناح وأما التي
لها زوج وأى زوج عزيز مصر فراودتها لغيرة لاسيا لبعدها الذي لا كفارة بينها وبينه أصلا وتساويها في ذلك غاية الغنى
ونهاية الضلال **(قد شغفها جبا)** أي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابها أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل
الى قوادها وقرى شعفا بالعين من شغف البعير اذا هناه فأحرقة بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما
الشغف الحب القاتل والشغف حب دون ذلك وكان الشعي يقول الشغف حب والشغف جنون والجملة خبر ثان أو
حال من فاعل تراود أو من مفعوله وأيا ما كان فهو تكرير للوم وتأكيد للعدل ببيان اختلال أحوالها القلبية كاحوالها
القالية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الانية مصير الى الاستدلال على الأجل بالآخى ومن حيث اللمية ميل
الى تمهيد العذر من قبلها ولئن بذلك المقام وانتصاب جبا على التميز لنقله عن الفاعلية اذ الأصل قد شغفها جبا كما أشير
اليه **(انا لنراها)** أي نعلمها على ما تاتىها للشاهد في العيان فصارت من المراودة والمحببة المقرطة مستقرة **(في ضلال)**
عن طريق الرش والصواب أو عن سنن العقل **(مبين)** واضح لا يخفى كونه ضلالا على أحد أو مظهر لآمرها بين الناس
فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين للموم والتشجيع وتسجيل عليها بأنها في أمرها على خطأ عظيم وإنما لم يقن
انها في ضلال مبين اشعارا بأن ذلك الحكم غير صادر عنهم مجازة بل عن علم ورأى مع التويع بأنهن متزهات عن

أمثال ما هي عليه **(فما سمعت بمكرهن)** باغتيالهن وسوء قائلتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني
وهو مقتها وتسيته مكر الكونه خفية منها كسكر الماكر وان كان ظاهرا لتغيرها وقيل استكتمت سرها فأفشيت عليها
وقيل إنما كان ذلك لترين يوسف عليه السلام **(أرسلت اليهن)** تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس
المذكورات **(وأعدت)** أي أحضرت وهيات **(لهن متكأ)** أي ما يتكئن عليه من الخاروق والوسائد أو رتب
لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كمادة للمتربين ولذلك نهى الرجل أن يأكل
متكئا وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان أي طعمنا قال جميل

فظلنا نعمة واتكأنا وشرنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكى على المقطوع بالسكين وقرى
بغير همز وقرى بالمد بشباع حرله الكاف كتنزح في متزح وينباع في ينبع وقرأ متكأ وهو الاترج وأنشدوا
وأهدت متكأ لبنى أبيها تحب بها الشمشة الوفاق

أو ما يقطع من متكأ الشيء اذا بكته ومتكأ من تكى اذا أتكى **(وأنت كل واحدة منهن سкина)** لتستعمله في قطع ما يعبد
تطعمه وأقدم بين أيديهن وقرب اليهن من اللحوم والقوا كد ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سبق من تقطيع أيديهن
(وقالت) ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين وأعمالها في أيديهن من القوا كدواضرباها والعطف بالواو ربما
يشير الى أن قولها **(أخرج عليهن)** أي ابرهن لهن لم يكن عقوب ترتيب أموهن ليم غرضها من استغفالهن **(فأبأرأته)**
تطعمه على قدر استيعابه الأمر ما خرج ووج ينسحب عليه الكلام أي يخرج عليهن فأرأته وانما حذف تحقيقا لمجاورة وتبين
كأنها تبتعد ذكر عروجه عليهن كاحذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا أتيتك
بمقال أن يذالك طرفك وفيه ايدان بسرعة مثاله عليه السلام بأمرها فيا لا يشاهد مضرة من الأفاعيل **(أكبرته)**
سلطه وعن حصة الفائق وجماله الرائق فان ضل جماله على جمال كل جيل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى ثلاثا
وجه على الحدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى أكبرن حسن والماء للسكر أو ضمير راجع الى يوسف
عليه السلام على حذف اللام أي حسن لمن شدة الشيق كما قال المنبج

خف الله واسترذا الجمال بيرقع فان لححت حاضت في الحدود والعوائق

(وقطعن أيديهن) أي جرحنها بمساقى أيديهن من السكاكين لغرض دهشتن وخروج حركات جوارحن عن منهاج
الاختيار والاعتدال حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك
لم يألين بذلك ولم يشمرن به **(وقلن حاش الله)** تنزيه الله سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعبجا من قدرته على
مثل ذلك الصنع البديع وأصله حاشا كما قرأه أبو عمر وفي الدرج خذفت ألفه الأخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى
التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فغنى حاشا الله تنزيه الله وبرائة الله وهي
قراءة ابن مسعود رضى الله عنه واللام لبيان التزم والمبرأ كما في سقيالك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة أبي السمال
حاشا بالتونين وقراءة أبي عمر وبجذف الالف الأخيرة وقراءة الاعمش بجذف الاولى فان التصرف من خصائص
الاسم فيدل على تنزيه منزلته وعدم التونين لمراعاة أصله في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب
الالف الى الياء مع الضمير وقرى حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الإسقاط وحاش الاله وقيل حاشا

فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية من أن يقاروف ما رتبته به أي لطاعته أو لمكانه أو جانب المصيبة لأجل الله (ما هذا بشرا) على أعمال ما يعني ليس وهي لغة أهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرى بشر على لغة تميم وبشرى أي بعدد شترى تميم نفي عن البشرية لمشاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يجد مثاله في البشر وتصره على الملكية بقولن (أن هذا إلا ملك كريم) بناء على ما ذكر في العقول من أن لاسي أحسن من الملك كالكرب فيها أن لا أتمج من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بها كل مثاه في الحسن والقيع وغرضه وصفه بأخصى مراتب الحسن والجمال (قالت فذلكن) الفاء نصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعباد الذي وصفته به لأن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والانتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدا والموصول خبره والمعنى أن كان الأمر كما قلن فذلكن الملك الكريم الذي من المراتب البشرية هو (الذي لمتني فيه) أي غيرتني في الاختيار به حيث وبأن يجعل يسبق الى العزيز ووضعت قدره يكون من المعاليك أو بالعباد الذي وصفته به فيما سبق بقولن امرأة العزيز عشقت عبدك الكنعاني فهو خير لمبدأ محذوف أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في نفسك وقلن فيه وفي ما قلن فالآن قد علين من هو وما هو لكن فينا وأما ما يقال معنى أنك لن لم تصورته بحق صورته ولو صورته بما عاينته لعذرنتي في الاختيار به فلا يلائم المقام فإن مرادها بدعوتين وتمسك مأمده من تبيكته وتدينين على ما صدر عنهن من اللوم وقد علمت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال حق المعترف قبل ظهور معذرتيه وقد قيل في تحليل المسكبة أن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو أيضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتني فيه فإن عتوان العصمة مما يتألف بمشية مراتبها ثم بعدما أقامت عليها المجدد وأوصحت لدهن عذرها وقد أصابهن من قبله عليه السلام ما أصابها باحت لم يبقه مرها فقالت (ولقد راودته عن نفسه) حسبما قلن وسمعت (فاستعصم) استعصم طالبا للعصمة وهو ما بمبالغة يدل على الاستماع البليغ والتحفظ الشديد كما أنه في عصمة وهو يحتدف الاستزادة منها كما في استعصم واستجمع الرأي وفيه برهان نير على أنه لم يصدر عنه عليه السلام شيء على استعصامه بقوله معاذ الله من المم وغيره اعترف لمن أولا بما كان يستعصم من مرادته وأكده اظهارا لا يهاجها بذلك ثم رادت على ذلك أنه أعرض عنها على أبلغ ما يكون ولم يعل بها قط ثم زادت عليه أيضا أنها مستمرة على ما كانت عليه غير مرغوبة عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت (ولئن لم يفعل ما أمره) أي أمره فيما سألني ثم لم يفعل قياما مضي خذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير كما في أمرتك الحبيب فالضمير الموصول أو أمرى إليه أي موجب أمرى ومقتضاه فامضورية والضمير ليوسف وعبرت عن مرادها بالامر اظهارا لجرىبان حكومتها عليه واقتضاه للاستئصال بأمرها (ليسجنن) بالنون المثقلة آتت بنا الفعل للفعل جريا على رسم الملوك أو أياها لمرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لأمرها كأنه لا يدخل بينهما فعل فاعل (وليكونا) بالخففة (من الصالحين) أي الأدلاء في السجن وقد قرى القملان بالثقل ولكن المشبهة أولى لأن النون كانت في المصحف ألفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موحدة للضم وجوابه سادسد الجوابين ولقد أنت بهذا الوعيد المنطوق على فنون التأكيده يحضر من يعلم يوسف عليه السلام أنها ليست في أمرها على غيبة ولا خيفة من أحد فتضيق عليه الحيل وتغيابه العائل ويصحن له ويرشده الى موافقتها ولما كان هذا الأبراق والارتداد منها مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قيل (قال) منا جبارا لربه عز سلطانه (رب السجن) الذي أوعدتني بالانقلاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (أحب ال) أي أتر عندي لانه مشقة قليلة نافذة أثرها راحت جارية أبدية

(ما يدعوني اليه) من مؤانيتها التي تؤدي الى الشقا والعذاب الآليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبنى على ما مر من اكتشاف الحقائق لديه وبرز كل منها بصورتها اللاحقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة عجة لاداعته اليه وانما هو والسجن شران أهونهما وأقربهما الى الايثار السجن والتعير عن الايثار بالحجة لحسم مادة ملذعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقصا على ذكر السجن من حيث أن الصغار من فروعه ومستتبعاته واستاد الدعوة اليهن جميعا لأن النسوة رغبته في مطاوعتها وخوفه من مخالفتها وقيل دعوته الى أنفسهن وقيل انما ابلى عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الأولى به أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (والانصرف) أي أن لم تصرف (عني كيدهن) في تحييب ذلك الى وتحسينه لدى بأن تفتني على ما أنا عليه من العصمة والعفة (أحب اليهن) أي أمل الى اجابتهن أو الى أنفسهن على قضية الطيعة وحكم القوة النبوية وهذا يرجع منه عليه السلام الى اطلاق الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن أنفسهن ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار أن لاطاعة له بالمداومة كقول المستفيضة أدركني والاهلكت لانه يطلب الاجبار والالقاء الى العصمة والعفة وفي نفسه دابة تدعو الى هوانه والصبوة الميل الى الهوى وقته الصبا لأن النفوس تصوبها لطيبينسيها وروحها وقرى (أحب اليهن من الصباة) وهي رقة الشوق (وأكر من الجاهلين) الذين لا يعاملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه لهم والجاهل سواء أومن السفها بارز كتاب ما يدعوني اليه من القبايح لأن الحكيم لا يعمل القبيح (مستجاب له ربه) دعاء الذي تصمته قوله والانصرف عن كيدهن الخ فإن فيه استدعاء لصرف كيدهن على أبلغ وجه وألفه كآمر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا ينبغي من اظهار اللطف (فصرف عنه كيدهن) حسب دعائه وقته على العصمة والعفة (أنه هو السميع) لدعاء المضطرب اليه (العليم) بأحوالهم وما يصلحهم (ثم بدا لهم) أي ظهر للعزيز وأصحابه المتصددين للحل والمقدد رؤسا اكتفوا بأمر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك (من بعد ما رأوا الآيات) الصارقة لهم من ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على برائه عليه السلام وما على هذا المصداق أو الى المقهور من السابق والمصدر المدلول عليه بقوله (ليسجنن) والمعنى بداهم بداء أو رأى أو سجنهم المقهور قالن والله ليسجنن فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدد حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الاستئصال لمرأة زوجها وقتلها في الذرورة والقارب وكان مطوعة لما تقوده حيث شامت قال السدي أنها قالت للعزيز ان هذا عبد العبراني قد فضحتني في الناس يخبرهم بأني راودته عن نفسه فاما أن تأذن لي فأخرج فأعذر الى الناس وأما أن تحذم عني ولقد أراحت بذلك تحقيق وعيدها ثلثين به عريكته وتقاضا قروته لما انصرف من جبال رجائها عن استتباعه بمرض الجمال والترغيب بنفسها وبأعوانها وقرى (للسجنن) على صيغة الخطاب بأن غاطب بعضهم العزيز ومن يله أو العزيز وجعله على وجه التعظيم أو غاطب به العزيز ومن عتده من أصحاب الرأي المباشرين للسجن والحبس (حتى حين) الحين انقطاع قالة الناس وهذا ينادي الرأي عند العزيز وذويه وأما عندها فهي بذلة السجن ويسخر لها ويحسب الناس أنه المحرم وقرى (حتى حين بلغة هذيل (ودخل معه) أي في محبته (السجن تينان) من تينان الملك بواليكه أحدهما شرابي والآخر خيازه روى أن جماعة من أهل مصر ضموا لها مالا ليسا الملك في طعامه وشرابه فاجابهم الى ذلك ثم أن الساقى تكل عن ذلك ومعنى عليه الحجاز ضم الحين فلما حضر الطعام قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الخبز مسموم وقال الحجاز لا تشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشربه

فشر به فلم يضربه وقال للخياز كله فأبى فحرق بدابة فهلكت فأمر بحبسها فاتفق أن أدخلها معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة وتأخير السجن عن الظرف لأيهما العكس أن يكون الظرف خيرا مقدما على المتأخر وتكون الجملة سالما من فاعل دخل فاعل **﴿قال أحدهما﴾** استئناف مبنى على سؤال من يقول ما صنعتا بعد ما دخلنا معه السجن فأجيب بأنه قال أحدهما وهو الشراي **﴿أنى أرى﴾** أى رأيتى والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية **﴿أعصر خيرا﴾** أى عبا سعاد بما يؤول إليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للخب وفي قراء ابن مسعود رضى الله عنه أعصر عبا **﴿وقال الآخر﴾** وهو الخياز **﴿أنى أرى أحل فوق رأسى خيرا﴾** تأخير المفعول عن الظرف لما مر آتفا وقوله **﴿تأكل الطير منه﴾** أى تنهس منه صفة للخير أو استئناف مبنى على السؤال **﴿نبئنا تأويله﴾** بتأويل ما ذكر من الرؤىين أو ما رآى بأجراء الضمير بجرى ذلك بطريق الاستعارة فإن اسم الإشارة يشار به إلى متعدد كما في قوله

فيها خطوط من سواد وبلى كأنه في الجملد توليع البق

أى كأن ذلك والسرى المصير إلى إجراء الضمير بجرى اسم الإشارة مع أنه لا حاجة إليه بعد تأويل المرجع بما ذكر أو بما قرأ أن الضمير إنما تعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من أحواله فلا يتسنى تأويله بأحد الاعتبارين إلا بإجرائه بجرى اسم الإشارة الذى يدل على المشار إليه بالاعتبار الذى جرى عليه في الكلام فاعل هذا إذا قاله معا أو قاله أحدهما من جهتهما معا وأما إذا قاله كل منهما أثر ما قص مارآه فالحطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة أحدهما من جهتهما لتعدد المرجع بل عبارة كل منهما تبئى بتأويله مستفرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكى على طريقة قوله عز وجل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به **﴿أنا نراك﴾** تعليل لعرض رؤىهما عليه واستفسارها منه عليه السلام **﴿من المحسنين﴾** من الذين يجيدون عبارة الرؤى لما رآه يقص عليه بعض أهل السجن رؤىه فيؤولها له تأويل لا حسنا أو من العلباء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله أو من المحسنين إلى أهل السجن أى فأحسن إلينا يكشف غمنا إن كنت قادرا على ذلك. روى أنه عليه السلام كان إذا مرض منهم رجل قام عليه وإذا ضاق مكانه أوسع له وإذا احتاج جمع له وعن قتادة رضى الله عنه كان في السجن ناس قد انقطع رجائهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا وتوجروا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فن أنت يافى فقال أنا يوسف ابن صنى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله إبراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خلبت سيديك ولكي أحسن جوارك فكفى في أى بيوت السجن شئت وعن الشعبي أنها تعالاه ليتحنه فقال الشراي أرائى في بستان فاذا بأصل حيلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخياز أرائى وقد رآسى ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة وإذا سابع الطير تنهس منها **﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾** في مقام كنه أحسب عادتكما المطردة **﴿الأنباتكما بتأويله﴾** استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى لا يأتيكما طعام في حال من الأحوال إلا حال ما نبتا كما به بأن نبت لكاهمته وكيفيته وسائر أحواله **﴿قبل أن يأتيكما﴾** وإطلاق التأويل عليه أما بطريق الاستعارة فإن ذلك بالنسبة إلى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر إلى ما رآى في المنام وشبهه له وأما بطريق المشاكلة حسبا وقع في عبارتهما من قولها نبئنا بتأويله ولا يبعد أن يراد بالتأويل الشئ الأقل لا المسأل فانه في الأصل جعل شئ أقل

إلى شئ آخر فكما يجوز أن يراد به الشئ يجوز أن يراد به الأول فاللهنى الأنباتكما بما يؤول إليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول لها اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدهن كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهيمهما من الأمور المترتبة قبل وقوعها وإنما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريضا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص إليه بما استعبراه من الرؤىين المتعلقةين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قصا من الرؤىين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما إلا أخبرتكما بآويل ما قصصنا على قول أن يأتيكما ذلك الطعام الموقت مراد به الأخبار بالاستعجال في التنبئة وأنت خير بأن النظم الكريم ظاهر في تعدد آيات الطعام والأخبار بالتأويل وتجدها وأن المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤىهما دخولا أوليا وإنما لم يكتف عليه السلام بمجرد تأويل رؤىهما مع أنه فيه دلالة على فضله لأنهما لما نعتاه عليه السلام بالاتظام في سمع المحسنين وإنما قد علمنا ذلك حيث قالانا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها إلى قبول الحق فأراد أن يخرج أثر عسا في عهده من دعوة الخلق إلى الحق فهد قبل الخوض في ذلك مقدمة يزيد بها علم بظلم شأنه وثقة بأمره ووقفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك إلى تحقيق ما توعداه وقد تخلص إليها من كلامهما فكانه قال تأويل ما قصصناه على في طرف التمام حيث رأيتما مثاله في المنام وأنى أين لكما كل جليل **﴿والحق من الأمور المستقبلة وإن لم يكن هناك مقدمة المنام حتى إن الطعام الموظف الذى يأتيكما كل يوم آيته لكما قبل آياته ثم أخبرهما بأن علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهى يؤتى من يشاء من يصطفيه للبره فقال﴾** **﴿ذلك﴾** أى ذلك التأويل والأخبار بالمفاتيح ومعنى البعد في ذلك للإشارة إلى علو درجته وبعد منزلته **﴿عما علمنى ربى﴾** بالروحى والالهام أى بعض منه أو من ذلك الجنس الذى لا يحوم حول أدراك العقول ولقد دلها بذلك على أن له علوما جمة ما سمعاه فطلعة من جهتها وشعبة من دوحها ثم بين أن نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آياته الأنبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال **﴿أنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله﴾** وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلك كما علمنى ربى وتعليل له لا للتعليل الواقع صلة للوصول لتأديته إلى معنى أنه ما علمنى ربى لهذا السبب دون غيره ولا لخصيصة الجملة الخبرية لأن ما ذكر بصدد التعليل ليس بعللة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه به أو لكونه من جنسه بل لنفس تعليل ما علمه فكانه قيل لمساذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لأنى تركت ملة الكفرة أى دينهم الذى اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا أن نشرك بالله من حين لا تركها بعد ملائمتها وإنما عبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في قلدتها بما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بلب الإيمان به للتخصيص على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليست بإيمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى أنى عمل غير صالح **﴿وهي الآخرة﴾** وما فيها من الجزاء **﴿هم كافرون﴾** على الخصوص دون غيرهم لأفراطهم في الكفر **﴿وأتبعته ملة آباء إبراهيم واسحق ويعقوب﴾** يعنى أنه إنما حاز هذه الكالات وفاز تلك الكرامات بسبب أنه أتبع ملة آياته الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالبداء والمعاد وإنما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في الإيمان والتوحيد وتغريهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملته آياته لأن التخلية مقدمة على التحلية **﴿ما كان﴾** أى ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع **﴿لنا﴾** مباشر الأنبياء لقوة نفوسنا وفور علومنا **﴿أن نشرك بالله من شئ﴾** أى شئ كان من ملك أو حتى أو أنسى فضلا عن الجاهل بالبحث **﴿ذلك﴾** أى التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ **﴿من فضل الله علينا﴾** أى

ناشئ من تأييده لنا بالنبوّة وترشيحه إيانا لقيادة الأمة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات **(وعلى الناس)** كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجب بالشكر فليل **(ولكن أكثر الناس لا يشكرون)** أي لا يوجدون فإن التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وإنما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم إعدام اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا أدلة ننظر فيها ونستعملها على الحق وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس أيضا ولكن أكثرهم لا ينظرون ولا يستعملونها اتباعا لأهوائهم فيبقون ظالمين غير شاكرين ولك أن تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث أعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد الى مدها في الانفس والافلاك وقد أعطى سائر الناس أيضا مثلها ولكن أكثرهم لا يشكرون أي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيها ذكر من أدلة التوحيد الآفاقية والآنسية والعقلية والقلبية **(يا صاحبي السجن)** أي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحة في مدار الأشجان ودار الاحزان التي تصفوها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقاتا وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق انتضاح فقال **(أرباب مفرقون)** لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كل منهم حسبا أراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله **(خير)** لهما **(أم الله)** المعبود بالحق **(الواحد)** المتفرد بالآلوهية **(القهار)** الغالب الذي لا يغالبه أحد وبعد ما تبين على فساد تعدد الأرباب بين لهما سقوط ألهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الآلوهية فقال معهما للخطاب لهما ولمن على دينهما **(ما تعبدون من دونه)** أي من دون الله شيئا **(الأسما)** فارغة لا مطابق لها في الخارج لأن ما ليس فيه صدق إطلاق الاسم عليه لا وجود له أصلا فكانت عبادتهم لتلك الأسما فقط **(سميتوها)** جعلتموها أسما وإنما لم يذكر المسمايات تربية لما يقتضيه المقام من سقاطها عن مرتبة الوجود وإذا بان أن تسميتهم في البطان حيث كانت بلا معنى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود **(أنتم وآباؤكم)** بمحض جهلكم وضلالكم **(ما أنزل الله بها)** أي تلك التسمية المستتعبة للعبادة **(من سلطان)** من حجة تدل على محبتها **(أن الحكم)** في أمر العبادة المتفرعة على تلك التسمية **(الله)** عز سلطانه لأنه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجود للكل والمالك لأمره **(أمر)** استئناف مبنى على سؤال ناشئ من قوله أن الحكم الله فكانه قيل فماذا حكم الله في هذا الشأن فقيل أمر على ألسنة الأنبياء عليهم السلام **(ألا تعبدوا)** أي بأن لا تعبدوا **(الآيات)** حسب مقتضى به قضية العقل أيضا **(ذلك)** أي تخصيصه تعالى بالعبادة **(الدين القيم)** الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونظرا **(ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** أن ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين أو لا يعلمون شيئا أصلا فيعبدون أسما سموها من تلقاء أنفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتها اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة عليه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه مجزا مغايرا لما سبق فضله عنه بتكرير الخطاب فقال **(يا صاحبي السجن)** أما أحديكما وهو الشراي وإنما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى إيهام أمر صاحبه بخلاف مشافهته بما يسوءه **(فيسق ربه)** أي سيده **(خرأ)** روى أنه عليه السلام قال لما رأيت من الكرمه وحسن الملك وحسن حاله عنده وأما القضبان الثلاثة فثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرأ عكرمة فيسقى ربه على البناء للفعل أي يسقى ما يروى به **(وأما الآخر)**

وهو الخبز **(فصلب فتأكل الطير من رأسه)** روى أنه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة أيام تمر ثم تخرج فتقتل **(قضى)** أي أتم وأحكم **(الأمر الذي فيه تستفتيان)** وهو ما رأياه من الرؤيتين قطعا لما له الذي هو عبارة عن نجاه أحدهما وهلاك الآخر كما يوجهه استناد القضاء اليه اذ الاستفتاء إنما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتي الفقيه في الحادثة أي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاء في حكمها وكذا الإفتاء فإنه يقال أفتي فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال أفتي في حكمها أو جوابها بكذا وبما هو علم في ذلك قوله تعالى يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتأويله بقولها نبأنا بتأويله وإنما عبر عن ذلك بالأمر وعن طلب تأويله بالاستفتاء فهو لا الأمر وتفخيا لشأنه اذ الاستفتاء إنما يكون في النوازل المشككة الحكم المهمة الجواب وإثارة صيغة الاستفتاء مع سبق استفتائهما في ذلك لما أنهما يصدده الى أن يقضى عليه السلام من الجواب وطره واستناد القضاء اليه من أحوال أماله لانه في الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر في عالم المثال تلك الصورة وأما توحيد مع تعدد رؤياهما فإراد على حسب ما وحده في قولها نبأنا بتأويله لا لأن الأمر ما تبينهما وبسببنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتياه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة لآله وعاقبته فأمل وإنما أخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره وتأكيده وقيل لما عبروا بهما جحدا وقالوا ما رأينا شيئا فأخبرهما أن ذلك كان صدقنا أو كذبنا ولعل الجحود من الجحاذ لا داعي الى جحود الشراي إلا أن يكون ذلك لمرأته جانيه **(وقال)** أي يوسف عليه السلام **(لذي ظن أنه ناج)** أوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسب ما يفيد قوله تعالى قضى الأمر الذي فيه تستفتيان وهو السرق وإثارة ما عليه النظم الكريم على أن يقال الذي ملته ناجيا **(منهما)** من صاحبه وإنما ذكر يوسف نتيجة تهديد المناط التوسية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وإن كان أدخل في ذلك وأدعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس يوسف فارق بدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لأصاحبه لأن التوسية المذكورة لا تدور على ظن التاجي بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى ظننت أني ملائكة حسابه فالتعبير بالوحي كما ينبغي عنه قوله تعالى قضى الأمر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الأمر أيضا اجتهدا **(أذكرني)** بما أنا عليه من الحال والصفة **(عند ربك)** سيدك وصفي له بصفتي التي شاهدتها **(فأنساه الشيطان)** أي أنسى الشراي بوسوسته والقائه في قلبه أشغال لا تعرفه عن الذكر والافلاس في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فإن توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانسا **(ذكر ربه)** أي ذكر الشراي له عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملاسة أو ذكر اخبار ربه **(قلت)** أي يوسف عليه السلام بسبب ذلك الانسا أو القول **(في السجن بضع سنين)** البضع مابين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وأكثر الأقاويل أنه لبث فيه سبع سنين وروى عن النبي عليه السلام رحم الله أخى يوسف لو لم يقل أذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعة بعد خمس والاستعانة بالعباد وإن كانت مرخصة لكن للاتفاق بتأنيب الأنبياء عليهم السلام الامخاذ بالزنايم **(وقال الملك)** أي الريان **(أرى أرى)** أي رأيت وإثارة صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية **(سبع بقرات سمان)** جمع سمن وسمنة ككرام في جمع كرمه وكرمة يقال رجال كرام ونسوة كرام **(ياكلهن)** أي أكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات أو صفة لها **(سبع عجاف)** أي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس يحذف لان فعلا وأقبل لا يصح على فعال ولكن عدل من القياس جملا لاحد التقضين على الآخر وإنما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التقين موضوع لبيان الجنس والصفة

ليست بصالح ذلك فلا يقال ثلاثة ضحان وأربعة غلاظ وأما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فليجربان الفارس والراكب
يجرى الاسماء روى أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقبيه سبع بقرات عجاف في غاية الخزال
فابتلعت العجاف السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد حبها (وأخر يابسات) أي وسبعاً آخر يابسات قد
أدركت والتوت على الخضر حتى غلبت على ما روى ولعل عدم التعرض لذلك كلفاً بما ذكر من حال البقرات (يا أيها
الملا) خطاب للاشراف من العلماء والحكام (أخبرني في رؤياي) هذه أي عبروها وبنوا حكماً وماتوا ليمن
العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم أمر رؤياه (أن كنتم للرؤيا تعبرون) أي تعلمون عبارة جنس
الرؤيا علماً مستمراً وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام إلى ما هي صور وأمثالها من الأمور الآفاقية
أو الانسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر إذا قطعته وجاوزته ونحوه وأنها أي ذكرت
ما لها وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيراً واجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما أشير إليه
واللام للبيان أو لتقوية العامل المؤخر لرعاية القواصل أو لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كأنه قيل إن كنتم
تتنبهون لعبارتها ويجوز أن يكون للرؤيا خير كان كما يقال فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلاً به مستقلاً به مستقلاً به مستقلاً به
خير آخر (قالوا) استأنف مني على السؤال كأنه قيل فإذا قال الملا لذلك فقيل قالوا هي (أضغاث أحلام) أي
أي تخالطها جمع ضغث وهو في الأصل ما جمع من أخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجتمع القوة المتخيلة من أحاديث
النفس ووساوس الشيطان وتربها في المنام والأحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها ولا إضافة بمعنى من
أي هي أضغاث من أحلام أخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تقول اليها ويعتبر بأمورها وجمعوها وهي رؤيا واحدة
مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العاتم لمن لا يملك الا فرساً واحداً وعمامة فردة أو
لتضمنها أشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنايل السبع الخضر والآخر اليابسات فتأمل حسن
موقع الأضغاث مع السنايل فله درشان التنازل (وما نحن بتأويل الأحلام) أي الملمات الباطلة التي لا أصل لها
(بما يلين) لأن لها تأويلاً ولكن لانعله بل لأنه لا تأويل لها وإنما التأويل للملمات الصادقة ويجوز أن يكون
ذلك اعترافاً منهم بقصور علمهم وأنهم ليسوا بتجارير في تأويل الأحلام مع أن لها تأويلاً كما يشعر به عدولهم عما وقع
في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال إلى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الأحلام أو عبارتها إلى
التأويل الخبي من التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآئيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل أنا أنبئكم بتأويله
(وقال الذي نجا منهما) أي من صاحبي يوسف وهو الشرايف (وادكر) بغير المعجزة وهو الفصحى وعن الحسن
بالمعجزة أي تذكر يوسف عليه السلام وشئونه التي شاهدها وصيته بتقريب رؤيا الملك وأشكال تأويلها على الملا
(بعد أمة) أي مدة طويلة وقرئ أمة بالكسر وهي التهمة أي بعد ما أنتم عليه بالنجاة وأمة أي نسيان والجملة حال
من الموصول أو من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذلك لأن حق كل من الصفة والصلة أن تكون
معلومة الانساب إلى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل إن الصفات قبل العلم بها أخبار
والأخبار بعد العلم بها صفات وأنت تدري أن تذكره بعد أمة إنما علم بهذه الجملة فلا مجال لتظلم مع نجاته المعلومة قبل
في تلك الصلة (أنا أنبئكم بتأويله) أي أخبركم به بالثقة عن عنده عليه لامن تلقاه نفسى ولذلك لم يقل أنا أنبئكم فيها
وعقبه بقوله (فأرسلون) أي إلى يوسف وأتمالم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله (يوسف أيها
الصدق) أي أرسل إليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق أحواله وجر بها لكونه

بصدده اغتنام آثاره واقتباس أنواره فهو من باب براعة الاستهلال (أفتنا في سبع بقرات سمان يا كلبن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) أي في رؤيا ذلك وأتمالم يصرح به لوضوح مراده بقريته ماسبق من معاملتهما
والدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا إمكان لتوقعه في عالم الشهادة أي بين لنا ما لها وحكمها وحيث عاب علو رتبته عليه
السلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أو لا نبشأ بتأويله وفي قوله أفتنا مع أنه المستغنى وحده
اشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره من له ملاية بأمر العامة وأنه في ذلك معبر وسفير كما أذن بذلك حيث قال
(أعني أرجع إلى الناس) أي إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إن كان السجن في الخارج كما قيل فأنبئهم بذلك
(علمهم يعلمون) ذلك ويعلمون بمقتضاه أو يعلمون فضلك ومكانك مع ما أنت فيه من الحال فتخلص منه وأتمالم
يدت القول في ذلك مجازة معه على نهج الأدب واحترازاً عن المجازة أذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اختتم دونه
لعل المذايا دون ما تعادى ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه (قال) استأنف مني على السؤال كأنه قيل فإذا
قال يوسف عليه السلام في التأويل فقيل قال (تزرعون سبع سنين دأباً) قرئ بفتح الميم وسكونها وكلاهما مصدر
دأب في العمل إذا جدد فيه وتعب واتصاه على الحالية من فاعل تزرعون أي دائبين أو تدأبون دأباً على أنه مصدر مؤكد
لفعل هو الحال أول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين يابسات وبسنيين مجدبة
فأخبرهم بأنهم يواطئون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها إذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات
السمان وتأويلها وعلف في تضاعيف ذلك على أمر نافع لهم فقال (فما حصدتم) أي في كل سنة (فقدروه في سنبله)
والآخره كيلاً يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها وعلفه عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر
وأتمالم بذلك أذ لم يكن معاداً فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها وجعلها أمراً محقق الوقوع وتأويلها
لرؤيا مصداقاً لما فيها من البقرات السمان (الاقليلاً ما تأكلون) في تلك السنين وفيه إرشاد منه عليه السلام
لهم إلى التقليل في الأكل والاعتصام على استثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوماً من قوله تزرعون سبع سنين
وبعد أتمالم ما أمرهم به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الأمر المذكور فقال (ثم يأتي) وهو عطف
على تزرعون فلا وجه لجملة بمعنى الأمر حثاً على الجد والمبالغة في الزراعة على أنه يحصل بالأخبار بذلك أيضاً
(من بعد ذلك) أي من بعد السنين السبع المذكورات وأتمالم يقل من بعدهن قصداً إلى الإشارة إلى وصفهن فإن
الضمير ساكت عن أوصاف المربع بالكلية (سبع شداد) أي سبع سنين صعب على الناس (يا أكمل مقدمتم
لن) من الحبوب المتروكة في سنايلها وفيه تنبيه على أن أمره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واستناد الأكل
الين مع أنه حال الناس فين مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بأنه تأويل لأكمل العجاف السمان واللام في لمن
ترشح لذلك فكان ما لا يفرق في السنايل من الحبوب شيء قد هي وقدم لمن كاذب يقدم للتنازل والا فهو في الحقيقة
مقدم للناس فيهن (الاقليلاً ما تحصنون) تحمزون مبذور الزراعة (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السنين
الموصوفة بما ذكر من الشدة وأكل الغلال المدخرة (عام) لم يعبر عنه بالسنة تحاشياً عن المدلول الأصلي لسان
عام القحط وتنبيهاً من أول الأمر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق (فيه يذك الناس) من الثب أي يطررون
يقال غيث البلاد إذا مطرت في وقت الحاجة أو من الغوث يقال أغاثنا الله تعالى أي أمدنا برفع المكروه حين أغاثنا
(وفي يصرون) أي ما من شأنه أن يصبر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرة ثمرتها
والتعرض لذكر مصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الثب المستمر له عادة كما اكتفى به عن ذكر تصرفهم في الحبوب

أما لأن استراحم الغيب له ليس كاستراحمه للحبوب إذ المذكور أنتوقف صلاحها على مباد أخرى غير المطر وأما المراجعة
جانب المستغنى باعتبار حاله الخاصة به بإشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تعليقه على الناس في القرارة بالقوة
وقيل معنى يعصر ون يحلون الضرر وتكرير فيه أما للاستمرار باختلاف أوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا
وهو ظاهر وعنوانان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس وأما لأن المقام مقام تصدّد منافع
ذلك العام ولا جله قدم في الموضوعين على الفعلين فإن المقصود الأصلي بيان أنه يقع في ذلك العام هذا النفع وذلك النفع
السين بمنزلة العدم بالنسبة إلى علمهم ذلك وأن يكون ذلك في الأخير لمراجعة الفواصل وفي الأول لرعاية حاله وقرئ
يعصرون على البناء للمفعول من عصره إذا أجهاد وهو المناسب للاغاثة ويجوز أن يكون المبني للفاعل أيضا أنه
قيل فيه يمات الناس وفيه يغيثون أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمحطون من أعصرت
السحابة أما بتضمن أعصرت معنى مطرت وتمديته وأما بحذف الجار وإيصال الفعل على أن الأصل أعصرت عليهم
وأحكام هذا العام المبارك ليست مستقلة من روي الملك وإنما لفها عليه السلام من جهة الوحي فيشرم بها بعدما أول
القراب بما أول وأمرهم بالتدبير للاتفاق في شأنه إبانة له ولو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وأنه يحيط بما لم يحيط به بالحد فحظ
عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبه عند استغاثته ما في منامها لا يأتيك معلما ترفقه إلا بآيات تكلموا به ولو أنما
للجنة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها أحد ولو روية ما يدل عليها في المنام (وقال الملك) بعد
ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من تعبير وقطير (أنتوني به) لما علم من عليه وفضله (فلما جاءه) أي
يوسف (الرسول) واستدعاه إلى الملك (قال ارجع إلى ربك) أي سيدك (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطن
أبيدين) أي قطنته عن شأنهن وأما ما قيل فأسأله أن يقتل عن ذلك حثا للملك على الجدي في التفتيش ليعين برأيه ويتضح
نزاهته إذ السؤال ما يبيح الإنسان على الإهتمام في البحث لنفسه عما توجه إليه وأما الطلب فما قد يسأل عن نفسه فيه ولا يزال
بما نأخا لم يترض لأمر أنه المزمع ما في منامها من مقاساة الآخر أن ومعنا أنه لا إشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا
عن مكر صاحب اعتقد ما في منامها من مقاساة الآخر أن ومعنا أنه لا إشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا
نفسه فاستعصم ولذلك أقصر على وصفه بتطبيع الأيدي ولم يصرح بما راودته من قولين أطمع من ذلك واكتفى بالإيماء
إلى ذلك بقوله (أنتوني بكيدهم علي) بجملة مبين واحترازا عن سوء قائلين عند الملك واتصاهن بالخصومة مدافعة
عن أنفسهن من ضمن بشريته لمن إلى الفساد (قال) استئناف معنى على السؤال كأنه قيل فأنما كان بعد ذلك قليل
قال الملك إثر ما لبثه الرسول الخبر واحضرهم (ما غطيتكم) أي شأنكم وهو الأمر الذي يحق لظلمته أن يطالب
المرء فيه صاحبه (أفراودتن يوسف) وعادته (عن نفسه) ورغبته في أطاعة مولاه هل وجدتن فيه شيئا
من سوء (قلن حاش لله) تزيهه له وتعجبا من نزاهته وعفته (ما علمنا عليه من سوء) بالنسبة إلى نبي جنس
السوء عنه بالتكبر وزيادة من (قالت امرأة العزيز) وكانت حاضرة في المجلس وقيل أقبلت النسوة عليها بقرنها
وقيل خافت أن يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره لبيسنن وليكونا من
الصاغرين فأقرت قائلة (الآن حصص الحق) أي ثبت واستقر أوتين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو مأخوذ
من الحصة وهي القطعة من الجملة أي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تبين حصص الأراضي وغيرها وقيل بأن
وظهر من حصن شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصص البعير مباركة أي

القاما في الأرض للناخه قال تخصصص في ضم الصفات ضامته ونا بلسي نواة ثم صبا
والذي أمر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور مظهر بشهادته من مطلق نزاهته عليه السلام
فما أصاط به عليهم من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحض العزير ولاحت عن
حال نفسه وما صنعت في ذلك بل أرادت ظهور ما هو متحقق في نفس الأمر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع
وخباتها فقالت (أفراودته عن نفسه) لأنه راودني عن نفسي (وأنه لمن الصادقين) أي في قوله حين اقتربت
عليه من راودتي عن نفسي وأرادت بالأذن زمان تكلمها بهذا الكلام لأن زمان شهادته فامل أيها المتصفح هل ترى فوق
هذه المرتبة راحة حيث لم تمالك الحصا من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الحصا وإنما تصدى عليه السلام بتعبد
هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براحة ساحتها مما قدق به لاسيا عند العزير قبل أن يحل ما عتده كما يعرب عنه قوله
عليه السلام لما رجع إلى الرسول وأخبره بكلامه (ذلك) أي ذلك التثبيت المؤدى إلى ظهور حقيقة الحال (ليعلم)
أي العزير (أي لم أخنه) في حرمة كما زعمه لأغلبا مطلقا فإن ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن
بل قيل ما ذكر من نفس ما أمره ولعله لم أره لانه حقوق السيادة لأن المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله
سيار له وإن كان ذلك بأمر الملك مما يوم الاحتياط على رأيه وأما أن يكون ذلك ثلاثا يتمكن من تقييح أمره عند الملك
تتملا لاضمانه فلا يليق بشأنه عليه السلام في الوثوق بأمره والتوكل على ربه جل جلاله (بالتعبير) أي يظهر
الغيب وهو حاله من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو هو غائب عني أو طرف أي يمكن الغيب ورأى
الاستان والأبواب المغلقة وأيا ما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الحياة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد أسبابها
(وأن الله) أي وليعلم أنه تعالى (لا يجدي كيد الخائنين) أي لا يفيده ولا يسدده بل يظهروه ويهفه أو لا يجديهم
في كيدهم إقاما للقل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا أي يضاهونهم في قولهم وفيه
تعرض بأمر أنه في خباتها أماته وبه في حياته أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما رآها آيات نزاهته عليه
السلام ويجوز أن يكون ذلك لما كيد أماته وأنه لو كان عاثا لما هدى الله عز وجل أمره وأحسن عقابه (وما أرى)
نفس) أي لا أرها عن سوء فله عليه السلام حصنا لنفسه الكريمة البرية عن كل سوء ورأى بمكانها عن التزكية
والإحباب تماثلا عند ظهور كمال نزاهتها على أسلوب قوله عليه السلام أنا سيد ولد آدم ولا خسر أو تحديا بنعمة الله عز وجل
عليه وإبرازا لسهو المشكون في شأن أعمال العباد أي لا أرها عن سوء من حيث هي هي ولا أسند هذه الفضيلة إليها
بمقتضى طبيعتها من غير توفيق من الله عز وجل (أن النفس) البشرية التي من جعلتها نفس في حد ذاتها (الأمارة
بالسوء) مائلة إلى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل إنما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما
يضمحمله (الأمارة برب) من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المبالك ومن جعلتها نفس أو هي أمارة بالسوء
في كل وقت إلا وقت رحمتي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع أي لكن رحمة ربني هي التي تصرف عنها سوء كما
في قوله تعالى ولا هم يقدون إلا رحمة (أن ربني غفور رحيم) عظيم المقرة لما يعترى النفوس بموجب طبيعتها
وبالعنف في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وإثارة الاظهار في مقام الإضمار مع التعرض لعنوان الربوبية
لثبوت مبادئ المغفرة والرحمة قبل الئثمان كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام إلى لم أخنه
ولم أكذب عليه في حال الغيبة وحت بما هو الحق الواقع وما أرى نفسي مع ذلك من الحياة حيث قلت في حقه
ما قلت وفضلت به ما فعلت أن كل نفس لأمانة بالسوء إلا ما رحم ربني أي إلا نصرا ربحها الله بالعصمة كنفس يوسف

ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيبه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره بين فعل ما فعل حتى يقين نزاهته وأنه انما سجن بظلم عظيم مع ماله من الفضل ونيابة الشأن ليلتاقه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع **(وقال الملك اتنوني في استغفله)** اجعله خالصا **(لنفسى)** وبخاصة **(فلما كلفه)** أى فأتوا به فخذف للابن بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الأمر باحضاره والخطاب معه زمان أصلا والضمير المستكن في كلفه ليوسف والبارز للملك أى فلما كلفه يوسف اثر ما أتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد **(قال انك اليوم لدينا مكين)** ذو مكانة ومنزلة رفيعة **(أمين)** مؤتمن على كل شئ واليوم ليس بميعار لمدة المكانة والأمانة بل هو أن التكلم والمراد تحديد مبدئها احترازا عن احتمال كونها بعد حين . روى أنه عليه السلام لما جاء الرسول خرج من السجن ودعا لأهله واغتسل وليس ثيابا جندا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بتغييرك من خيرى وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره ثم سلم عليه ودعاه بالعبرانية فقال ما هذا السان قال لسان أبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلما بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع منك روى في تخلكها ونعت له البقرات والسنابل وأما كتبها على مارأنا فأجلبه على السرير وفوض اليه أمره وقيل توفي تظفيري في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدتها عذراء وولدت له افرام وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من أمر الخزان كما يعرب عنه قوله عز وجل **(قال اجعلني على خزان الأرض)** أى أرض مصر أى أمرها من الإيراد والصرف **(أني حفظ)** لحاشي لا يستعقبها **(عليه)** بوجهه التصرف فيها وفيه دليل على جزاء طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وان كان من يد الجائر أو الكافر وعن مجاهد أنه أسلم الملك على يده عليه السلام ولعل ايتاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو أهم أمور السلطة اذ ذلك من تدبير أمر السنين حسبما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا مجرد عموم الفائدة وجوم الفائدة كما قيل وانما يذكر اجابة الملك الى مسأله عليه السلام من جعله على خزان الأرض ايدانا بأن ذلك أمر لا مرد له لغنى عن التصريح به لاسيا بعد تقديم ما يندرج تحته من أحكام السلطة بمخاضها من قوله انك اليوم لدينا مكين أمين ولتنبه على أن كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آله في ذلك قيل **(وكذلك)** أى مثل ذلك التمكن البليغ **(مكننا ليوسف)** أى جعلنا له مكانا **(في الأرض)** أى أرض مصر . روى أنها كانت أربعين فرسخا في أربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الأرض مستندا الى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من أول الأمر لأنه حصل بعد السؤال مالا يخفى **(يقبوا منها)** ينزل من بلادها **(حيث يشاء)** ويتخذها مبات وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون . روى أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام أما السرير فأشده به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أهلك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائى فقال قد وضعت اجلالا لك وقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوكة وفوض اليه الملك أمره وأقام العدل بمصر وأحب الرجال والنساء وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام في السنة الأولى بالننازير والدرام وفي الثانية بالحلى والجواهر وفي الثالثة بالذواب ثم بالضياع والمقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا مارأينا كاليوم ملكا أجمل وأعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم أموالهم وكان لا يبيع من أحد من המתارين أكثر من حل بعير تقسيطا بين الناس **(نصيب برحمتك)** بغطائنا في

الدنيا عن الملك والغنى وغيرهما من النعم **(من نساء)** بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة **(ولا ننزع أجر المحسنين)** بل نوفي به بكاله وفيه اشعار بأن مدار المشيئة المذكورة احسان من تصديه الرحمة المرقومة وأنها أجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الأجر العاجل قبل على سبيل التوكيد **(ولاجر الآخرة)** أى أجرهم في الآخرة فالإضافة للبلاية وهو النعم المقم الذى لا نفاد له **(خير)** لم أى المحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل **(للذين آمنوا وكانوا يتقون)** تنبيها على أن المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل **(وجاء اخوة يوسف)** عتارين لما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب أرض مصر وقد كان أرسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين **(فدخلوا عليه)** أى على يوسف وهو في مجلس ولايته **(ففرهم)** لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمقاومته اباهم ورجال وتشابه حياتهم وزيجهم في الحالين ولكون هته معقودة بهم وبمعرفة أحوالهم لاسيا في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له **(وهم له منكرون)** أى والحال أنهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاله عليه السلام في نفسه ومنزله وزيه ولا اعتقادهم أنه هلك وحيث كان انكارهم له أمرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب أخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اباهم **(ولما جيزهم بجهازهم)** أى أصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر وأقر ركبهم بما جاوز له من الميرة وقرى بكرس الجيم **(قال اتنوني بأخ لكم من أهلك)** لم يطل بأخيك مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من أنهم سألوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فأعطاهم ذلك وشرطهم أن يأتوا به لا لما قيل من أنه لما رأوه وكلموه بالعبرية قال لهم من أنتم فاني أنكركم فقالوا له نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجتنا فتمتار فقال لهم لعلكم جتتم عيوننا فقالوا نعم الله نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم آتم قالوا كذا اثني عشر فهلك لنا واحد فقال كم آتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الحادى عشر قالوا ههنا أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة واتنوني بأخيك من أهلك وهو يجعل رسالة من أهلك حتى أصدقكم فاقترعوا فأصاب القرعة شمعون فغلفوه عنده اذ لا يساعده وروى الأمر بالانتيان به عند التجيز ولا الحث عليه بأية الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا اعتد بهم بالانتيان به بطريق المراودة ولا تعليمهم عند ايهم ارسال أخيه بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على أن استبقاه شمعون لو وقع لكان ذلك مملكتهم عندها كل قيل وقال **(الأترون انى أوفى الكيل)** أنه لكم وإشعار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجيز للدلالة على أن ذلك عادة له مستمرة **(وأنا خير المنزلين)** جملة حالية أى ألا ترون انى أوفى الكيل لكم ايضا مستورا والحال انى في غاية الاحسان في انزالكم وضياقتكم وقد كان الأمر كذلك وتخصيص الرؤية بالايضا لوقوع الخطاب في أثناءه وأما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك أخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحشم على تحقيق ما أمرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايضا لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل وأما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء **(فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي)** من بعد فضلا عن إيفائه **(ولا تقرين)** بدخول بلادى فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهى أوتنى معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على أنهم

كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى وأن ذلك كان معلوما له عليه السلام ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ أى سنخادعه عنه ونختال في ابتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مثاله ﴿وانا فلعاون﴾ ذلك غير مفترط فيه ولا متواتر أولفادرون عليه لانتعاف به ﴿وقال﴾ يوسف ﴿لفتيانه﴾ غلبانه الكياليين جمع في وقرى لفتيته وهي جملة قلة له ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ فانه وكل بكل رجل رجل يعنى فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأداما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم بأخيه كما يؤذن به قوله ﴿لعلهم يعرفونها﴾ أى يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك أولكى يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله ﴿إذا انقلبوا الى أهلهم﴾ فان معرفتهم لما مقيدة بالرجوع وتفرغ الاوعية قطعاً وأما معرفة حق التكرم في ردها فهي وإن كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداءها حيث قيدت به ﴿لعلهم يرجعون﴾ حسباً أمرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سباعتدا عواز البضاعة من أقوى الدواعي الى الرجوع وما قبل انما فعله عليه السلام لما لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته ثمنها فكلام حق في نفسه ولكن بأباه التعليل المذكور وأما أن عليه الجمل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحلهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكهم فدار حسانهم انما بقيت في رحالهم نسياناً وظاهراً أن ذلك مما لا يخاطر به أحد أصلاً فان هيئة التبعة تنادي بأن ذلك بطريق التفضل الا يرى أنهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجمعوا ذلك دليلاً على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبراً ﴿فلما رجعوا الى أبيهم قالوا﴾ قبل أن يشتغلوا بفتح المتاع ﴿يا أبانا منع منا الكيل﴾ أى فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتياز مرة بعد مرة معهوداً فيما بينهم وبينه عليه السلام ﴿فأرسل معنا أخانا﴾ بنامين الى مصر وفيه ايذان بأن مدار المنع عدم كونه معهم ﴿تكتل﴾ بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على استانه الى الأخ لكونه سبباً للاكتيال أو يكتل لنفسه مع اكتيالنا ﴿واناله لحافظون﴾ من أن يصيبه مكروه ﴿قال هل آمنك عليه الا كما آمنتكم على أخيه﴾ يوسف ﴿من قبل﴾ وقد قلتم في حقه أيضاً ما قلتم ثم قلتم به ما قلتم فلا أتق بكم ولا يحفظكم وانما أوفض الامر الى الله ﴿فانه خير حافظا﴾ وقرى حفظا واتصا بها على التمييز والحالية على القراءة الأولى توهم تقيد الخيرية بتلك الحالة ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ فأرجو أن يرجحني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم﴾ أى تفضلاً وقد علوا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرى بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل في قبل وكيل ﴿قالوا﴾ استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لا يهيم ولعله كان حاضراً عند الفتح ﴿يا أبانا ما نبغى﴾ اذا فر البغى بالمطلب فما اما استغماية منصوبة به فالمعنى ماذا نبغى وراهما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا أخبروه بذلك وقالوا له انا قد منعنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب بما أكرمنا كرامته وقوله تعالى ﴿هذه بضاعتنا ردت الينا﴾ جملة مستأنفة موصفة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غاية كما أنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها التنا فضلنا من حيث لا ندرى بعدما من علينا من المن العظيم هل من مزيد على هذا فطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقاً أو التناقد عن طلب نظائره بل أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما أشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والاعمال معنى الإشارة وإيثار صيغة البناء للفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المقوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ﴿ونغير أهلنا﴾ أى نخلب اليهم الطعام

من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة أى فنستظهر بها ونغير أهلنا ﴿ونحفظ أخانا﴾ من المكروه حسباً وعدنا فما يصيبه من مكروه ﴿ونزداد﴾ أى بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمريد ﴿كيل يعير﴾ أى وسق يعير زائداً على أساق أباعرنا على قضية التقيط ﴿ذلك﴾ أى ما يحمله أباعرنا ﴿كيل يسير﴾ أى مكيل قليل لا يقوم بأودنا فهو استئناف وقع تعليلاً لما سبق كأنه قيل أى حاجة الى الزيادة قليل ما قبل أو ذلك الكيل الزائد شئ قليل لا يضاقنا فيه الملك أو سهل عليه لا يتعاضله أو أى مطلب نطلب من مهماتنا والجملة الواقعة بعده توضيح ويان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب أو متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونغير أهلنا ونحفظ أخانا فما يصيبه شئ من المكروه ونزداد بسببه غير مانكاته لا نفلسنا كيل يعير فأى شئ نبغى ورا هذا المباحي وقرى ما نبغى على خطاب يعقوب عليه السلام أى أى شئ نبغى ورا هذه المباحي المشتعلة على سلامة أخينا وسعة ذات أيدينا أو ورا ما فعل بنا الملك من الاحسان داعياً الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موصفة لذلك أى شئ نبغى شاهدنا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما نافية فالمعنى ما نبغى شئاً غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه أو ما نبغى غير هذه المباحي وقيل ما نطلب منك بضاعة أخرى والجملة المستأنفة تعليل له وأما انما فر البغى بمجاوزة الحد ما باله فلفظ والمسمى ما نبغى في القول وما تتردد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجه لما ذكر والجملة المستأنفة ايان ما ادعوا من عدم البغى وقوله ونغير أهلنا عطف على ما نبغى أى ما نبغى فيما ذكرنا من احسانه وتحصيل مثاله من مير أهلنا وحفظ أخينا فان ذلك أهون شئ بواسطه احسانه وقد جوز أن يكون كلاماً مبتدأ أى جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغى أن نغير أهلنا وشبه ذلك بقولك سمعت في حاجة فلان ويجب أن أسمى وأنت خير بأن شأن الجمل التذيلية أن تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق فالحق أبلغ وان قوله ونغير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغى أن نغير أهلنا بمعمل من ذلك أو ما نبغى في الرأي وما نعدل عن الصواب فيما تشير به عليك من ارسال أخينا معنا والجمل الى آخرها تفصيل ويان لعدم فهمهم واصابة رأيهم أى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونغير أهلنا ونصنع كيت وذيت فأمل ﴿قال لن أرسله معكم﴾ بعد ما عاينت منكم ما عاينت ﴿حتى تؤتوني موثقاً من الله﴾ أى ما تؤتوني به من جهة الله عز وجل وانما جملة موثقاً من الله لأن تأكيد العهود به مأذون فيه من جهة تعالى فهو اذن منه عز وجل ﴿لتأنتني به﴾ جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأنتني به ﴿الا أن يحاط بكم﴾ أى الا أن تغلبوا فلا تطيقوا به أو الا أن يهلكوا وأصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالباً وهو استثناء من أعم الأحوال وأعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه أى لتأنتني به ولا تمتنعن منه في حال من الأحوال أولسلة من العلل الاحال الاحاطة بكم وأولسلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم أقسمت عليك لما فعلت والافعل أى ما أريد منك الافعل وقد جوز الأول بلاتاً ويل أيضاً أى لتأنتني به على كل حال الاحال الاحاطة بكم وأنت تدري أنه حيث لم يكن الايتان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما في قولك لا لزمنك الا أن تعطيني حقى ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل لمساعد الحال المستثناء كما اذا قلت صل الا أن تكون محدثاً بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اختلاله كما في قولك لأحجن العام الا أن أحضر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم مسوى حال الاحضار عن الحجب الا الاخبار بمقارنته لتلك الأحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الأحوال معه

من حيث عدم تمنعها من قال المعنى إلى التأويل المذكور (فلما أتوه مائة مئة) عدم من الله حسبا أراد يعقوب عليه السلام (قال الله على ما تقول) أي على ما قلنا في أثناء طلب الموت وإيائنا من الجانبين وإشارة صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية إلى تبيينهم ومخافتهم على تذكر موعده (وصكيل) مطلع ويقبض يده عرض فقه بالله تعالى وحتم على مراعاة ميثاقهم (وقل) يا صبا لهم لما أزعج على إرسالهم جميعا (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) نهيهم عن ذلك حذرا من إصابة الدين فاهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا يحملوا في هذه الكرة أكثر مما في المرة الأولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والبر الذي لدى الملك بخلاف التوبة الأولى فكانوا مته لدنو على ناظر وطه وح كل طامع وإصابة الدين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما يشكر وقد ورد عنه عليه السلام أن العين حتى وعته عليه السلام أن العين لتدخل الرجل القبر والجل القدر وقد كان عليه السلام يعوذ الحسين رضي الله عنهما بقوله أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان عليه السلام يقول كان أبوكم يعوذ بها أحمل واسحق عليهم السلام وأما البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من أبواب مخرقة وكان في دخولهم من بابين أو ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع الحذر وقال (وادخلوا من أبواب مخرقة) بيانا لمسا هو المراد بالشيء وانما يكف بهذا الأمر مع كونه مستلزما لظهور الكمال العتاة وليدنا بأنه المراد بالامر المذكور لا تحقيق لشيء آخر (وما أغنى عنكم) أي لا أنفعكم ولا أضع عنكم تديري (من الله من شيء) أي شيئا مما قضى عليكم فإن الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الفاء الحذر المرة كيف لا وقد قال عز قائلنا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال خذوا حذركم بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا بخلاف بل هو تديير في الجملة وانما التأثير ترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وأن ذلك ليس بمداخلة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه إليه (إن الحكم) مطلقا (اللا اله) لا يشاركه أحد ولا يماثله شيء (عليه) لا على أحد سواه (توكلت) في كل ما أتى وأذروني دلالته على أن ترتيب الأسباب غير محل بالتوكل (وعليه) دون غيره (فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين في عقب الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مقيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالقاء سببه فعله لكونه نيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بتره دخولا أوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم ولارشادهم إلى التوكل فيما هم بصدد فعله على الله عز وجل غير معترفين بما وصاهم به من التديير (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) من الأبواب المخرقة من البلد قيل كانت له أربعة أبواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه (ما كان) ذلك الدخول (يعني) في بابي عند وقوع ما وقع (عنهم) عن الداخلين لأن المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين معنى الماضي والمستقبل لتحقيق المفارقة الواجبة من جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل إنما يتحقق عند زوال المقدور لا وقت الدخول وانما المتحقق حينئذ ما أفاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مضيا في السابق فأمل (من الله) من جهة (من شيء) أي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مفعلة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم يعقوب عليه السلام وعلموا بموجبه واتفقوا بمجدوا من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سبب الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما أرادهم الا نورا فان عني التديير هناك سبب زيادة نفورهم بل بيان عدم سببته للاغناء مع كونها متوقفة في بادي الرأي كما في قولك حلف أن يبطي حتى عند حلول الاجل فلا حل لم يعطى شيئا فان المراد بيان عدم سببته حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببته لعدم

الاعطاء فلما لا يان عدم ترتب العرض المقصود على التديير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا يان ترتب عدمه عليه ويجوز أن يراد ذلك أيضا بأنه على ما ذكره عليه السلام في تصاعيف وصيته من أنه لا يفتي عنهم من الله شيئا فكل ما قيل ولما ضلوا ما وصاهم به لم يقد ذلك شيئا وقع الأمر حسبا قال عليه السلام فلقوا ما القوا فيكون من باب وقوع المتوقع فأمل (الاحاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحراة كانت (في نفس يعقوب قصصها) أي أظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد أن للتديير تأثير في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قصصها للدخول على معنى أن ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي إرادته أن يكون دخولهم من أبواب منفردة فالله ما كان ذلك الدخول يفتي عنهم من جهة الله تعالى شيئا ولكن حتى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب إرادته فلا استثناء منقطع أيضا وعلى التقديرين لم يكن قصصها قائمة سوى دفع الخاطرة وأما إصابة العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لالها ما اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم (وأنه لئذ علم) جليل (للمساءلة) لتعلمنا إياه الوحي ونصب الالة حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر وأن التقدير لا يحسم من التأثير حتى يتبين الخلل قدراً به عند تغلف الأمر وأوحى حيث القول بأنه لا يفتي عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال في تأكيده إجماله بأن اللام وتكثير العلم وتعليقه بالتعليم المستدل ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلمه بحالته عليه ونفاته ما لا يحصى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أسرار القدر ويرعون أنه يفتي عنه الحظر وأما ما قال من أن الله لا يفتي شيئا من القدر فبما مقامه بأن تغلف المطالب عن المياني (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أعماه) بياهم أي ضمهم إليه في الطعام أو في المنزل وفيها روى أنهم لما دخلوا عليه قالوا هذا أخونا قد جئت بك به فقال لهم أحسستم وتستجدون ذلك عندي فأكرمهم ثم أضافهم وأجلسهم مثنى مثنى فوق بياضين وجعل يفرقهم وقالوا كان أبي يوسف حيا لا جلسي معه فقال يوسف في أحقرهم فبدأوا جلسته معه على ما تدمت وجعل يذاكلهم ثم أزل كل اثنين منهم بيضا فالحدا لا تائق معه فيكون مع فيات يوسف يضمه إليه ويضم راحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بين التسفت أسماهم من اسم أخ لي هلك فقال له أحب أن أكون أمك بدل أخيك المالك قال من بعد أمك أمك ولكن لم يملك يعقوب ولا راحل فيكي يوسف وقام إليه وعانقه ونعرف إليه وعقد ذلك (قال أني أنا أخوك) يوسف (فلا تهنس) أي فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا قنما معنى فان الله تعالى قد أحسن النيا وصفا تغير ولا تعلمهم بما أهلك قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن وهب أنه لم يتعرف إليه بل قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود ومن فلا تهنس لما تحزن بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أميتهم وروى أنه قال له فأبانا فأمرتك قال قد علمت باغتيام والذي في فاذا حسنت يرداد غمه ولا سبيل إلى ذلك الا أن أنسك إلى ما لا يجعل قال لا أبال فاعمل ما بدا لك قال أمي صاع في رحلك ثم أأدى عليك بأنك سرقة ليتبنا لي رذك بعد تسريحك معهم قال الخليل (فحسبهم جوارهم جعل السقاية) أي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا بكل به وقيل كانت تسقى بها الدواب وبكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة موهبة بالذهب وقيل كانت انة مستطيلة كتبت للمكوك الفارسي الذي يلتقي طرقاته يستعمله الأماجم وقيل كانت مرسعة بالجواهر (في رجل أخيه) بياهم وقري وجعل على حلق جواب لما تقديره أمهاتهم حتى انطلقوا (ثم أذن مؤذن) نادى مناد (أيها العير) وهي الإبل التي عليها الأجمال لا يات تدير أي تذهب ونجي وقيل هي قافلة الخيول ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأملها فعل مثل سبغ وسبغ ففعل به ما فعل بيض وعيد والمراد أصحابها كما في قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي روى أنهم ارتحلوا وأمهاتهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العارة ثم أمرهم فأمرهم فأنزلوا ونودوا (أنكم

لسارقون) هذا الخطاب ان كان بأمر يوسف فاعلمه أريد بالسرقه أخذهم له من أبيه ودخول بيته فيه بطريق التغلب والافقار من قبل المؤذن بناء على زعمه والأول هو الظاهر الأوفق للسباق وقرأ العياشي سارقون بلا لام (قالوا) أى الاخوة (وأقبلوا عليهم) جملة حالية من ضمير قالوا جئ بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوا مما يأتى به عالم (ماذا تفقدون) أى تعدون تقول فقدت الشئ اذا عدته بأن ضل عنك لا بفعلك والمأ لماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من أفقده اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالمدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لئان حال نزاهتهم باظهار أنه لم يسرق منهم شئ فضلا أن يكونوا هم السارقين له وانما الممكن أن يضيع منهم شئ فيسألونهم أنه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراءة الى ما لاخير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث (قالوا) في جوابهم (تفقد صواع الملك) ولم يقولوا سرقتوه أو سرق وقرئ صاع وصوع بفتح الصاد وضمها وبإعمال العين وانجماها من الصياغة ثم قالوا تريه لما تلقوه من قبلهم وازامة لا اعتقاد أنه انما بقي في رحلهم اتفاقا (ولان جاء به) من عند نفسه مظهر أنه قبل التفتيش (حمل بعير) من الطعام جعله لا على نية تحقيق الوعد لجزمهم بافتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من أخذ من وجد في رحله (وأنا به زعيم) كفيل أؤديه اليه وهو قول المؤذن (قالوا تالله) الجمهور على أن التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجملة المعظمة أو الرب المضاف الى الكعبة أو الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يحز وقيل من الباء وقيل أصل بنفسها وأيا ما كان ففيه تعجب (لقد علمت) علما جازما مطابقا للواقع (ما جئنا لنفسد في الأرض) أى لنسرق فانه من أعظم أنواع الافساد أو لنفسد فيها أى افساد كان ماعزا أو هان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفى المجنى للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفى الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجنى الذى يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق بحيث لا تعرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتريه لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد البالد بظاهره على نفى المبالغة في الظلم دون نفى الظلم في الجملة الذى هو مقتضى المقام من أن المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكأنهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئا لذلك مريدين به تقييح حاله واظهار حال نزاهتهم عنه يعنون أنه قد شاع بينكم في كرتي مجيئا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روى أنهم دخلوا مصر وأقواء واحليم مكرومة لئلا تتناول زرعاً أو طعاما لأحد وكانوا ماثلين على فنون الطاعات وعلمت بذلك أنه لا يصدر عنا افساد (وما كنا سارقين) أى ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لأن العلم بأحوالهم الشاهدة يستلزم العلم بأحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفى الامر من المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاماً للحجة عليهم وتحقيقاً للتعجب المفهوم من تالله القسم (قالوا) أى أحباب يوسف عليه السلام (فما جزاؤه) الضمير للصواع على حذف المضاف أى فما جزاء سرقة عندكم وفى شريعتكم (ان كنتم كاذبين) لا فى دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفى كون الصواع قيم كما يؤذن به قوله عز وجل (قالوا جزاؤه من وجد) أى أخذ من وجد الصواع (في رحله) حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لما في اعتقادهم المجنى على قواعد العاقول لذلك أجابوا بما أجابوا فان الأخذ والاسترقاق ستة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده ما لغيره كيفما كان تأمل واحل كلام كل فريق على ما لا يرامم وأيه فانه أقرب الى معنى الكيد وأبعد من الافتراء وقوله تعالى (فما جزاؤه) تقرير لذلك الحكم أى فأخذه جزاؤه

كقولك حق الضيف أن يكرم فهو حقه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتداً والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو على أن الأول من والثاني للظاهر الذى وضع موضعه (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الأول في (يجزى الظالمين) بالسرقة تأكيداً للحكم المذكور غيب تأكيداً وبيان لقبس السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكال برائتهم عنها وهم عمافعل بهم غافلون (فبدأ) يوسف بعد ما رجعوا اليه للتفتيش (وأوعيتهم) بأوعية الاخوة العشرة أى بتفتيشها (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) ببيان لنفى التهمة. روى أنه لما بلغت التوبة الى وعائه قال ما أظن هذا أخذ شيئاً فقالوا والله لا تتركه حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأفسنا (ثم استخرجها) أى السفاية أو الصواع فانه يذكر ويؤنس (من وعاء أخيه) لم يقل منه على رجوع الضمير الى الوعاء أو من وعائه على رجعه الى أخيه قصد الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وقبلها همزة كما في اشاح في وشاح (كذلك) نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على غامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد أى مثل ذلك الكيد المعجب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجراته على أنفسهم وبمحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحسبوا لعمى لوله مزوول (كدنا ليوسف) صناعته ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها من دس الصواع وما يتلوها فاللام ليست كما في قوله فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المضمر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله لئال (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) استئناف وتعليل لتلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كأنه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعله في دين الملك في أمر السارق أى في سلطانه قاله ابن عباس أو في حكمه وعشائه قاله قتادة الآية لأن جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتقريره ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستماع كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من أخذ أخيه بالسرقة التى نسبها اليه في حال من الأحوال (الأن يشاء الله) أى الاحال مشيئة التى هي عبارة عن إرادته لذلك الكيد أو الاحال مشيئة للأخذ بذلك الوجه ويجوز أن يكون الكيد عبارة عنه وعن مبادئه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الأعمال والأقوال حسبما شرح مرتباً لكن لا على أن يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور مأخوذاً بالنسبة الى غيره مطلقاً على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليه بمجر يوسف عن أخذ أخيه في دين الملك في شأن السارق قطعاً اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في أمر السارق أصلاً بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم تكتف ببعض من ذلك لأنه لم يكن بأخذ أخاه في دين الملك به الاحال مشيئته له بإيجاد ما يجزى مجزى الجزاء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي أن يحمل القصر فى تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه وأوحينا به اليه أى مثل ذلك التعليم المستبوع لما شرح مرتباً علمناه دون بعض من ذلك قطعاً على كل حال بالاستئناس من أعم الأحوال كما أشير اليه ويجوز أن يكون من أعم العلل والأسباب أى لم يكن يأخذ أخاه لعله من العلل أو بسبب من الأسباب الالهة مشيئته تعالى أولاً بسبب مشيئته تعالى وأياً ما كان فهو متصل لأن أخذ السارق اذا كان من يرى ذلك ويعتقد دينا لا ساعداً رضاه واقفاته به ليس مخالفاً لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء إلا أن يشاء الله أن يحمل ذلك الحكم حكم الملك وأنت تدري أن المراد بدنيه ما عليه حيث قد تغيره غل بالانفصال وإرادته مطلق ما يتدين به أعم منه وما يحدث تقضى الى كون الاستثناء من قبيل التطبيق بالاحمال اذ المقصود بان مجز يوسف عليه السلام عن أخذ أخيه حيث لم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذلك وإرادة مجزه مطلقاً تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من أحوال مجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد

المذكور قدبر وقد جوز الاقطاع أى لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وادنه في دين غير دين الملك (نرفع درجات) أى رتباً كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على نزع الخافض أى الى درجات والمفعول قوله تعالى (من نشأ) أى نشأه رفعه حسب مقتضى الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وإيثار صيغة الاستقبال للاشعار بأن ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة متأنفة لاجل لما من الاعراب (وفوق كل ذي علم) من أولئك المرفوعين (عليهم) لا يبالون شأوه وأعلم أنه ان جعل الكيد عبارة عن الخيانتين الأولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه الشرطية أو الشطرية من إرشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل أخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستيقاظ أخيه مما يتم من قبله والمعنى أرشدنا أخوته الى الاقفا المذكور لأنه لم يكن متمكناً من أخذ أخيه بدونه أو أرشدنا كلا منهم ومن يوسف وأصحابه الى ما صدر عنهم ولم تكف بما تم من قبل يوسف فقط لأنه لم يكن متمكناً من أخذ أخيه بذلك فقوله تعالى نرفع درجات الى قوله تعالى علم توضح لذلك على معنى أن الرفع المذكور لا يوجب تمام مراده اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل إنما رفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم علم لا يقدر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ودرجته وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم أن ما سواه دائرة عليه لا يفي بمرامه فأرشد أخوته الى الاقفا المذكور فكان ما كان وكان عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الاقفا المذكور عن أخوته وإن كان على طمع منه فإن ذلك الى الله عز وجل وجوداً وعلاً والتعرض لوصف العلم بتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التكثير والاتفات الى الغية من الدلالة على غمامة شأنه عز وجل وقدرته على المحيط لا ما يفتنى وأما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للاقفا المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والاقفا وإن لم يكن داخل تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخل تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمه ولم تقتصر على تعليم ماعدا الاقفا الذى سيصدر عن أخوته أذ لم يكن متمكناً من أخذ أخيه الا بذلك فقله نرفع درجات من نشأه توضح لقوله كذا وبيان لأن ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم تذييل لما يرفع درجات عالية من العلم من نشأه رفعه وفوق كل منهم علم هو أعلى درجة قال ابن عباس رضى الله عنهما فوق كل عالم عالم الى أن ينتهى العلم الى الله تعالى والمعنى ان أخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء إلا أن يوسف عليه السلام أفضل منهم وقرى درجات من نشأه بالإضافة والأول أنسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز أن يكون العلم في هذا التفسير أيضاً عبارة عن الله عز وجل أى وفوق كل من أولئك المرفوعين علم يرفع كلا منهم الى درجته الثلاثة به والله تعالى أعلم (قالوا ان يسرق) يمتون بنيامين (فقدسرق أخ له من قبل) يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من أنها كانت تحضنه فلما شب أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطلقه ورتبها من أيها السحق عليه السلام فاحتال لاستيقاظ يوسف عليه السلام فصدت الى المنطقة خرومتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق عليه السلام فانظروا من أخذها فوجدوها عزومة على يوسف فقالت انه في سلم أفعل به ما أشاء ففلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى ماتت وقيل كان أخذ في صباه صنلا لاني أمه فكرهه وألقاه في الخيف وقيل دخل كنيسة فأخذ ثمالاً صغيراً من ذهب كانوا يمدونه فدفنه (فأسرها يوسف) أى أكن الخزانة الحاصلة مما قالوا (في نفسه) لأنه أسرها لبعض أصحابه كما في قوله تعالى وأسرت لم أسراراً (ولم يلبدها لهم)

لا قولاً ولا فعلاً صفحا عنهم وحلباً وهو تأكيد لماسبق (قال) أى في نفسه وهو استئناف مبنى على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كأنه قيل فإذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار قيل قال (أتم شر مكاناً) أى مؤثمة حيث سرقتم أخاكم من أيكم ثم حقيقتم تقترون على البرى وقيل يدل من أسرها والضحية للمبالغة المقسرة بقوله أتم شر مكاناً (والله أعلم بما تصفون) أى عالم علماً بالغاً الى أقصى المراتب بأن الأمر ليس كما تصفون من صدور السرقه منا بل إنما هو افتراء علينا فالصيغة مجرد المبالغة لا تفصيل عليه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم (قالوا) عند ما شاهدوا مخابيل أخذ بنيامين مستعطفين (بأيها العزيز ان له أبا) لم يريدوا بذلك الاخبار بأن له أبا فإن ذلك معلوم مما سبق وإنما أرادوا الاخبار بأن له أبا (شيخاً كبيراً) في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علاقه به يتعلل عن شقيقه المالك (فخذ أحدنا مكانه) فلما سنا عنده بمنزلة من الحبة والشفقة (اننا نراك من المحسنين) البنا فأنتم احسانكم بهذه التهمة أو المتعدين بالاحسان فلا تغير عادتكم (قال معاذ الله) أى نعوذ بالله معاذاً من (أن نأخذ) لحذف الفعل وأقيم مقامه المصدر مضافاً الى المفعول به بعد حذف الجار (الا من وجدنا متاعنا عنده) لأن أخذنا له إنما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبا وإيثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب أخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك أو للاشعار بأن الأخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بأمره أولى الحل والعقد وإيثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فأنهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على حمل غير السرقه (انا اذا) أى اذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو يرسله (لظالمون) في منبجكم ومالنا ذلك وهذا المعنى هو الذى أريد بالكلام في أثناء الحوار وله معنى باطن هو أن الله عز وجل إنما أسرف بالوحي أن أخذ بنيامين لمصالح عليها الله في ذلك فلما أخذت غيره كنت ظالماً وعاملاً بخلاف الوحي (قلنا استأسمونه) أى يقبوا من يوسف واجابته لم أشد بأس بدلالة صيغة الاستفعال وإنما حصلت لم هذه المرتبة من الأس لما شاهدوه من عوده بالله بما طلبوه الدالك على كون ذلك عنده في أقصى مراتب الكراهة وأنه مما يجب أن يحترز عنه ويأذ منه بالله عز وجل ومن تسبته ظلماً بقوله انا اذا لظالمون (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس (نجيا) أى ذوى نجوى على أن يكون بمعنى النجوى والتنجى أو فوجاً نجياً على أن يكون بمعنى المنجى كالعشير والسير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقرناء نجيا ويجوز أن يقال هم نجى كما يقالهم صديق لأنه بزة المصادر من الزفير والزيهر (قال كبيرهم) في السن وهو روييل أو في العقل وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شعون (لم تعلموا) كأنهم أجمعوا عند التناجى على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكراً عليهم ألم تعلموا (أن أياكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) عهداً يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لأنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم (ومن قبل) أى ومن قبل هذا (ما فرطتم في يوسف) قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد أياكم وقد قلتم وانا له لناحون وانا له لحافظون وما من بدة أو مصدرية وحمل المصدر الصب عطفاً على مفعول تعلموا أى ألم تعلموا أخذ أياكم عليكم موثقاً وتقرطكم السابق في شأن يوسف عليه السلام ولا خير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالطرف وقد جوز الصب عطفاً على اسم أن والخير في يوسف أو من قبل على معنى ألم تعلموا أن تقرطكم السابق وقع في شأن يوسف عليه السلام وأن تقرطكم الكائن أو كائن في شأن يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام إنما هو الاخبار بوقوع ذلك التفرط لا يكون تقرطهم السابق واقعاً في شأن يوسف كما هو مفاد الأول ولا يكون تقرطهم الكائن في شأنه واقعاً من قبل

كما هو مفاد الثاني على أن الظرف المقطوع عن الإضافة لا يقع خبراً ولا صلة ولا حالاً عند البعض كما
تقرر في موضعه وقيل عمله الرق على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة أو موصوفة ومحلها النصب
أو الرفع والحق هو النصب عطفاً على مفعول تعدوا أي ما فرطتموه بمعنى قدتموه في حقه من الخيانة وأما النصب
عطفاً على اسم أن أو الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله ﴿فإن أبرح الأرض﴾ متضرع على ما ذكره ذكراً بإيهام من ميثاق أبيه
وقوله لتأتني به لأن يحاطبكم أي فلن أفرق أرض مصر جارياً على قضية الميثاق ﴿حتى يأخذني أبي﴾ في الأبرح بالانصراف
إليه وكان إيمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير إذن يعقوب عليه السلام ﴿أو يحكم الله لي﴾ بالخروج منها
على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق أو بخلاص أخى بسبب من الأسباب. روى أنهم كذبوا العزيز في إطلاقه فقال روى
أبي الملك لتردن أينا أعانا أو لأصبحن صيحة لا تقي مصر حامل الألق وتدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت
من ثيابه وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لا يطلقون خلاأه إذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لأبيه
ثم إلى جنبه فسه فسه فقال روى من هذا أن في هذا البلد بئراً من بئر يعقوب ﴿وهو خير الحاكين﴾ إذا نبحك إلا
بالحق والعدل ﴿ارجعوا﴾ أتم ﴿إلى أيكم تقولوا يا أبا أنا إن ابنك سرق﴾ على ظاهر الحال وقرئ سرق أي نسب
إلى السرقة ﴿وما شهدنا﴾ عليه ﴿الابمأعلنا﴾ وشاهدنا أن الصواع استخرجت من وعائه ﴿وما كنا للغيب﴾
أي باطن الحال ﴿حافظين﴾ فما ندري أن حقيقة الأمر كما شاهدنا أم بخلافه أو وما كنا عالمين حين أعطيتك الموثق
أنه يسرق أو أنا نلاق هذا الأمر أو أنك تصاب به كما أصبت يوسف ﴿وأسأل القرية التي كنا فيها﴾ أي مصر أو
قرية بقرها لحقهم المتأدى عندها أي أرسل إلى أهلها وأسألهم عن القصة ﴿والعير التي أقبلا فيها﴾ أي أصحابها فإن القصة
معروفة فيها بينهم وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من صنعاء ﴿وإنا لصادقون﴾ تأكيد
في محل القسم ﴿قال﴾ أي يعقوب عليه السلام وهو استئناف مبنى على سؤال نشأ عما سبق فكانه قيل فماذا كان عند
قول المترقب لأخوته ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا إليه فقالوا له ما قالوا وإنما حذف للائذان بأن ما رعبهم
إلى قوله ورجعوا به إلى أبيهم أمر مسلم غنى عن البيان وإنما احتج إليه جواب أبيهم ﴿بل سولت﴾ أي زينت
وسهلت وهو اضراب لاعتصم كلامهم فأنهم صادقون في ذلك بل عما تضمنته من ادعاء البراءة عن التسبب في أنزل
به وأنه لم يصدرو عنهم ما يؤدي إلى ذلك من قول أو فعل كما أنه قيل لم يكن الأمر كذلك بل زينت ﴿لكم أنفسكم أمراً﴾
من الأمور فأقيموه يريد بذلك قيامهم بأخذ السارق برقبته ﴿فصبر جميل﴾ أي فامرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل
﴿عسى الله أن يأتيهم بهم جميعاً﴾ يوسف وأخيه والمتوقف بمصر ﴿أنه هو العليم﴾ بحال وحالهم ﴿الحكيم﴾
الذي لم يبتلى بالحكمة بالغة ﴿وتولى﴾ أي أعرض عنهم ﴿كرهاتنا سمع منهم﴾ وقال يا أسفا على يوسف
الأسف أشد الحزن والحسرة أضافه إلى نفسه والالاف بدل من الياء فناداه أي يا أسفى تعالى فهذا أو أنك وإنما تأسف
على يوسف من أن الحادث مصيبة أخويه لأن رزاه كان قاعدة الأرزاء غضا عنده وإن تقدم عهده أخذاً بجماع قلبه
لا ينساه ولأنه كان وانقا بجماها عالمياً بمكانها طامعاً في إياها وأما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه
سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد عليه الصلاة والسلام
الأي إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجاسس بين لفظي الأسف ويوسف مما يزيد النظم
الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم يبهون عنه ويأبون عنه وقوله أنا لاقم إلى الأرض أرضيتهم وقوله ثم طي من كل القرأت
وجئتكم من سباباً يقين ونظراً ها ﴿وايضت عيناه من الحزن﴾ الموجب للبكاء فإن العبرة إذا كثرت حقت سواد

العين وقلته إلى رياض كدر قيل قد عوى بصره وقيل كان يدرك أدراكاً ضعيفاً. روى أنه ما جفت عينا يعقوب يوم فراق
يوسف إلى حين لقائه ثم اتين عاماً وما على وجه الأرض أكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب عليه السلام على يوسف قال وجد سبعين
نكلي قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد ومائة ظنه بالله ساعة قطوفه دليل على جوارك أسف والبكاء عند
الوائب فإن الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدة ولو قد بكى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ولده إبراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا تقول ما يخطئ الرب وأنا عليك يا إبراهيم محزونون
وأما الذي لا يجوز ما فعله الجمل من الصباح والياحة وأطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي عليه
السلام أنه بكى على ولده من مائة وهو يحزنه فما قبل يا رسول الله تكي وقد سبقنا من البكاء ما نبتكم عن البكاء وإنما نبتكم
عن صوتين أحق صوت عند الفرح وصوت عند الترح ﴿فهو كظيم﴾ علو من الغيظ على أولاده مسك له في قلبه لا يظهره
فيعمل بمعنى مفعول لبديل قوله تعالى وهو مكظم من كظم السقاء إذا شدة على ملكه أو بمعنى فاعل كقولهم والكافضين الغيظ
من كظم الغيظ إذا اجترعه وأصله كظم البعير جرحته إذا ردها في جوفه ﴿قالوا تالله تفتأ﴾ أي لا تفتأ ولا تزال ﴿تذكر﴾
يوسف ﴿تفجعاً عليه خذف حرف التثنية كما في قوله فقلت بين الله أبرح قاعدة لعدم الالتباس بالآيات فإن القسم إذا
لم يكن معه علامة الآيات يكون على التثنية ﴿حتى تكون حرضا﴾ مريضاً مشفياً على الهلاك وقيل الحرض من
أذابه هم أو مرض وهو في الأصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والتفت منه بالكسر كدنف وقد قرئ
به وبضمتين كنب وغرب ﴿أو تكون من المالكين﴾ أي الميتين ﴿قال إنما أشكو بثي﴾ البث أصعب ألم الذي
لا يصبر عليه صاحب فيه إلى الناس أي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاف فقال لهم أف لا أشكو ما في
اليك أو ألي غيركم حتى تصدوا لتسليتي وإنما أشكو همي ﴿وحزني إلى الله﴾ تعالى ملتجئاً إلى جنبه متضرعاً إلى بابه
في دفعه وقرئ بفتحين وضمتين ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من لطفه ورحمته فأرجو أن يرحمني وياطفني ولا
يخيب رجائي أو أعلم وعيا أو ألهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال
هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام أنه يسخر له أبواه وأخوته سجداً ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا﴾ أي
تعرّفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب أي تطلبوا ﴿من يوسف وأخيه﴾ أي من خبرهما
ولم يذكر الثالث لأن غيبته اختيارية لا ييسر أزالها ﴿ولا تياسوا من روح الله﴾ لا تنظروا من فرجه وتنفيسه وقرئ
بضم الراء أي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا إرشاد لهم إلى بعض ما أبيهم في قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم
عن ترك العمل بموجب نية بقوله ﴿أنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ لعدم عليهم بالله تعالى وصفاته
فإن العارف لا يفتن في حال من الأحوال ﴿قلبا دخلوا عليه﴾ أي على يوسف بعد ما رجعوا إلى مصر بموجب أمر
أبيهم وإنما لم يذكر ذلك إيداناً بمسارعتهم إلى ما أمروا به وأشعاراً بأن ذلك أمر محقق لا يفتقر إلى الذكر والبيان ﴿قالوا﴾
بأبيهم العزيز ﴿أي الملك القادر المتعز﴾ ﴿مسنأ وأهلنا الصر﴾ المزال من شدة الجوع ﴿وجئنا بضاعة من جلة﴾ مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من
متاع الأعراب صوفاً وخمناً وقيل الصنوبر وحب الخضر أو قيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم في زوفا لا تؤخذ إلا بوضعة
وإنما قدموا ذلك ليكون ذريعة إلى اسعاف مرامهم بعث الشفقة والطف والرافة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا
﴿فأوف لنا الكيل﴾ أي أتمه لنا ﴿وتصدق علينا﴾ برد أخينا أينا قاله الضحك وابن جريج وهو الأنسب بحالهم

نظرا الى أمر أيهم أو بالافشاء أو بالمساحة وقبول المراجعة أو بالزيادة على ما يساويا تفضلا وانما سمع تصدقا تواضعا أو أرادوا التصديق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة ببيتنا عليه الصلاة والسلام وانما يبدو انما أحرروا به استجلابا للرأفة والشفقة ليعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على أن ماسأله كلام ذو رجون فان قولهم وتصدق علينا (ان الله يجزي المتصدقين) يحتمل الخلل على المحملين فلعلمه عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك (قال) بجيبا معارضوا به وضمنوا كلامهم من طلب رد أخيه (هل علمت ما فعلتم يوسف وأخيه) وكان الظاهر أن تعرض لما فعلوا بأخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا يوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك إفراهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم الا بمعجز وذلة أي هل يتيم عن ذلك بعد علمك بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه (اذ أنتم جاهلون) بقبحه فلذلك أقدمتم على ذلك أو جاهلون عاقبت وانما قاله لصحاح لم يخبروا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وعسكنتهم لا معاتبة وثر يابو مجوز أن يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبأ لهم على ما هو حقهم وعلقتهم من الاعراض عن جميع المطالب والمتمنى في طلب بنيامين بل يجوز أن يقف عليه السلام بطريق الوحي أو الإلهام على وصية أبيه وإرساله اليهم للتجسس منه ومن أخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل أعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه كتاب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلا أما جدى فشدت يده ورجلاه فرمى به في النار فجاهد الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما وأما أبي فوضع الكمين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقبضه مملوفا بالدم فقالوا قد أكله الذئب فذهبت عناى من بكائى عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتلى به فذهبوا به ثم رجعوا وأتالوا انه سرق وانك حبسته وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والادعوت عليك دعوة تدرك السامع من ولدك والسلام فلما قرأه ايمالك وعيل صبر فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبر وانظر كما نظروا (قالوا أملك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك أكدوه بأن والام قالوا استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالاجاب قيل عرفوه برواته وشما لله حين كلمهم به وقيل تبسم عرفوه بشأناه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارقو يعقوب مثلها وقرئ انك أو أنت يوسف على معنى انك يوسف أو أنت يوسف خذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استعجاب (قال أنا يوسف) جوابا عن مثلثهم وقد زاد عليه قوله (وهذا أخى) أى من أبوى مبالغة في تعريف نفسه وتفتخا لشأن أخيه وتكلمة لما أفاده قوله هل علمت ما فعلتم يوسف وأخيه حسبما يفيد قوله (قد من الله علينا) فكانه قال هل علمت ما فعلتم بنا من التفرق والاذلال فانا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الشدة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد أن يكون فيه إشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بأنه أخى لا أخوك فلا وجه لتعليقهم على ذلك بطريق الاستئناف التعليل بقوله (انه من يتق) أى يفعل التقوى في جميع أحواله أو يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه (ويصبر) على الخن أو على مشقة الطاعات أو عن المداغى التي تستلها النفس (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمرة تنبيها على أن المؤمنين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعمت الجليلة (وان كنا) وان الشأن كنا (لخاطئين) لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك أعزك وأذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار

ولذلك (قال لا تثرىب) أى لا تعتب ولا تأنب (عليكم) وهو تفعليل من التثرىب وهو الشتم الغاشى للكفر ومعناه ازالته كما أن التجليد ازالة الجلد والتقرىع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزل البضرب مثلا للتقرىع الذى يذهب بهما الوجه وقوله وعلا (اليوم) منصوب بالتثرىب أو بالمقدور خبرا للا أى لا تثرىبكم أو لا تثرىب مستقر عليكم اليوم الذى هو مظنة له فساغلكم بسائر الايام أو بقوله (يفغر الله لكم) لانه حينئذ صفح عن جرمهم وغفا عن جررتهم بما فعلوا من التوبة (وهو أرحم الراحمين) يغفر الصغار والكبار ويفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه الصلاة والسلام أن اخوته أرسلوا اليه أنك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك بما فرطنا فيك فقال عليه الصلاة والسلام ان أهل مصر وان ملكك فهم كانوا ينظرون الى البعير الاول ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم اخوتى وأنى من حدة ابراهيم عليه الصلاة والسلام (اذ هو باقمصى هذا) قيل هو الذى كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذى كان في التعويذ أمره جبريل بارساله اليه وأوحى اليه أن فيح ربح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفى (فالقوه على وجهه) يأت بصيرا (يكن بصيرا) أو يأت الى بصيرا وينصره قوله (واتوئى بأهلك أجمعين) أى أبى وغيره ممن ينظمه لفظ الأهل جميعا من النساء والذوارى قيل انما سأل القميص يهودا وقال أنا أحرته بحمل القميص مملوفا بالدم اليه فأفرجه كما أحرته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انفصل العير (قال أبوهم) يعقوب عليه الصلاة والسلام لمن عنده (انى لاجد ربح يوسف) أو جده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ربح يوسف من ثمانين فرسخا حين أقبل به يهودا (لولا أن تفندون) أى تنسبوا الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الرأى من هم يقال شيخ مفند ولا يقال مجوز مفندة اذ لم تكن في شيبتها ذات رأى ففندت في كبرها وجواب لولا عنخوف أى لصدقتموه (قالوا) أى الحاضرون عنده (تالله انك لنى ضلالك القديم) لنى ذهابك عن الصواب فدعا فى افراط عبتك ليوسف ولجلك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم أنقدمات (فلبأن جاء البشير) وهو يهودا (لقاه) أى أتى البشير القميص (على وجهه) أى وجهه يعقوب أو لقاه يعقوب على وجه نفسه (فارتد) عاد (بصيرا) لما اتعش فيه من القوة (قال ألم أقل لكم) يعنى قوله انى لاجد ربح يوسف فالحطاب لمن كان عنده بكنعان أو قوله ولا تأسوا من روح الله فالحطاب لبنيه وهو الأنسب بقوله (انى أعلم من الله ما لا تعلمون) فان مدار النبى المذكور انما هو العلم الذى أوفى يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز أن يكون هذا مقول القول أى ألم أقل لكم حين أرسلتكم الى مصر وأمرتكم بالتحسن ونهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى وأعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام. روى أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا) يا أبانا استغفركم ذنوبنا اكننا خاطئين (ومن حق من اعترف بذنبه أن يصغره عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من غفره عليه الصلاة والسلام ولذلك اقتصر على استدعاء الاستغفار وأدراجوا ذلك فى الاستغفار (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) وهذا مشعر بعفوه قبل آخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليترقى به وقت الاجابة وقيل أخره الى أن يستحل لهم من يوسف عليه الصلاة والسلام أو يعلم أنه قد عفا عنهم فان عفو المظلم شرط المغفرة ويعضده أنه روى عنه أنه استقبل القبله قائما يدعو يوسف خلفه يؤمن وقاموا

خلفهما أكلة عاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها المملكة نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد موثيقهم بعدك على التوبة فان صح ثبتت نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي أنه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نصف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى الله إليه ان الله قد غفر لك ولهم أجمعين ﴿فلما دخلوا على يوسف﴾ روي أنه وجه يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فلقوا يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو يمشي متوكئا على عصا فظنوا أن النحاس فقال يا هذا أهذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه قال عليه الصلاة والسلام عليك يا مذهب الأحرار وقيل قال له يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجتمعنا فقال لي ولكي خشيت أن يسلب دينك فجال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنا وسبعون مابين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستائة ألف وخمسةائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والمهرى وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف ﴿أوى إليه أبويه﴾ أي أباه وخالته وتنزلها منزلة الام كنز في العز منزلة الأب في قوله عز وجل والله أبائك إبراهيم واسماعيل واسحق أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام تزوجا بعد أمه وقال الحسن وابن اسحق كانت أمه في الحياة فلا حاجة إلى التأويل ومعنى أوى إليه ضمهما إليه واعتنقهما وكانه عليه الصلاة والسلام ضرب في الملقى مضرا فزل فيه فدخلوا عليه فإمراة إليه ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ من الشدائد والمكاره فاطمة والمشيئة متعلقة بالدخول على الأمن ﴿ورفع أبويه﴾ عند نزولهم بمصر ﴿على العرش﴾ على السرر تكريما لهما فوق ما فعله لآخوته ﴿وخزوا له﴾ أي أبواه وأخوته ﴿سجدا﴾ تخية لانه كان السجود عندهم جارا بجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التنظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك إلا اختصارا دون تعبير الجاهل بأباه الخور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرد قوله تعالى ﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي﴾ التي رأيتها وقصصها عليك ﴿من قبل﴾ في زمن الصبا ﴿قد جعلها ربي حقا﴾ صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله ليس أول من صلى لقبلكم تصدق لا يخفى وتأخير عن الرفع على العرش ليس بصرف في ذلك لأن الترتيب الذي ذكرى لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقعي فلعل تأخير عن الارتفاع به ذكر كونه تعبيراً أو لأنه ما اتصل به من قوله ﴿وقد أحسن﴾ المشهور استعمال الاحسان بالي وقد يستعمل بالباء أيضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا يتضمن لطف وهو الاحسان الخفي كما يؤذن بقوله تعالى ان في لطف ما يشاء وفيه فائدة لا تخفى أي لطف بحسنا إلى غير هذا الاحسان إذا أخرجنى من السجن بعدما ابتليت به ولم يصرح بقصة الحب حذرا من تزيين اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خروهم سجدا وكثفا بما تضمنته قوله تعالى ﴿وجاءكم من البؤس﴾ أي البادية ﴿من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين اخوتي﴾ أي أقصد بيتنا بالأغواء وأصله من نخس الرأض الدابة وحملها على الجري يقال نزع زرع ونسبه اذا نخه ولقد بالغ عليه الصلاة والسلام في الاحسان حيث أسند ذلك إلى الشيطاني ﴿ان ربي لطيف لما يشاء﴾ أي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يحجى على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة إلى تدبيره سهل ﴿انه هو العليم﴾ بوجود المصالح ﴿الحكيم﴾ الذي يفعل كل شئ على قضية الحكمة روي أن يوسف أخذ يد يعقوب عليهما الصلاة والسلام لطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح

وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بني ما أعفك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلى علي بما في مراحل حل قال أمرني جبريل قال أو ما سأله قال أنت أبسط إليه مني فسأله قال جبريل قال تعالى أمرني بذلك لقولك أخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتي وروي أن يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام معه أربعة وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه اسحق فحضر بنفسه ودفنه ثم عاده إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما ستم أمره وعلم أنه لا يدوم له تافقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾ أي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ أي بعضا من ذلك كذلك ان أريد بتعليم تأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالترتيب ظاهر وأما ان أريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم آيات الملك عليه في الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك أعز في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك أيضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تشبيه هذا الاعتداف في سبيل لان التعليم هناك وارد على نهج العلة الغائية للممكن فان حل على معنى التليق لزم تأخره عنه وأما الواقع هنا فيجدر التأخير في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود ﴿فاطر السموات والأرض﴾ مبدعها وخالقها نصب على أنه صفة للنادي أو منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية بمبالغة في ترتيب مبادئ ما يقبضه من قوله ﴿أنت ولي﴾ مالك أمور ﴿في الدنيا والآخرة﴾ أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذا قد امتست على نعمة الدنيا ﴿توفى﴾ أقبضني ﴿مسلسلا وألحقني بالصالحين﴾ من آتاني أو بامانة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاضع أهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فأروا أن يصنعوا له تابوتا من مرمر فجاءوه فيه ودفنوه في النيل لير عليه ثم يصل إلى مصر ولقد توارت الفرائعة من العاقبة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزله أو كونه بالانقضاء في حكم البعد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره ﴿من أنباء الغيب﴾ الذي لا يحصى حوله أحد وقوله ﴿نوحه اليك﴾ خبر بعد خبر أو حال من الضمير في الخبر ويجوز أن يكون ذلك اسما موصولا ومن أنباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحه اليك ﴿وما كنت لديهم﴾ يريد اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿اذ اجعوا أمرهم﴾ وهو جعلهم إياه في غيابة الحب ﴿وهم يكرهون﴾ به ويغنون له القوائل حتى تقف على ظواهر أسرارهم وبواطنها وتطلع على سر أزم طرا وتحيط بما لديهم خيرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه الصلاة والسلام في مشهد اجتماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد أيضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة وأخفى أحوالها كما ينبغي عنه قوله وهم يكرهون والخطاب وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ذلك من أنباء الغيب نوحه اليك اذ لا سبيل إلى معرفتك إياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون أيضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو قبلة الله بهم وفيه تنبيه بالكفار فكأنهم يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه أيضا إيدان بأن ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني أن مثل هذا التحقيق بلاحي لا يتصور الا بالحضور والملاحظة واذا ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يقولون أملاهم أنهم يكفل مريم

وقوله وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴿وما أكثر الناس﴾ يريد به العموم أو أهل مكة ﴿ولو حرصت﴾ أي على إيمانهم وبالفيت في اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك ﴿بمؤمنين﴾ لتصيبهم على الكفر وأصرارهم على العناد روى أن اليهود وقرىشا سألوا عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزون النبي صلى الله عليه وسلم فقبل له ذلك ﴿وما تسألهم عليه﴾ أي على الانبأ أو على القرآن ﴿من أجر﴾ من جعل كما يفعله حملة الأخبار ﴿أن هو الأذكار﴾ عطف من الله تعالى ﴿للعالمين﴾ كافة لأن ذلك مختص بهم ﴿وكأن من آية﴾ أي كأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع و وحدته وقال عليه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها ﴿في السموات والأرض﴾ أي كائنتيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الأرض من العجائب الفاتنة للحصر ﴿يمرون عليها﴾ أي يشاهدونها ولا يعيرون بها وقرى بها برفع الأرض على الابتداء ويمرون خبره وقرى بنصبها على معنى ويطؤون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبدالله والأرض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الأمم المالكة وغير ذلك من الآيات والعبر ﴿ومع عنها معرضون﴾ غير ناظرين إليها ولا متفكرين فيها ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ في اقرارهم بوجوده وخالفته ﴿الاولم مشركون﴾ بعبادتهم لغيره أو بانخاذهم الاحبار والرهبان أو بابا أو يقولهم بانخاذهم تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا أو بالنور والظلمة وهي جملة حالية أي لا يؤمن أكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الآية في أهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ أي عقوبة تقام وتسلم ﴿أو تأتيهم الساعة بغير فجأة من غير سابق علامة﴾ ﴿وم لا يشعرون﴾ يأتيها غير مستعدين لها ﴿قل هذه سبيلي﴾ وهي الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالخالص وفسرها بقوله ﴿أدعوا إلى الله على بصيرة﴾ بيان وحجة واضحة غير غميمة أو هي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الإشارة ﴿أنا﴾ تأكيد للمستكن في أدعو أو على بصيرة لانه حال منه أو مبتدأ أخبره على بصيرة ﴿ومن أتبعني﴾ عطف عليه ﴿وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ مؤكداً لمسبق من الدعوة إلى الله ﴿وما أرسلنا من قبلك الا رجالا﴾ رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة ﴿نوحى إليهم﴾ كما أوحينا إليك وقرى بالياء ﴿من أهل القرى﴾ لانهم أعلم وأحل وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والفسوة ﴿ألم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا تكذبتك ﴿ولدار الآخرة﴾ أي الساعة أو الحياة الآخرة ﴿خير للذين اتقوا﴾ الشرك والمعاصي ﴿أفلا تعلمون﴾ فستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرى بالياء على أنه غير داخل تحت قل ﴿حتى إذا استأشرك الرسل﴾ غاية لمخدوف دل عليه السياق أي لا يفرغهم تهاديهم فيها هم فيه من الدعوة والرخاء فان من قبلهم قد أهلوا حتى أيس الرسل عن النصير عليهم في الدنيا أو عن إيمانهم لانهم كهم في الكفر وتهاديهم في الطغيان من غير وازع ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ كذبهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم يصرون عليهم أو كذبهم رجائهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصير من الله تعالى قد تطاولت وتماادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصير لهم في الدنيا ﴿جاهم نصرنا﴾ فجأة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنها وظنوا أنهم قد أخطأوا ما وعدهم الله من النصير فان صبح ذلك عنه فعله أراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب وأما الظن الذي هو ترجع أحد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من آحاد الأمة فما ظنك بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم ومنزلتهم في معرفة شئون الله سبحانه منزلتهم وقيل

الضميران للرسل إليهم وقيل الاول لم والثاني للرسل وقرى بالتشديد أي ظن الرسل أن القوم كذبواهم فيا وعدوهم وقرى بالتخفيف على بناء الفاعل على أن الضميرين للرسل أي ظنوا أنهم كذبوا عند قومهم فيا حدثوا به لما ترائوا عنهم ولم يروا له أثرا أو على أن الاول لقومهم ﴿فنجي من نشاء﴾ هم الرسل والمؤمنون بهم وقرى فنجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرى فنجيا ﴿ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشية ﴿لقد كان في قصصهم﴾ أي قصص الانبياء وأممهم وينصره قراءة من قرأ بكسر القاف أو قصص يوسف واخوته ﴿عبرة لأولي الاباب﴾ لذوي العقول المبرأة عن شوائب أحكام الجس ﴿ما كان﴾ أي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة ﴿حديثا يقرئ ولكن﴾ كان ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب السماوية وقرى بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ولكن هو تصديق الذي بين يديه ﴿وتفصيل كل شيء﴾ مما يحتاج إليه في الدين اذعاب من أمر ديني الا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو بوسط ﴿وهدي﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ ينال بها خير الدارين ﴿للمؤمنين﴾ أي يصدقونه لانهم المستمعون به وأمام عدايم فلا يتدبون بدوا ولا يتفقمون بحدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علوا آفة كم سورة يوسف فانه انجسا مسلم تلاها وعليها أهله وما ملكك يتبهون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحمدا مسلما

سورة الرعد

(مدنية وفيل مكة الاثولة ويقول الذين كفروا الآية وآياتها خمس وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) اسم للسورة ومغله اما الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذه السورة مساة بهذا الاسم وهو أظهر من الرفع على الانشاء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى ﴿تلك﴾ على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان أو يدل من الاول أشير به إليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ أو اذكر فذلك مبتدأ كما اذا جعل المرسوموا على تخط التعديد أو بمعنى أنا الله أعلم وأرى على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى ﴿آيات الكتاب﴾ أي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المنزل حيثن حسب ما مر في مطلع سورة يونس اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن التعت به يظهر ما أريد من وصف الآيات بوصف ما أضيفت اليه من نفوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشبهة في الاتصاف بذلك المتينة عن التصريح بالوصف على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك إشارة إلى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التصف الذي مر تفصيله في سورة يونس ﴿والذي أنزل إليك من ربك﴾ أي الكتاب المذكور بأكمله لانه هذه السورة وحدها ﴿الحق﴾ الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بأن يخص به الحقيقة لعرفته وليس فيه ما يدل على أن ما عاده ليس بحق أصلا على أن حقيقته مستبعدة لحقيقة سائر الكتب السماوية لكونه معصدا لما بين يديه ومبينها عليه وفي التعبير عنه بالموصول واستناد الانزال اليه بصيغة المبني للفعل والتعرض لوصف الربوبية مضافة إلى ضميره عليه السلام من الدلالة على غفامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشریف المنزل إليه واليها وجه بناء الخبر ما لا يخفى ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بذلك الحق المبين لا خلاصه بالنظر والتأمل فيه فعدم إيمانهم متعلق بعنوان حقيقته

لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولا انه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار (الله الذي رفع السموات) أي خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر القيل وصغر البعوض لانه رفعا بعد أن لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي مد الأرض (بغير عمد) أي بغير دعائم جمع عمد كاهاب واهب وهو ما يعبد به أي يستند يقال عمدت الحائط أي أعمته وقرى عمد على جمع عمد بمعنى عمد كرسل ورسول وأيراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنى عن كل واحدة منها عمد لاعتماد (ترونها) استئناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جي بها إيهاما لأن لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله تعالى (ثم استوى) أي استوى (على العرش) بالحفظ والتدبير أو استوى أمره وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف وأيا ما كان فليس المراد به التقصد الى إيجاد العرش وخلقته فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة (وسخر الشمس والقمر) ذليها وجعلها طاعتين لما أريد منهما من الحركات وغيرها (كل) من الشمس والقمر (يجرى) حسبما أريد منها (لأجل مسمى) لمدة معينة فيها تتم دورته كالاستقلال للشمس والقمر فان كلاهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية أو لمدة ينتهي فيها حركتهما ويخرج جميع ما أريد منهما من القوة الى الفعل أو لناية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما (يدبر) بمصنعه من الرفع والاستواء والتسخير أي يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (الأمر) أمر الخلق كله وأمر ملكوته وروبوته (يفصل الآيات) الدلالة على كبريته وبالغ حكمته أي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الأفعال العجيبة وما يتلوه من الأوضاع الفلسفية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعه للآثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تسمية الاستواء واما مفسر ثانياً للأول في حالته والثانية من الضمير فيها أو كلاهما من ضائر الأفعال المذكورة وقوله كل يجري لأجل مسمى من تسمية التسخير أو خبران عن قوله الله خبراً بعد خبر والموصول صفة للبتدأ جي به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شأنه كما في قول الفرزدق

أن الذي سلك السبيل بنا بيتا دعائه أعز وأطول

(لعلكم) عندهما ينتكم لها وعشوركم على تفصيلها (بلفظ ربكم) بملاقاة الجراء (توقنون) فان من تدبرها حق التدبر يقن أن من قدر على إبداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدبر وأن لهذا التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من الوصول لها وقد بينت على السنة الأنبياء عليهم السلام أن ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب أعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية أردفها بذكر الدلائل السفلية فقال (وهو الذي مد الأرض) أي بسطها طولا وعرضا قال الأصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة أقطارها (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت في أحيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لانها غلبة الوصف بها عن ذلك وانحصار محي فواعل جمعا لفاعل في فارس وهو اللك ونواكس انما هو في صفات العقلاء وأما في غيرهم فلا يراعى ذلك أصلا كما في قوله تعالى أياما معدودات وقوله الحجج أشير معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى أن يجعل مفردا صفة لجمع القلة أعنى أجبالا ويعتبر في جمع الكثرة أعنى جبالا انتظامها لطائفة من مجموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردا كما قيل على أنه لا يجبال لذلك فان جمعية كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الأفراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للأفراد وجمع الكثرة لجمع القلة فكل منهما جمع جبل لا أن جبالا جمع أجبال كما أن طوائف جمع طائفة ولا لئلا أن يلتجأ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على أنه لا وجه

لعل أن الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الأرض على ثباتها (وأناهار) مجارى واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في معمولة فعل واحسانا إشارة الى أن الجبال منشأ الانهار وبيان لفائدة أخرى للجبال غير كونها حافظة للأرض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلأ (ومن كل الثمرات) متعلق بجعل في قوله تعالى (جعل فيها زوجين اثنين) أي اثنين حقيقة ولكن اثنيّة ذلك اثنيّة اعتبارية أي جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالأبيض والأسود أو في الطعم كاللحم والحامض أو في القدر كالصغير والكبير أو في الكيفية كالخار والبارد وما أشبه ذلك ويجوز أن يتعلق بجعل الأول ويكون الثاني استئنافا لبيان كيفية ذلك الجبل (ينفث الليل النهار) استعارة تبعية تشبيهية مبنية على تشبيه ازالة نور الجبل بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالغطية أي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس أيضا بالخل على تقديم المفعول الثاني على الأول فان ضوء النهار أيضا سائر لظلمة الليل الا أن الانسب للليل أن يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار أن ظهوره في الأرض فان الليل انما هو ظلمة وفيها فوق موقع ظلمة لآليل أصلا ولا ن الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والاتضاع على انهما أيضا زوجان متقابلان مثلهما وقرى ينفث من النفثية (أب في ذلك) أي فيها ذكر من مد الأرض وإنبادها بالرواسي وأجراء الانهار وخلق الثمرات وأغشاء الليل النهار وفي الإشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار اليه في باب (آيات) باهرة وهي آثار تلك الأفاعيل البديعة جلست حكمة صانعا في على معناها فان تلك الآثار مستقرة في تلك الأفاعيل منوطه بها ويجوز أن يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الأفاعيل في تجريدية (لنقوم بفكر ون) فان التفكير فيها يؤدي الى الحكم بأن تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والأسلوب اللائق لا بد له من مكن قادر حكيم يفعل ما يشاء يختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد (وفي الأرض قطع) جملة مستأنفة مشتملة على طائفة أخرى من الآيات أي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك (متجاورات) أي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطع متجاورات أي جعل في الأرض قطعاً (وجنات من أعاب) أي بساتين كثيرة منها (وزرع) من كل نوع من أنواع الجبوب وافراة لمراعاة أصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومبايحتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى (ونخل) لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى (صنوان وغير صنوان) فاصلة والصنوان جمع صنو كفتون وقنوهي النخلة التي لها رأسان وأصلها واحد وقرى يضم الصاد على لغة بني عجم وقيس وقرى جنات بالنصب عطفا على زوجين والجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات في هذا السلك مع أن اختصاص كل من تلك القطع بمثلها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلست قدرته حين مد الأرض ودحاها للآيات الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرى وزرع ونخل والجر عطفا على أعاب أو جنات (يسقى) أي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخل وقرى بالتأنيث مراعاة للفظ والاول اوفى بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي (بماء واحد) لاختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار أو بماء الانهار (يفضل) مع تأخذ أسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا (بعضنا على بعض) آخر منها (في الأكل) فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرى بالياء

على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفعل وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على أن عدم احتمال استناد الفعل إلى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل (أن في ذلك) الذي فصل من أحوال القطع والجنات (لايات) كثيرة عظيمة ظاهرة (لقوم يقولون) يعلمون على قضية عقولهم فإن من عقل هذه الأحوال العجيبة لا يتلعم في الجزم بأن من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حداثتي ذات بهجة قادر على إعادة ما أبداه بل هي أهون في القياس وهذه الأحوال وإن كانت هي الآيات أنفسها لا أنها فيها إلا أنه قد جردت عنها أمثالها بما لفت في كونها آية في تجريدية مثلاً في قوله تعالى لم فيها دار الخلد أو المشار إليه الأحوال الكلية والآيات أفرادها الحادثة شيئاً فشيئاً في الزمنة وأحدها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها في على معناها وحيث كانت دلالة هذه الأحوال على مدلولها أظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض العقل ولذا لم يتعرض لغير تفصيل بعضها على بعض في الآكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف الثبوت عليه على نوع تأمل وتفكر كما أنه لا حاجة في ذلك إلى التفكير أيضاً وفيه تعرض بأن المشركين غير عاقلين (وإن تعجب) يا محمد من شيء (فيعجب) لا تعجب منه حقيق بأن يقصر عليه التعجب (قولهم) بعد مشاهدة ما عدد لك من الآيات الشاهدة بأنه تعالى على كل شيء قدير (أنذا كنا تراباً) على طريقة الاستفهام الإنكارى المفيد لكل الاستبعاد والاستحالة وهو في محل الرفع على البديلة من قولهم على أنه بمعنى المقول أو في محل النصب على المفعولية منه على أنه مصدر للعجب على الأول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في إذا مادل عليه قوله (أننا لنخلق جديداً) وهو نبعت أو نعد وتقدم الطرف لتقوية الإنكار بالبعث بتوجيه إليه في حالته منافية له وتكرير الهزيمة وقولهم أننا لنأكدا الإنكار وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم تراباً بل كونهم بمرئضة ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتعاديتهم في التكبر ما لا يخفى وقيل وإن تعجب من قولهم في إنكار البعث فعجب قولهم والمآل وإن تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وإن تعجب من إنكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتأمل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له أي أن تعجب يامن ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه أفعاله فآزده تعجبا من يتكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو أهون من هذه والأنسب بقوله ويستعجلونك بالسبئية هو الأول وقوله تعالى فمجب خبر تقدم على المبتدا للقصر والتسجيل من أول الأمر يكون قولهم ذلك أمر أعجيبا ويجوز أن يكون مبتداً لكونه موصوفاً بالوصف المقدر كما أشير إليه فالعنى وإن تعجب فالعجب الذي لا يحجب وراه قولهم هذا أعجب منه وعلى الأول وإن تعجب فقولهم هذا أعجب لا يحجب فوقه (أو لك) مبتداً والموصول خبره أي أولئك المتكبرون لقدرة تعالى على البعث ريثما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملتجة لهم إلى الإيمان لو كانوا يصيرون (الذين كفروا بربهم) ونسأدوا في ذلك فإن إنكارهم لقدرة عز وجل كفر به أي كفر (وأولئك) مبتداً خبره قوله (الآغلال في أعناقهم) أي مقيدون بقيود الضلال لا يرجي خلاصهم أو مغلولون يوم القيامة (وأولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات (أصحاب النار هم فيها خالدون) لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لخصيص الخلود بتكرير البعث خاصة بل بالجلبج المدلول عليه بقوله تعالى أولئك الذين ذفروا بربهم (ويستعجلونك بالسبئية) بالعقوبة التي أنذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استنزاهم بأنذاره (قبل الحسنة) أي العافية والاحسان إليهم بالامهال (وقد خلط من قبلهم المثلاث) أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فالهم لا يمترون بها ولا يحتزنون وحاول مثلاً بهم والجلالة الحالية لبيان ركا كثر أتهم

في الاستعجال بطريق الاستنزاه أي يستعجلونك بها استنزاهين بأنذارك متكررين لوقوع ما أنذرتهم إياه والحال أنه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين والمستنزاهين والمثلة به من السيرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للخصائص وقرئ المثلاث بضمثين باتباع الفاء العين والمثلاث بفتح الميم وسكون التاء كما يقال السيرة والمثلاث بضم الميم وسكون التاء تخفيف المثلاث جمع مثله كركبة وركبات (وإن ربك لذو مغفرة) عظيمة (لئلا على ظلمهم) أنفسهم بالذنوب والمعاصي وعمله النصب على الحالية أي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمخني إن ربك لغفور للناس لا يجعل لهم العقوبة وإن كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها (وإن ربك لشديد العقاب) يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للامهال وعنه عليه الصلاة والسلام لولا عفو الله وتجاوزته ما هنا لأحد العيش وأولاً وعيده وعقابه لا تنك كل أحد (ويقول الذين كفروا) وهم المستعجلون أيضاً وما عدل عن الاضمار إلى الموصول ذمأ لهم ونعياً عليهم كفروهم بآيات الله تعالى التي تحرطها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأساً ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا (ولا أنزل عليه آية من ربه) مثل آيات موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام عتادا ومكابرة والافني أدنى آية أنزلت عليه عليه الصلاة والسلام غنية وبيرة لأولى الابواب (إنما أنت منذر) مرسل للأنذار من سوء عاقبة ما باتون و يذرون كدأب من قبلهم من الرسل وليس عليك إلا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة إلى الزامهم والقامهم الحجة بالآتيان بما اقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) معين لا يلدن بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يخص به حكم لا يعلم إلا الله أو لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك إلا إظهارهم فلا يهتكم عتادهم وإنكارهم للآيات المزلزة عليك وإزداؤم بها ثم عقب بما يدل على كمال عليه وقدرته وشمول فضائه وقدره المميز على الحكم والمصالح جميعاً على أن تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بمس من الآيات إنما هو للحكم الداعية إلى ذلك إظهاراً لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدى إلا من تعلق بهدائه مشيته التابعة لحكمه استأثر بعلمها فقال (الله يعلم ما تعمل كل أتى) أي عمله فما موصولة أريد بها ما في بطنها من حين العلو إلى زمن الولادة لا يهدى تكامل الخلق حفظ العلم متعدد إلى واحد أو أي شيء تعمل وعلى أي حال هو من الأحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استنباهة معلقة للعلم أو حلقها فهي مصدرية (وما تنقيض الأرحام وما تزدد) أي تنقصه وتزادها في الجنة كالخديج والنام وفي المدة كالمولود في أقل مدة الحمل والمولود في أكثرها وفيها بينهما قيل إن الضحك ولد في ستين وهم بن حبان في أربع ومن ذلك سمي هرما في العدد كالأحد فافوقه ويرى أن شريكاً كان ذراعاً أربعة أو يعلم نقصها وإزديادها لما فيها فالفلان متعددان كما في قوله تعالى وغضب المساء وقوله تعالى وإزادها وتسا وقوله وتزداد كيل بعير أو لازمان قد أسند إلى الأرحام مجازاً وهما لما فيها (وكل شيء) من الأشياء (عنده بمقدار) بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله أتناكل شيء خلقناه بقدر فإن كل حادث من الأعيان والأعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومبادئها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوز والمراد بالعتدية الحضور العلى بل العلم الحضورى فإن تحقق الأشياء في أنفسها في أي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة إلى الله عز وجل (عالم الغيب) أي الغائب عن الحس (والشهادة) أي الحاضر لمعبر عنهما بهما مبالغة وقيل أريد بالغيب المعلوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدا محذوف وأخبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الخ (الصكبر) العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (التمتع) المستعمل على كل شيء بقدرته أو المنزه

عن نعت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه أنه عالم بجميع أحوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالم الخيب والشهادة بين أنه تعالى عالم بجميع ما أتون وما يذرون من الأفعال والأقوال وأنه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال (سواء منكم من أسر القول) في نفسه (ومن جهره) أظهره لغيره (ومن هو مستخف) مبالغ في الاختفاء كأنه مخف (بالليل) وظالم الزيادة (وسارب) يبرز يراه كل أحد (بالنهار) من سر سرب وبأى برز وهو عطف على من هو مستخف أو على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله

تعال فان عاهدتني لا تخونني تكن مثل من ياذنب يصطحبان

كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان أسند الى من أسر ومن جهر والى المستخفي والسارب لكن في الحقيقة مستدلى ما أسره وما جهر به أو الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الأخيرين وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكانه في التعاقب بالمعقبات أقدم منه بالظواهر والانتسب الى الكل سواء لمساعفته آتفا (له) أى لكل من أسر أو جهر والمستخفي أو السارب (معقبات) ملائكة تختب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا أو لانهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونه أو أعقب فادغمت التاء في القاف والتاء للبالغة أو المراد بالمعقبات الجاعات وقرئ: معاقب جمع معقب أو معقبة على معنى بعض الباء من إحدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جميع جوانبه أو من الأعمال ما قدم وأخر (يحفظونه من أمر الله) من بأسه حين أذن بالاحتسبال والاستغفار له أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ: به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية للمعقبات وقيل المعقبات الحراس والملازمة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضا الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والعافية (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الأعمال الصالحة أو ملكاتها التي هي نظرة الله الى فطر الناس عليها الى أحوالها (واذا أراد الله بقوم سوءا) لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك (فلا سر له) فلا رده والعامل في اذا ما دل عليه الجواب (وما لهم من دونه من وال) يلى أمرهم ويدفع عنهم سوء الذي أراد الله بهم بما قدمت أيديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال وإيذان بأنهم بما يشره من انكار البعث واستعمال السيئة واقتراض الآية قدغروا ما بأنفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه (هو الذي يرىكم البرق خوفا) عن الصاعقة (وطمعا) في المطر فوجه تقديم الخوف على الطمخ ظاهر لما أن الخوف على النفس أو الرزق الشديد والمطموع فيه الرزق المترب وقيل الخوف أيضا من المطر لكن الخوف منه غير الطامع فيه كالخوف والحرث وبأبواب الترتيب اللهم الآن يتكلف ما أشير اليه من أن الخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصبا ما على المصدرة أي تخافون خوفا وتطمعون طمعا أو على الحالية من البرق أو المخاطبين بضار ذوى أو يحمل المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل مبالغة أو على العلية بتقدير المضاعف أي ارادة خوف وطمع أو بتأويل الاعاقة والاطمئاع ليتحد فاعل العلة والفعل المعامل وأما جعل المعلى هي الرؤية التي تضمنها الاشارة على طريقة قول النابتة

وحلت يوق في بفاع يمنع تخال به راعى الخولة طائرا

حذارا على أن لا ينال معاوى ولا نسوق حتى يمت حراثا

أى أحلت يوق حذارا فلا سبل اليه لان ما وقع معرض العلة الثانية لاسباب الخوف لا يصلح علة لو ثبتهم (وينشئ السحاب) التمام المنسحب في الجو (القال) بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى

الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقيل كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام (ويسبح الرعد) أى ساقوه من العباد الراجين للعلم ملتبدين (بجمعه) أى يصجون بسبحان الله والحمد لله واستاندا الى الرعد لجله لم على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه عبارة عن دلالة على وحدانيته تعالى وقضه المستوجب لخدمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وإذا اشتد به قول اللهم لا تقننا بغضبك ولا تملكننا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبح له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن الرعد فقال ذلك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك (والملائكة) أى يسبح الملائكة (من خيفته) من هيبة واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلك بذلك (وهم) أى الكفرة والمخاطبون في قوله تعالى هو الذي يرىكم البرق وقد التفت الى الغيبة أيذنا باسقاطهم عن درجة الخطاب وعرضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل أمثال هذه الافعال العجيبة من ازالة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته وبقائها من المؤمنين أو الرعد نفسه أو الملك الموكل به والملائكة و يعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبة تعالى وهم أى الكفرة الذين حكيت ههناهم مع ذمهم وهو انهم وحقارة شأنهم (بمجادلون في الله) أى في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعمال العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يرىكم البرق الخ أو على قوله يعلم ما تعمل الخ وأما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استعمال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال أى فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدل وقد أريد به ما أصاب أريد بن ربيعة أخا ليلى فانه أقبل مع عمر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبينانه الغوائل فدخلوا المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس في نفر من الأصحاب رضي الله عنهم فاستشرقوا لجمال عمر وكان من أجل الناس وقد كان أوصى الى أريد انه اذا رأى بقى أكرم محمد عليه الصلاة والسلام فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه الصلاة والسلام فدار أريد من خلفه عليه الصلاة والسلام فاخرطه من سيقه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عمر يرمي اليه فرأى النبي عليه الصلاة والسلام الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على أريد صاعقة في يوم صحو صائف فأحرقته وولى عمر هاربا فزل في بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا مالك الموت ويقول الشعر ويقول والملائكة لئن أبحرني لمحمد وصاحبه يعنى ملك الموت لا نفذنها برحمتي فأرسل الله تعالى ملكا فطلبه بجناحه فأرداه في التراب فخرج على ركبته في الوقت غدة عظيمة فقاد الى بيت السلوية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره وقيل أريد به ما روى عن الحسن أنه كان رجلا من طواغيت العرب فبغت النبي عليه الصلاة والسلام بفرا من أصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم أخبروني عما تدعونني اليه فاهو وهم هو من ذهب أم من فضة أم من نحاس أم من حديد أم من در فاستعظموا أمقائه فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعنى على الله منه فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا اليه فارجعوا الى الله فارجعوا الى الله وأخبرت فرجعوا اليه عليه الصلاة والسلام وأخبروه بما صنع فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا اليه فارجعوا اليه فينالهم عنده بنازعونه اذا ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورميت بصاعقة فاحترق الكافر فجاءوا يسعون

ليخبره عليه الصلاة والسلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احقرى صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحى
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو شديد الحال أي والحال أنه شديد الماحلة والمكابر والمأكرة لأعدائه من محله
إذا كاده وعرضه للهلك ومنه تحمل إذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محال من المحل بمعنى القوة وقيل محول من
الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعول من حال يحول إذا احتال ويجوز أن
يكون بمعنى الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد ومواساه أحد (له دعوة الحق) أي الدعوة
الثابتة الواقعة في محالها المحاجة عند وقوعها والاضافة الملائمة بالابتها للحق واختصاصها به كونه معزولاً من شأنة الإعلان
والضيق والاضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه أي الدعوة الملائمة بحضرته كما في قوله عليه الصلوة والسلام
فن كانت هجرة إلى الله ورسوله فحجته إلى الله ورسوله والعرض لوصف الحقيقة لثبوت معنى الاستجابة والاولى هو
الاول لقوله تعالى وما دعا الكافرين الا في ضلال وتعلق الجنتين بما قبلها من حيث أن اهلاك أربد وعامر محال من
الله تعالى واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما أن كانت الآية نزلت في شأنهما أو من حيث أنه وعبد
للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتخديرهم بإجابة دعوتهم عليهم (والذين يدعون)
أي الاصنام الذين يدعونه المشركون خذف العائد (من دونه) من دون الله عز وجل (لا يستجيبون لهم بشئ)
من طلباتهم (الا كاستجابة كاهن كاهن) أي الاستجابة كانه كاستجابة الكاهن لربط كفياله من بعد فالاستجابة
مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر أي لا يستجيبون ويجوز أن يكون من المبني للمفعول ويضاف
إلى الباسط بناءً على استازام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجوداً وعدمه فكانه قيل لا يستجيبون
لهم بشئ فلا يستجاب لهم الاستجابة كانه كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء كما في قوله

وعصاة دهر يابن مروان لم تدع من المال إلى مسحت أو يحلف

أي لم تدع فلم يبق الا مسحت أو يحلف (ليبلغ) أي الماء بنفسه من غير أن يؤخذ بشئ من اناء ونحوه (فاه وما
هو) أي الماء (بالفه) يبلغ فيه أبداً لكونه جامداً لا يشعر بعطشه ولا يبسط يده إليه فضلاً عن الاستطاعة لما
أراد من البلوغ إلى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعا ألهتهم على شئ أصلاً وركاكة رأيهم في ذلك
بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء يعني وصوله إلى فيه من غير ملاحظة التشبه
في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شئ نافع بخلاف آلهتهم والمراد في الاستجابة رأساً الا أنه قد أخرج
الكلام مخرج التهم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئاً من الاستجابة الا استجابة كانه في هذه الصورة التي ليست فيها شأنة
الاستجابة قطعاً فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالثاء وكسب بالتثنية (وما دعا الكافرين
الا في ضلال) أي ذهاب وضيع وخسار (ولله) وحده (يسجد) يخضع وينقاد لشيء غيره استقلالاً ولا
اشترافاً فالتقصر ينظم القلب والافراد (من في السموات والارض) من الملائكة والنفوس (طوعاً وكرهاً) أي
طائعين وكرهين أو انقياد طوع وكره أو حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقيادهم لأحداث
ما أراد فيهم من أحكام التكوين والاعدام شافراً أو أبداً وعدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشؤون
مما لا يخفى على أحد (وظلالهم) أي وتقادله تعالى ظلال من له ظل منهم أعني الإنس حيث تصرف على مشيئته
وتأق لا رادته في الاستداد والتقصص والتي والزوال (بالعدو والأصنام) ظرف للسجود المقدرة أو حال من الظلال
وتخصيص الوترين بالذكر مع أن انقيادها متحقق في جميع أوقات وجودها لظهور ذلك فيها والعدو جميع غداة كفتي

في جمع فتاة والأصنام جمع أصيل وقيل جمع أصل وهو جمع أصيل وهو ما بين النصر والمغرب وقيل العدو مصدر يؤيده
أنه قرئ والأصنام أي الدخول في الأصل هذا وقد قيل أن المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطراب وهو
المعنى بقوله تعالى وكرها يخضون السجود به سبحانه قال تعالى فإذا ركعوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد
أن يخلق الله تعالى في الظلال أفيها ما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها
آثار التجلي كما قاله ابن الأتباري ويجوز أن يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعاً لاصحابها وأنت خير بأن
اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء محال بالقصر
المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حل السجود على الانقياد ولأن تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له
تعالى أدخل في التوبيخ على اتخاذ أولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون
غيرهم أيضاً كذلك لأنهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على أنه بين ذلك بقوله عز وجل (قل من رب السموات
والارض) فانه لتحقيق أن خالقهما ومتولى أمرهما مع ما فيهما على الإطلاق هو الله سبحانه وقوله تعالى (قل الله)
أمر الجواب من قبله عليه الصلاة والسلام اشعاراً بأنه معين للجوابية فهو الخصم في تقريره سواء أو أمر بحكاية
اعترافهم أيضاً بأنه أمر لا يدعهم من ذلك كانه قيل أحك اعترافهم فيكتم بما يليهم من الحجة وألقمهم الحجر أو أمر
بتلقينهم ذلك أن تلغسوا في الجواب حذر من الإلزام فانهم لا يتألمكون اذذاك ولا يقدر أن ينكروا (قل) الزاما
لهم وبكيتاً (فأتخذتم) لأنفسكم والهزلة لانكار الواقع كما في قولك أضربت أهلك لانكار الواقع كما في قولك أضربت
أبي والفا للطف على مقدار بعد الهزيمة أي أعلمتم أن ربهما هو الله الذي ينقاد لأمره من فيهما كافة فاتخذتم عتيبه
(من دونه أولياء) عاجزين (لا يملكون لأنفسهم نفعا) يستجلبونه (ولا ضرا) يدفعونه عن أنفسهم فضلاً
عن القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضرر عنه لاعلى أن يكون الإنكار متوجهاً إلى المظوفين معاً في قوله تعالى
أفلا تعقلون إذا قدر المظوف عليه الاستمعون بل إلى ترتيب الثاني على الأول مع وجوب أن يترقب عليه نقيضه كما
إذا قدر أسمعهم والمعنى أبعد أن علمتم أن ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه أولياء بحجة والحال أن قضية العلم
بذلك أمسا هو الاقتصار على توليه فمكتم الأمر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفخذونه وذريته
أولياء من دونه وفي وصف الأولياء هنا بعدم المسالك للنفع والضرر في ترشيح الإنكار وتأكيد كقيده الاتخاذ هناك
بالجمله الحالية أعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلاهما ما عاينى الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره (قل) تصوريا لآرائهم
الركيكة بصورة المحسوس (هل يستوى الأعمى) الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومشتقها (والبصير) الذي
هو الموحد العالم بذلك أو الأول عبارة عن المعبود الغافل والثاني إشارة إلى المعبود العالم بكل شئ (أم هل تنسى الظلمات)
التي هي عبارة عن الكفر والضلال (والنور) الذي هو عبارة عن التوحيد والایمان وقرئ (بالأ) ولما دلل النظم
السكرم على أن الكفرة في فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله سبحانه في الضلال الخوض والخطأ البحت بحيث
لا يخفى بطلانه على أحد وأنهم في ذلك كالأعمى الذي لا يبتدى إلى شئ أصلاً وليس لهم في ذلك شبه تصلح أن تكون منشأ
لغلطهم وخطئهم فضلاً عن الحجة أكد ذلك بقيل (أم جعلوا لله) أي بل أجعلوا له (شركاً خلقوا خلقه) سبحانه
والهزيمة لانكار الواقع لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا خلقه هو الذي يتوجه إليه الإنكار وأما نفس الجعل فهو
واقع لا يتعلق به الإنكار بهذا المعنى والمعنى أنهم جعلوا لله تعالى شركاً خلقوا خلقه (فتشابه الخلق عليهم) بسبب ذلك
وقالوا هو لا خلقوا خلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة فاستحقوا ليكون ذلك منشأ لخطئهم بل إنما جعلوا له شركاً

ما هو بمنزل من ذلك الملة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم والتهم بهم ﴿قل﴾ تحقيقا للحق وإرشادا لهم اليه ﴿الله خالق كل شيء﴾ كافة لا خالق سواه فيشاركة في استحقاق العبادة ﴿وهو الواحد﴾ المتوحد بالالوهية المفردة بالربوبية ﴿القيوم﴾ لكل ماسواه فكيف يتوهم أن يكون له شريك وبعد حامل المشرك والشرك بالأعشى والطلبات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فضائه من جناب القدس على قلوب عالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الآلة مذاكرة وتلاوة وفي بانه فيما مع كونه بمدى حياتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والأعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في أودية يابسة لم تخرج عذاتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في أحياء الأرض وما عليها الباقي فيها حسب يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل إلى البهجة الأبدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلوات التي يتخذ منها أنواع الآلات والأدوات وتبقى متفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلى به الكفرة لتصور نظرم بما يظهر فيها من غير مداخله فيها وإخلال بصفتها من الزبد الراني فوقها المضحل سريعا فقل ﴿أزل من السماء﴾ أي من جهتها ﴿ماء﴾ أي كثيرا أو نوعا منه وهو ماء المطر ﴿فسال﴾ بذلك ﴿أودية﴾ واقعة في مواقعها لأجبع الأودية إذا لمطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو مفرج بين جبال أو تلال أو أكام على الشذوذ كناد وأندية وناج وأنجحة قالوا وجهه أن فاعلا يعني فعمل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعلم وعلم وحيث جمع فعل على أفعلة كجرب وأجرية جمع فاعل أيضا على أفعلة فان أريد بها ما يسيل فيها مجازا فاستاد السيلان إليها حقيق وإن أريد معناها الحقيقي فالاستاد مجازي كما في جرى النهر وإشار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المائلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما أشير إليه ﴿بقدرها﴾ أي سالت متنسبة بمقدارها الذي عنه الله تعالى واقتضت حكمت في تقع الناس أو بمقدارها متفاوتة وكثرة بحسب تفاوت عاقلها صفرا وكبرا لا يكونها مائلة لها منطبق عليها بل بمجرد قلتها بصفرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد السيل الجاري في الوادي الصغير أقل من مورد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان أريد بالأودية ما يسيل فيها أما ان أريد بها معناها الحقيقي فالحق سالت مياهها بقدر تلك الأودية على نحو ما عرفته آتفا أو يراد بتضميرها مياهها بطريق الاستنباط ويراد بقدرها ما ذكر أولا من المئينين ﴿فاحتمل السيل﴾ الجاري في تلك الأودية أي حمل معه ﴿زبدا﴾ أي غثا ورفغا وانما وصف ذلك بقوله تعالى ﴿وابيا﴾ أي عاليا متفخفا فوقه يانا لما أريد بالاحتفال المحتمل لكون الخيل غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بأن يقال فاحتمل السيل فوقه للإيذان بأن تلك القوة مقتضى شأن الزبد لأن جهة المحتمل تحقيقا للمائلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور في باني الرأي من غير مداخله في الحق ﴿وما يوقدون عليه في النار﴾ أي يفعلون الإيقاد عليه كائنات في النار والضمير للناس أضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ﴿ابتغا حلية أو متاع﴾ أي طلب اتخاذ حلية وهي ما يزين ويتجمل به فالحلى المتخذة من الذهب والفضة أو اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الآواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلوات ﴿زبد﴾ خبث ﴿مثله﴾ مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقول زبد مبتدا خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدا وناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لإخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لمسا في حيز الصلة من إيقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فأوقد لي ياها من على الطين وإشارة إلى كيفية حصول الزبد منه بدو بانه

وفي زيادة في النار إشعار بالمبالغة في الاعتغال للاذابة وحصول الزبد كما أشير إليه وعدم التعريض لإخراجه من الأرض لعدم دخول ذلك العنوان في التمثيل كما أن عنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسب فصل فيما سلف بل له إخلال بذلك ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت راتقة ﴿يضرب الله الحق والباطل﴾ أي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للاتباع عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كأن المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الإيما في تضاعيف ذلك إلى وجوه المائلة على أبداع وجوه وآتفا حسب أشير إليه في مواضعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المائلة من الذهاب والبقاء تمتع للعرض من التمثيل من الحدث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائد فقل ﴿فأما الزبد﴾ من كل منهما ﴿فيذهب جفا﴾ أي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ منهما كالماء الصافي والفلز الخالص ﴿فيمك في الأرض﴾ أما الماء فينبت بعضه في مناعته ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنا والآبار وأما الفلز فيصاغ من بعضه أنواع الحلي ويتخذ من بعضه أصناف الآلات والأدوات فيتنفع بكل من ذلك أنواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمك في الأرض ما هو أهم من المك في نفسها ومن البقاء في أبدى المتقلبين فيها وتغير ترتب اللب الواقع في الفلز كالمواضع للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملائمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذهاب لبقوله ﴿كذلك يضرب الله﴾ أي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب ﴿الأمثال﴾ في كل باب اعلماء لكل اللطف والعناية في الإرشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الأول أو يجعل ذلك إشارة إليهما جميعا وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالا وما لا أكمل بيان شرع في بيان حال أهل كل منهما مالا تكبلا للدعوة ترغيا وترهيبا فقل ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ اذ دعاهم إلى الحق بفنون الدعوة التي من جعلها ضرب الأمثال فانه ألطف ذريعة إلى تقيم القلوب الفية وآتوى وسيلة إلى تسخير النفوس الآية كيف لا وهو تصوير للعقول بصورة المحسوس وإبراز لا وابد المعاني في هيئة المانوس فأى دعوة أول منه بالاستجابة والقبول ﴿الحسن﴾ أي المثوية الحسن وهي الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وعاندوا الحق الجلى ﴿لأن لهم مافي الأرض﴾ من أصناف الأموال ﴿جميعا﴾ بحيث لم يشذ منه شاذ في أقطارها أو مجموعا غير متفرق بحسب الأزمان ﴿ومثله معه لاقدواه﴾ أي بمسا في الأرض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم مالا يحيط به البيان فالموصول مبتدا والشرطية كما هي خبره لكن لاعلى أنها وضعت موضع السومى فوقعت في مقابلة الحسن الواقعة في القرينة الأولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كأنه قيل وللذين لم يستجيبوا له السومى كما يوم فان الشرطية وإن دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمنزل من القيام مقام لفظ السومى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول أو ضميره وعليه بدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ وحيث كان اسم الإشارة الواقع مبتدا في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدا في الجملة السابقة كان خبرها أعنى الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة وميئنا لاجها مضمون الشرطية الواقعة خبرا أولا ولذلك ترك العطف فصار كأنه قيل وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب وذلك في قوة أن يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد قبح حسن المقابلة على أبلغ وجه وأكده ثم بين مؤدى ذلك فقل ﴿ومأواهم﴾ أي مرجعهم ﴿جهنم﴾ وفيه نوع تأكيد لتفسير الحسن بالجنة ﴿وبئس المهاد﴾ أي المستقر والخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله تعالى للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الأمثال أي الأمثال

الساقطة وقوله الحسنى حصة للبصير أى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الأول وقوله لو أن لهم الخ كلام مستأنف مسوق لبيان ما أعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين أى هما مثلا الفريقين وأنت خير بأن عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه أمر التمثيل وأن الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى أيضا كقوله سبحانه يضرب الله مثلا الذين آمنوا امرأة فرعون وظفارة على أن بعض الأمثال المضروبة لاسيا المثل الأخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل الحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضرو بالهم أيضا بأن يجعل في حكم أن يقال كذلك يضرب الله الأمثال للناس أذلا وجه حيث تلتو بهم إلى المستجيبين وغير المستجيبين فامل **﴿أقن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك﴾** من القرآن الذى مثل بالماء المنزل من السماء والابرز الخالص من المنفعة والجذوى **﴿الحق﴾** الذى لا حق وراءه أو الحق الذى أشير إليه بالأمثال المضروبة يستجيب له **﴿من هو أعمى﴾** عمى القلب لا يشاهد وهو نازع على ولا يقدر قدره وهو فى أقصى مراتب العلو والعظم فيجب حثا في ظلمات الجبل وغياهب الضلال أو لا يتذكر بما مضى من الأمثال أى كمن لا يعلم ذلك إلا أنه أريد زيادة تقييد حاله فغير عنه بالأعمى وإيراد الفاء بعد المعرفة لتوجيه الإنكار إلى ترتيب توهم المائلة بينهما ثم استأنف فقيل **﴿انما يتذكر﴾** بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والثباتى **﴿أولو الأبواب﴾** أى العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الآلف ومعارضة الوهم **﴿الذين يؤمن بعد الله﴾** بما عقدوا على أنفسهم من الاعتراف بربوبية تعالى حين قالوا لا إله إلا هو وأما بعد الله عليهم في كتبه **﴿ولا ينقضون الميثاق﴾** ما وقوه على أنفسهم وبقاؤه من الأيمان بالله وغيره من الموافيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد للاستمرار المفهوم من صفة المستقبل **﴿والذين يضلون ما أمر الله به أن يوصل﴾** من الرحم وموالاته المؤمنين والايمن بجميع الانبياء المجمعين على الحق من غير تفرق بين أحد منهم وندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الحر والدماج **﴿ويخشون ربهم﴾** خشية جلال وهيبته فلا يعصونه فيما أمر به **﴿ويخافون سوء الحساب﴾** فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فطاعته حسبا ذكر فيما قبل **﴿والذين صبروا﴾** على كل ما تكفه النفس من الأفعال والتروك **﴿ابتغاء وجه ربهم﴾** طلبا لرضاه خاصة من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق رياء وسمعة ولا إلى جانب النفس زينة ونجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الأمر في كل ما ذكر من الصلوات السابقة واللاحقة أورد على صفة المسامحة اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب تحقيقه فان ذلك مما لا بد منه أما في أنفس الصلوات كما في أبعاد الأولى والرابعة والخامسة أو في أظهار أحكامها كما في الصلوات الثلاث المذكورات فانها وإن استندت عن الصبر في أنفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن أظهار أحكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج إليه **﴿وأقاموا الصلوة﴾** المفروضة **﴿وانفقوا مما رزقناهم﴾** أى بعضه الذى يحب عليهم انفاقه **﴿سرا﴾** لمن لم يعرف بالمبال أو لمن لا يهتم بترك الزكاة أو عند انتفاقه واعطاء لمن تمتعه المروحة من أخذه ظاهرا **﴿وعلاية﴾** لمن لم يكن كما ذكر أو الأول في التطوع والثاني في الفرض **﴿ويدرون بالحسنة السيئة﴾** أى يجازون الاسائة بالاحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتعصوها عن ابن عباس رضى الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا أعفوا واذا قطعو أوصلو وعن ابن كيسان اذا أذنبوا أتابوا وقيل اذا أراوا منكر الأمر واتبعوا وتقدم المحرور على المنصوب

لاظهار كمال العناية بالحسنة **﴿أولئك﴾** المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجليلة وهو مبتدأ خبره بالجملة الظرفية أى قوله تعالى **﴿لهم عقي الدار﴾** أى عاقبه الدنيا وما ينبغي أن يكون مآلا أمر أهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خير لا أولئك وعقي الدار فاعل الاستقرار وأما ما كان فليس فيه قصر حتى يرد أن بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التى يخل اخلاؤها بالموصول إلى حسن العاقبة والجملة خبر للموصول المتعاطفة أو استئناف لبيان ما استوجبه تلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولى الأبواب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلوات المذكورة مدخل في التذكر **﴿جنات عدن﴾** بدل من عقي الدار أو مبتدأ خبره **﴿يدخلونها﴾** والعنن الإقامة ثم صار على الجنة من الجنات أى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة **﴿ومن صلح من آياتهم﴾** جمع أبوى كل واحد منهم فكأنه قيل من آياتهم وأصواتهم **﴿وأزواجهم وذرياتهم﴾** وهو عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالصغير الآخر أو مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم تعظيماً لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تملأ بالشفاعاة وأن الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة دخول الجنة زيادة في أنهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطلاع الفارغة من تنسك بمجرد دخول الانساب **﴿ولملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾** من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائمين **﴿سلام عليكم﴾** إشارة لهم بدوام السلامة **﴿بما صبرتم﴾** متعلق بعليك أو محذوف أى هذه الكرامة العظمى بما صبرتم أى بسبب صبركم أو يدل ما احتلتم من مشاق الصبر ومتاعه والمعنى لمن تميمت في الدنيا لقد استرحمت الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلوات السابقة لما قدمناه من أن له دخلا في كل منها ومنه راحة من حيث أنه ملاك الأمر في كل منها وان شئنا سبحانه لا يفتنه إلا بأن يكون لا تغناه وجه الرب تعالى وتقدس **﴿فهم عقي الدار﴾** أى فهم عقي الدار الجنة وقرئ **﴿لجنح التوت والاصل نعم فسكن العين ينقل حركتها إلى اللون نارة وندوة أخرى وعن النبي عليه السلام انه كان يأتي قبر الشهداء على رأس كل حوك فيقول سلام عليكم بما صبرتم فمهم عقي الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم أجمعين **﴿والذين ينقضون عهد الله﴾** أريد بهم من يقابل الأولين وبما قدمهم في الاتصاف بنقض صفاتهم **﴿من بعد ميثاقه﴾** من بعد ما وقوه من الاعتراف والقبول **﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾** من الايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاته المؤمنين وغير ذلك مما لا راعون حقوقه من الأمور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقص والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحقيقه في ضمن الحسنات المعدودة ليقمن معتدا بهن فلا وجه لنفيه عن بينه وبين الحسنات بعد المشرفين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكاة من لا يحوم حول أصل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان أريد بالاتفاق التطوع فففيه مندرج تحت قطع ما أمر الله تعالى بوصله وأما ذكر السيئة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازى احسانه عز وجل بتقص العبد ومخالفة الأمر ويأمر الفساد بدأ حسبا يحكيه قوله عز وعلا **﴿ويفسدون في الارض﴾** أى بالظلم وتبيح الفتن كيف تصورت مجازاة الاسائة بالاحسان على أن ذلك يشعر بأن له دخلا في القضاء إلى العقوبة التى يبنى عنها قوله تعالى **﴿أولئك﴾** الخ أى أولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح **﴿لهم﴾** بسبب ذلك **﴿الجنة﴾** أى الأبعاد من رحمة الله تعالى **﴿ولهم﴾** مع ذلك **﴿سوء الدار﴾** أى سوء عاقبة الدنيا أو عذاب جهنم فانها دارهم لأن ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير فان مجازاة السيئة**

بمثلها ما أدون فيها ودفع الكلام السيء الحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة وأما ما اعتبر اندراج تحت الصلة الثانية من الاختلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لأن اعتباره من حيث أنه من مستبعات الاختلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لم لتأكيد والایذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت «الله يبسط الرزق» أي يوسع «لن يشاء» من عباده «ويقدر» أي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسطه للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يفتقر ببسطه للكافر كما لا يقدر بقدره المؤمن «وفرحوا» أي أهل مكة فرح أشد وبطر لافرح سرور بفضل الله تعالى «بالحيوة الدنيا» وما يبسط لهم فيها من نعمها «وما الحيوه الدنيا» وما يتبعها من النعيم «في الآخرة» أي في جنب نعيم الآخرة «الامتناع» الاثنى ترويضه كعجالة الراكب وزاد الرأى والمعنى أنهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال أن ما أشروا به في جنب ما عرضوا عنه شيء قليل الفتح سريع الفناء «ويقول الذين كفروا» أي أهل مكة وإثارة هذه الطريقة على الاعتناء مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحياة الدنيا لنهمم والتسجيل عليهم بالكفر فيحكي عنهم من قولهم «لولا أنزل عليه آية من ربه» فإن ذلك في أقصى مراتب المكابرة والعناد كان ما أنزل عليه عليه السلام من الآيات العظام الباهرة ليس بأية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك أمر في الجواب بقوله تعالى «قل إن الله يضل من يشاء» اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها أي يخلق في الضلال لضره اختيارا إلى تحصيله يدعهم كما فيه العمل بأنه لا ينفع فيه العطف ولا ينفعه الارشاد كما كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكسية والغلو في الفساد فلا سبيل له إلى الاعتدال ولو جاءته كل آية «ويهدى إليه» أي إلى جنبه البلى الكبير هداية موصلة إليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل إليه فإن ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف «من أناب» أقبل إلى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وإثارة ارادها في الصلة على إيراد المشيئة كما في الصلة الأولى للتنبيه على الداعي إلى الهداية بل إلى مشيئته والاشعار بما دعا إلى المشيئة الأولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الافلاح عما هم عليه من العناد والعناد وإثارة صيغة الماضي للإيماء إلى استدعاء الهداية السابقة للانابة كما أن إظهار صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم «الذين آمنوا» بدلتهم أناب فإن أريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا إليها وأن أريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار أمرهم إلى الايمان كما في قوله تعالى هدى للبينين أي الصائرين إلى التقوى والا فلا يمان لا يؤدي إلى الهداية نفسها أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا أو منصوب على المدح «وتطمئن قلوبهم» أي تستقر وتسكن «بذكر الله» بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك وقوله ونحن نزلنا الذكر وأنا له حافظون ويعلمون أن لا آية أعظم منه فيفترحوها والعدول إلى صيغة المضارع لفائدة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتجددها «ألا يذكر الله» وحده «تطمئن القلوب» دون غيره من الامور التي تبيل اليها النفوس من الدنيا والآيات وهذا ظاهر وأما سائر المعجزات فالقصر من حيث أنها ليست في افادة الطمأنينة بالنسبة إلى من لم يشاهدها بشهادة القرآن المجيد فإنه معجزة باقية إلى يوم القيامة يشاهدها كل أحد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بأن الكفرة ليست لهم قلوب وأفئدتهم هواء حيث لم يطمئثوا بذكر الله تعالى ولم يعدوا به وهو أظهر الآيات وأبهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمة وحفتر بعد التعلق والاضطراب

من خشية كقوله تعالى ثم قلن جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو يذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو يذكره جل وعلا أنسابه وتبلا إلى فالمراد بالهداية دواء واستمرارها «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما رمز إليه أي قلوب الذين آمنوا وفيه إيماء إلى أن الانسان إنما هو القلب ومبتدأ خبره الجملة الدائرية على التأويل أعني قوله «طوبى لهم» أو خبر مبتدأ مضمرة أو نصب على المدح فتطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلنى والواو منقلبة عن الياء كوقوف وموسر وقرأ مكورة الاعراب في طيبى تسلم الياء والمعنى أصابوا أخيرا وعجلها النصب كسلاما لك أو الرفع على الابتداء وإن كانت نكرة لكونها في معنى الداء كلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى «وحسن مأب» بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقياك «كذلك» مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المنسوب بهذه المعجزة الباهرة «أرسلناك في أمة قد خلت» أي مضت «من قبلها أمة» كثيرة قد أرسل إليهم رسل «التلو» لتقرأ «عليهم الذي أوحينا إليك» من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم إلى الحق رحمة لهم وتقديم الجور على المنسوب من قبل الانبياء ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعتنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس إلى ما سيروا وحسن قولها عند ورودها عليها «وهم» أي وأحوالهم «يكفرون بالرحمن» بالبلغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمة وأساطت بنعمة والعدول إلى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فله يقدر وقدره ولم يشكر وانعمه لاسيا ما أنهم به عليهم بارسال مثلك إليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين أمر وبالسجود فقالوا وما الرحمن «قل هو» أي الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتم معرفته «ربي» الرب في الاصل بمعنى التربة وهي تبلغ الشيء إلى كاله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هونمت أي خالني ومبلغني إلى مراتب الكمال وأراد به قبل قوله «لا اله الا هو» أي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل إن أباجيل سمع النبي عليه السلام يقول بالله يا الرحمن فرجع إلى المشركين فقال إن محمدا يدعوا للدين فزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية «عليه توكلت» في جميع أمورى لاسيا في النصرة عليكم لا على أحد سواه «واله» خاصة «كتاب» أي توبى كقوله تعالى واستغفر لذنبك أمر عليه السلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة الانبياء وبما للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه والطفه فإنه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنوب وإن قل فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا يد منه أصلا وقد فرس المصاب بطلق الرجوع قليل مرجعى ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فينبغي على مصابركم تأمل «ولو أن قرأنا» أي قرأنا ما هو اسم أن والجر قوله تعالى «سيرت به الجبال» وجواب لو محذوف لانساق الكلام إليه بحيث يتلفه السامع من التالى والمقصود إمامان عظيم شأن القرآن العظيم وفساد رأى الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلى ولم يبدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما أوقف موسى وعيسى عليهما السلام وأما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماذيرهم في الضلال والفساد فالمنعنى على الأول لو أن قرأنا سيرت به الجبال أي بانزالها أو بتلاوتها عليها وزعرت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه الصلاة والسلام «أو قطعت به الارض» أي شققت وجعلت أنهارا وعيوننا كما فعل بالحجر حين ضرب به عليه السلام بمصاعده «أو كلم به الموق» أي بعد أن أحى بقراته عليها كما أحيت لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانظوار على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية

الله لا في الاجازة لا مدخل له في هدم الآثار ولا في التذكير والاذن والتعريف لاختصاصها بالمعقلا مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموقى واعتبار قبض العقول اليها محل بالمبالغة المقصودة وتقديم الحجر وفي المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التفسير لأن بتقديم ما حقه التأخير تبقى النفس مستشرقة ومترفة الى المؤخر أنه ماذا فيمكن عند ورودها عليها فضل تمكن وكلمة أو في الموضعين منع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وإن كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل المعجبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتغاله في رصمهم على الخوارق ربط ظهورها به بمبالغة في بيان اشتغاله عليها وأنه حقيق بأن يكون مصدر الكل خارق وإدراكه رأيهم في شأنه الرفع كأنه قول لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه المزو وصفهم بركاة العقل ما لا يخفى (بل لله الامر جميعا) أي له الامر الذي عليه يدور ذلك الا كونه وجودا وعدمه بفعل ما يشاء وتمكينا ما يريد لما يدعو اليه من الحكم البالغة وهو اضطراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار ما وجبه وموداه أي لو أن قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لان الامر كله له وحده فالاضراب ليس بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار (أفلم يأس الذين آمنوا) أي أفلم يعلموا على لغة هوازن أو قوم من النفع أو على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة على وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أفلم يتبين بطريق التفسير والفاء للمطف على مقدر رأى أغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا (أن لو يشاء الله) على حذف ضمير الشأن وتخفيف أن (لهدى الناس جميعا) بظاهر أمثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعا أو أعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم ما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف عليه أي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الواقع كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك ألم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس بعدم عليهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم عديم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وأنه لم يشأها وذلك لانهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجمعوا على الايمان وعلى الثاني لو أن قرآنا فعل به ما فصل من التماجيح لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أنسا زلزالهم الملائكة وطمعهم الموقى الآية فالاضراب حيث أنه متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح أي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء أي بما اقترحوا وان شاء لم يأت به حسبا تشديده داعية الحكمة من غير أن يكون لأحد عليه تحكم أو اقتراح واليأس بمعنى القنوط أي لم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقتلوا من ايمانهم حتى أجبروا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين أو أعلموا ذلك فلم يقتلوا من ايمانهم فبهم متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه أي الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى أفلا تتقون ونظائره لانكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه ما لا حرج له وقوله تعالى أن لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف أي أفلم يأسوا من ايمانهم علما منهم أو علمين بأنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وأنه لم يشأ ذلك أو بآمنوا أي أفلم يقتض الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى أفلم يأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها النفع من مكابرتهم حسبا تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دعوى انكار بأسهم وقيل ان أبا جيل

وأخبراه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نيا سيرا بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا وتتخذ فيها البساتين والقطائع وقد سخرت لداود عليه السلام فلست بأهون على الله منه ان كنت نيا كازعمت أو سخر لنا به الرجح فاسخرت لاسابان عليه السلام لتسخر عليا الشام ففدش عليا قطع الشقة البعيدة أو أبعد لنا به رجلين أو ثلاثة من مات من أبا نائز فلت فني تقطع الارض حيث قطعها بالسير ولا حاجة حينئذ الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة الى القرآن كما احتجج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء أنه متعلق بمقابلهم قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو أن قرآنسرت بالجبال أو قطعت به الارض أو كل به الموقى لكفر وبالرحمن والتذكير في كلم به الموقى لتغليب المذكر من الموقى على غيره (ولا يزال الذين كفروا) من أهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) أي بسبب ما صنعوه من الكفر والتأدي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله أو استهجانا وهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من عليه الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الايذان برسوخ في ذلك (قارعة) داهية تقرعهم وتقلعهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل والأسر والنهب والسلب وتقدم الحجر وعلى الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان أن مدار الاصابة من جهتهم أثر ذى أثر (أو تحمل) تلك القارعة (قريبا) أي مكانا قريبا (من دارهم) فيفزعونها ويظهر اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاستد بها الاصابة تارة فالحلول أخرى ففيه استعارة بالكتابة وتخييل وترشح (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو القيامة فان كلا منهما وعد محتمل لامر دله وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وأن ما ذكر سابقا فتحة بسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى (ان الله لا يخاف الميعاد) أي الوعد بالملئد والميثاق بمعنى الولافة والتوفقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخريف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حينئذ من أحوالهم ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحمل قريبا من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله الخديوية والمراد بوعده الله ما وعد به من فتح مكة (ولقد استزرى) يرسل كثيرة خلت (من قبلك فأمليت للذين كفروا) أي تركتهم ملاوقة من الزمان في أمن ودعة كما يميل للبهمة في المرعى وهذا نسبية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستزارة به ووعده لهم والمضى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو أمر مطرد قد فعل ذلك يرسل كثيرة كأنه من قبلك فأمليت للذين كفروا بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان المولى لم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين أي فأمليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أي عقابي يا هوفيه من الدلالة على تهايه في الشدة والفظافة مالا يخفى (أفمن هو قائم) أي رقيب مبين (على كل نفس) كأنه من كانت (بما كسبت) من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازى كلا بعمله وهو الله تعالى والخبر محذوف أي كن ليس كذلك لانكار لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المبالغة غيب ما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء والمديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطه بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى أن يأتي وعد الله كأنه قيل ألامر كذلك فمن هذا شأنه كاليس في عداد الاشياء حتى تشر كونه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف على توهم المبالغة على المعطوف عليه المقدر أعني كون الامر كما ذكر كما في قولك أنعم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت ألا تعمل فلا تعمل به وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء) جملة مستقلة جيها للدلالة على الخبر أو حالة أي أفمن هذه

صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شركاء واحدا أو معطوفة على الخبر أن قدر ما يصاحبه لذلك أي أفن هذا شأنه لم يوجده وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المصغر للتخصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الإهام بإيراده موصولا للدلالة على التفضيل وقوله تعالى ﴿قل سمعتم﴾ تبيكت لهم أثر تبيكت أي سمعتم من هم وماذا أسماؤهم أو صفوهم وانظر وأهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشكر ﴿أم تفتنون﴾ أي بل أنتبثون الله ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾ أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يميز عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وقرئ بالتخفيف ﴿أم يظلم من القول﴾ أي بل أنتموهم بشركاء بظاهر من القول من غير أن يكون له معنى وحقيقة كنسبة الرنحي كافر أو كقوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم وهاتيك الأساليب البديعة التي ورد عليها الآية الكريمة منادية على أنها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فبارك الله رب العالمين ﴿بل زين للذين كفروا﴾ وضع الموصول موضع المصغر فظلمهم وتجيلا عليهم بالكفر ﴿مكرهم﴾ تمويههم بالباطل أو كيدهم للإسلام بشركهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ أي سبل الحق من صد صدوا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليها وقرئ بفتحها أي صدوا الناس أو من صد صدودا ﴿ومن يضلل الله﴾ أي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره أو يغذله ﴿فأله من عاد﴾ يوقعه ليدى ﴿لهم عذاب﴾ شاق ﴿في الحياة الدنيا﴾ بالقل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فإنها إنما تصيبهم عقوبة على كفرهم ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ من ذلك بالشدة والمدة ﴿ومالم من الله﴾ من عذابه المذكور ﴿من واثق﴾ من حافظ يعصمهم من ذلك فن الأول في صلة للوقاية والثانية مزينة للتأكيد ﴿مثل الجنة﴾ أي صفاتها العجيبة الشأن التي في الغرابة كالمثل ﴿التي وعد المتقون﴾ عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف عند سبويه أي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى ﴿يجري من تحها الأنهار﴾ تفسير لذلك المثل على أنه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد إلى الجنة أي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد بأنه الناس ويعظمونه أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري الخ ﴿أكلها﴾ ثمها ﴿دائم﴾ لا ينقطع ﴿وظلها﴾ أيضا كذلك لا تنسخه النفس كما تنسخ ظلال الدنيا ﴿تلك﴾ الجنة المنوعة بما ذكر ﴿وعني الذين اتقوا﴾ الكفر والمعاصي أي ما لهم ومنتهى أمرهم ﴿وعني الكافرين النار﴾ لا غير وفيه ما لا يخفى من أطاع المتقين واتقوا الكافرين ﴿والذين آتيناكم الكتاب﴾ هم المسلمون من أهل الكتاب كعباد الله بن سلام وكتب وأضرابها ومن آمن من النصاري وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثناون وثلاثون بالحيرة ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ أذهو الكتاب الموعود في التوراة والإنجيل ﴿ومن الأحزاب﴾ أي من أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف والسيد والعاقب أسقني بنجران وأتباعها ﴿من ينكر بعثته﴾ وهو الشرائع الحادثة أنفاسا أو نسخا لما يوافق ما حفره والالتصق عليهم من أول الأمر أن مدار ذلك إنما هو جنابيات أيديهم وأما ما يوافق كتبهم فلم ينكره وإن لم يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد بالموصول الأول عاصمتهم فإنهم أيضا يفرحون به لكونه مصدقا لكتبهم في الجملة حيث يكون قوله تعالى ومن الأحزاب الخ تمة بمنزلة أن يقال ومنهم من ينكر بعثته ﴿قل﴾ الزامهم وردا لأنكارهم ﴿أنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾ أي شيئا من الأسماء أو لأفعل الأشرار به والمراد قصر الأمر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الأمر مطلقا على عبادة تعالى خاصة أي قل لهم إنما أمرت فيما أنزل إلي عبادة الله وتوحيده وظاهر أن لا سبيل لكم إلى إنكاره لا مطلق جميع الأنبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ينصون ويحكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا كما لم يشركوا به شيء من قبل ولا أشرك به بالرفع

على الاستئناف أي وأنا لا أشرك به ﴿إليه﴾ إلى الله تعالى خاصة على التبع المذكور من التوحيد وإلى ما أمرت به من التوحيد ﴿أدعو﴾ الناس لا إلى غيره أو لا إلى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب الإلهية والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأوجه إنكاركم ﴿واله﴾ إلى الله تعالى وحده ﴿مآب﴾ مرجع الجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يحدون عنها عيصا أمر على الصلاة والسلام بأن يحاط بهم بذلك الزام وتبكتهم ثم شرع في رد إنكارهم لفرع الشرائع الواردة ابتداء أو بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقل ﴿وكذلك أنزلناه﴾ أي ما أنزل إليك وذلك إشارة إلى مصدر أنزلناه وأنزل إليك وعمله نصب على المصدرية أي مثل ذلك الأنزال البديع المنتظم لأصول يجمع عليها وفرع متشعبة إلى موافقة ومخالفة حسب مقتضى قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه ﴿حكما﴾ حاكما يحكم في القضايا والوقائع بالحق أو يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكمة لثبوت وجوب مراعاته وتحت المحافظة عليه ﴿عربا﴾ مفرجا لسان العرب والتعرض لذلك للإشارة إلى أن ذلك إحدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع أن ذلك مقتضى الحكمة إذ بذلك يسبل فهمه وإدراك إنجازها والاقصار على اشتغال الأثر على أصول البيانات المجمعة عليها حسب ما يفيد قوله تعالى قل إنما أمرت أن أعبد الله الخ بابا بالتعرض لاتباع أمرهم وحيث الخ والاثبات وإن لكل أجل كتاب فإن الجمع عليه لا يتصور فيه الاستبعاد والاتباع ﴿ولئن اتبعت أهواهم﴾ التي يدعو نكاليها من تقرير الأمور المخالفة لما أنزل إليك من الحق كالصلاة إلى بيت المقدس بعد التحويل ﴿بندما جاءك من العلم﴾ العظيم الشأن الفاضل من ذلك الحكم العربي والعلم مضمونه ﴿مالك من الله﴾ من جنبه العزيز والالتفات من التكلم إلى الغيبة وإيراد الاسم الجليل لتبرية النهاية قال الأزهرى لا يكون لها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومبدئا ﴿من ولي﴾ لي أمرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ﴿ولا واثق﴾ يتيقك من مصارع سوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الوافي من تكايله أدخل على المظروف حرف النفي للتأكيد كقولك مالي دينار ولادهم أو مالك من بأس الله من ناصر وواق لا تباعك أهواهم وأمثال هاتيك القوارع إنما هي لقطع أطماع الكفرة وتبيح المؤمنين على الثبات في الدين واللام في أثن موطنه ومالك سادس سدجوا في الشرط والقسم ﴿ولقد أرسلنا رسلا﴾ كثيرة كاتمة ﴿من قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية﴾ نساء وأولادا كما جعلناهم لك وهو رسلا كانوا يعيونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام الخ ﴿وما كان لرسول﴾ منهم أي ماصح وما استقام ولم يكن في وسعه ﴿أن يأتي بآية﴾ مما اقترح عليه وحكم بما التمس منه ﴿الاباذن الله﴾ ومشيته المنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور أمر الكائنات لاسيما مثل هذه الأمور العظام والالتفات لما قدمته ولتحقيق مضمون الجملة بالإسماء إلى العلة ﴿لكل أجل﴾ أي لكل مدة ووقت من المبدء والافات ﴿كتاب﴾ حكم معين يكتب على العباد حسب مقتضى الحكمة فإن الشرائع كلها لأصلاح أحوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك أنه يختلف حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف أحوال المرضى بحسب الاوقات ﴿بحو الله ما يشاء﴾ أي ينسخ ما يشاء نسخه من الأحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ﴿ويثبت﴾ بدله ما فيه المصلحة أو يبقيه على حاله غير مفسوخ أو يثبت ما شاء إثباته مطلقا أهم منهما ومن الإنشاء ابتداء أو محو من ديوان الحفظ الذي ديدنهم كتب كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء وثبت الباقي أو محو سببات التائب ويثبت مكانها الحسنة أو محو قرنا ويثبت آخرين أو محو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات أو محو الرزق ويزيد فيه أو محو الأجل أو السعادة والشقاوة وبه قال ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم والقائلون بتصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا رواه جابر عن النبي عليه الصلاة والسلام والأنسب

تعميم كل من الحى والانيات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرى بالتشديد وعنده
 أم الكتاب أي أصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والناثبات الا وهو مكتوب فيه كما هو (واما نيك)
 أصله ان ترك وما من بدلة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة ألحقت النون بالفعل (بعض الذي فهدم) أي وعدناهم من
 انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو نهدم وعدا متجددا حسب مقتضى الحكمة
 من انذار غيب انذار وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود (أو توفيك) قبل ذلك (فانما عليك البلاغ)
 أي تبليغ أحكام الرسالة بتمامها لتحقيق مضمون ما بلفظه من الوعيد الذي هو من جملتها (وعليها) لا عليك
 (الحساب) محاسبة أعمالهم السيئة والمواخذة بها أي كيف اذرت الحال أرباك بعض ما وعدناهم من العذاب الديوى
 ولم تركه فعلمنا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلاتهم بما رواه ذلك فتحن تكفيكم وتم ما وعدناكم من الظفر ولا يصيرك
 تأخره فان ذلك لما تعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه الصلاة والسلام بطلوع ناصبه فقال (أولم يروا)
 استفهام انكارى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنكروا نزول ما وعدناهم أو أشكروا أولم ينظروا في ذلك
 ولم يروا (أنا نأتى الأرض) أي أرض الكفر (ننقصها من أطرافها) بأن نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ولنحرقها
 بدار الاسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والاسر والاجلاء أليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه أفلا يرون أنا نأتى
 الأرض ننقصها من أطرافها أقسم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتى أو من مفعوله وقرى: ننقصها بالتشديد
 لفظ الاتيان المؤذن بالاستمرار المحتوم والاستيلاء العظيم من الضخامة لا لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدسنا الى ما عملوا
 من عمل فجعلناه هباء منثورا (والله يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاحبال وعلى الكفر بالذلة
 والادبار حسبما يشاهد من الخبايا والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة
 على الضخامة وترية الهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة لا لا يخفى وهي جملة اعتراضات جتى بها لتأكيد غوى
 ما تقدمها وقوله تعالى (للمعقب لحكمه) اعتراض في اعتراض ليان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على
 الحالية كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لاعمامة على رأسه أي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله
 وحقيقته من يقبه ويقفه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يبقى غريمه بالانقضاء والطلب وهو
 سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بأفانين العذاب غب ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء
 حسا يرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما سريع الانتقام (وقد مكر) الكفار (الذين) خلوا (من قبلهم)
 من قبل كفار مكة بأنبيائهم والمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا عبرة بمكرهم ولا
 تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله أعنى قوله تعالى (فقه)
 المكر أي جنس المكر (جميعا) لا وجود لمكرهم أصلا اذ هو عبارة عن ابطال المكر وهى الى الغير من حيث
 لا يشعر به وحيث كان جميع ما يتوهم وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فضل ولا
 تأثير حسبما بينه قوله عز وجل (يعلم ما تكسب كل نفس) ومن قصيته عصمة أوليائه وعقاب المساكين بهم
 توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا أثر وأن المكر كله لله تعالى
 حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحسبون أو الله المكر الذي باشره
 جميعا لهم على معنى أن ذلك ليس مكر منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحق
 المكر السيى الا بأهله (وسيعلم الكفار) حين يقضى بمقتضى عليه فيوفى كل نفس جزاء ما تكسبه (لمن عقي

الدار) أي العاقبة الحيدة من الفريقين وإن جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك وعليهم به حيث ذوقوا
 سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر أي أهله والذين كفر واوسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام أي
 سيخبر (ويقول الذين كفروا لست مرسل) قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلتهم
 الشنعاء تعجيبا منها أو للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم (قل كفى بالله شيكرا بيني وبينكم) فانه قد أظهر على
 رسالي من الحجج القاطعة والبيانات الساحطة ما فيه متدوحة عن شهادة شاهد آخر (ومن عنده علم الكتاب) أي
 علم القرآن وما عليه من النظم المعجز أو من هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون ببعثه عليه الصلاة
 والسلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق أو من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه أي كفى به شاهدا بيننا بالذي
 يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه بالدعوة الى عبادته وأبدى بأنواع التأيد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء
 الكائنة الثابتة التي من جملتها رسالي وقرى: من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على
 الموصول أو مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل حجاب مضى وكل
 حجاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من المؤمنين بعد الله عز وجل والله أعلم بالصواب

سورة ابراهيم عليه السلام

(مكية وهي احدى وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) مر الكلام فيه وفي عله غير مرة وقوله تعالى (كتاب) خبره على تقدير كون الر مبتدأ أو مبتدأ مضمرا
 على تقدير كونه خبرا مبتدأ محذوف أو مسرودا على نط التعديد ويجوز أن يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف
 وقوله تعالى (أزكاه البك) صفة لمؤقره تعالى (يخرج الناس) متعلق بأزكاه أي يخرجهم كما قاله تعالى (من الظلمات) أي
 البينات الواضحة المصححة كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الخفية وقرى: يخرج الناس (من الظلمات) أي
 يخرج الناس من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات معتقوجها لا تصرف (الى النور) الى الحق الذي هو نور رحمت
 لكن لا كيف كان فانك لا تهدي من أحد تليل (يا ذرهم) أي يتيسر وتوفيقه والاتيان عن كون ذلك سوطا لاقبالهم
 الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من أناب استعمله الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الوصول
 وأضاف الى ضميرهم اسم الرب المفصص عن الترية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى
 للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لآخر اجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى
 سوء اختيارهم غير غل بذلك والبا متصلة بخرج أو بمنصر وقع حال من مفعوله أي ملتبسين باذنهم وجعله حال من فاعله
 ياباه واصفا الرب الهم لا اليه وحيد كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضا حله غير وهو صلاتي الله عز وجل استعمله النور
 نارة والصراف اخرى فقيل (الى صراط العزيز الخبير) على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين
 استضعفوا لمن آمن منهم واخلائ البنل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لافي الجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين
 لكم الخيط الايض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كأنه قيل الى أي نور تقبل الى صراط
 العزيز الخبير واصفا الصراط اليه تعالى لانه مقصده أو المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر لترغيب في سلوكه ببيان

ما فيه من الامن والعاقبة الحيدة **﴿الله﴾** بالجر عطف بيان للعزيز الخبير لانه يجري الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ **﴿بالرفع على هو الله أي العزيز الخبير الذي أضفى اليه الصراط الله﴾** (الذي له) ملكا وملكا **﴿ما في السموات وما في الأرض﴾** أي ما وجد فيها داخلا فيها أو خارجا عنها متمكنا فيها كما مر في آية الكرسي ففيه على القرائين بيان لكل غاية شأن الصراط واطهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وتجوز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا مبتدأ للقول عن هذه النكتة وقوله عز وجل **﴿وويل للكافرين﴾** وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور وبالويل وهو نقيض الوال وهو النجاة وأصله النصب كإثر المصادر ثم رفع رفعا للدلالة على الثبات كسلام عليك **﴿من عذاب شديد﴾** متعلق بويل على معنى يولدون ويضجون منه قائلين يا ويله كقوله تعالى دعوا هؤلاء ثورا **﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا﴾** أي يؤثرونها استعمالا من المحبة فان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب اليها وأفضل عندها من غيره **﴿على الآخرة﴾** أي الحياة الآخرة الآبدية **﴿ويصدون﴾** الناس **﴿عن سبيل الله﴾** التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لروم الاختصار وهو من صده صدا وقرئ **﴿يصدون من أحد المقول من صد صدودا اذا تكب وهو غير نصيح كما وقف فان في صده وقفه لندوحة عن تكلف النقل﴾** **﴿ويغوونها﴾** أي يغترون لها تخدع الجار وأوصل الفعل الى الضمير أي يطلبون لها **﴿عوجا﴾** أي زينا واعرجا وهي أبعد شيء من ذلك أي يقولون لمن يريدون صده واضلالها سبيلنا كبة وزائفة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلات الجارية على أنه بدل من الكافرين أو صفة له فيعتبر كل وصف من أوصافهم بازا ما يناسبه من المعاني المتبعة في الصراط فالكفر المنفي عن السر بازا كونه نورا واستجاب الحياة الدنيا الغاية المقصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سواده محمود العاقبة والصد عنه بازا كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تهاديهم في التي مالا يخفى أو النصب على الذم أو الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى **﴿أولئك في ضلال بعيد﴾** وعلى الاول جملة مستأنفة وقعت معاملة لما سبق من حقوق الويل بهم تأكيد لما أشعر به بناء الحكم على الموصول أي أولئك الموصوفون بالقبايح المذكورة من استجاب الحياة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاغواء وهي منه بزه في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعيد وان كان من أحوال الضلال إلا أنه قد وصف به وصفه مجازا للبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد أو فيه بعد فان الضلال قد يعتل عن الطريق مكانا قريبا وقد يعتل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه مالا يخفى من المبالغة **﴿وما أرسلنا﴾** أي في الامم الخالية من قبلك كاسيد كراجالا **﴿من رسول الا﴾** ملتبها **﴿بلسان قوم﴾** متكلما بلغة من أرسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بحث فهم أولا وقرئ **﴿بلسن وهو لغة فيه كرش ورياش ولسن بصمتين وضمة وسكون كصمد ومحمد﴾** **﴿ليبين لهم﴾** ما أمروا به فيلقوه منه يسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤثر به بحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين لعدم معتد التقليل كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم أدعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق الى التحريف مع أن استقلال بعض من ذلك بالايجاز دون غيره مئة قدح القادحين وانفاق الجميع فيه أمر قريب من الاجماع وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبي عن العزة وجلالة الشأن المستمع لغو اندغية عن البيان على أن الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد إذ لا بد لكل أمة من معرفة توافق الكل وتحاذيه ضدو الثقة بالقادة في غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما

يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا أو متعددا وفيه من التعذر ما يتأخر الامتناع ثم لما كان أشرف الاقوام وأولام بدعوته عليه الصلاة والسلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم أفضل اللغات نزل الكتاب المئين بلسان عربي مبين وانتشرت أحكامه فيما بين الامم أجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فإنه تعالى أنزل الكتب كلها عربيته ثم ترجمها جبريل عليه الصلاة والسلام أو كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم وردد قوله تعالى لبيّن لهم فإنه ضمير القوم وظاهر أن جميع الكتب لم ينزل لتبين العرب وفي رجمه الى قوم كل بني كانه قيل وما أرسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه الصلاة والسلام لبيّن الرسول لقومه الذين أرسل اليهم ما لا يخفى من التكلف **﴿فيضل الله من يشاء﴾** اضلاله أي يخلف فيه العدل بالشره لأسبابه المؤدية اليه أو يغفلوا لا يلفظ به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الا لطف **﴿ويهدي﴾** بالتوفيق ومنع الاطراف **﴿من يشاء﴾** هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد القميين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناه كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فينبو لهم أفضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقها والحذف للاختصار بأن مسارعة كل رسول الى ما أمر به وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سنته أمر محقق غنى عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تعدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لا يبقا ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن أو للمبالغة في بيان أن التأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وأن مدار الامر انما هو مشيئة تعالى بأمرهم أن ترقب الضلالة على ذلك أسرع من ترتب الاقضاء وهذا محقق لما سلف من تقيد الاخراج عن الظلمات الى النور باذن الله تعالى **﴿وهو العزيز﴾** فلا يعالج في مشيئة **﴿الحكيم﴾** الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا بحكمة بالغة وفيه أن ما فرض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق وأما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **﴿ولقد أرسلنا موسى﴾** شروع في تفصيل ما أجمل في قوله عز وجل وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه لبيّن لهم الآية **﴿بآياتنا﴾** أي ملتبسها وهي معجزاته التي أظهرها لبني اسرائيل **﴿أن أخرج قومك﴾** على المصدر سواء هو المندار في محنة الوصول والمرايد ذلك اخراج بني اسرائيل بعد ملك فرعون **﴿من الظلمات﴾** من الكفر والجهالات التي أدت بهم الى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا الهاكالم آلهة **﴿الى النور﴾** الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما أمروا به **﴿وذكرهم بأيام الله﴾** أي بنعماته وبلائه كما بني عنه قوله اذكر وانعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى قبلهم من الامم في الأيام الخالية حسب ما بني عنه قوله تعالى ألم يأتكم بالذين من قبلكم الا يساءوا بأيامه المنعوية على ذلك كما يلوح به قوله تعالى إذ أنجاكم والافتات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للاختصار شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومها كما توهمه الاضافة الى ضمير المتكلم أي عظيمها بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل أيام الله وقائمة التي وقعت على الامم قبلهم وأيام العرب وقائمة وحروبها وملاحمها أي أنذرهم وقائمة التي دهمت الامم الدارجة وردد ما تصدى له عليه الصلاة والسلام بصدد الامثال من التذكريات من السرا والضرر مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسب ما يتلى عليك **﴿ان في ذلك﴾** أي في التذكير بها أو في مجموع تلك النعم والبلاء أو في أيامها **﴿لايات﴾** عظيمة أو كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الأيام سواء أ رديها أنفسها أو ما فيها من النعم والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثاني عن تلك النعم والبلاء ومعنى الظرفية

ظاهر وأما على الثاني وهو كونه إشارة إلى مجموع النعماء فمن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار إليه المجموع المشتل عليها من حيث هو مجموع أو كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد (لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعماته وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بأن الصبر والشكر عنوان المؤمن أي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر أو الإيمان ويصير أمره إليها لا لمن اتصف بها بالفعل لأنه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدى إلى تلك المرتبة فإن من تذكر مافاض أو تزل عليه أو على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر أو الإيمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لأنهم المستفوعون بها لآلتها خافية عن غيرهم فإن التين حاصل بالنسبة إلى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر أعنى البلاء على متعلق الشكر أعنى النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر (وإذا قال موسى لقومه) شروع في بيان تصديقه عليه الصلاة والسلام لما أمر به من التذكير للخروج المذكور وأذنتصوب على المقعولة بمضمر خطوبته التي عليه الصلاة والسلام وتعليق للذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قدم سره غير مرة أي اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لقومه (أذكروا نعمة الله عليكم) بدأ عليه الصلاة والسلام بالترغيب لأنه عند النفس أقبل وهي إليه أميل والظرف متعلق بنفس النعمة إن جعلت مصدرا أو بمحذوف وقع حالها أنها ان جعلت اسما أي اذكروا انعامه عليكم وقت انجاء اياكم من آل فرعون أو اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجاء اياكم منهم أو بدل اشتغال من نعمة الله مرادا بها الانعام أو العطية (يسومونكم) يعنونكم من سامه خسفا إذاؤلاه ظلما وأصل السوم الذهاب في طلب الشيء (سوء العذاب) سوء مصدر ساميسوء والمراد به جسد العذاب السيئ أو استعبادهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على أنه مفعول ليسومونكم (ويزججون أبناءكم) المولودين وانما عطفه على يسومونكم إخراجا له عن مرتبة العذاب المتداد وانما فعلوا ذلك لأن فرعون رأى في المنام أو قال له الكهنة أنه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا (ويستحيون نساءكم) أي يقونن في الحياة مع النذل والصغار ولأنك عد من جملة البلاء والجلل أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين أو ضمرا جميعا لأن فيها ضمير كل منهما (وفي ذلكم) أي فيها ذكر من أفعالهم الفظيعة (بلاء من ربكم) أي ابتلاء منه لأن البلاء عين تلك الأفعال اللهم إلا أن تجعل في تجريدية فسبته إلى الله تعالى أماما من حيث الخالق أو الأقدار والتفكيك (عظيم) لا يطابق ويجوز أن يكون المشار إليه الانجاء من ذلك البلاء الابتلاء بالنعمة وهو الأنسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الأول يكون ذلك باعتبار المال الذي هو الانجاء أو باعتبار أن بلاء المؤمن تربيته (وإذا تأذن ربكم) من جملة مقال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه معطوف على نعمة الله أي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم أي أذن إذا نابغا لا تبق معه شائبة شبهة لمافي صيغة الفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غاية التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى إذا أنجاكم أي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فإن هذا التأذن أيضا نعمته من الله تعالى عليهم يتألون بها خيرى الدنيا والآخرة وفي فرائض ابن مسعود رضى الله تعالى عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه الصلاة والسلام أولا بنعماته تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير ما أصابهم قبل ذلك من الضراء ثم أمرهم ثانية بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معين (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل ما خولكم

من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالإيمان والطاعة (لا يزيدنكم) نعمة إلى نعمة (ولئن كفرتم) ذلك وغصتموه (إن عذابي لشديد) ففى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك بأكرم الأكرمين ويجوز أن يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف أي لا عذبتكم واللام في الموضعين موطنه للقسم وكل من الجوابين سادس جوازي الشرط والقسم والجملة امامة قول لتأذن لأنه ضرب من القول أو لقول مقدر بعده كأنه قيل وإذا تأذن ربكم فقال الخ (وقال موسى ان تكفروا) نعمه تعالى ولم تشكروها (أنتم) يا بني اسرائيل (ومن في الأرض) من الخلاق (جميعا فإن الله لعن) عن شكركم وشكر غيركم (خبيث) مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجب من أباديه وإن لم يحمد أحد أو محمود بحمده للملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان أدل على كاله سبحانه وهو تعليل لماسخف من جواب أن أي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فإن الله تعالى لعن عن شكر الشاكرين ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قاله عند ما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن أنه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب أو قاله غيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفر إن تم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال (ألم يأتكم نيا الذين من قبلكم) ليتبروا ما أصاب كل واحد من حزبي المؤمنين والكافرين فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينبوا إلى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله تعالى خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيختص تذكير موسى عليه الصلاة والسلام بما اختص بيني اسرائيل من السراء والضراء والآلام بالأيام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وأيضا لا يظهر حيث وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما أصاب أولئك المعدودين مع أن غيرهم أسوة لهم في الخلق قول (قوم نوح) بدل من الموصول أو عطف بيان (وعاد) معطوف على قوم نوح (وشمود الذين من بعدهم) أي من بعد هؤلاء المذكورين عطف عام على قوم نوح وعاد عطف عليه وقوله تعالى (لا يعلمهم إلا الله) اعتراض أو الموصول مبتدأ ولا يعلمهم إلى آخره خبره والجملة اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أب لا يعرفون وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعنى أنهم يدعون علم الانساب وقد نفي الله تعالى عنها عن العباد (جاتهم رسالهم) استئناف لبيان تنبيه (بالبينات) بالمعجزات الظاهرة والبيانات الباهرة فيبين كل رسول لأمته طريق الحق وهداهم إليه ليخرجهم من الظلمات إلى النور (فردوا أيديهم في أفواههم) مشيرين بذلك إلى ألسنتهم وما يصدر عنها من المقالة اختفاء منهم بفسادها وتنبيه الرسل على تلقيها والحفاظ عليها وانقاطها عن التصديق والإيمان باعلام أن لأجواب لهم سواء (وقالوا أنا كفرنا بما أرسلتم به) أي على زعمكم وهي البينات التي أظهرها حجة على صحة رسالهم كقوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وراهم بالكفر بالكفر بدلائلها على صحة رسالهم وأفضوها غيظا وضجرا عما جات به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من القيط أو وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كما غلب الضحك أو اسكانا للأنبياء عليهم السلام وأمرهم بأطبق الأنفاه أو ردوها في أفواه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمنعوتهم من التكلم تحقيقا أو تمثيلا أو جعلوا أيدي الأنبياء في أفواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبغي عنه تعجبهم بقولهم أنى الله شك الخ وقيل الأيدي بمعنى الأيدي عريها عن مواعظهم ونصائحهم وشر انهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية لأنهم لما كذبوها فلم يقلوها فكانهم ردوها إلى حيث جات منه (وإنا لني شك) عظيم

﴿عما تدعوننا إليه﴾ من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما أرسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعاً حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأوتونا بسلطان مبين وقرى تدعون بالادغام ﴿مريب﴾ موقع في الريبة من اربابه اوفى ريبة من ارباب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشئ ﴿قالت رسلهم﴾ استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كأنه قيل فاذاً قالت لهم رسلهم فأجيب بأنهم قالوا متكررين عليهم ومتعجبين من مقالاتهم اخفا ﴿أفئ الله شك﴾ بادخال الحمرة على الظرف للابذان بأن مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك أصلاً متقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا أأنتم في شك مريب من الله تعالى مباغتة في تزبيح ساحة السجان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول أي أفئ شأنه سبحانه من وجوده وحيده وجوب الايمان به وحده شك ما هو أظهر من كل ظاهر وأجل من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث أن مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وإن اظهر البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة أنا كفرنا بما أرسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يورجه من الشواهد الدالة على انتفاء الشك فقالوا ﴿فاعلم السموات والارض﴾ أي عيدها وما فيها من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقيق ما أنتم منه في شك وهو صفته للاسم الجليل أو بدل منه وشك من رتبته بالظرف لاغنياء على الاستهزام وجملة مبتدأ على أحد الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالايجاز أعني المبتدأ والفاعل ليس بأجنبي من رافعه وقد جوز ذلك أيضاً ﴿يدعوك﴾ الى الايمان بأرساله إياناً لا بدعوك إليه من تلقا أنفسنا كما يوجه قولكم ما تدعوننا إليه ﴿ليغفر لكم﴾ بسببه أو يدعوك لأجل المغفرة كقولك دعوتك ليأكل معي ﴿من ذنوبكم﴾ أي بعضها وهو ما عدا المظالم بما بينهم وبينه تعالى فإن الاسلام يحبه قبل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين بقرعة بين الودعين ولعل ذلك لما أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شأن المؤمنين مشقوقة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فينبأ والخرج من المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلاً من ذنوبكم ﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ الى وقت سماه الله تعالى وحصلت أعماركم على تقدير الايمان ﴿قالوا استئناف﴾ كما سبق ﴿ان أنتم﴾ أي ما أنتم ﴿الا بشر مثلكم﴾ من غير فضل يؤهلكم ما تدعون من النبوة ﴿تريدون﴾ حصة ثانية لبشر حلال على المعنى كقوله تعالى أيشر بهدونا أو كلام مستأنف أي تريدون بما تصدون به من الدعوة الارشاد ﴿ان تصدون﴾ بتخصيص العبادة بالله سبحانه ﴿عما كان يعبد آباؤنا﴾ أي عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شئ يورجه والا ﴿فأوتونا﴾ أي وإن لم يكن الأمر قائماً بل كنتم رسلاً من جهة الله تعالى كما تدعون فأوتونا ﴿بسلطان مبين﴾ يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة أو على صحة ما تدعون من النبوة حتى تترك ما لم نزل بعديه أبا عن جد ولقد كانوا أتوهم من الآيات الظاهرة والبيانات الباهرة ما تحجزه صم الجبال ولكمهم إنما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا وارانة من رايهم أن ذلك ليس من جنس ما ينطق عليه السلطان المبين ﴿قالت لهم رسلهم﴾ مجازة معهم في أول مقالاتهم وإنما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث أريد الزامهم بخلاف مسلف من انكار وفرع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وإن اختص بهم ما يعقبه ﴿ان نحن الا بشر مثلكم﴾ كما تقولون ﴿ولكن الله مبين﴾ بالنبوة ﴿على من يشاء من عباده﴾ يعنون أن ذلك عطية من الله تعالى يعطاها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبها قالوه تواضعاً وهضاً للنفس أو ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة أو في الدخول تحت

الجنس ولكن الله مبين بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من يشاء المني بها وما يشاء ذلك الا لعله باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها فلك الاصطفا للنبوة ﴿وما كان﴾ وواضح وما استقام ﴿لنا أن تأتيكم سلطان﴾ أي بحجة من الحجج فضلاً عن السلطان المبين بشئ من الاشياء وسبب من الاسباب ﴿الا بذن الله﴾ فانه أمر يتعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا ﴿وعلى الله﴾ وحده دون ما عداه مطلقاً ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ أمر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل أنفسهم عليه أثر ذى أثر الا يرى الى قوله عز وجل ﴿وما لنا﴾ أي أي عذرنا ﴿أن لا نتوكل على الله﴾ أي في أن لا نتوكل عليه والاطهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل ﴿وقد هدانا﴾ أي والحال أنه قد فعل بنا ما يورجه ويستدعيه حيث هدانا ﴿سبيلاً﴾ أي أرشد كلاً منا سبيله ومناهجه الذي شرع له وأوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت أذية الكفر بما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسبي مظهرين لكلال العزيمة ﴿ولنصيرن على ما آذيتونا﴾ بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا يخبر فيه ﴿وعلى الله﴾ خاصة ﴿فليتوكل المتوكلون﴾ أي فليثبت المتوكلون على ما أحذثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من إيجاب التوكل على أنفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز أن يراد وعليه فليتوكل من توكل دون غيره ﴿وقال الذين كفروا﴾ لعن هؤلاء القائلين بعض المتفردين العائين الغالين في الكفر من أولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشيعة دون جميعهم كقوم شعيب وأضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا ﴿ولسلكم لنخرجكم من أرضنا ولنعودن في ملتنا﴾ لم يقتضوا بمصيبتهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما رأوا البينات الفاتنة للحصر حتى اجترأوا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان فلفروا على أن يكون أحد المخالين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة أو باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسياق في الكيف ﴿فأوحى اليهم﴾ أي الى الرسل ﴿ربهم﴾ مالك أمرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلاغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم ﴿لنهلك الظالمين﴾ على اضرار القول أو على اجراء الانحياز بحراه لكونه ضاراً به ﴿ولنسكتكم الارض﴾ أي أرضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجكم من أرضنا كقوله تعالى وأوتينا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها ﴿من بعدهم﴾ أي من بعد اهلاكهم وقرى لنهلك ولنسكتكم بالياء اعتباراً لا وحي كقولهم حلف زيد ليخرجن غداً ﴿ذلك﴾ إشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين بديارهم أي ذلك الامر محقق ثابت ﴿لمن خاف مقامى﴾ موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين أوقايى عليه وحفظى لأعماله وقيل لنظ المقام محقق ﴿وخاف وعيد﴾ وعيدى بالذباب أو عذابى الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمعتقين كقوله والعاقبة للمتقين ﴿واستفتحوا﴾ أي استصروا والله على أعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح واستحكوا وسألوهم القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فأضمر الرسل وقيل للكفرة وقيل للمعتدين فانهم سألوا أن ينصر الحق وبذلك المبطل وهو معطوف على أوحى اليهم وقرى بلفظ الامر عطفاً على لنهلك الظالمين أي أوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا ﴿وخاب﴾ أي خسر وهلك ﴿كل جبار عنيد﴾ متصف بضد ما اتصف به المتقون أي فصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخفية بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب أو ذلك باعتبار أنهم كانوا يزعمون أنهم على الحق أو استفتح الكفار على الرسل وغابوا ولم يفلحوا وإنما قيل وخاب كل جبار عنيد ذماً لهم وتسجيلا عليهم بالتعجب والعناد

لا أن بعضهم ليسوا كذلك وأنه لم يصيبهم الخيبة أو استفتحوا جميعا فنصر الرسل وأنجز لهم الوعد وخاب كل عات متعذر فالخيبة بمعنى الحرمان غيب الطلب وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة (من ورثه جهنم) أي بين يديه فانه مرصدا واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك (ويبقى) معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كأنه قيل فاذا يكون إذن قليل يلقى فيها ويسقى (من ماء) مخصوص لا كالمياه المعبودة (صديد) وهو قيح أو دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من أجساد أهل النار وهو عطف بيان لما أبهم أو لا ثم بين بالصديد تهيؤا لآمره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه (يتجرعه) قيل هو صفة لما أو حال منه والأظهر أنه استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فاذا يفعل به فقبل يتجرعه أي يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقارب أن يسيغه فضلا عن الاساعة بل ينص به فيشر به بعد التيا والتي جرعة غيب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش وأخرى بشره على تلك الحال فإن السوء انحدار الشراب في الحلق يسهل وقبول نفس ونفيل لا يوجب نقى ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساعة لما أنها المعبودة في الأثرية وهو حال من فاعل يتجرعه أو من مفعوله أو منهما جميعا (ويأتي الموت) أي آسبه من الشدائد (من كل مكان) ويحيط به من جميع الجهات ومن كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وأبوابهم جلده (وما هو بميت) أي والحال أنه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجي آسبه لاسيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من أصناف الموبقات (ومن ورثه) من بين يديه (عذاب غليظ) يستقبل كل وقت عذابا أشد وأشق مما كان قبله فموضع ما يؤم من الخفة بحسب الاعياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء أهل مكة في سنهم التي أرسلها الله تعالى عليهم بدعوته عليه الصلاة والسلام وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد أهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) أي صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدا خبره قوله تعالى (أعمالهم كرماد) كقولك صفة زيد عرضه متهوك وماله منهوب وهو استئناف مبني على سؤال من قال ما بال أعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى وإغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكافئ حتى آل أمرهم الى هذا الحال فأجيب بأن ذلك كرماد (اشتدت به الريح) حملته وأسرعت الزهاب به (في يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وإنما السكور لريحها شبيه صنائعهم المعدودة لا بتأثيرها على غير أساس من معرفة الله تعالى والایمان به والتوجه بها الى تعالى برما طيرة الريح العاصفة أو استئناف مسوق لبيان أعمالهم للأصنام أو مبتدا خبره محذوف كما هو رأى سيبويه أي فيها بلى عليك مثلهم وقوله أعمالهم أجملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقل أعمالهم كيت وكيت سواء أريد بها صنائعهم أو أعمالهم لأصنامهم وقيل أعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره (لا يقدرون) أي يوم القيامة (عما كسبوا) من تلك الاعمال (على شيء) ما أي لا يرون له أثرا من ثواب أو تخفيف عذاب كدأب الرماذ المذكور وهو فذلكم التخليل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الأثر لأعمالهم للأصنام مع أن الحساق قربات هائلة للتصريح بطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم (ذلك) أي ما دل عليه التخليل دلالة واضحة من ضلالهم مع حساباتهم أنهم على شيء (هو الضلال البعيد) عن طريق الصواب أو عن نيل الثواب (الم تر) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل لكل أحد من الكفرة لقوله تعالى يتبعكم والرواية رؤية القلب وقوله تعالى (أن الله خلق

السماوات والارض) سادس مفعول ليا أي ألم تعلم أنه تعالى خلقها (بالحق) ملتزمة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق أن تخلق عليه وقرى خالق السماوات والارض (ان يشأ يذهبكم) يدممكم بالمرء (ويأت بخلق جديد) أي يخلق بدلكم خلقا آخر مستأفيا لاعلاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السماوات والارض على هذا القطر البديع ارشادا الى طريق الاستدلال بأن من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم أقدر ولذلك قال (وما ذلك) أي اذهابكم والايان بخلق جديد مكانكم (على الله بعزيز) بتعذر أو متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بأن يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه (وبرزوا لله جميعا) أي يبرزون يوم القيامة وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أو لا تعلمون ولا استقال بالنسبة اليه سبحانه والمراد ببرزهم من قبورهم لأمر الله تعالى ومحاسنته أو لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم القواحش سرا أنها تفتنى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا الله عند أنفسهم (فقال الضعفاء) الاتباع جميع ضعيف والمراد ضعف الرأي وإنما كتب بالواو على لفظ من يفضي الالف قبل المفعلة (الذين استكبروا) لوقائهم الذين استعبروهم واستغروهم (انا كنا) في الدنيا (لكم تبعا) في تكذيب الرسل عليهم السلام والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب أو مصدر نعت به مبالغة أو على اختيار أي ذوى تبع (فقبل أتم مفنون) دافعون (عنا) والقاه للدلالة على سبية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت (من عذاب الله من شيء) من الاولى للبيان واقعة تصف الحال والثانية للتعريض واقعة موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونها للتعريض أي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز أن تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا أي قبل أتم مفنون عنا بعض العذاب بعض الاعراض بعض الاول قوله تعالى قبل أتم مفنون عنا نصيبا من النار (قالوا) أي المستكبرين وجواب عن معاتبه الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم (لو هذا انا الله) أي الايمان وقتاله (لهديناكم) ولكن ضلانا فاضلناكم أو لهديناكم ما اخترناه لانفسنا أو لو هذا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سدوا طرق الخلاص ولات حين مناص (جاء علينا أجمعنا) مما لقبنا (أم صبرنا) على ذلك أي صبرنا على الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وأم لنا أكد التسوية كما في قوله تعالى سرا عليهم الأندرتهم أم لم تنذرهم وإنما استدوها ونسوا استوائهما الى صبر المتكلم المتظن للبعاطين أيضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام أنهم شر كما لم فيها ابتلاء به وتسلية لهم ويجوز أن يكون قوله سرا علينا الخ من كلام القرطبيين على سؤال قوله تعالى ذلك ليعلم أي لم اخته ويؤيد ما روى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسينة عام فلا يتفهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا يتفهم عند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك فقالوا (ما لنا من محيص) من منجي ومهرب من العذاب من حاص الحار اذا عدل بالقرار وهو اما اسم مكان كالميت والمصيف أو مصدر كالغيب والمشي وبهي جملته مفسرة لاجمال ما في الاستواء فلا محل لها من الاعراب أو حال مؤكدة أو بدل منه (وقال الشيطان) الذي أضل كلا الفريقين واستبجها عندما عناه بما قاله الاتباع للمستكبرين (لما قضى الامر) أي أحكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خيليا في غفل الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) أي وعدا من حقه أن يتجزأ فأنجزه أو وعدا أنجزه وهو الوعد بالمت والجزاء (ووعدتكم) أي وعد الباطل وهو أن لا يمت ولا جزاء وإن كان فالاصنام شفعاءكم

ولم يصرح بطلاءه لما دل عليه قوله «فأخلفكم» أي موعدى على حذف المفعول الثاني أي اقتضته جعل خلف وعده
كالاخلاف منه كما كان قلدا على انجاز وأنى له ذلك «وما كان لي عليكم من سلطان» أي تسلط أو حجة تدل على
صدق «الا أن دعوتكم» الادعاء بما كنتم عليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه أبرزه في مبرزه
على طريقة تخية بينهم ضرب وجميع مبالغة في بني السلطان عن نفسه كما قال تعالى يكون ذلك على سلطان اذا كان مجرد
الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء متفعلا «فاستجبت لي» فاستجتم اجابني «فلما تلووني» بوعدى اياكم حيث
لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجان كما يدل عليه القاء وقرئ «يا ليا» على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم
في الفلك وجبر من بهم «ولموا أنفسكم» حيث استجتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين
وتسويل ولم تستحيوا ويحكم ادعائكم دعوة الحق المقرونة باليقين والحجج وليس مراده التوصل عن توجه الائمة اليه
بالمرأة بل بيان أنهم استحق بها منه وليس فيه دلالة على استئصال البعد في افعاله كما رعت المعتزلة بل يكفي في ذلك أن يكون
لقدومه الكاسية التي عليها يدور تلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبا يختار مواعيد لتقريب السعادة
والشفاعة وما قبل من أنه يستدعي أن يقال فلا تلووني ولا أنفسكم فان الله قضى عليكم الكفر وأجركم عليه متى على
عدم الفرق بين مذهب أهل الحق وبين مسلك المجبرية «ما أنا بمصرحكم» أي منيكم كما أنتم فيه من العذاب
«وما أنتم بمصرحي» مما أنا فيه وانما تعرض لذلك مع أنه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصرارهم اياهم
وايداناً بأنه أيضا معني بمثل ما يتلوا به ويحتاج الى الاصرار فكيف من اصرار التبر ولذلك أقر الامة الاسمية فكل
ما مضى كان جوابا عنه توبيخهم وتقريرهم وهذا جواب عن استفتائهم واستانائهم في استدفاع ما ذهبوا من العذاب
وقرئ «بكره اليه» ان كفرت اليوم «بما أشر كنتموني من قبل» أي بأشرا كنتم اياي معني تراءت منه
ولست كنتم كقولته تعالى «يوم القيامة يكفرون بشرككم يعني أن أشرا كنتم لي بالله سبحانه هو الذي يضمكم في نصري
لكم بان كان لكم على حق حيث جعلتموني معبودا وكنت أود ذلك لأرغب فيكم اليوم كفرت بذلك ولم أجد ولم أقبلتكم
بل تراءت منه وتكلم ظيقي بيني وبينكم علاقه أو كفرت من قبل حين أبت السجود لآدم والذي أشر كنتموني وهو الله
تعالى كما في قوله سبحانه ما سخر كن لنا فيكون تعذيرا لعدم اصرارهم فان الكافر بالله سبحانه يعزل من الامة والاعانة
سواء كان ذلك بالمداغة أو الشفاعة وأما جعله تعذيرا لعدم اصرارهم اياه فلا وجه له الا احتمال له حتى يحتاج الى
التعليل ولان تعليل عدم اصرارهم بكفره يوم أنهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته «ان الظالمين لهم عذاب أليم»
تمه كلامه أو ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية أمثاله لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا
عواقبهم «وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم» أي بأمره أو
بتوقيفه وهذا به وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار من يد اللطف بهم والمخلون هم الملائكة
عليهم السلام وقرئ «على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى «نجيتهم فيها سلام» أي بحبيهم
الملائكة بالسلام باذن ربهم «ألم تر» الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد علق بما بعده من قوله تعالى «كيف
ضرب الله مثلا» أي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به «كلمة طيبة» منصوب بمضمر أي جعل كلمة طيبة
هي كلمة التوحيد أو كلمة حسنة كالتيبيحة والتوحيد والاستغفار والتوبة والدعوة «كشجرة طيبة» أي بحكم بأنها
مثلا لانه تعالى صيغها مثليا في الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرفا لا مريضا كساده حله وحمله
على فرس ويجوز أن يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفاتها أو خير مبتدا محذوف أي هي كشجرة وأن يكون أول

مفعول ضرب اجراء له مجرى جعل قد أخر عن ثانيها أعني مثلا مثلا لا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت بالرفع
على الابتداء «أصلها ثابت» أي ضارب بعروقه في الارض وقرأ أنس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت
أصلها وقرأه الجماعة أقوى سبكا وأنب بقرينه أعني قوله تعالى «وفرعها» أي أعلاها «في السماء» في جهة العلو
وميجوز أن يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع «توقى أكلها» تعطى ثمرها «كل حين» وقته الله تعالى
لأنها «بأذن ربها» بأمره تعالى والمراد بالثمرة المتعومة اما النخلة كما روى مرفوعا وأشجرة في الجنة «ويضرب
الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون» لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات «ومثل
كلمة خبيثة» هي كلمة الكفر والدعة اليه أو تكذيب الحق أو ما يعم الكل أو كل كلمة خبيثة «كشجرة خبيثة» أي
كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا تطيب ثمرها كالخنظل والكشوث ونحوهما وتغير الاسلوب للايدان بان ذلك
غير مقصود الضرب والبيان وانما ذلك أمر ظاهر يعرفه كل أحد «اجتث» استوصلت وأخذت جثتها بالكلمة
«من فوق الارض» لتكون عروفا قريبة منه «فالحلها من قرار» استقرار عليها «ثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت» التي ثبت بالحجة عندهم ويمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها العجيبة «في الحياة الدنيا»
فلا يزالون عنه اذا اختلفوا في دينهم كركبوا يحيى وجرجيس وشعشع والذين فتنهم أصحاب الأخدود «وفي الآخرة»
فلا يتلششون اذا تناووا عن معتقدهم في الموقف ولا تنهتهم أحوال القيامة أو عند سؤال القبر . روى أنه عليه الصلاة
والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم ينادى روحه فأتى مكانه فيجلساء في قبره فيقول لا من ديك وما ديك
ومن نيك فيقول ربني الله وبني الاسلام ونبي محمد عليه الصلاة والسلام فينادي مناد من السماء انه صدق عبدك فذلك
قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا مثال آية الشجرة المذكورة أكلها كل حين قال العلوي في تفسيره
أخبرني أبو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلاثمائة قال سمعت أبا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل
ابن عمار العمل يقول رأيت يزيد بن هرون في منام بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتى في قبري ملكان فظنا فقالا
من ربك وما ديك ومن نيك فأخدت بالحق البيضاء فقلت لها المثل يقال هذا وقد علت الناس جوابك ثمانين سنة
فذهب «ويضرب الله الظالمين» أي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد
بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووجههم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث
بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يتدوا الى القول الثابت أو كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن
البيانات الواضحة فلا يتثبت في مواقف الفتن ولا يتهدى الى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون في الايمان الراسخون
في الايقان كما ينبغي عنه التثبيت لكنه يوم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن ايقان داخلية تحت مالاقرار له من الشجرة
المضروبة مثلا «ويضرب الله ما يشاء» من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبا توجه مشيئته التابعة للحكم البالغة
المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفتامة وتربية الهابة مالا يخفى مع ما فيه من الايدان بالتفاوت
في مبدأ التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلا غير ما هو مبدأ صدور الآخر
«ألم تر» تعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد ما صنع الكفرة من الاطيل التي لا تكاد تصدر عن
له أدنى ادراك أي ألم تنظر «الى الذين بدلوا نعمة الله» أي شكر نعمته تعالى بأن وضعوا موضعه «كفرا» عظيما
وغضا لها أو بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كما هل مكة حيث خافهم
الله سبحانه وأسكنهم حرمة الايمن الذي يحيى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام دينه وشرفهم بمحمد عليه الصلاة والسلام

فكفرو واذك فقتلوا سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر فصاروا أذلما مساو في النعمة باقين بالكفر بدلوها عن عمر وعلى رضي الله عنهما إلى الأجران من قرين بنو المغيرة و بنو أمية أما بنو المغيرة فكففتهم يوم بدر وأما بنو أمية فتبعوا إلى حين كأنهما يتأولان ماسيتن من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية (وأحلو) أي أنزلوا (قومهم) بارشاهم بإعالي طريقة الشرك والضلال وعدم العرض لحلولهم لدلالة الإحلال عليه اذهو فرغ الحلول كقول تعالى يقدم قرعه يوم القيامة فأوردهم النار (دار البوار) دار الهلاك الذي لأهالك وياه (جهنم) عطف بيان لما في الآية ثم البيان بما لا يخفى من التحويل (يصلونها) حال منها أو من قومهم أي داخلين فيها مقامين لحراها أو استئناف لبيان كيفية الحلول وأفسر لفعل بقدر ناصيا لجهنم فالمراد بالإحلال المذكور وحيد ثم يعضد الهلاك بالقتل والأسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيرهم إلى النار أنسب بالتفسير الأول (وبس القرار) على حذف الخصوص بالذم أي بس المقر جهنم أو بس القرار قرارهم فيها وفيه بيان أن حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار (وجعلوا) عطف على أحلو أو ما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجب أي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم (نن) الفرد الصمد الذي ليس مثله شيء وهو الواحد القهار (أنذاد) أشباه في النعمة أو في العبادة (ليضلوا) قومهم الذين يشايعونهم حسب حلولا (من سيله) القويم الذي هو التوحيد ويعرفهم في ورعة الكفر والضلال ولعل تعذر الترتيب مع أن مقتضى ظاهر الظلم أن يدرك كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى بأخذ الأعداء ثم أضلهم لقومهم المؤدى إلى إحلالهم دار البوار لتثنية التعجب وتكرره والإيذان بأن كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر وأحلال القوم دار البوار وأخذ الأعداء للإحلال أمر يقضى منه العجب وليس المقصود على نسق الوجوه أو إعماهم التعجب من مجموع الخصال الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ (ليضلوا بالفتح وأياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اغاذا الأعداء لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وأدخل عليه اللام بطريق الاستمارة التبع (قل) تهديدا لأولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وإيذانا بأنهم لشدة إيمانهم يقول الحق وقرط أنهما كهم في الباطل وعدم إزعايمهم عن ذلك حال أحقاء بأن يضرب عنهم صفحا ويغفل عنهم عن العظة ويغفلوا شأنهم ولا يؤمنوا به بل يؤمنوا بمشاعرهم بما لعل في التحذير والخذلان ومصارعة إلى بيان علاقته الوخيمة ويقال لهم (تمتعوا) بما أنتم عليه من الشهوات التي من جعلتها كفران للتم العظام واستمتاع الناس في عبادة الأصنام (فان مصيركم إلى النار) ليس إلا فلا بد لكم من تعاملي ما يوجب ذلك لا يقتضي من أحوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسب ما يوجب قوله سبحانه وأحلو قومهم دار البوار فخو تعليل للامر بالمأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الأكيد ما لا يوصف أو قل ثم تصور حالهم وتعبير عما يلجئهم إلى ذلك تمتعوا الإيذان بأنهم لفرط انهماكهم في التمتع بما هم فيه من غير صرف يلزمهم ولا عطف بينهم ما مورو فيك من قبل آخر الشهوة مذهب من حكمه مغاودن لأمره كدأ ما مورو في خدمة أمر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم إلى النار حجة في تعليل الامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كأنه قيل هذه حالكم فان مصيركم إلى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الأمر (قل ليعادي الذين آمنوا) خصهم بالاشفاق إليه تنوينا لهم وتنبها على أنهم المقيسون لوطا لظالمات العبودية الموهون بمحققها وترك الماطف بين الأمرين لا بد أن يبين حالها باعتبار القول التهديد أو تنسيقا والقول ههنا يهدف دل عليه الجواب أي قل ثم أقوموا أو أشقوا (يقصوا الصلوة ويتفقوا عمار رقابهم) أي ابدوا مرا على ذلك وفيه إيذان بكال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم غاية مساهمتهم إلى الامتثال وأمره وقد جوزوا أن يكون القول يقيموا ويتفقوا بحذف لام الأمر عنهما وإنما حسن ذلك دون الحذف في قوله

محمد فقد نفسك كل نفس إذا ما خشت من أمر تبالا
لذلك نقل عليه وقيل مهاجوا أقيموا وانفقوا فدأقما مقامها وليس بذلك (سرا وعلاية) منتصبان على المصدرية من
الأمر المقدر لا من جواب الأمر المذكور رأى انفقوا انفاقا وسر وعلاية والأحب في الانفاق اخفا المتطوع به وعلان الواجب
والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعادة الدينية والمالية وترك الخلق بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو
صنيع الكفرة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) فيتناقص المصير ما يتلافى به تقصيره أو يقتدي به نفسه والمقصود دقني
عقد المعاوضة بالمره وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة في القصد انشاء البيع يستلزم انشاء الشراء على أبلغ وجه
واتفاقه بما يتصور مع تحقق الانجذاب من قبل البائع (ولا خلل) ولا خلل لا يقع لفسخه لخليل أو يساعده بما يقتدي به
نفسه أو من قبل أن يأتي يوم لا أثر فيه لمخلجوا بتعاطيه من البيع والمخالفة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق
فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظاهر أن من متعلقة بأنفقا وتذكر آيات ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة
البقرة من حيث أن كلاما من فقدان الشفاعة وما يتذكر به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلل الواقفين
في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من أقوى الدواعي الى الاتيان بما تتي عوائده وتندوم فرائده من الانفاق في سبيل الله
عز وجل أو من حيث أن ادخار المال وترك انفاقه إنما يقع غالبا للتجار والمهارة بحيث لا يمكن ذلك في الآخرة
فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك ليل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والفتنة به
ولا يبعد أن يكون تأكيداً لمضمون الأمر بأقامة الصلاة أيضا من حيث أن تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبيعات
والمخالات كما في قوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو أهوا انفقوا اليها قرى بالفتح فيها على إرادة النسي العام ودلالة الرغ على
ذلك باعتبار خطاي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع أو خلل (الله) مبتدأ خبره (الذي خلق السموات) وما فيها من
من الأجرام العلوية (والأرض) وما فيها من أنواع المخلوقات لمسا ذكر أحوال الكافرين لنعم الله تعالى وأمر المؤمنين
بأقامة مراسم الطاعة شتماً لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الأنام المثابة على الشكر والطاعة والتم العظام
والمتن الجسم خال المؤمنين عليها وتقر بما للكفرة المخلجين والواضحين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المتبدا الاسم
الجليل والخبر الاسم الموصول بذلك الأفعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وإزال الأمطار وإخراج الثمرات
وما يتلوه من الآثار العجيبة مما لا يخفى من تربية الهابة والدلالة على قوة السلطان (وأزل من السماء) أي السحاب
فإن كل ما علاك سماء أو من الفلك فإن المطر منه يتدرى الى السحاب ومنه الى الأرض على ما دل عليه فظاهر النصوص
أومن أسباب تساوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض الى الجوف فيعتقد سبحانه ما طرا وأيا ما كان فمن ابتدائية
(ما) أي نوعا منه هو المطر وتقدم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ لنزوله أول لتشریفه كما في قولك
أعطاه السلطان من عزائه مالا وأولها من مرارا من التشويق الى المؤخر (فأخرج به) بذلك الماء (من الثمرات)
الضائفة للحرص اما لأن صيغ الجمع يتعاور بعضها موضع بعض وأما لانه أريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك أدركت
ثمرة بستان فلان (رزقا لكم) تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن للتبيين
كقولك أنفقت من الدوام ألفا ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالاً منه أو مصدرا من أخرج بمعنى رزق
أو للتبويض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات ما كنا نعلم قبل أنزل من السماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون
بعض رزقكم أنزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر بل الغارو لأجل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وإن
كان بمشئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بأفاضة صورها وكيفياتها على المواد المترتبة من الماء والتراب

أو أودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعها أنواع الغمار وهو قادر على إيجاد الأشياء بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب كذلك لما أن له تعالى في أنشائها مدوجا من طوره إلى ملو و صناع وحكما يحدد فيها لأولى الأبصار عيرا وسكونا إلى عظيم قدرته ليس ذلك في أبداعها دفعة وقوله لكم حصة لقوله رزقا أن أريد به المرزوق ومفعول به أن أريد به المصدر كأنه قيل رزقا أيكم **(وسخر لكم الفلك)** بأن أقدركم على صنعها واستعمالها بما أهلككم كيفية ذلك **(تجري في البحر)** جريا تابعا لأرادتكم **(بأمره)** بمشيئته التي ينط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتخصيص على أن ذلك ليس بمزاولة الأعمال واستعمال الآلات كما يتراءى من ظاهر الحال **(وسخر لكم الأنهار)** أن أريد بها المياه العظيمة الجارية في الأنهار المعظام كما يورى إليه ذكرها عند البحر فتسخرها جعلها معدة لاتساق الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما أشبه ذلك وإن أريد بها نفس الأنهار فتسخرها تيسيرها لهم **(وسخر لكم الشمس والقمر داتين)** يدأبان في سيرهما وانارتها أصالة وخلقة واصلاحها لما ينط بهما صلاحها من المكونات **(وسخر لكم الليل والنهار)** يتمايان حلقه لئلا يملكم ويمدكم وامقد الغمار والفضا بها ذكر سبحانه وتعالى أنواع النعم الفائضة عليهم وأبرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويعا لثباتها وتبديلا على رفعة مكانها وتخصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والأنهار والشمس والقمر والليل والنهار والتسخير من الأشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعرة المثال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الأمور المددودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستدراج ذكرها لذكر الأرض المستدعى لذكر انزال الماس بها إليها الوجه قد ذكرنا أراج الرزق الذي من جملة ما يحصل بواسطة الفلك والأنهار وأولئها الذي عن يوم كون الكل أعنى خلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة **(وأتاكم من كل ماسألفوه)** أي أعطاكم بعض جميع ماسألفوه حسبا تقتضيه مشيئته التامة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أو أتاكم من كل ذلك ما تحتجن إليه وينط بهما نظام أحوالكم على الوجه المقدر فكأنكم ماسألفوه أو كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد أو كل ماسألفوه على أن من ليلان وظلة كل للكثير كقولك فلان يعلم كل شيء وأتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحننا عليهم أبواب كل شيء وقيل الأصل وأتاكم من كل ماسألفوه وما لم تسألوه لخفف الثاني لدلالة ما أتى على ما أتى وقرى بتنوين كل على أن منافقة وعمل ماسألفوه النصب على الحالية أي أتاكم من كل غير سائله **(وإن تعدوا نعمة الله التي أنعم بها عليكم لا تحصوها)** لا تحصىوها ولا تحصىها ولا تحصىها وأصل الاحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقدا معينا من عقوه الأعداد وضع حسنة ليحفظ بها فيه أيدين بعدم بلوغ مرتبة معش بها من مراتب فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من أفراد الناس وإن كان في أقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوا بأصناف العنايا مبتلى بأنواع الرزايا فهو بحيث لو تأملته أفئته متقلبا في نعم لا تحصى ومن لا تحصى ولا تعد كأنه قد أعطى كل ساعة وأن من النعمة ما حواه حيلة الإمكان وإن كنت في ريب من ذلك فقد رآه ملك ملك أقطار العالم ودانت له كافة الأمم وأذنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع مافي الدنيا من أصناف الأموال من غير ند يراحمه ولا شريك يساممه بل قد رآه جميع ما فيها من حجر ومدبر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قد رآه قد وقع من فقد مشروب أو مطعم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشترى وهو في تلك الحال بجميع ماله من الملك والمال لقمة تنجيته عن رواة أو شرية ترويه من ظمأه أم يتغار الهلاك

فتذهب الأموال والأهالك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود إليه كلابل يبذل لذلك كل ما تحويه البدان كأنما ما كان وليس في صفته شاتبة الخسران فاذن تلك القصة والشرية خير مما في الدنيا بألف رتبة مع أنها في طرف الغمام بالهداية متى شاء من الليالي والأيام وأقدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا تدخل منه ما خرج ولا يخرج منه ما ولى والحين قد دحان وأتاه الموت من كل مكان أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو رأيه حامد فاذن هو خير من أموال الدنيا يحملها ومطالها برمتها مع أنه قد أيسر له كل أن من آفات الليالي والأيام حال البقطة والنام هذا من الظهور والجلال بحيث لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء وإن رمت العتور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السر ودق فاعلم أن الإنسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعدل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكالات اللاتمة والملكات الراتمة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الإلهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار إلا في مطمورة الدم واليوار ومهاوى الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجذاب الأقدس تعالى شأنه وتقديس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحية والنفسانية والجسدية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه إلا العالم الخبير وتوضيحه أنه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول عز وجل فكلا لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يفسد عليه جميع أنحاء عدمه الأصلي لا يتصور بقاءه على الوجود بعد تحققه بطله ما لم يفسد عليه جميع أنحاء عدمه الطاريء لأن الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وأنت خير بأن ما يتوقف عليه وجوده من الأمور الوجودية التي هي علله وشرايطه وإن وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الأمور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك إذ لا تساحل في أن يكون شيء واحد موانع غير متناهية وإنما الإستهالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تنهاى أعنى بقاءها على العدم مع إمكان وجودها في أنفسها في كل آن من آفات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجودات علله وشرايطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كماله الذاتية لوجوده فانضح أنه يفيض عليه كل آن نعم لا تنهاى من وجوده مشى فبجانك سبحانه كما أعظم سلطانك لاتلاحظك العيون بأنظارها ولا تظلمك العقول بأفكارها شأنك لا يضاهي واحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي إقامة مراسم شكرك قاصرون نساءك الهداية إلى مناهج معرفتك والتوفيق لإدراك حقوق نعمتك لا تحصى ثناء عليك لاله الأنت تستغفرك وتتوب إليك **(إن الإنسان لظلوم)** يظلم النعمة باغتيال شكرها أو بوضعه أياها في غير موضعها أو يظلم نفسه بتعريضها للحرمان **(كفار)** شديد الكفران وقيل ظلم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع وينزع واللام في الإنسان للجنس وصدائق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجدافيه من أفراد ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا أوليا **(وإذ قال إبراهيم)** أي وإذا كر وقت قوله عليه الصلاة والسلام المقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تأكيد ما سلف من تعجبه عليه السلام ببيان فن آخر من جناساتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعدما كفروا بالنعم العامة وعصوا بأبهم إبراهيم عليه السلام حيث أسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لإقامة الصلاة والاجتناب عن عبادة الأصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى أن يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويتوى قلوب الناس إليهم من كل أوب سحيق فاستجاب الله تعالى دعاه وجعله حرما آمنا يحجي إليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم المعظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البرار وجعلوا لله أندادا وفعلوا ما فعلوا **(رب اجعل هذا البلد)** يعني مكة شرفها الله سبحانه **(آمنا)** أي ذا أمن أو آمنا أهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة

والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا أن المسؤل هناك البلدية والامن معا وهما الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلدية المفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فله عليه السلام سأل أولا كلا الامرين فاستجيب له في أحدهما وتأخر الآخر الى وقت المقدرها يقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال أو كان المسؤل أو لا مجرد الامن المصحح للسكن كما في سائر البلاد وقد أجيب اليه وثانيا الامن المعهود أو كان هو المسؤل فيها وقد أجيب اليه أيضا لكن السؤال الثاني للاستدانة والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصيل أو لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن المسؤل كلا الامرين وقد حكى أولا واقتصر هنا على حكاية سؤال الامن لا ليجرد أن نعمة الامن أدخل في استيجاب الشكر فذكره أنسب بمقام تفرغ الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكى بقوله تعالى فاجعل أئمة من الناس تهوى اليهم اذ المسؤل هو يتو اليهم للساكنة معهم لا للمهج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكى بعبارة أخرى وكان ذلك أول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام لما أسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلمنا في هذا البلع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله أمرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يصنعنا فزيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فقال ربنا انى أسكنت الآية وإنما فصل ما بينهما ثنية لاختتان وايدنا بأن كلا منهما نعمة جليله تستبغ لشكر كثير كما في قصة البقرة (واجنبي وبي) بعدى وياهم (أن تعبد الاصنام) واجعلنا منها في جانب بعد أى ثبنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عباد الاصنام وقرى واجنبي من الاصلح وهما لغة أهل نجد يقولون جني شره وأجني شره وأما أهل الحجاز فيقولون جني شره وفيه دليل على أن عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر أن المراد بينه أو لاده الصليبة فلا احتياج به لان عينه رضى الله عنه على أن أحد من أولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وإنما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستجب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار البيت وليت شعري كيف ذهب عليه مائى القرن أن العظم من قوارع قمى على قبر بش عبادة الاصنام على ان هذا ذكره كرا على ما فيه من (رب انى) أى الاصنام (أصلك كثير من الناس) أى تسبى له كقوله تعالى وغرتهم الحبيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وإنما صدره بالنداء اظهارا لاختتانه ورغبة في استجابته (من تعبد) منهم فلما أدعوا اليه من التوحيد وملة الاسلام (فانه منى) أى بمعنى قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به أو متصل في لا يملك على في أمر الدين (ومن صلقى) أى لم يمتنع والتعبد عنه بالصيانة لا ليدان بأنه عليه السلام مستمر على الدعوة وأن عدم اتباع من لم يتبعه إنما هو اعصائه لا لانه لم يبلغه الدعوة (فانك غفور رحيم) قادر على أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد توبته وفيه أن كل ذنب لله تعالى أن يغفره حتى الشرك خلا أن الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره (ربنا) أثر عليه السلام ضمير الجاعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والارباع في قوله رب انهن الخ بل لان الدعاء المصدريه وما أورده بصدد تمهيد مبادئ اجابته من قوله (انى أسكنت) الآية متعلق بذريته فالعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم أدخل في القبول واجابة المسؤل (من ذريتي) أى بعضهم أو ذرية من ذريتي خذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولده فان أسكنه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روى أن هاجر أم اسمعيل عليه السلام كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل عليه السلام غارت عليها فنادته أن يخرجها

من عندها فأخرجها الى أرض مكة فأظهر الله تعالى عين زمزم (بواد غير ذى زرع) لا يكون فيه زرع أصلا وهو وادى مكة فها قال تعالى (عند بيتك) ظرف لآسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لانه صفة لواد أو بدلمته اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مبادئ المرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما يبنى عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة المتجاء وعصمته عن المكاره في قوله تعالى (المحرم) حيث حرم التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما متعنا به الجبارة في كل عصر أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سعى عتقا وتسميته اذ ذلك بيتا ولم يكن له بناء وإنما كان نشرا مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ ذات العين وذات الشمال ليست باعتبار ماسؤل اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه يزرع الى اعتبار عنوان الحرمة أيضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في كية عدده وقد ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله تعالى (ربنا ليقموا الصلوة) متوجين اليه متبركين به وهو متعلق بأسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسطه لاطهار كمال العناية باقامة الصلاة والاهتمام بعرض أن الغرض من أسكانهم بذلك الوادى البلع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتقيد مبادئ اجابة دعائه واعطاه مؤله الذى لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك أدخل عليه الفاء فقال (فاجعل أئمة من الناس) أى أئمة من أئمتهم فمن التبعية ولذلك قيل لو قال أئمة الناس لازدحت عليهم فارس والروم وأما ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب لل مقام اذ المسؤل توجيه القلوب اليهم للساكنة معهم لا لتوجيهها الى البيت للحج والاقتيل تهوى اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكى بعبارة أخرى كما مر أو لا يتدأ الغاية كقولك القلب منى سقيم أى أئمة ناس وقرى أئمة على القلب كما درى أدور أو على أنه اسم فاعل من أئمت الرحلة أى تجلت أى جماعة من الناس وأئمة بطرح الحمرة من الاقئمة أو على التعت من أئمة (تهوى اليهم) تسرع اليهم شوقا وودادا وقرى على البناء للمفعول من أهواه غيره وتهوى من باب علم أى تحب وتعتد به بالى تضمنه معنى الشوق والنزوع وأول آثار هذه الدعوة مآروى أنه مرت رقة من جرم تريد الشام فأروا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فأشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وآسنالك الماء ماؤك فأذنت لهم وكانوا معها الى أن شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور (وارزقهم) أى ذريتي الذين أسكنتهم هناك أو مع من ينحاز اليهم من الناس وإنما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلاة (من الثمرات) من أنواعها بأن يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يحجى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى أنه يجتمع فيه الفواكال ربعية والصيفية والحريفية في يوم واحد . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفضا الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري رضى الله عنه أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام (لعلهم يشكرون) تلك النعمة باقامة الصلاة وأداسات من اسر العبودية وقيل للاطمئنان ليقبوا الامر والمراد أمرهم باقامة الصلاة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاق في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والحفاظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستئصال الرحمة واستجلاب الرأفة لا لا يخفى فانه عليه السلام يذكر كون الوادى غير ذى زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤل وبذكر كون أسكانهم عند البيت المحرم أشار الى أن جوار الكريم يستوجب فاضلة النعيم ويعرض كون ذلك الاسكان مع حال اعوازهم

المعاش لحسن الصلاة أو إذا حقق اليقين بعد جميع مبادئ اجابة السؤال لذلك فترتد دعوتك عليه السلام بحسن القبول ﴿ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء أولا أي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان عليه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفي أقدم منه بما يعلن أولان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فمعلق عليه سبحانه بحالته الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية وقصد عليه السلام أن يظهر هذه الحاجات وما هو من مبادئها وتبانيها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخضع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لئلا يباديك وتكرر النداء للبالغة في الضراعة والابتهاال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد عليه تعالى يسره وعلمه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض ﴿وما يخفي على الله من شيء في الارض ولا في السماء﴾ لما أنه العلم بالذات فاسم امر يدخل تحت الوجود كما انما كان في زمان من الازمان الا وجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفي على الله الخ دون أن يقول ويعلم مافي السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعلم ما نخفي من أن عليه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه مشابهة خفاء بالنسبة الى عليه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وظلة في متعانة بمحذوف وقع صفة شيء أي من شيء كأن فيها أعم من أن يكون ذلك على وجه الاستقرار فيما أو على وجه الجزئية منهما أو يخفي وتقديم الارض على السماء مع توسط لا بينهما باعتبار القرب والبعد من المستدعين للفتاوت بالنسبة الى علومنا والاتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات لربية المباشرة والاشعار بعلو الحكم على نهج قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والاذيان بمعمومه لانه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالتناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يقولون ومن الاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر أي مع كبري وأبى عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها ﴿اسمعيلا واسحق﴾ وروي أنه ولد لاسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة أو مائة وسبع عشرة سنة ﴿ان ربي﴾ ومالك أمري ﴿اسمع الدعاء﴾ نجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من أبنية المبالغة الماملة عمل الفعل أضيف الى مفعوله أو فاعله باستناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونهم تسمية الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بأن ذلك الجليل سنه المستمرة تعليل على طريقة التذليل للهبة المذكورة وفيه ايدان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله وبه عني من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتها لما أن نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم ﴿رب اجعلني مقيم للصلاة﴾ مثارا عليها بمدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوتك لذريته ايضا حيث قال ﴿ومن ذريتي﴾ أي بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهما من أولادهما للاشعار بأنه المقدس في ذلك وذريته أتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد لا كما في قوله ربنا اني أسكنت الخ فان أسكنته مع عدم تحقيقه بلا ملايسة لمن أسكنته انما هو مذكور بطريق التخييد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى أن بعضا منهم لا يكون مقيم للصلاة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ أي دعائي هذا المتعلق بجعلني وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك متجنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء

بضمير الجماعة ﴿ربنا اغفر لي﴾ أي ما فرط مني من ترك الأولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ﴿ولوالدي﴾ وقرئ بالوحيد ولا يوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الآية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للقيام وسبأ في تمامه في سورة مريم بفضل الله تعالى ﴿والدؤمنين﴾ كافة من ذريته وغيرهم وللإيدان بأشراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة ﴿يوم يقوم الحساب﴾ أي ثبت ويتحقق محاسبة أعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل أسند اليه قيام أهله مجازا أو حذف المضاف كما في وأسأل القرية واعلم أن ما حكى عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في أزمته متفرقة حكى مرتباً للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور أمره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبته على ما كان عليه من عدم حسابه عن وجل كذلك نحر قوله ولا تكونن من المشركين ونفاذته مع ما فيه من الايدان بكونه واجب الاحترار عنه في الغاية حتى نهى عنه من لا يمكن تعامله أو نهى عليه السلام عن حسابه تعالى تاركا لعقابه على طريقة العفو والتعير عنه بذلك للبالغة في النبي والايذان بأن ذلك الحسان بمنزلة حسابه تعالى غافلا عن أعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابه لا محالة فتركوا لو كان لكان للخلعة عما يوجب من أعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له أكيد ووعد للكفرة ورسائل الظالمين شديد أو لكل أحد عن يستحيل عذابهم أو يترحم اهلهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بأعماله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على أعمالهم ويجازيهم بذلك تقيرا وقسطيرا والمراد بالظالمين أهل مكة من عدت مساوهم من تبديل نعمة الله تعالى كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنهي عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية أو جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا ﴿انما يؤخرهم﴾ يهلمهم مستعين بالحفظ الدنياوية ولا يعجل عقوبتهم حسبا يشاهد وهو استئناف وقع تعليل للنهي السابق أي دم على ما كنت عليه من عدم حسابه تعالى غافلا عن أعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجب من العذاب الا ليم اذ تأخير للتشديد والتغليظ أولا تحسبه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل هذا أو لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التأخير عليهم مع أن المؤخر انما هو عذابهم لتحويل الخطب ونفطع الحال ببيان أنهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لأنهم باقون باختيارهم وللدلالة على أن حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة وأن لا يبق منهم في الوجود عين ولا أثر وللإيدان بأن المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولوقيل انما يؤخر عذابهم الخ لمسايق ذلك ﴿ليوم﴾ هائل ﴿تفحص في الابصار﴾ ترتفع ابصار أهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعبودون دخولا أوليا أي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في أمكانها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما بجعل الضيعة من شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع ﴿مهلعين﴾ مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع أو مقبلين بأبصارهم عليه لا يفلعون عنه ولا يطرفون هيبه وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي قيل ﴿مقنني رقيبهم﴾ أي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله النبي وابن عرفة أو ناكسها ويقال

أرفع رأسه أي طأطأها وتكسها فهو من الاضداد وهما حالان محاذل عليه الابصار من أصحابها أو الثاني حال متداخلة من الضمير في الأول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالاية **﴿لا يريد اليهم طرفهم﴾** أي لا يرجع اليهم تحريك أجناسهم حسبا كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف أو لا ترجع اليهم أجناسهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا وهو نفس الجفن قال الفيروز آبادي الطرف العين لا يجمع لأنه مصدر في الأصل أو اسم جامع للعين أو لا يرجع نظرهم الى أنفسهم فضلا عن أن يرجع الى شيء آخر فيقولون مبهوتين وهو أيضا حال أو بدل من مقنى الخ أو استئناف والمعنى لا يزول ما اعترافهم من شغوص الابصار وتأخيرهم عن هو من تشبته من الاقطاع والاقطاع مع ما بينه وبين الشغوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى **﴿وأفندتهم هوا﴾** خالية من العقل والفهم لفطرت الحيوة والدهش كأنها نفس الهواء الخالي من كل شغل ومنه قبل الجبان والاحق قلبه هوا أي لاقوه ولا رأى فيه واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حالها لما لا يريد مقيدة لكون شغوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بآلهم ولا اختيار أو محسنة مستقلة **﴿وأفند الناس﴾** خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلانه أن تأخيرهم لحاداً وأمره بالذفرهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالطامنين كما يقتضيه ظاهر آيات العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بأن المراد بالالذار هو الجزع عمام عليه من الظلم شفقة عليهم لا لتخويف للازعاج والالذار فالمناسب عدم ذكرهم بضمون الظلم أو الناس جميعا فان الالذار عام للقرينين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتباع ببعضها من حيث كونها في التوقف وان كان الخوف بالكفار خاصة أي ألدوهم وخوفهم **﴿يوم يأتهم العذاب﴾** المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الأوصاف المائلة أعز يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاه الملائكة بالاشمى أو يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وياياه القصر السابق **﴿فيقول الذين ظلموا﴾** أي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللأشعار بأن ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وإيثاره على صيغة الفاعل حسبا ذكر أو لا لا يذيان بأن الظلم في الجملة كاف في الإفضاء الى ما ذكر من الأهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبغي عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعي المسلمين أيضا فالمعنى الذين ظلموا انهم وهم الكفار أو يقول كل من ظلم بالشرك والكذب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان آيات العذاب يعذبهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل **﴿ربنا أخرنا﴾** ربنا الى الدنيا وأهلنا **﴿الى أجل قريب﴾** الى أمد وحدث من الزمان قريب **﴿نحب دعوتك﴾** أي الدعوة اليك والى توحيدك أو دعوتك لنا على ألسنة الرسل فضيه أيماء الى أنهم صدقوه في أنهم مرسلون من عند الله تعالى **﴿وتتبع الرسل﴾** فيما جاؤا به أي تدارك ما فعلنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول صلى الله عليه وسلم عصيانا لهم جميعا واما باعتبار أن المحكى كلام ظالمى الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل أمة باتباع رسولها **﴿أولم تكونوا﴾** أقسمت من قبل **﴿على اصهار القول معطوفا على فيقول أي فيقال لهم توينا وتبكتنا ألم توخروا في الدنيا ولم تكونوا﴾** أقسمت اذ ذاك بالسقم بطرا وأشرا وجهلا وسفها **﴿مالك من زوال﴾** مما أنتم عليه من التمتع بالمخلوقات الدنياوية أو بالسنة الحال حيث ينتهي مشيدا وأتمتم بعيدا ولم تحدثوا أنفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه أو مالك من زوال من هذه الدار الى دار أخرى الجزاء كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من موت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في أقسمت كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو أدخل في التوسيع من أن يقال مالنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي أنه قال لأهل النار

خمس دعوات يحجبهم الله تعالى في أربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلك بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحا انما وفون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاؤكم يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك وتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم الآية ثم يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما صالحين فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجائهم وأقبل بعضهم ينبس في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم اللهم انابك نعوذ وبكتفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك **﴿وسكنتم﴾** من السكنى بمعنى التبوؤ والايطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل **﴿في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾** جريا على الأصل لأنه منقول عن مطلق السكنى التي حقته التعدي بها أو من السكنى والبث أى قرمت في مساكنهم مطمئنين ساترين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لأنفسكم بما لقوا بسبب ما اجترحوه من الموبقات وفى ايقاع الظلم على أنفسهم بعد اطلاله فيما سلف ايدان بأن غائلة الظلم آتت الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين واما آياتهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومها لكل وهذا الخطاب وما يتلو به باعتبار حال أو آخرهم **﴿وتبين لكم﴾** بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار **﴿كيف فعلنا بهم﴾** من الاعمال والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دللت على عليه دلالة واضحة أى فعلنا العجيب بهم وفيه من المبالغة ما ليس في أن يقال ما فعلنا بهم كما مر في قوله تعالى ليس جنته وقرى **﴿وبين﴾** **﴿وضربنا لكم الأمثال﴾** أى بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين أو على ألسنة الأنبياء عليهم السلام على تقدير عمومهم لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في القرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم لتعبروا بها وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم وما لكم على ما لظلم وتفتقروا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فتردعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي أو بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجلل الثلاث في موقع الحال من ضمير أقسمت أى أقسمت بالخلود والحال أنكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونهيناكم على جليلة الحال بضرب الأمثال وقوله عز وجل **﴿وقدمكروا﴾** حال من الضمير الأول في فعلنا بهم أو من الثاني أو منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الأمثال لشدة ارتباطه بما قبله أى فعلنا بهم ما فعلنا بهم من حالنا بهم أو من الثاني أو منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى العظيم الذي استغفروا في عمله المجهود وجاوزوا فيه على حدم معبود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيه في استحقاق ما فعل بهم أو قدمكروا ومكرهم المذكور في ترتيب مبادئ البقاء ومداغة أسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحضارتها عند قدرة الله تعالى **﴿وعند الله مكرهم﴾** أى جزاء مكرهم الذي فعلوه على أن المكر مضاف الى فاعله أو أخذه تعالى بهم على أنه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرآ لكونه بمقابله مكرهم وجودا وذكرآ أو لكونه في صورة المكر في الآيات من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما أفاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لانه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا أى مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه أو ما هو أعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه **﴿وان كان مكرهم﴾** في العظم والشدة **﴿لنزول منه الجبال﴾**

أى وإن كان مكرهم في غاية المثانة والعدة وغير عن ذلك بكونه سوى ومعدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلاً في ذلك والجله المصدرة بأن الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم أو المكسر الذى يحق بهم أن لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وإن كان الخ وقد حذف ذلك حذفاً مطرداً لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع القوي فلا أن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى ان الوصلية من التأكيد المأمونى والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية للالام لنا كيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم ويصدر قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وما كان مكرهم فالجمله حينئذ حال من الضمير في مكرهم والامن قوله تعالى وعند الله مكرهم أى مكرهم والحال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على أنها عبارة عن آيات الله تعالى وشراؤه ومعجزاته القاهرة على أيدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ وأما كونها عبارة عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأمر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له إذا ما كرون هم المهلكون لا السالكون في مساكنهم من المخاطبين وإن خص الخطاب بالمؤمنين وقيل هي غففة من أن والمعنى انه كان مكرهم ليزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجله كاهي حاليهم ضمير مكرهم أى مكرهم والمكرهم المعبود وإن الشأن كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعاً من مباشرة المكسر لازالته وقد قرأ السكافي لتزول ينفتح اللام على أنها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجمله حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أى عنده تعالى جزاء مكرهم أو المكسر بهم والحال أن مكرهم بحيث تزول منه الجبال أى في غاية الشدة وقوى بالفتح والتصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فها هو الذى يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكرهم والتفريق والمراد بمكرهم ما أفاضه الله عز وجل وأذعرك بك الذين كفروا ليشتبك أو يقتلوك أو يجر جوك الآية وغيره من أنواع مكرهم يرسل الله صلى الله عليه وسلم وأهل الوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى وقد مكرهم الخ خلاص القول المقدر أى يقال لهم ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الإقسام المذكور مع ما ينافيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين أمرهم وحسب الاشكال قد مكرهم العظمى أى لم يكن الصادق عنهم مجرد الإقسام الذى ونحوها بل اجترأوا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكرهم وحسباً ذكرنا من قبل وقوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال سبباً لعدم تفاوت الحال في تحقيق الجزاء بين كون مكرهم قويا أو ضعيفاً كما مر هناك وعلى تقدير كون ان نافية فيه حال من ضمير مكرهم والجبال عبارة عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أى وقد مكرهم والحال أن مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها غففة من الثقله واللام مكسورة يكون حالاً منه أيضاً على معنى أن ذلك المكسر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك لما أن شأن الشرائع أعظم من أن يمكر بها ما كر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليتأمل فلا تحسن الله مخلف وعده رسله لم يردبه والله سبحانه أعلم ما وعده بقوله تعالى ان النصر لرسنا الآية وقوله كتب الله لأعين أنا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لاسباب الاخرى بل ما سلف أنما من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهى الذى أريد به نهيته عليه الصلوة والسلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بالجاز وعده المذكور والمقررون بالامر بانذارهم يوم آيات العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلحقونه من

الضادون بما يسألونه من الرادى الدنيا وبما أجنأهم وقرعناهم بعدم تأملهم في أحوال من سبقهم من الامم الذين أهلكتهم بظلمهم بعد ما وعدناهم رسلهم بأهلأهم فدم على ما كتبت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا (ان الله عزيز) غالب لا يماكر وقادر لا يقادر (ذو انتقام) لا ولياته من أعدائه والجله لتعذيب للنهى المذكور وتذليل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بأن يقال ان الله لا يخلف الموعد بل تعرض لوصف الهرة والانتقام المشعري بذلك والمراد بالانتقام ما أشير اليه بالفعل وغيره بالمكر (يوم تبدل الارض غير الارض) ظرف لمضمرة مستأنف ينسحب عليه النهى المذكور أى ينجزه يوم الخ أو معطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض أو الانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له أحوال جملة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقدير به مع عموم انتقامه للآوقات كلها للانصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب أو نصب باذكر أو باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه أيضاً ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز أن ينتصب بقوله غلف وعده لأن ما قبل ان لا يعمل فيها بعده وقيل هو غير مانع لأن قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يلى بها فاصلاً واعلم أن التبدل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم ذاتها وعليه قوله عز وجل بدلناهم جملة اعتراضية فلا يلى بها فاصلاً واعلم أن التبدل قد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتماً اذا غيرت شكلها ومنتهى قوله تعالى تبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنصر في أحد الوجهين فمن عني رضى الله عنه تبدل أرضاً من فضة وسحرات من ذهب وعن ابن مسعود رضى الله عنه تبدل الارض بأرض كالفضة يضاهى ثقيلاً لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وأشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم

وتبدل السموات بانقار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً يدل عليه ما روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتتمدد الأديم العكاظي لتأري فيها عرجاً ولا أمناً (والسموات) أى وتبدل السموات غير السموات حسباً من من التفصيل وتقديم تبدل الارض لتقرينها منا ولكون تبدلها أعظم أو بالنسبة اليها (وبرزوا) أى الخلائق أو الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد ببرزهم من أجسادهم التي في بطون الارض أو ظهورهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون أنها لا تظهر أو يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع أنه لا عملهم للايدان بتشكيلهم بأشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه أو حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو (الله الواحد القهار) للحساب والجزاء والتعرض للوصفين تهويل الخطب وترية الحماية وإظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفاً له وتحقيق آيات العذاب الموعود على تقدير كونه بدلاً من يوم يأتيهم العذاب فان الأمر اذا كان لواحد غلاب لا يعار وقادر لا يضار ولا يضر كائن في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة (وترى المجرمين) عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة أو للدلالة على الاستمرار وأما البروز فهو دفعي لا استمراره وعلى تقدير حالة برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الطرف المقدم على تقدير كونه ينجزه (يومئذ) يوم اذ برزوا لله عز وجل أو يوم اذ تبدل الارض أو يوم اذ ينجز وعده (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجزاء أو قرنوا مع الشياطين الذين أغوهم أو قرنوا مع اقترافهم من العقائد الزائفة والمملكات الرديئة والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكيلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة وقرنت

أبراهيم وأرسلهم إلى مقامهم وهو حال من المجرمين (في الأصناف) في القيود أو الاغلال وهو انما تعاقب بقوله تعالى مقرنين أحوالهم من ضمير أي مصفين (سرايلهم) أي قصاتهم (من قطران) جملة من مبتدأ وخبر عليها نصب على الحالية من المجرمين أو من ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كائنه فوه إلى في أو مستأنفة والقطران ما يتحلب من الابل فيطبخ فيها به الابل الجري فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته إلى الجوف وهو أسود متين يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلائعهم كالسراويل ليصنع عليهم الألوان الأربعة من العذاب لذعه وحرته واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والتين على أن التفاوت بينه وبين ما يشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكان ما يشاهده منهما أسبا مسمياتها في الآخرة فبكرمه العليم نعوذ وبكفنه الواسع نلوذ ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلا لما يحيط به جهنم من المذكات الردية والحالات الوحشية فتجلببها بالالام والغموم بل وإن يكون القطران المذكور عين مالا يسره في هذه النشأة وجعلوه شعرا لهم من العقائد الباطلة والأعمال السيئة المستجابة لقنون العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتعبة لاشتداد العذاب عصمت الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطران أي نحاس مذاب مثله حرد (وتغشى وجوههم النار) أي تملؤها وتحيط بها النار التي تمس جسدكم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومها لساير أعضائهم لكونها أعز الأعضاء الظاهرة وأشرفها كقوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها تجمع المشاعر والحواس التي خلقت لأدراك الحق وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما أن الفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة وعمل المعرفة وقد ملأوها بالجهالات ولذلك قيل تطاع على الأئمة أو خللوا عن القطران المغنى عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليعارفوا عند انكشاف اللب أحيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤس الاشهاد وقرئ تغشى أي تغشى بمحذ أحدى الثابتين والجملة نصب على الحالية لاعتلى أن الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله أبو الباء (ليجزى الله) متعلق بمضمر أي يفعل بهم ذلك ليجزى (كل نفس) مجزئة (ما كسبت) من أنواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه إيدان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للنفاق وقوله وتري المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به أي برزوا للحساب ليجزى الله كل نفس مطيعة أو عاصية ما كسبت من خير أو شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لاسيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة (إن الله سريع الحساب) إذ لا يشغله شأن عن شأن فيشغله في أجل ما يكون من الزمان فيؤدى الجزاء بحسبه أو سريع المحيى يأتي عن قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب (هذا) أي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا إلى قوله سريع الحساب (بلاغ) كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة إلى ما نظوى عليه السورة الكريمة أو كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع (للناس) للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وأنذر الناس أنفسهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم أيضا وإن كان ما شرح مختصا بالظالمين (وليتنبؤوا به) عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم في أن ينصحووا ويتنبؤوا به أو هذا بلاغ لم يفهموه ولينبؤوا به على أن البلاغ بمعنى الإيلاج كما في قوله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ أو متعلقة بمحذوف أي ولينبؤوا به أنزل أو تلى وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء إذاعله وحذره واستعدله (وليعلموا) بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي إهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرها مما سبق ولحق (أعمالهم الله واحد) لاشريك له وتقديم الانذار لانه الداعي إلى التأمل المؤدى إلى ما هو غاية له

من العلم المذكور والتذكير في قوله تعالى (وليتذكروا) أي ليتذكروا ما كانوا يعملونه من قبل من التوحيد وغيره من شئون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرددهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدعوا بما يحفظهم من العقائد الحقة والأعمال الصالحة وفي تخصيص التذكير بأولى الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على أن المشار إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لأشأنهم لاكل السورة المشتعلة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين أيضا فإن فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيد البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة إلى الكفرة أمرا حادثا وبالنسبة إلى أولى الالباب الثبات على ذلك حسبا أشير إليه عبر عن الأول بالعلم وعن الثاني بالتذكير وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الحتم بالحسن والله سبحانه أعلم ختم الله لنا بالسعادة والحسن ورزقنا الفوز ببرضاته في الاولى والعقبى آمين . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنت بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

سورة الحجر

(مكية وهي تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ال) قدر الكلام فيه وفي عمله في مطلع سورة الرعد وأخواتها (تلك) إشارة إلى أي تلك السورة العظيمة الشأن (آيات الكتاب) الكامل المعهود الغنى عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الإطلاق أي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل إذ ذلك إذا هو المتسارع إلى الفهم حيث عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بتع ما أضيفت إليه من نعت الكمال لاعتلى جعله عبارة عن السورة إذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشبهة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك إشارة إلى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا ينبغي كاذكر في سورة الرعد (وقرآن) أي قرآن عظيم الشأن (مين) مظهر لما في تضاعفه من الحكم والاحكام أو لتسبيل الرشد والغنى أو لفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد غم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على الطريقتين احدهما اشتاله على صفات كالجنس الكتب الإلهية فكانه كلها والثانية طريقة كونه متازا عن غيره نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان وأخرت الطريقة الثانية لما أن الإشارة إلى امتيازها عن سائر الكتب بعد التنبيه على انقطاعها على كالات غيره من الكتب أدخل في المدح كيلا يتوهم من أول الأمر أن امتيازها عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتغال على نعت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة التل خلا أنه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين إلى حسن تلقى ما فيها من الاحكام والقصاص والمواظط شرع في بيان ما تضمنه فقيل (ربما) بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا وفيه ثمانى لغات فتح الراء وضما مشددا ومخففا وبزيادة التاء أيضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل الاعلى الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى (يود الذين كفروا) لما أن المتروك في أخايرة تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما واد الذين كفروا والمراد بكفرهم بالكتاب والقرآن وبكبره من عند الله تعالى

(لو كانوا مسلمين) متقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايدان بأن كفرهم انما كان بالجهود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة أو عند موتهم أو عند معاينة حالهم وحال المسلمين أو عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من أهل القبلة قال لهم الكفار أستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا إلى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لم يفضل رحمة فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها حينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يشتمون الإسلام والحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم وأما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وأن المراد بذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بهيئة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الاغراط فيما يكسبون عنه يقول لبعض قواد الصاكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أولا تعدم عندي فارسا وعندك مقابله من الكتاب وقصده في ذلك التماسي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براسته من التزبد وابرار أنه من يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير التقليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الأمر من الموضوع بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه هضبا للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للإسلام في كل آن من آتات اليوم الآخر وأن ذلك من الظهور بحيث لا يشبه على أحد ولوحي بكلام يدل على ضده وعلى أن تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لحقمان بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بمسأله في الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية أو ذهابا إلى الاشعار بأن من شأن العاقل اذا عن له أمر يكون مظنون الحد أو قليلا ما يكون كذلك أن لا يفارقه ولا يقاربه ضده فكيف اذا كان متيقن الحد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس ببيان كون التندم مرجو الوجود بل يتيقن به أو قليل الوقوع بل التنبه على أن العاقل لا يباشر ما يرجي فيه التندم أو يقل وقوعه فيه فكيف بقعاى الوقوع وأنه يكفي قليل التندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره للمعنى لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب عليهم أن لا يفارقه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا أوفق بمقام استزاهم عظام عليه من الكفر وهذا طريقان متبايران ذاتا ومقاما فمن غلبهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حق (ذرهم) دعمهم عن النبي عظام عليه بالندرة والنصيحة إذ لا سبيل إلى ارجعائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرمم بتعاطي ما يتعاطونه (يأكلوا أو يشتموا) بدنيهم وفي تقديم الاكل ايدان بأن تمتعهم انما هو من قبل تمتع البهائم بالساكن والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لاحداته فانهم كانوا كذلك أو تمتعهم بلا استماع ما ينقص عيشهم من الفروع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه أمر حادث يصلح أن يكون مترتبا على تخليتهم وشأنهم (ووليهم) ويشغلهم عن اتباعك أو عن التفكير فيما هم يصرون اليه أو عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان إلى ذلك (الآمل) والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وأن لا يلقوا في العاقبة والمآل الاخيرا فالافعال الثلاثة تجزئة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة الجواز أو على أن يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وعامة عاقبتها غير سامعين لسوء مقبتها أصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عظام

عليه من ارتكاب القبائح عما يشوش عليهم تتمتعهم وينقص عليهم عيشهم فأمر عليه السلام بتركه ليمرغوا فياهم فيه من حظوظهم فيدهم ما يدعهم وهم عنه غافلون (فوف يعلمون) سوء صنيعهم أو وعامة عاقبتهم أو حقيقة الحال التي ألجأتهم إلى التفتي المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه بعيدا عما وعيد وتهديدا أعجب تهديد تعليل للامر بالترك فان عليهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار إذ لا يتحقق الامر بالندم الا بعد تكرار الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما ترتب عليه من الاكل والتمتع والالها (وما أهلكنا) شروع في بيان سر تأخير عذابهم إلى يوم القيامة وعدم نظمتهم في سلك الامر الدارحة في تعجيل العذاب أي ما أهلكنا (من قرية) من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها أو باخلائها عن أهلها غاب أهلها كما فعل بآخرين (الاولها) في ذلك الشأن (كتاب) أي أجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراجعة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له (معلوم) لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لاسيما بعد تأكيد بكلمة من في حكم الموصوفة كما أشير اليه والمعنى ما أهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الاحال أن يكون لها كتاب أي أجل موقت لمهلكها قد كتبناه لئلا يهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر أو مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال أي ما أهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها حق هلاكها كتاب أي أجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه أو صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للذات كونه أي ما أهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا أي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توم وأما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فلا بد أن يكال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط فان ما نحن فيه من الصفة أقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية ولما بين أن الامر المهلك كان لكل منهم وقت معين هلاكهم وأن هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين أن كل أمة من الامر منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه قليل (ماتسوق من أمة) من الامم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب في كتابها أي لا يجي هلاكها قبل مجي كتابها أو لا تمضي أمة قبل مضي أجلها فان السبق اذا كان واقعا على زمانى فمناه المجاوزة والتخلف فاذا قلت سبق زيد عمرأ فمناه أنه جاوزه وخلفه وانه واذ كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك أن الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى التكم كما سبقه يتحقق قبل تحققه وأما الزمانى فاما يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى ماسيا من الزمان فالسابق ماتقدم إلى المقصد وابراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما أن ابراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجب من الاهلاك (وما يستأخرون) أي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بمعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايتار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفى الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامها واستمرارها فيما بين الامر الماضية والباقية واسنادها إلى الامة بعد اسناد الاهلاك إلى القرية لما أن السبق والاستخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم عن أخرت عقوباتهم إلى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخيرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام

المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم سبق في الوجود واما باعتبار أن المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وإيراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ورعاية القواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة بيّنة لما سبق والمعنى أن تأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبما أشير إليه ببيان ودادتهم للإسلام اذ ذلك وبالامر بتركهم وشأنهم إلى أن يعلموا حقيقة الحال إنما هو لتأخير أجلكم المقدر لها يقتضيه من الحكم البالغة ومن جعلها ما علم الله تعالى من إيمان بعض من يخرج منهم إلى يوم القيامة **﴿وقالوا﴾** شروع في بيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤل إليه حالهم والقانون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغى **﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾** خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستيفاء ذلك واعتقاده له بل استهزاء به عليه الصلاة والسلام وأشعاروا بعلته حكمهم الباطل في قولهم **﴿أنلكم الجنون﴾** كدأب فرعون إذ قال اني رسول لكم الذي أرسل اليكم الجنون يعنون يامن يدعى مثل هذا الامر البديع الخارق للمعادات انك بسبب تلك الدعوى أو بشبهها يتردد عندك ما تدعى أنه ينزل عليك الجنون وتقدم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه إلى كون النازل ذكر من الله تعالى لا إلى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظمى لكان لانكاره انك متوجه إلى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وإيراد الفعل على صيغة المجهول لإيماهم أن ذلك ليس بفعل له فاعل أو لتوجيه الانكار إلى كون التنزيل عليه لا إلى استناده إلى الفاعل **﴿لو ما تأتينا﴾** كلمة توعد تركها مع ما يقيد بها فتعديده عند تركها مع لامن معنى امتناع الشيء للوجود غيره ومعنى التعضيض خلا أنه عند رآفته لا يليها إلا فعل ظاهر أو مضمر وعند إرادة المعنى الأول لا يليها إلا اسم ظاهر أو مقدر عند الصريين والمراد هنا هو الثاني أي ملا تأتينا **﴿بالملائكة﴾** يشهدون صحة نبوتك ويحسدونك في الانذار كقوله تعالى لو لا أنزل عليه ملك فكيف يكون معونته أو يماقوننا على التكذيب كما تأتي الأم المكذبة لمسلم **﴿أن كسبنا الصادقين﴾** في دعواهم فان قدرة الله تعالى على ذلك عظام لا ريب فيه وكذا احتياجه إلى حق تسميته أمرك فاننا لا نصدقك بدون ذلك أو أن كسبنا من جملة ذلك الرسل الصادقين الذين عذبناهم بالمكذبة لهم **﴿ما نزل الملائكة﴾** بالنون على بناء الفعل لتضهير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ نزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للفعول ومن التنزيل بحذف النون **﴿وما فيها من﴾** ومن التنزيل ومن الثلاث وهو كلام يسرق إلى النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقاتلتهم المحكية وردا لأفراحهم الباطل وكشدة استنسا ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن أولها أي قوله **﴿ما نحن زينا الذكر الآية﴾** كما فعل في قوله تعالى قال إنما يأتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فائقنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن أول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون أحد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو أن يقال ما تأتيهم بهم للابذان بأنهم قد أخطأوا في التعبير حسبما أخطأوا في الاقتراح وأن الملائكة لعلو رتبتهن أعلى من أن ينسب إليهم مطلق الاتيان الفاعل للانتقال من أحد الأماكن المتساوية إلى الآخر منها بل من الأسفل إلى الأعلى وأن يكون مقصد حرمانهم أولئك الكفرة وأن يدخلوا تحت ملكوت أحد من البشر وأنما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وتكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل **﴿الخالق﴾** أي ملئسا بالوجه الذي يحق ملازمة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجرى به السنة الإلهية كقوله سبحانه وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لأجل الشهادة لهم وهم ومنزلتهم في الحفارة والمهران منزلتهم بما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلا فان ذلك من باب

التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الأنبياء الكرام من أفراد كل المؤمنين فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللثام وأنما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأضرابهم من الأمم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا للمرة **﴿وما كانوا أنظارين﴾** جزاء الشرط مقدر وفيه ابدان باتتاج مقدماتهم لتضيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذن لا يلبثون خلافا لا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول أتيتك اذ جئتني أي حين جئتني ثم ضم إليه أن فصار اذ أن ثم استعملوا الهمزة فحذفوها فجاء لفظة أن دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ أن كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الأمم المكذبة المستزمنة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى فلم القضاء بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبما أجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويشتموا ويلهبهم الأمل الخ وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبإيمان بعض ذراريهم وأما نظم إيمان بعضهم في سخط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجأهم في الحكايرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه إعجاز التنزيل الجليل وأما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل الحكمة من أنهم حيثئذ يكونون مصدقين عن اضطراب أو أنه لاحكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم إلا لبسا أو أن انزال الملائكة لا يكون إلا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنه لو أنزل إليهم الملائكة لبغوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فاعل خلل كل من ذلك بقطعة الباق لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيد قوله تعالى وما كانوا إذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لا بيان الملائكة لأجل الشهادة أماغلى تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انما نزل الملائكة للتعذيب لا لنزولها ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتسد به المصلحة حتى بحيث لا يحيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لا لوقفهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تعذيبهم للتعذيب إلى عدم موافقة الحكمة نوع إيهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر إلى ما عليه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتعذيب عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر **﴿ما نحن زينا الذكر﴾** رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسليه له أي عن عظم شأننا وظهور جنابنا زينا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبك بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للفعول أي إلى أنه أمر لا مصدر له وفعل لفاعل له **﴿وأناله﴾** لحافظون من كل حالا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزائهم به بدخولا أولا فيكون وعيدا للمستزئين وأما الحفظ عن مجرد التحريف والزيادة والنقص وأمثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما قدس فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ويجوز أن يراد حفظه بالايجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى إذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سلب الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى غفلة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ وأنه سبحانه أعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وإن كان جوابا عن أول كلامهم الباطل رد له لما ذكر آنفا ولا ريب أنما ملازمة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجرى به السنة الإلهية كقوله سبحانه وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لأجل الشهادة لهم وهم ومنزلتهم في الحفارة والمهران منزلتهم بما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلا فان ذلك من باب

الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين أى شيع الاعم الاولين ومعنى
ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتى ويذر من أمور الدين وما يأتهم من
رسول المرادني اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لانني اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا أو على
سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على
مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماضى الا وهو قريب من الحال أى ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها
الكانوا به يستهزئون كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير المفعول في
يأتهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه أو في محل الرفع على أنها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية أى الارسل كانوا
به يستهزئون وأما الجرح على أنها صفة باعتبار لفظه فيفضى الى زيادة من الاستغراقية في الالتيان ويجوز أن يكون منصوبا
على الوصفة بأن يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن هذه عادة الجاهل مع الانبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى
تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزائهم بالكتاب ولذلك قيل (كذلك) إشارة الى ما دل عليه الكلام السابق
من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء أى مثل ذلك السلك الذى سلكناه في قلوب أولئك المستهزين برسولهم وبما جلاؤهم
من الكتب (نسلك) أى الذكر (في قلوب المجرمين) أى أهل مكة أو جنس المجرمين فدخلون فيه دخولا
أوليا ومحله النصب على أنه نعم لمصدر محذوف أو حال منه أى نسلك سلكا مثل ذلك السلك أو نسلك السلك حال
كونه مثله أى مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فانهم من أهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق
وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الاعم السالفة أول الدلالة على استحضار الصورة
والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الأبرة والريح في المطعون (لا يؤمنون به) أى بالذكر حال
من ضمير نسلك أى غير مؤمن به أو بيان للجملة السابقة فلا عمل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيعين البيانية الا أن
يجعل الضمير المجرور أيضا له على أن الباء للابسة أى نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملايسته والحال
اما مقدرة أو مقاربة للايدان بأن كفرهم مقارن للالقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به (وقد خلت
سنة الاولين) أى قد مضت طريقهم التي سنها الله تعالى في أهلها كما حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو
استئناف جنى به تكملة للسلسلة وتصريحا بالوعيد والتهديد (ولو فتحنا عليهم) أى على هؤلاء المقتدرين المعاندين
(بابا من السبا) أى بابا لا بابا من أبواب المعنودة كقيل ويسرنا لهم الرقى والصعود واليه (فظلوا فيه) في ذلك الباب
(يعرجون) بالة أو يعرجون من أبوابها المعنوية كقيل كما يفيد الضلال أو فظل الملائكة الذين اقترحوا آياتهم يعرجون
في ذلك الباب وهم يرون عيانا مستوحشين طول نهارهم (لقالوا) لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتناديهم من قبول الحق
(انما سكرت ابصارنا) أى سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف وأجبرت كما يعصده قراءة من قرأ
سكرت أى حارت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم قالوه عند ظهور سائر الآيات
الباهرة وفي كلتي الحصر والاضراب دلالة على أنهم يتبنون القول بذلك وأن ما يرونه لاحقيقة له وانما هو أمر خيل
اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيرادها بعد تسكير الابصار ليان انكارهم لغير ما يرونه
فان عروج كل منهم الى السبا وان كان مرثيا لغيره فهو معلوم بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون
أن ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار (ولقد جعلنا في السبا بروجاً) قصورا يزينها السيارات وهي البروج

الاثنان عشر المشورة المختلفة الهبات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة
السبا والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجاء متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان لمعنى
بمحذوف أى جعلنا بروجاً كائنه في السبا (وزيناهما) أى السبا بذلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب
سيارات كانت أو ثوابت (لناظرين) اليها فعنى الذين يظاهرون أو للتفكرين المعبرين المستلذين بذلك على قدر مقدرها
وحكمة مديرها فنينا ترتيبها على نظام يدع مستدع للايمان بالحسنة (وحفظناهما من كل شيطان رجيم) مرى بالنجوم
فلا يقدر أن يصعد اليها ويحسوس في أهلها ويصرف فيها ويقف على أحوالها (الامن استرق السمع) محله النصب
على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ يمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجلسة أو
المقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات
فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها
واستراق السمع اختلاسا سرا شبه به خطفهم اليسيرة من قطن السموات بمساكنهم من المناسبة للجوهر أو بالاستدلال من
الاضواء (فأتبعه) أى تبعه وحقه (شهاب) طبع حرق وهو شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب والنيران لما
فيها من البريق (مبين) ظاهر أمره للبصيرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري كان يرى بالنجوم في الجاهلية
قال لم وان النجم ينقض ويرى به الشيطان فيقتله أو يخيله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال أفرأيت
قوله تعالى وأنا كنا نقعد منها مقعد الآيات قال غلطت وشدت أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن
كثير ان البرج كان قبل بعثه عليه الصلاة والسلام ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد بعثه عليه الصلاة والسلام
قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السبا الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون
بالكواكب فلا يخفى أيها فهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه وبدنه حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخيله
فيسير غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في أن الشهاب هل يقتل أم لا قال ابن عباس رضى الله عنهما
يخرج ويحرق ويحجل ولا يقتل وقال الحسن ومطامفة يقتل قال والاول أصح (والارض مددناها) بسطناها وهو
بالنصب على المحذوف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للمعطف على الجملة الفعلية أمن قوله تعالى
ولقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده أى قوله تعالى (والقينا فيها رواسي) أى جبالاً ثوابت وقصر بيانه في أول الرد
(وأثبتنا فيها) أى في الارض أوقفا وفي رواسيها (من كل شيء موزون) يميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل
ما يوزن من الذهب والفضة وغيرهما أو من كل شيء مستحسن متناسب أو ما يوزن ويقدر من أبواب النعمة
(وجعلنا لكم فيها معاش) ما تعيشون به من الطعام والملابس وغيرهما ما يتعلق به البقاء وهي ياء صريحة وقرئ
بالهجرة تشبها له بالشهال (ومن لستم له برازقين) عطف على معاش أو على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معاش
وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والماليك والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب وذكروهم بهذا العنوان
لرد حساباتهم أنهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق أن الله تعالى هو الذى يرزقهم ويأهم أو وجعلنا لكم فيها معاش ولن لستم
له برازقين (وان من شيء) ان لشيء ومن من مبدء لنا كيد وشئ في محل الرفع على الابتداء أى ما من شيء من الاشياء
الممكنة فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا (الا عندنا خزائنه) الطرف خبر للبداية وخزائنه مرتفع به على أنه فاعله
لاعتداده أو خبر له والجملة خبر للبداية الاولى والخزائن جمع الخزائن وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في
العرف على ما للملك والسلاطين من خزائن أرزاق الناس شبيهة بمقدوراته تعالى الفاتحة للحصر المندرجة تحت قدرته

الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول أيديهم مع حال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها ميادة متأينة لا يجاهدون توكيده بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الامور الخفية في الخزانة السلطانية فذكر الخزانة على طريقة الاستعارة التخيلية ﴿وما نزل﴾ أي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء المتلبسا بشئ من الاشياء ﴿الا بقدر معلوم﴾ أي المتلبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شئ بصفة معينة وقدر معين وقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعالى القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بها اختصاص به وهذا البيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبا هو في خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدريه نزل وما نزل الخ او حل بمسابق أي عندنا خزائنا كل شئ والحال أننا ما نزل الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وكان ذلك بطريق التدرج غير عنه بالنزول وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار ﴿وارسلنا الرياح﴾ عطف على جعلنا لكم فيها ما يشاء وما بينهما اعتراض لتحقيق مسبق وترشيح ما خلق أي ارسلنا الرياح ﴿واولعنا﴾ أي حوaml شبتت الريح التي تهب بالخير من انشاء صاحب مطر بالخالص كاشبه بالعميق ما لا يكون كذلك او لمفحات بالشجر والسحاب وتظير الطوارق بمعنى المطيحات في قوله وعظمت ما تطيح الطوارق أي المهلكات وقرى وارسلنا الريح على ايراد الجنس ﴿فانزلنا من السماء﴾ بعد ما أنشأنا تلك الرياح صاحب مطرا ﴿ماء فاسقينا كوه﴾ أي جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقينا كوه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم يتصفون به متى شاؤوا ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ نفي عنهم ما أثبتة لجنايه بقوله وان من شئ الا عندنا خزائنه كما أنه قيل نحن القادرون على ايجاد ونحوه في السحاب وانزل هو ما أنتم على ذلك بقادرون وقيل ما أنتم بخازنين بعد انزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخرجه فيها لتجعلها سقيا لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الغور ﴿وانا نحن نحيي﴾ بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ﴿ونميت﴾ بازالتها عنها وقد نعمم الاحياء والامانة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تأكيد للاول أو مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لا نا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة من ذلك كما قيل فان الناحية يجوز ودخول لام التأكيدي على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا هو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ﴿ونحن الوارثون﴾ أي الباقيون بعد فناء الخلق قاطبة المسالكون لذلك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكم في الكل أو لا و آخره وليس لهم الا التصرف في الصورى والملك المجازي وفيه تنبيه على أن المتأخر ليس بوارث للتقدم كما يترامى من ظاهر الحال ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ من تقدم منكم ولادعوتنا ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ من تأخر ولادة وموتنا ومن خرج من أصلاب الآباء ومن لم يخرج بعدا ومن تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شئ من أعمالكم وهو بيان لكامل عليه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التأكيدي وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فاذا هو اعليه فزلت وقيل ان امرأته حسنا كانت تصلي خلف رسول الله عليه الصلاة والسلام فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليرى بها فزلت والاول هو المناسب لما سبق وما خلق من قوله تعالى ﴿وانزل بك يوم نحشرهم﴾ أي للجزء وتوسط ضمير العظيمة للدلالة على أنه هو القادر على حشرهم والمتولى لا غير لاسمهم كانوا يستعدون ذلك ويستكروا به ويقولون من يحيي العظام وهي رميم أي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعتوان الربوبية اشعار بعلية الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام دلالة على اللطف

به عليه الصلاة والسلام ﴿انه حكيم﴾ بالغ الحكمة متقن في أفعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاثبات بالاعمال على ما ينبغي ﴿عالم﴾ وسع علمه كل شئ ولعل تقديم صفة الحكمة للايدان باقتضائها للحشر والجزاء ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ أي هذا النوع بأن خلقنا أصله وأول فرد من أفراد خلقنا يعاينطو باعلى خلق سائر أفراد انطوا اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام ﴿من صلاصلا﴾ من طين يابس غير مطبوخ يصلصل أي يصوت عند نقره قيل اذا تومت في صوته مدا فواصل وان تومت فيه ترجعا فهو صلاصلة وقيل هو تضعيف صل اذا أنثى ﴿من حما﴾ من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال أي من صلاصلا كائن من حما ﴿منسون﴾ أي مصور من سمة الوجه وهي صورته أو مصوب من سن الماء صبه أي مفرغ على هيئة الانسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منقش فيه صفة لها وعلى الاولين حقه أن يكون صفة لصلصال وانما أخر عن حما تنبيها على أن ابتداء مستويته ليس في حال كونه صلاصلا بل في حال كونه حما كما أنه سبحانه أفرغ الحافسور من ذلك تماثل انسان أجوف فيس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر فبارك الله أحسن الخالقين ﴿والجان﴾ أبا الجن وقيل ابليس ويحوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وقرى بالهجنة وانتصابه بفعل يفسره ﴿خلقناه﴾ وهو أقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية ﴿من قبل﴾ من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين أحد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والمخاطب بقوله منكم للكل ﴿من نار السوم﴾ من نار الحر الشديد النافق في المسام ولا امتناع من خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع من خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولدة التي غالب أجزائها الجزء الناري فانها أقبل البسيطة كما لا امتناع من خلقها في الارض وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرته تعالى ويان بد خلق الثقلين فهو تنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء ﴿واذا قال ربك﴾ نصب باضيار ذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من أنه أدخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشئ الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام اشعار بعلية الحكم وتشريف له عليه الصلاة والسلام أي اذكر وقت قوله تعالى ﴿للإلهة اني خالق﴾ فيما سبق وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يشبه ولا عطف يلو به ﴿بشرا﴾ أي انسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر أن يكون قد قيل لهم اني خالق خلقنا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسا كشيئا بلاقوي مباشر وقيل خلقا بادي البشر بلا صوف ولا شعرة ﴿من صلاصلا﴾ متعلق بخالق أو بمخدوف وقع صفة لمفعوله أي بشرا كائننا من صلاصلا كائن ﴿من حما منسون﴾ تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشر من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد وما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع الحكاية غاية أنه لم يتعرض له هناك كشافا بمشرح ههنا ﴿فاذا سوته﴾ أي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية وسويت أجزائه بتعديل طبائعه ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ النفخ اجزاء الريح الى تجويف جسم صالح لاسما كما والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المسادة القابلة لها أي فاذا كانت استعداده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمري ﴿ففعوا له﴾ أمر من وقع وقع وفيه دليل على أن ليس المأمور به مجرد الامتناع كما قيل أي اسقطوا له ﴿ساجدين﴾ تحية له وتعظيما وأسجدوا لله تعالى

على أنعم عليه الصلاة والسلام بمنزلة القبة حيث ظهر فيه معاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله تعالى عنه
 أليس أول من صلى قبلتكم وأعلم الناس بالقرآن والسنة

﴿فجد الملائكة﴾ أي خلقه فسواه فخلق فيه الروح فجد الملائكة **﴿كلهم﴾** بحيث لم يشذ منهم أحد **﴿أجمعون﴾** بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالخالية بل يفيد التأكيد أيضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطاب التنزيل على أكل أحوال الشيء ولا ريب في أن السجود معاً أكمل أصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيداً وأقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فإذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بدم مراعاة الاصل صوتاً للكلام عن الالقاء وقيل أذهبنا كيدين مبالغة في التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الأمر التعليل كما تقتضيه هذه الآية الكريمة التي في سورة ص أو على الأمر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خر جنا بفضل الله عز وجل عن عبدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة **﴿الابليس﴾** استثناء متصل اعماله كان جنياً مفرداً مضموراً بألوف من الملائكة فعد منهم تظليماً وأما لأن من الملائكة جنساً يتولدون وهو منهم وقوله تعالى **﴿أي أن يكون مع الساجدين﴾** استئناف مبين لكيفية عدم السجود المقوم من الاستثناء بأن مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد به علم أنه مع الالقاء والاستكبار أو منقطعاً فيحصل ما بعده أي لكن ابليس أي أن يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركا رآه حيث ادخ في مصيبة واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر والاستكبار مع تحقير آدم عليه الصلاة والسلام ومعارضة الجماعة والالقاء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين الكرام **﴿قال﴾** استئناف مبني على سؤال من قال فذا قال تعالى عند ذلك قليل قال **﴿بالابليس مالك﴾** أي أوسد لك لأى غرض لك قيل لقوله تعالى مامتك **﴿الأتكون﴾** في أن لا تكون **﴿مع الساجدين﴾** لآدم مع أنهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوخيخ عند وقوعه مجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال مامتك أذا أمرتكم وفي سورة ص قال بالابليس مامتك أن تسجد لما خلقت بيدي ولكن انقصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجترأ بما ذكر في موطن آخر واشعاراً بأن كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوخيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوخيخ رأساً في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه **﴿قال﴾** أي ابليس وهو أيضاً استئناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام **﴿لم أكن لأسجد﴾** اللام لتأكيد النفي أي ينافي حال ولا يستقيم معنى لأنى مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها أن أسجد **﴿لبشر﴾** أي جسم كثيف **﴿خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾** انقصر ههنا على الإشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف بالعين بمجرد ذكر كونه عليه الصلاة والسلام من التراب الذي هو أخس العناصر وأسفلها بل تعرض لكونه مخلوقاً منه في أخس أحواله من كونه طيناً متغيراً وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكى عنه ههنا فانقص على حكاية تعرضه لخلقته عليه الصلاة والسلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل أسجد لمن خلقت طيناً وفي جوابه دليل على أن قوله تعالى مالك ليس استفساراً عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدول عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتقصي عن المناقشة وأنى لذلك كأنه قال لم أمتنع عن امتثال الأمر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عملاً بليق يتفق من الخضوع للفضل ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه أن ما يدور عليه فلك الفضل والكلام التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن المسكات الردية التي أقبحها التكبر والاستعصاء على أمر رب العالمين

جل جلاله **﴿قال﴾** فخرج منها أي من زهرة الملائكة المعوزين لآمن السبا فان وسوست لآدم عليه الصلاة والسلام في الجنة إنما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصاً في ذلك فان الخروج من بين الملائكة الى هبوط وأى هبوط أو من الجنة على أن وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روى عن الحسن البصري أو بطريق المشافهة بعد أن احتال في دخولها وتوسل اليه بالحيلة كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولا ينافي هذا طرده على رؤس الاشهاد لما يقتضيه من الحكم البالغة **﴿فانك رجيم﴾** مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرمى بالحجارة أو شيطان يرمى بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون **﴿وان عليك اللعنة﴾** الاياد عن الرحمة حيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جارياً على آتة العباد قبل في سورة ص وان عليك لعنتي **﴿الي يوم الدين﴾** الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك أقصى أمد اللعنة ليس لأنها ليست جزاء لفعله وإنما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك أقصى أمد اللعنة ليس لأنها تنقطع هنالك بل لأنه عند ذلك يعذب بما ينسب له اللعنة من أفاعيل العذاب قصير هي كالزائل وقيل إنما حدثت لأنه أبعد غاية يعرض بها للناس كقول تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض وحيث أمكن كون تأخير العقوبة مع الموت كسائر من أخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة طلب للعين تأخير موته كما حكى عنه بقوله تعالى **﴿قال رب﴾** فأعزني **﴿أي أمهلني وأخرني ولا تمتني والفاء﴾** متعلق بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي اذ جعلتني رجياً فأهملني **﴿الي يوم يعثرون﴾** أي آدم وذريته الجزاء بعد فاتهم وأراد بذلك أن يجد فحة لا غوائهم وأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالة بعد يوم البعث **﴿قال فانك من المنظرين﴾** ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول مأسأله الآخرين على وجه يؤيد بكون السائل تبعاً لهم في ذلك دليل على أنه اخبار بالانظار المقدّر لهم ألا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه أي انك من جملة الذين أخرت آجالهم ألا لا حساباً تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكورة بكافي قوله فان ترحم فأنك لذلك أهل فانه لا إمكان لجعل الفاء في ربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وأن استنظاره كان طلباً لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جعلتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من أخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى من سبق من الجن ولحق عن الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحياة لأن ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البحث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال أنظرني الى يوم يعثرون قال انك من المنظرين بترك التوفيق والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلاً على ما ذكر ههنا وفي سورة ص فان اراد كلام واحد على أساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز وأما أن كل أسلوب من أساليب النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما حكى من العين إنما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الادفعة فقام المحاوراة ان اقتضى أحد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وماعده قاصر عن رتبة البلاغة فضلاً عن الارتفاع الى معالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف **﴿الي يوم الوقت الموعود﴾** وهو وقت النفخة الاولى التي علم أنه يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز أن يكون المراد بالايام واحداً والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لأن غرض العين به يتحقق ويوم الدين لما ذكر من الجزاء ويوم الوقت الموعود لما ذكر أولاً استنظاره تعالى بعلمه فعمل كل من هلاك الخلق جميعاً ويعتبرهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في أوله ويبعث في أواسطه ويعاقب في بقیته

يروى أن بين موته وبعثه أربعين سنة من سقى الدنيا مقدار ما بين النفتين ونقل عن الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى أنه قال قدمت المدينة أريد أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه فإذا أنا بحفلة عظيمة وكعب الأجباز فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه الصلاة والسلام الوفاة قال يارب سبست في عدوى إبليس إذا رآني ميتا وهو منظر إلى يوم القيامة فأجيب أن يا آدم أنك سترد إلى الجنة ويؤخر الله إلى النظر ليدوق ألم الموت بعدد الأولين والآخرين ثم قال ملك الموت صف كيف تدفنه الموت فلما وصفه قال يارب حسبي فضح الناس وقالوا يا أبا إسحق كيف ذلك فأبى فالحوا فقال يقول الله سبحانه ملك الموت عقب النفخة الأولى قد جعلت فيك قوة أهل السموات السبع وأهل الأرضين السبع وأبى البستك اليوم أبواب السخط والغضب كلها فانزل بغضى وسطوق على رجعى إبليس فأذنه الموت وأحل عليه فيه مرارة الأولين والآخرين من الثقلين أضغاث مضاعفة ولكن ملك من الزبانية سبعون ألفا قد استلوا غيظا وغضبا ولكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وانزع روحه الملتبس بسبعين ألف كلاب من كلابها ونادى مالك أفتح أبواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لونهظر إليها أهل السموات والأرضين لما توافقت من هولها فيقتبى إلى إبليس فيقول قلب يا خبيث لأذيقك الموت كم من عمر أدركت وقررت أضللت وهذا هو الوقت المعروف قال فيربب اللعين إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب إلى المغرب فإذا هو بين عينيه فيفرض البحار فينزع البحر فلا تقبله فلا يزال يهرب في الأرض ولا يحصى له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويتبرغ في التراب من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق حتى إذا كان في الموضع الذي أهبط فيه آدم عليه الصلاة والسلام وقد نصبت له الزبانية الكلاب وصارت الأرض كالجرة احتوشته الزبانية وطعته بالكلاليب ويبقى في الزرع والعذاب إلى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم وحوا أطلعا اليوم إلى عدوكا كيف يدق الموت فيقلعان فينظر إلى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا أقم علينا نعمتك (قال رب بما أغويتني) الباء القسم وبما صدرية والجواب (لأزين لهم) أى أقسم بغاوتك إياي لأزين لهم المعاصي (في الأرض) أى في الدنيا التي دار الغرور ركقوله تعالى أدخله إلى الأرض وأقسامه بمره الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي أقسامه بهذا فإنه فرع من فروعه وأثر من آثارها فله أقسم بها جميعا فحك تارة قسمه بهذا وأخرى بذلك أو السببية وقوله لأزين لهم جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيل لاغوائهم أقسم لأقلن بهم مثل ما فعلت في من التسبيل لاغوائهم بترين المعاصي وتسويل الأباطيل والمعتزلة أولوا الاغواء بالنسبة إلى النفي أو التسبيل له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واعتذروا عن إساءة الله تعالى وتسبيل له على اغوائهم بأن الله تعالى قد علم منه وعن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصبرون إلى النار أهل أم لم يحل وأن في إساءة لهم بضامن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب (ولاغوينهم أجمعين) لاخذهم على القواية (العبادك منهم المخلصين) الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرى بكسر اللام أى الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى (قال هذا صراط) أى حق (على) أن أراعيه (مستقيم) لا عوج فيه والاشارة إلى ما تضمنته الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه أو الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلى الوصول إلى من غير اعوجاج وضلال والاعتراف أن ذلك لما وقع في عبارة إبليس حيث قال لا تعدن لهم صراطك المستقيم ثم لايتهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرى على من علو الشرف (أن عبادي) وهم المشار إليهم بالمخلصين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وتصرف بالاغواء (الأمين تبعك من الغاوين) وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين وبيان لغزائهم ولا تقطاع مغالب الاغواء عنهم وأن اغواء الغاوين ليس بطريق السطوات

بل طريق اتباعهم له يسو اختارهم (وإن جهنم لم وعدهم) أى وعد المتبعين أو الغاوين والأول أنسب وأدخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على أن جهنم مكان الوعد وأن الموعد مما لا يوصف في القطة (أجمعين) تأكيد للضمير وأحال العامل فيها الموعدان جعل مصدرا على تقدير المضاف أو معنى الإضافة أن جعل اسم مكان (للسبعة أبواب) يدخلونها لكثرة ثمت أوسع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والتابعة وهي جهنم ثم لفظي ثم الحطمة ثم السعير ثم مقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم) من الاتباع أو العوا (جزء مقسوم) حزب معين مفروض من غيره حسبما يقتضيه استعداده فأعلاها للوحدين والثانية للبهود والثالثة للصارى والرابعة للصائين والخاصة للجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن جهنم لمن ادعى الريسية ولفى لعبد النار والحطمة لعبد الأصنام وسفر للبهود والسعير للصارى والجحيم للصائين والهاوية للوحدين ولعل حصرها في السبع لا تنحصر الملهكات في المحسوسات بل الحواس الخمس وبمعنى القوة الشهوية والغضبية وقرى يضم الزاوي ويحذف الحذرة والفاء حركتها إلى ما قبلها مع تشديد الفاء في الوقت والوصل ومنهم حال من جزأ أو من ضميره في الطرف لآفي مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيها تقدم حصرها (إن المتقين) عن اتباعه في الكفر والغوا وحشر فإن غيرهما مكفر (في جنات وعيون) أى مستغرون فيها خالدين لكل واحد منهم حنة وعين ولكل منهم عذبة تعالوا ولكن عاف مقام ربه جنتان وقرى تكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم (أدخلوها) على إرادة القول أمر الله تعالى لهم بالدخول وقرى أدخلوها أمر الله تعالى للملائكة إدخالهم وقرأ الحسن أدخلوها مبيلا للمفعول على صيغة الماضي من الإدخال (يسلم) ملتبس بسلام أى سالمين أو مسلما عليكم (آمين) من الآفات والزيول (وتزينا ما في صدورهم من غل) أى حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (أخوانا) حال من الضمير في قوله تعالى في جنات أو من فاعل أدخلوها أو من الضمير في آمين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيه معنى الإضافة وكذلك قوله تعالى (على سرر متقابلين) ويجوز كونهما صفتين لاخوانا أو حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المسكن في الأول وعن مجاهد تدور بهم الأسر حيثما داروا فهم متقابلون في جميع أحوالهم (لا يسهم فيها نصب) أى تعب بأن لا يكون لهم فيها ما يؤجره من السكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاوله عمل أصلا أو بأن لا يعترضهم ذلك وإن باشروا الحركات العنيفة لكمل قوتهم وهو استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين (وما هم منها بمخرجين) أبدا الأباد لأن تمام النعمة بالخلاود (نبي عبادي) وهم الذين عبر عنهم بالمتقين (أنى أنا الغفور الرحيم) وأن عذابي هو العذاب الأليم) فذلك لما سلف من الوعد والوعيد وتقريره وفي ذكر المغفرة اشعار بأن ليس المراد بالمتقين من يتق جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب إيدان بأنهم بما يقتضيهما الذات وأن العذاب إنما يتحقق بما يؤجره من خارج (ونؤتهم) عطف على نبي عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أهله من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقرم لوط من العذاب ونجاته عليه الصلاة والسلام مع أهله التابعين له في ضمن الخوف وتنبههم بحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بأن عذاب الله هو العذاب الأليم (عن ضيف إبراهيم) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم جبريل عليه الصلاة والسلام وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا أحد عشر على صور النسلان الوضوء وجوههم وعن مقاتل أنهم كانوا اثني عشر ملكا

وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره **(اذ دخلوا عليه)** نصب بفعل مضمر معطوف على **ي** أي واذكر وقت دخولهم عليه أو خبر مقدر مضاف الى ضيف أي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه أو بنفس ضيف على أنه مصدر في الاصل **(فقالوا)** عند ذلك **(سلاما)** أي نسلم سلاما أو سلمنا أو سلمت سلاما **(قال انا منكم وجاؤن)** أي خائفون فان الرجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه الصلاة والسلام حين امتنعوا من أكل ما قرب به اليهم من العجل الحنيذ لما أن المعتاد عندهم أنه أنزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يحيى بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه تكرم وأوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه الصلاة والسلام بسبب دخولهم بغير إذن لا بنير وقت إذ لو كان كذلك لأجابوا حينئذ بما أجابوا حينئذ به ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لتقرب الطعام اليهم وانما لم يذكر هنا اكتفاء بما بين غير هذا الموضع ألا يرى إلى أنه لم يذكر هنا رده عليه الصلاة والسلام لسلامهم **(قالوا لا توجل)** لا تخف وقرى لا تأجل ولا توجل من أوجه أي أخافه ولا توجل من واجهه بمعنى أوجهه **(انا ننشرك)** استئناف لتعليل النبي عن الرجل فان المشر به لا يكاد يحرم حول ساحتهم خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارته ببقائه وبقاء أهله في عافية وسلامة زمانا طويلا **(بنلام)** هو اسحق عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى فبشرناها واسحق ولم يتعرض هنا لبشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود **(عليه)** إذا بلغ وفي موضع آخر بنلام حلیم **(قال أبشروني)** بذلك **(على أن منى الكبر)** وأثر في تعجب عليه الصلاة والسلام من بشارتهم بالولد في حالة مباينة للولادة زاد في ذلك فقال **(فبشرني)** أي بأى أنجوبة تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء أو بأى طريقة تبشروني وقرى بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية **(قالوا بشرناك بالحق)** أي بما يكون لآخالة أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة هي حق وهو أمر الله تعالى وقوله **(فلا تكن من الفاتنين)** من الآيسين من ذلك فان الله قادر على أن يخلق بشرا بغير أيون فكيف من شئ فان ويجوز عاقرو وقرى من الفاتنين وكان مقصده عليه الصلاة والسلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لاستبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما يفي عنه قول الملائكة فلا تكن من الفاتنين دون أن يقولوا من המתزين أو نحو **(قال ومن يقنط)** استهزاء إنكارى أي لا يقنط **(من رحمة به الا الضالون)** المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على أبلغ وجه أي ليس في قنوط من رحمته تعالى وانما الذي أقول لبيان منافاة حال القضاة تلك النعمة الجليلة على وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة مالا يخفى من الجزاء التوقى بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم تكن هذه المناوضة من الملائكة مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام خاصة بل مع سارة أيضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هذه هناك اكتفاء بما ذكر هنا **(قال)** أي ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتوسطه بين قوله السابق وبين قوله **(فما خطبكم)** أي أمركم وشأنكم الخطير الذي لاجله أرسلتم سوى البشارة **(أيها المرسلون)** صريح في أن بينهما مقالة مطوية لم أشير به الى مكانها كما في قوله تعالى قال أسجد لمن خلقت طينا قال أرايتك هذا التي كرمت على الآية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسط قال بين قوله للايدان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتناؤه عليه بل على غيره ثم خطابه لم عليهم الصلاة والسلام بعنوان الرسالة

بعدما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على أن مقالته المطوية كانت متضمنة لبيان أن مجيئهم ليس مجرد البشارة بل لم شأن آخر لاجله أرسلوا فكأنه قال عليه الصلاة والسلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فإذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى أن علمه عليه الصلاة والسلام بأن كل المقصود ليس البشارة بسبب أنهم كانوا ذرى عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في ذكره عليه الصلاة والسلام ومرمى ولا الى أنهم بشر وفي تضاعيف الحال لازالة الرجل ولو كانت تمام المقصود لا بدقا بها فتأمل **(قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين)** هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجرى بهم بطريق التنكير دما لم واستهانة بهم **(الا آل لوط)** استثناء متصل من الضمير في مجرمين أي الى قوم أجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم والا رسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا أرسلنا الى قوم أجرم كلهم الا آل لوط لتلك الاولين ونجى الآخرين ويدل عليه قوله تعالى **(انا لمنجهم)** أي لوطا وآله **(أجمعين)** أي بما يصيب القوم فانه استثناء للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم أو لبيان ملهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون يكون حالهم بين بين أو لتعليله فان من تعلق بهم النتيجة بمنجى من شمول العذاب أو متقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى **(الا امرأته)** استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا أن يجعل انا لمنجهم اعتراضا وقرى بالتخفيف **(قدرا انها لمن الغابرين)** الباقي مع الكفرة لتلك معهم وقرى قدرا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بأفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لأنه بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره واستادهم الى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لم من الزاني والاختصاص **(فلما جاء آل لوط المرسلون)** شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين ونتيجة آل لوط حسبما أجل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع الظاهر موضع المضمر للايدان بأن مجيئهم لتحقيق ما أرسلوا به من الاهلاك والنتيجة وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل علق كيويتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى **(قال انكم قوم منكرون)** انما قاله عليه الصلاة والسلام بعد التبار الى حين ضاقت عليه الحيل وعيت به الحيل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكائد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو اليهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي وينذر عند تجشمه في تخليصهم انكارا لحذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترة له بسببهم حيث لم يكونوا مبشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى ألجأته الى أن قال لو أن لي بكم قوة آوى الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لأنه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا أن يطرقوه بشر كاقبل كيف لا وهم بجوابهم الحق بقوله تعالى **(قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون)** أي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قسروا العصا وينهوا عليه الصلاة والسلام جلية الامر فأنى يمكن أن يعتريه بعد ذلك المساء وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرا با عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقريه عينك بل هي اضراب عما فيه عليه الصلاة والسلام من ترك النصر له والمعنى ماخذلك وما خلتنا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذا المقاول على ما جرى بينه وبين أهل المدينة من المجادلة للسرعة الى ذكر بشارته لوط عليه الصلاة والسلام باهلاك قومه ونتيجة آله عقيب ذكر بشارته ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها أشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوع في ثمة بمراعاته في مواقع أخر ونسبة المجيء

بالعذاب اليه عليه الصلاة والسلام مع أنه نازل بالقوم بطريق تفويض أمره اليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم جاءوه به وفوضوا أمره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي باليقين الذي لا مجال فيه للاعتراء والاعتكاف وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنقيصاً على نفي الاعتراء عنه أو المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ تأكيد له أي أتيناك فيما قلنا بالحجر الحق أي المطابق للواقع وأنا صادقون في ذلك الخبر أو في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الأول تأكيداً تأكيداً كيدوقوله تعالى ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ شروع في ترتيب مبادئ النجاة أي اذهب بهم في الليل وقرى بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرى فسر من السير بقطع من الليل بطلاقة منه أو من آخره قال

افتح الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهم

وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح ﴿وَاتَعَ أَدْبَارَهُمْ﴾ وكن على أثرهم يذودهم وترس عنهم وتطلع على أجوالهم ولعل إشاراً الاتباع على السوق مع أنه المقصود بالامر للبالغة في ذلك إذ السوق ربما يكون بالقتل على بعض مع التأخر عن بعض بل يرميه عادة الغفلة عن حال المتأخر والانتفاضة المنبى عنه بقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي منكم ومنهم ﴿أَحَدٌ﴾ فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه أو يصيبه ما أصابهم أو لا ينصرف منكم أحد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا أنفسهم على المهاجرة أو هو نهي عن ربط القلب بما خلقه أو هو للاسراع في السير فإن الملتفت قلما يحول عن أدنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرافقة من الاسراع والانتفاضة لا يستدعي عدم وقوعه فإن ذلك لما عرفت مراراً للاكتفاء بما ذكر في مواضع أخرى ﴿وَأَمَّا أَهْلُ الْبُيُوتِ﴾ أي حيث أمركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشمام وأوصى وحذف الصلوات على الاتساع المشهور وإشاراً للمضي إلى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به لا باليدان بأهمية النجاة ولم إعادة المناسبة بينه وبين ما سلف من العاشرين ﴿وَقَصِينَا﴾ أي أوجنا ﴿إِلَيْهِ﴾ مقضياً وبذلك عدنى إلى ﴿ذَلِكَ الْأَمْرِ﴾ مبهم بفسره ﴿أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ على أنه بدل منه وإشاراً باسم الإشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم أي دابر هؤولا الحجر من وإيراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها أدخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخير عن الجار والمجرور وإيهامه أو لا ثم تفسيره ثانياً من الدلالة على نفاذ الأمر وفضاعته ما لا يخفى وقرى بالكسر على الاستثناء والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد ﴿مَصْبُوحِينَ﴾ داخلين في الصبح وهو حال من هؤولا أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤولا بمعنى مديري هؤولا ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوعهم على مكان الاحتياط من الفعل والقرول وما ترتب عليه بعدما أشير إلى ذلك إجمالاً حسبما به عليه أي جاء أهل سدوم منزل لوط عليه الصلاة والسلام ﴿يَسْتَشِيرُونَ﴾ أي مستبشرين بأضيافه عليه الصلاة والسلام طمعاً فيهم ﴿هَؤُلَاءِ ضَيْفٌ﴾ الضيف حيث كان مصدراً في الأصل أطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وأطلقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه الصلاة والسلام لكونهم في رضى الضيف والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصافهم به وإظهار اعتنائهم بشأنهم وتشعره لمرأعة حقوقهم وحمايتهم من سوء ولذلك قال ﴿فَلَا تَقْضُحُونَ﴾ أي عندهم بأن تعرضوا لهم بسوء فيعلموا أنه ليس في عندهم قدر وحرمة أو لا تقضحون بفضيحة ضيفي فإن من أسى إلى ضيفه فقد أسى إليه يقال فضحه فضحاً وفضيحة إذا أظهر من أمره ما يذمه العار ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مباشر تكلم يسوق في ﴿وَلَا تَخْزَوْنَ﴾ أي لا تذلولي ولا تخشوني بالتعرض لمن أخرجهم بمثل تلك القعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد أن نهام عليه الصلاة

والسلام عن ذلك بقوله فلا تقضحون أكثر تأثيراً في جانبته عليه الصلاة والسلام وأجلب العار اليه إذ التعرض للجار قبل شعور الحجر بذلك ربما يتساع فيه وأما بعد الشعور به والمناسبة لحمايته والذب عنه فذلك أعظم العار عليه الصلاة والسلام عما يعتره من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجأهم وبجاءهم وبخالفته بالحزى وأمرهم بتقوى الله تعالى في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لأنه كان يعرف أنه لا يقدم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النبيين عن أمرين متعلقين بنفسه عليه الصلاة والسلام وكذلك قوله تعالى ﴿قَالُوا أَلَمْ تَنْهَنا عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والمهزلة للانكار والواو للعطف على مقدراً لم تقدم اليك ولم تنهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد من الغرباء بالسوء وكان عليه الصلاة والسلام ينههم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نبهوه عليه الصلاة والسلام عن أن يجير أحداً فكأنهم قالوا ما ذكرت من الضيعة والحزى انما جاءك من قبلك لا من قبلنا إذ لو لا تعرضك لما تنصدي له لما اعتراك تلك الحالة ولما رأهم لا يقلعون عما هم عليه ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ يعني نساء القوم فإن ني كل أمة بمنزلة أبيهم أو بناته حقيقة أي تروى وجوههم وقد كانوا من قبل يطلبونهم ولا يجيبهم لحبهم وعدم كفايتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ﴿أَنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي قضاء الوطر أو ما أقول لكم ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسم من الله تعالى بحياة النبي عليه الصلاة والسلام أو من الملائكة بحياة لوط عليه الصلاة والسلام والتقدير لعمر كقسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم إشاراً للنفعة لكثرة دورانه على الالسة ﴿أَنَّهُمْ فِي سَكْرَتِهِمْ﴾ غوايتهم أو شدة غلبتهم التي أزال عقولهم وتميزهم بين الخطأ والصواب ﴿يَعْمُونَ﴾ يتحيزون ويتأدون فكيف يسمعون النصيح وقيل الضمير لقرين والجملة اعتراض ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ أي الصيحة العظيمة المائلة وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿مَشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ نَارَ لَهْ أَلْهِيَّةٍ﴾ أي المدينة أو على قراهم وهو المفعول الأول لجعلنا وقوله تعالى ﴿سَاقِلًا﴾ مفعول ثان له وهو أدخل في الطول والفظاع من العكس كاسر ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب ﴿حِجَابًا رَاكِبًا﴾ من سجيل من ملين الحجر أوطين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ﴿أَنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي فيما ذكر من القصة ﴿لَايَاتٌ﴾ لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق ﴿لِلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ أي المتفكرين المتوسمين الذين يشتبون في نظرم حتى يعرفوا حقيقة الشيء يسته ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي المدينة أو القرى ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ أي طريق ثابت يسلكه الناس ويربون آثارها ﴿أَنْ فِي ذَلِكَ﴾ فيما ذكر من المدينة أو القرى أو في كونها غير أي من الناس يشاهدونها في ذهابهم وإيابهم ﴿لَايَةً﴾ عظيمة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم العذاب الذي ترك ديارهم بلاع انما حاق بهم لسوء صفتهم وأما غيرهم فيحصلون ذلك على الاتفاق أو الاوضاع الفاسكية والمراد الآية بعد جمعها قياساً لما أن المشاهد منها بقية الآثار لا كل القصة كما فيها سلف ﴿وَأَنْ كَانَ﴾ ان حنيفة من أن وضمر الشأن الذي هو اسمها غدوف واللام هي الفارقة أي وإن الشأن كان ﴿أَحْبَابَ الْآيَةِ﴾ وهم قوم شيعب عليه الصلاة والسلام والآيكة والبيكة الشجرة الملتصقة المتكاثفة وكان عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعث الله تعالى إليهم ﴿ظُلُمَاتِينَ﴾ متجاوزين عن الحد ﴿فَأَنقَضْنَاهُمْ﴾ بالعذاب وروى أن الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجوا إليها بالتسوس الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فأحرقهم فبؤ عذاب يوم الظلة ﴿وَأَنَّهُمَا﴾ يعني سدوم والآيكة وقيل الآيكة ومدن فاته عليه الصلاة والسلام كان مبعوثاً إليها فذكر أخذها منه على الآخر ﴿لِبَاءِ مَبِينٍ﴾ بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سعى بالطريق ومطر البناء واللوح الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتم به ﴿وَلَقَدْ

كذب أصحاب الحجر) يعني ثمود (المرسلين) أي صالحا فإن من كذب واحدا من الأنبياء عليهم السلام فقد كذب الجميع لانفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الحبيبون لحبيب بن عبد الله بن الزبير وأصحابه والحجر واد بين المدينة والحمام كانوا يسكنونه (وآتيناهم آياتنا) وهي الآيات المنزلة على نبيهم أو المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها أو الأدلة المنصوبة لهم (فكانوا عنها معرضين) اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا (وكانوا ينتحون من الجبال يوم تأتينهم) من الانهدام ونقب الصخور وتخريب الاعداء لولائقيها أو من العذاب لحسابهم أن ذلك يجمعهم منه . عن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال مر رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحله فأسرع حتى خلفها (فأخذتهم الصيحة مصبحين) وهكذا وقع في سورة هود قيل صالح بهم جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل أتيتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فشققت فلو بهم في صدورهم وفي سورة الاعراف أخذتهم الرجفة أي الزلزلة ولعلها من روافد الصيحة المستتعة لوج الهواء فتوجشديدا بغضى إليها كما مر في سورة هود (فما أغنى عنهم) ولم يدفع عنهم منازل بهم (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوفرة والعبد المشكورة وبه تمك بهم (والله لا يزييهم) عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبا كانوا يرجونه لعدم الاغناء المطلق فانه أمر مستمر (وما خلقت السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) أي الاخلاقا ملتصبا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك أمثال هؤلاء دفعا لفسادهم وإرشاد المنيق إلى الصلاح أو لاسباب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما بني عنه قوله تعالى (وان الساعة آتية) فينتقم الله تعالى لك فيها من كذبك (فاصفح) أي أعرض عنهم (الصفح الجليل) اعراضا جليلا وتحمل أذيتهم ولا تتجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الخليم وقيل هي منسوخة بآية السيف (ان ربك) الذي يبلغك إلى غاية الكمال (هو الخلاق) لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق (العليم) بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الأمور إليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل أحوالكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وأبو رضى الله تعالى عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلى وابن مسعود وأبو هريرة رضى الله تعالى عنهم والحنس وأبو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبيرة وقادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس أو الخواصم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع (من المثاني) بيان للسبع من المثاني وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فسميتها مثاني لتكريرها في الصلاة وأما تكرير قرأتها في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها تثني بما يقرأ بعدها في الصلاة وأما تكرير نزلها فلا يكون وجبا للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها من السور فوجه كونها من المثاني أن كل ما من ذلك تكرر قرأته وألفاظه أو قصصه ومواعظه أو من الشئ لا يشبهه على ما هو شأنه على الله وأحدثها مثناة أو مثنية صفة للآية وأما الصحائف وهي الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الشئ على الله تعالى كأنها تثني عليه

سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما ذكر أولاته منى عليه بالايجاز أو كتب الله تعالى كلها فمن التبعض وعلى الاول البيان (والقرآن العظيم) ان أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وان أريد به الاسباع أو كل القرآن فهو عطف أحد الوصفين على الآخر كما في قوله إلى الملك القرم وابن الحمام وليت الكتاب في المزدحم

أي ولقد آتيناك ما يقال له سبع المثاني والقرآن العظيم (لا تمدن عينيك) لا تطمح بصرك طموح راغب ولا تدم نظرك (إلى ما تمناه) من زخارف الدنيا وزينتها وحاسنها وزهرتها (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من أصناف الاموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحق لا يعاب به أصلا وفي حديث أبي بكر رضى الله تعالى عنه من أوقى القرآن فرأى أن أحدا أوقى أفضل مما أوقى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى أنه وافق من بصري وأذعنات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والتعزير فيها أنواع البر والطيوب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقربنا بها وأتقناها في سبيل الله فقيل لهم قد أعطيتهم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) حيث لم يؤمنوا ولم ينتظروا آتياك في سلك ليتقوا بهم ضعف المسلمين وقيل أو أنهم المشتمون به وبأه كلفة على فان تمتعهم به لا يكون مدارا للحن عليهم (واخفض جناحك للذين آمن) أي تواضع لهم وارتق بهم وأن جانبك لهم وطب نفسا من إيمان الاغنياء (وقل إني أنا النذير المبين) أي المنذر المظير لنزول عذاب الله وحاوله (كما أنزلنا على المقتسمين) قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ أي أنزلنا عليك كما أنزلنا على أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) أي قسموه إلى حق وباطل حيث قالوا عتادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل يخالف لها وأقسموه لأنقسم استمراحيث كان يقول بعضهم سورة القبرقى وبعضهم سورة آل عمران إلى وهكذا أوقفوا ما قرؤا من كتبهم وحرفوه فأقرأوا بعضه وكذبوا بعضه وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بأنه جل المقام عن التشبيه ولقد أوقى عليه الصلاة والسلام ما لم يؤت أحد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله إني أنا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كما أنه قيل أنذر قرشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ماجرى على بنى قريظة والتعزير بأن جعل المتوقع كالمواقع وقد وقع كذلك وأنت خير بأن ما يشبه به العذاب المنذر لا بد أن يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به تتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الانذار وتشديده وعذاب بنى قريظة والتعزير مع عدم وقوعه اذ ذلك لم يسبق به وعده ووعد فهم منه في غفلة محضة وشك مربب ونزول المتوقع منزلة الواقع له وقع جليل من الاججاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائر على أن تخصص الاقسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقسام المتفرقة على الموافقة والخالفه وفي الاقسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقسام تخصيص غير مختص وقد جعل الوصول مفعولا أول لا نذر أي أنذر المقتسمين الذين يخرجون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الانبياء عشر الذين اقساموا مداخل مكة أيام الموسم فقدم كل منهم في مداخل ليقرأوا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقوله بأفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبهه العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع أنه لا داعي إلى تخصيص وصف التعزية بهم وإخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم أسرة

لم في ذلك فان وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الانفس التعصية ولا الى اخر اجهم من حكم الانذار على أن ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا خصوصاً بهم بل عام الكلا القرين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل مهلك أكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني على الأول كما ترى وقيل انه وصف للمفعول التذير أقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كالحمر وفيه مع ما مر أن قوله تعالى كما أنزلنا صريح في أنه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه الصلاة والسلام والاعتذار بأن ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك أمرنا بكذا وان كان الأمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى فقدرنا انهم الغابرين تصف لا يخفى وأن أعمال الوصف الموصوف عالم يجوز البصر فلا بد من الحرب الى ملك الكافرين أو المصير الى جعله مفعولاً لا غير صريح أي أنا التذير للمبين بعذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صلحاً عليه الصلاة والسلام فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري أن عذابهم حيث كان متحققاً ومعلوماً للمنذرين حسبما نقلت به القرآن العظيم صالح لأن يقع مشبهاً به العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقبه حيث لم يمكن كونه حصة للمقتسمين حيث فسوا جعلناه مفعولاً أول للتذير أو مبادل هو عليه من أنذر لا يكون للعرض لعنوان التعصية في حيز الصلة ولا عنوان الاقسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة لما أن ذلك إنما يكون للأشعار بعلة الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المصنف بمعزل من التقاسم على التبيت الذي هو السبب لهلاك أولئك كما أن أولئك بمعزل من التعصية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السبيين مغوباً ولا وجوداً تصح وقوع أحدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق القرينين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبيت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ دلالة لعنوان التعصية على ذلك وإنما يدل عليه اقسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم أن الأقوال المذكورة أنه متعلق بالأول وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين وأن الموصول مع صلته حصة مبنية لكيفية اقسامهم وعلى الكاف نصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لوازم النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم آياتاً بما نزل من الآياتين على أهلها وعدم التعرض لذكر ما نزل عليهم من الكتابين لأن الغرض بيان المماثلة بين الآيتين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بأن يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناكم الكتاب الخ للثبته على ما بين الآيتين من المثاني فإن الأول على وجه التكرمة والامتنان وشأن بينه وبين الثاني ولا يندح ذلك في وقوعه مشبهاً به فان ذلك إنما هو لمسايبته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زماناً للمزية تعود الى ذاته كما في الصلاة الخلية فان التشبيه فيها ليس ليكون رحمة الله تعالى الفائقة على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وآله أم وأكل مما فاض على النبي عليه الصلاة والسلام وإنما ذلك للتقدم في الوجود والتصحيح عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة أشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلاً عن أيام أفضلية ما تعلق به الأول مما تعلق به الثاني وإنما ذكروا بعنوان الاقسام انكاراً لاتصافهم به مع تحقق ما يفي به من الانزال المذكور وايداناً بأنه كان من حقهم أن يؤمنوا بكلمة حسب ايمانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العقول والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما أقرق النبي عليه الصلاة والسلام

ولقد بين أولاً علو شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه الصلاة والسلام بمكانه واستغفاره عما سواه ثم نبه عن الالتفات الى زهرة الدنيا وغيره عن آياتها لأهلها بالتمتع المنى عن شك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم إيمان المهتمين فيها وأمر برعاية المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وأظهر قيامه بموجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تصاعيف ما أوتي من القرآن العظيم ثم رجع الى كيفية آياته على وجه أدج فيه ما يبرح شبه المتكررين ويستزلمهم عن العناء من بيان مشاركتهم لسا الرب لهم في كونه وحياً صادقاً فتأمل والله عند علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل اني أنا التذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب المكشوفة نذيراً على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى يريد أن ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكلف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل نصب على الحالية من مفعول قل أي قل هذا القول حال كونه كما أنزلنا على أهل الكتابين أي موافقاً لذلك فالأنسب حينئذ حمل الاقسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضاً بما فعلوا من تحريفهم وكتائبهم لعنت التي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عطين جمع عصاة وهي الفرقة أصلاً عضوة فعلمت عنى الشاة تعصية اذا جعلها أعضاء وإنما جمعت جمع السلامة جبراً للبحذوف كسكين وعزير والتعير عن تجرئة القرآن بالتعصية التي هي تفريق الأعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته وإبطال اسمه دون مطلق التجرئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يفرضه التبعض من المثاني للتخصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلته من عصيته اذا بهته وعن عكرمة العنة السحر بلسان قریش فقصصنا على الأول وأو وعلى الثاني هاء (فوريك لنسائهم أجمعين) أي لنسائهم يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقرع (عما كانوا يعملون) في الدنيا من قول وفعل وترك فدخل فيه ما ذكر من الاقسام والتعصية دخولا أولياً ولتجزئتهم بذلك جزأاً موفوراً وفيه من التشديد وتأكيدهم الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على أعمالم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية عضافاً اليه عليه الصلاة والسلام إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام (فأصعد بما تومر) فاجبره من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهاراً أو أفرق بين الحق والباطل وأصله الابانة والتوبيخ وما مصدرية أو موصولة والعائد بخذوف أي ما تومر به من الشرائع المودعة في تصاعيف ما أوتيت من المثاني السبع والقرآن العظيم (وأعرض عن المشركين) أي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبالي بهم ولا تصعد للانتقام منهم (أنا كفيناك المستزئين) بشتمهم وتدميرهم قبل كانوا خمسة من أشرف قریش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس بن الطلائة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بياعون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستزاء به فز لجبريل عليه الصلاة والسلام فقال قد أمرت أن أكفيكم فأومأ الى ساق الوليد فز ببال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظماً لاحد فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه غشاً وأومأ الى اخص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فسلت وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعنى والى أنف الحارث فامتخط قبحاً فسلت والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل يقطع برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (الذين يعملون مع الله الها آخر) وصفهم بذلك تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتبوتاً للخطب عليه بأعلام أنهم لم يقتصروا على الاستزاء به عليه الصلاة والسلام بل اجتروا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه (نصف يعملون) عاقبة ما باتون ويدرون (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من كلمات الشرك والظعن في القرآن والاستزاء به وبك وتحلية الجملة بالتأكيد لا فائدة بحقيق متضمنة من التسليوة وصيغة الاستقبال لا فائدة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجهه من أقوال الكفرة (فسبح بحمد ربك) فافزع الى

اللائعات والفاء نصيحة أي إذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتزليل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وأمرهم بأن يندرو الناس أنه لا شريك له في الألوهية فانفوتون في الإخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الإشراف وفروعه التي من جعلتها الاستعجال والاستعزاء وبعد تمهيد الدليل السمعى للتوحيد شرع في تحرير الأدلة العقلية فقبل (خلق السموات والأرض بالحق) أي أوجدها على ماها عليه من الوجه الفائق وانخط اللاتق (تعالى) وتقدس بذاته لاسيا بأفعاله التي من جعلتها أبداع هذين المخلوقين (عما يشركون) عن إشرافهم المعهود أو عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدى ولا يعبد وبعد ما نبه على صنعه الكلى المنطوى على تفاصيل خلقه شرع في تعداد ما فيه من خلافة فبدأ بفعله المتعاق بالانفس فقال (خالق الإنسان) أي هذا النوع غير الفرد الاول منه (من لطفة) جهاد لا حس له ولا حر كسب لا يحفظ شكل ولا وضع (فأنا هو) بعد الخلق (خصم) منطوق مجادل عن نفسه مكافئ للخصوم (مين) لحجته لقض بها وهذا أنسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحده أو مختصم خالقه منكزه قائل من يحيى العظام وهي رميم وهذا أنسب بمقام تسديد هتات الكفرة روى أن ابن أبي نجليس الجعفي أتى النبي عليه السلام بهظم رميم فقال يا محمد أترى الله تعالى يحيى هذا بعد ما قدوم فزلت (والإنعام) وهي الأزواج الخافية من الابل والبقرة والضأن والمغن وانتسابها بمضمون يفسره قوله تعالى (خلقها) أو بالعطف على الإنسان وما بعدهما من خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله تعالى (لكنكم) امامتعلق بخلقها وقوله (فيها) خير مقدم وقوله (دف) مبتدأ وهو ما يدفأ به فيق من البرد والجملة حال من المفعول أو الظرف الاول خير للبتدأ المذكور وفيه حال من دف اذلو تأخر لكان صفة (ومنافع) هي درها وركوبها وحملها والخرافة بها وغير ذلك وانما عبر عنها باليتناول الكل مع أنها لا نسب بمقام الامتنان بالنعيم وتقديم الدف على المنافع لرعاية أسلوب الترقى الى الاعلى (ومنها تكون) أي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى أنها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدف والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محال لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايدان بأن الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش لان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التضخم مع أن فيه مراعاة للفواصل ويحتمل أن يكون معنى الاكل منها أكل ما يحصل بديها فان الجيوب والثمار المأكولة تكتسب باكر الابل وبأثمار تاجها وألبانها وجلودها (ولكن فيها) مع ما فصل من أنواع المنافع الضرورية (جمال) أي زينة في عين الناس ووجاهة عندهم (حين ترحبون) زردونها من مراعيها الى مراعيها بالعشى (وحيث ترحبون) تخرجونها بالفرادة من حظائرهما الى مزارعها بالمفعول مخدوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه أمر الجمال من تزين الأفتة والاكثاف بها وتجاوب ثنائها ورغبتها انما هو عند ورودها وصدورها في ذلك الوقتين وأما عند كونها في المراعي فيقطع اضافتها الحسية الى أربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر إليها ناظر وتقديم الراحة على السرح لتقديم الورود على الصدور ولكونها أظهر منه في استباح مآذ من الجمال وأنهم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد اديار على أحسن ما يكون ملائ الطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرى حينا ترحبون وحينا ترحبون على أن كلا الفعلين وصف لحين معنى ترحبون فيه وترحون فيه (وتحمل أثقالكم) جمع تحمل وهو متاع المسافر وقيل أثقالكم أجزامكم (الى بلد) قال ابن عباس رضى الله عنهما أريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى أنها متاجر أهل مكة وقال عكرمة أريد به مكة ولعله نظر الى أن أفعالهم وأعمالهم عند الضفول من متاجرهم أكثر وساجتهم الى الحولة

أمن والظاهر أنه عام لكل بلد سيق (لم تكونوا باليه) واصحاب اليه بانفسكم مجردين عن الانقال لولا الابل (الابيق الانفس) فضلا عن استصحابها معكم وقرى بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقاو حقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كأنه ينصب نصف القوف لسانه من الجهد فالإضافة الى الانفس مجازية أو على تقدير مضاف أي الا يبق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من أعم الاشياء أي لم تكونوا باليه بشئ من الاشياء الابيق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بأن هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بثبات النعم السابقة فانها بحسب المنشأ وخاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلين فيها للتجارة وغيرها في أحيان غير مطردة وأما سائر النعم الممدودة فموجودة في جميع أصناف الانعام وعامة لكافة المخلطين دائما أو في عامة الاوقات (ان ربكم لوروف رحيم) ولذلك أسبق عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة (والحيل) هو اسم جنس للقرى لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام أي خلق الحيل (والبغال والحمير لتركبوها) تعليل بمحط منافعها والا فالاستفهام بها بالحل أيضا مما لا ريب في تحقيقه (وزينة) عطف على عمل لتركبوها وتعريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل الملعل دون الاول وتأخير لكون الركوب أهم منه أو مصدر لفعل مخدوف أي وتزينوا بها زينة وقرى بفتح واو أي خلقها زينة لتركبوها ويجوز أن يكون مصدرا وقام موقع الحال من فاعل تركبوها أو بفعوله أي متزينين بها أو متزينين بها (ويخلق ما لا تعلمون) أي يخلق في الدنيا غير ما عدا من أصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدل الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة أو يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون أي ما ليس من شأنكم أن تعلموه وهو ما أثير اليه بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن يكون هذا اخبارا بأنه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لناه بدلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعته الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عن عرش العرش نورا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيقتل فيزيد نورا الى نور وجمالا الى جمال وعظما الى عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقصد أي مستقيم على طريقة الاستعارة أو على نهج اسناد حال سالكة اليه كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يبعد عنه أي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمة وعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد ينصب الأدلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه أو مصدر بمعنى الإقامة والتعديل قاله أبو البقاء أي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها أي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا يبعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعا ابتداء كذلك على نهج قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الأدلة وقد فعل ذلك حيث أبدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاجب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وأرسل رسله مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبنا من جعلتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاضح عن كل ما جل من الاسرار وديق الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك الأدلة المفضية الى معالم الهدى المنجية

عن فيافي الضلالة ومهاوى الردى الأبرى كيف بين أول أنزله جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن أن يحوم حوله شائبة توم الأشرار ثم أوضح سر القاء الوحى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكيف أمرهم بإظهار الناس ودعوتهم إلى التوحيد ونهيمهم عن الأشرار ثم كرر على بيان تعالیه عن ذلك بحسب الأفضال مرشدا إلى طريقتة الاستدلال فبدأ بفصله المتعلق بمحيط العالم الجسائى ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ثم فصل أفعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس الخاطئين ثم ذكر ما يتعلق بما لا يدلم منه في معاشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله وتخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كارتى بيان لسبيل التوحيد غيب بيان وتعديل له أيضا تعديل المراد بالسبيل على الأول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ﴿ومنها﴾ في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنادون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر إلخ إلى بعض السبل أو بعض من السبل فانها تزوف وتذكر (جاءت) أى مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكا اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبل المستقيم والضمير في منها راجع إليها بتقدير الحضاف أى ومن جنسها لماسرفت من أن تعديل السبل وقومه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقو به بعد انحراجه وأما ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لأمر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما أخفى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة أهم منه كما في قوله سبحانه الذى يطعنى ويسقى وإذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر أن يقال والذى يسقئى ويشفين ولكن غير إلى ما عليه النظم الكريم فتفادى عن اسناد ما تركه النفس اليه سبحانه وليس المراد بيان قصد السبل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناد أمهات إليه تعالى فيحتاج إلى الاعتذار عن عدم ذلك على أنه لو أريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الأدلة لهداية الناس اليه ولا إمكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة إلى الطريق الجائر بأن يقال وجارها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى إلى غير النكتة تستدعيه ولا يوهمه متروكه حتى يقتضى الحال دفع ذلك بأن يقال لاجارها ثم بغير سبك النظم عن ذلك لهداية أقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جى بها لبيان الحاجة إلى البيان والتعديل وإظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الأدلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا إلى المقصود وهذا هو الهداية المنيرة بالله لا لالة على ما يوصل إلى المطلوب بالهداية المستمرة للاهتمام البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا يحجب ذاته ولا يحجب رحمته بل هو غفل بحكمته حيث استدعى تسوية المحسن والمسيء والمطيع والمعاصى بحسب الاستعداد واليه أشير بقوله تعالى ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ أى لو شاء أن يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستمرة لاهتدائكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يقضه لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما أن الذى عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجبرئى الذى عليه يقرب الأعمال التي بها يربط الجاه هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد سر كون قصد السبل عليه تعالى بانها تارة اليه على نهج الاستقامة وإثارة حرف الاستعلاء على أداة الالتفات لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيل من غير أن يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط على مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الأولى والمعنى أن قصد السبل وأصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم أجمعين إلى الأول وأنت خير

بأن هذا حق في نفسه ولكنه يعمد على نكتة موجهة لتوسطه بين ماسبق من أدلة التوحيد وبين ماخلق ولما بين الطريق السعي للتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض أدلته المتعلقة بأحوال الحيوانات وعقب ذلك بيان السر الداعي اليه بتناطحطين على التأمل فيما سبق وحشا على حسن التلق لمالخلق أتبع ذلك ذكر مايدل عليه من أحوال النبات فقيل **(هو الذي أنزل)** بقدرته القاهرة **(من السماء)** أي من السحاب أو من جانب السماء **(ماء)** أي نوعا منه وهو المطر وتأخره عن الجورولما سر مروا من أن المقصود هو الاخبار بأنه أنزل من السماء شيئا هو الماء لأنه أنزله من السماء والسر فيه ما ساف من أن عند تأخير ما حقه التقديم بقي الذهن مترقبه مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن **(لكم من شراب)** أي ما شر به وهو ما مرتفع بالظرف الأول أو مبتدأ وهو خبره والجملة صفة ماء والظرف الثاني نصب على الحالة من شراب ومن تبعية وليس في تقديمه ايها حصر المشروب فيه حتى يقتضي الاعتذار بأنه لا بأس به لأن مياه العيون والابار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الأرض وقوله تعالى فأسكنه في الأرض وقيل الظرف الأول متعلق بأنزل والثاني خير لشراب والجملة صفة ماء وأنت خير بأن ما فيه من توسط المصوب بين المجرورين وتوسط الثاني منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بحر القنظ التزليل الجليل **(ومنه شجر)** من ابتدائية أي منه يحصل شجر ترعه المواشي والمراذبه ما ينبت من الأرض سواء كان لساق أو لا وتبعية مجاز لأن الماء كان سقي من الماء جعل كما سمته كقوله أسمنه الآب إلى فرابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلا الذي تأكله الابل قسمين أسمنها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا من الشجر فإنه مسح يعني الكلا **(فيه تسبون)** ترعون من سامت الماشية وأسماها صاحبها وأصلها السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالمرعى علامات في الأرض **(ينبت)** أي الله عز وجل وفري بالثوب **(لكم)** بما أنزل من السماء **(الزروع واليتون والنخيل والأعناب)** يأتي التلم القاضية عليهم من الأرض بطريق الاستئناف وإشارة صيغة الاستقبال للذلة على التجدد والاستمرار وأنها تسته الجارية على مر الدهور أو لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لمرأف مع ما في تقديم أولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على معاده لأنه أصل الاغذية وهو المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادم من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الأعناب لظهور أصلها وبقاتها وجمع الأعناب للإشارة إلى ما فيها من الاشتغال على الاصناف المختلفة وتخصيص الأنواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى **(ومن كل الثمرات)** للاشعار بفضها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذا للانعالم لحصوله بغير صنم من البشر أو للإشادة إلى مكارم الاخلاق فإن متصفاها أن يكون اهتمام الانسان بأمر ما تحت يده أكل من اهتمامه بأمر نفسه ولأن أكثر المخططين من أصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ترو وقيل المراد تقديم ما يسام لا لتقديم غذا فانه غذا حيواني للانسان وهو أشرف الاغذية وفري **(ينبت من التلق مستدا إلى الزروع وما عطف عليه)** ان في ذلك **(أي في انزال الماء وانبات ما فصل لآية)** عظيمة دالة على تفرد تعالى بالالوهة لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة **(لقوم يتفكرون)** فان من تكفر في أن الحبة أو النواة تقع في الأرض وتصل اليها ندوة تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه معروف تنسب في أعماق الارض وينشق أعلاها وان كانت متشكة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الأوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والوان والخواص والطباع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على القطع المحرر لا إلى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطابع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة إلى الكل علم أن من هذه أفعاله والآراء لا يمكن أن يشبه شي في شيء من صفات الكمال فضلا عن أن يشاركه أحد الاشياء في أخص صفاته التي هي الالوهة واستحقاق

العبادات تعالى عن ذلك علواً كبيراً أوحيت افقر سواك هذا الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية بقطع الآيات الكريمة بالنسبة
 ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يتعاقبان خلفاً لنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ﴿والشمس والقمر﴾ يدايان
 في سيرهما وانارتها أصالة وخلاقة واصلاحها لما ينط بهما صلاحه من المكونات التي من جهاتها مافضل وأجل كل
 ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لم تمكنهم من تصرفها كيف شاؤوا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر
 لنا هذا ونظائر بل هو تصرفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لم وتصرف لم قبلهم
 حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير اعلم الى ما في السخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين
 واشارصة الماضي للدلالة على أن ذلك أمر واحد مستمر وان تجددت آثاره ﴿والنجوم مسخرات بأمره﴾ مبتدأ
 وخبر أي سائر النجوم في حركاتها وأوضاعها من التثنية والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى أولها خلقن له بارادته
 ومشيته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من المألوف والقمر ينسب تسخيرها اليهم بأداة
 الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية
 الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر أيضاً وقرئ بتبني النجوم على أنه
 مفعول أول لفعل مقدر يعني «عنه الفعل المذكور مسخرات مفعول ثان لها أي وجعل النجوم مسخرات بأمره وأعلى أنه معطوف
 على المنصوبات المتقدمة مسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع أي ففعل بها حال كونها مسخرات لله
 الذي خلقها وديرها كيف شاء أولها خلقن له بآياديه وتقديره أولها خلقه أو مصدره يسي جمع لا اختلاف الأنواع أي أنواعا
 من التسخير وما قبل من أن فيه ايذاناً بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكون النبات حركات الكواكب وأوضاعها
 بأن ذلك انما سلم فلا ريب في أنها أيضاً أمور يمكنه الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد
 عظيم مختار واجب الوجود دفعا للبدو والتمسك بآيات حسان ما ذكر أدلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختباره
 وأنت تدري أن ليس الأمر كذلك فانه ليس مما يتنازع فيه الخصم ولا ينلتم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق
 السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من زلزل السباع ما فأنسى
 به الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية وانما ذلك أدلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم أن يشاركه شيء
 في شيء فضلا عن أن يشاركه الجاد في الألوهية ﴿ان في ذلك﴾ أي في آيات من التسخير المتعلق بمآذركم محلا ومفصلا
 ﴿لآيات﴾ باهرة متناثرة ﴿لقوم يعقلون﴾ وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظم القدرة
 والعلم والحكمة على وحدانية الله أظهر جمع الآيات وعلفت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكير ويجوز أن يكون
 المراد لقوم يعقلون ذلك لما اشار اليه حيث تاجب الدقائق المودعة في العلو بالمدلول عليها بالتسخير التي لا تصدى
 لمعرفتها الا الماهرة من أساطين علماء الحكمة ولا ريب في أن احتياجها الى التفكير أكثر ﴿وما ذرا﴾ عطف على قوله
 تعالى والنجوم رفعا ونصبا على أنه مفعول لجعل أي وما خلق ﴿لكم في الارض﴾ من حيوان ونبات حال كونه
 ﴿مختلفا ألوانه﴾ أي أصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى أولها خلق له من الخواص
 والأحوال والكيفيات أو جعل ذلك مختلف الألوان أي الأصناف لستموا من ذلك بأي صنف شتم وقد عطف على
 ما قبله من المنصوبات وعقب بأن ذكر الخلق لم يفت عن ذكر التسخير واعتذر بأن الأول لا يستلزم الثاني ولو ما علقها
 لجواز كون ما خلق لم عزير المرام صعب المثال وقيل هو منصوب بفعل مقدر أي خلق وأثبت على أن قوله مختلفا ألوانه
 حال من مفعوله ﴿ان في ذلك﴾ الذي ذكر من التسخيرات ونحوها ﴿لآية﴾ بيته الدالة على أن من هذا شأنه واحد

لا بد له ولا خد ﴿لقوم يذكرون﴾ فان ذلك غير محتاج الى ذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية وأما
 ما يقال من أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الاصنع صانع حكيم فداره بالاحتجاب من حساب ما ذكر دليلها
 على انبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان اراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس
 بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسماة بجي به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من
 وحدانيته تعالى واستحالة أن يشاركه شيء في الألوهية ﴿وهو الذي سخر البحر﴾ شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر
 اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا أي جملة بحيث يتمكنون من الانتفاع به الكروب والغوص والاصطياد
 ﴿لأنكوا منه لحاظا﴾ هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به الكروب والغوص والاصطياد
 بالطراوة للشمار بطاقته والنبية على وجوب المسارعة الى أكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبغي عنه جعل البحر
 مبتدأ أكله وللإيذان بكل قدرته تعالى في خلقه عليا طريا ما زعان ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري
 أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله والجواب أن منى الإيمان العرف ولا ريب في أنه لا يفهم من اللحم عند
 الاطلاق ولذلك لأمر عادته بشره اللحم لئلا يسمك لم يكن ممثلا بالأمر الا يري الى أن الله تعالى سمى الكافر دابة
 حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يخفى بركوبه من حلف لا يركب دابة ﴿وتسخر جوارحها حلقية﴾
 كاللؤلؤ والمرجان ﴿تلبسونها﴾ عبر في مقام الامتنان عن ليس نائمهم بلبسهم لكونهم منهم أولكون لبسهم
 لأجلهم ﴿وترى الفلك﴾ السفن ﴿مواخيه﴾ جوارى فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة برح واحدة تشبه بعين ومها
 من المخرو وهو شق الماء وقيل هو صوت جرى الفلك ﴿ولتبصروا﴾ عطف على تسخر جوارحها عطف هو عليه وما بينهما
 اعتراض تمهيد مبادئ الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية أو على علة محدودة أي لتبصروا بذلك ولتبصروا ذكره
 ابن الانباري أو متعلقة بفعل محذوف أي وفعل ذلك لتبصروا ﴿من فضله﴾ من سعة رزقه بركوبها للتجارة
 ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصص
 هذه النعمة بالتحقيق بالشكر من حيث ان فيها قطعاً لمسافة طويلة مع أحمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاوله
 أسباب السفر بل من غير حركة أصلا مع أنها في تضاعف الممالك وعدم توسط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر
 للإيذان بسخنائه عن التصريح به وبمحصولها معا ﴿والألق في الارض رولسى﴾ أي جبالا ونبات وقد مر تحقيقه في
 أول سورة الرعد ﴿أن تميد بكم﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب أو كلاتميد بكم فان الارض قبل أن تخلق فيها الجبال
 كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك أو تتحرك بأدنى سبب تحرك فلما خلقت
 الجبال تفاوتت حافاتها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت
 تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال ﴿وأناهارا﴾ أي وجعل فيه أنهارا
 لأن في ألق معنى الجمل ﴿وسبلا لعلكم تهتدون﴾ بها الى مقاصدكم ﴿وعلامات﴾ معالم يستدل بها السابلة بالنهار
 من جبل ومنهل وريح وقد نقل أن جماعة يشمون التراب ويعرفون به الطرقات ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ بالليل
 في البرارى والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان ونبات النعش والجدي وقرئ
 بضمين و بضمه يسكون وهو جمع كرهن ورن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير
 لقريش فانهم كانوا كثيرى التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في أسفارهم وصرف الظن عن سنن الخطاب
 وتقديم النجم واقسام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر

عليه أكرم لهم وأوجب عليهم ﴿أفمن يخلق﴾ هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الأفاعيل البديعة أو يخلق كل شيء ﴿كن لا يخلق﴾ شيئاً أصلاً وهو تبيك للكفرة وإبطال لأشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاه ظاهراً وتعقيب المهمة بالفاء لتوجيه الإنكار إلى توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الأمور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسباً يؤذن به ما تلوه من قوله تعالى ولئن سألتهم لآتينوا الاختصار على ذكر الخلق من بينها لكونه أعظمها وأظهرها واستباحتها إياها أو لكون كل منها خلقاً مخصوصاً أي أبعد ظهور اختصاصه تعالى بجدية هذه الشؤون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمنزلة من ذلك بالمرّة كما هو قضية إشراككم ومدارها وإن كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالتنسيب اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة حق سبق الملكة على المدم وتفاضلها عن توسط عددها بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث أن ذلك ليس بمجرد رفض الاصنام عن محلها بل هو حط المنزلة الربوبية إلى مرتبة الجاهلات ولا ريب في أنه أقمع من الأول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شأنه كالنا ما كان والتعبير عنه بما يخص بالعقل الشاكلة أو العقل خاصة ويرى منه حال غيرهم لدلالة النص فلان من يخلق حيث لم يكن كن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فساظنك بالجاهل وأما ما كان قد خول الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة أما بطريق الاندراج تحت الموصول العام وأما بطريق الانضمام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لأنها هي المرادة بالموصول خاصة ﴿أفلا تدرون﴾ أي ألا تلاحظون فلا تدرون ذلك فانه لو ضوجه بحيث لا يقتصر إلى شيء سوى الذكر ﴿وان تعدوا نعمة الله﴾ تذكر أجمالى لنعمة تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر إرادته عقوبتها بكلمة طاعة على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى أفمن يخلق كن لا يخلق أفلا تدرون للبادة إلى الزام الحجية والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الأفاعيل التي هي أدلة الوجدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلائلها عليها وإن لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلائلها عليها من حيثية الانعام أيضاً لكنها حيث كانت مستبعات الحيثية الأولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الإجمال أي ان تعدوا نعمته الفاتنة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴿لا تحسوها﴾ أي لا تطبقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالاً فضلاً عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة إبراهيم بفضل الله سبحانه ﴿ان الله لغفور﴾ حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك ﴿رحيم﴾ حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما أتون وتذرون من أصناف الكفر التي من جهلها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وأما نعمة فاجلة لتعليل الحكم بعدم الاصنام وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية ﴿والله يعلم ما تسرون﴾ تنصرونه من العقائد والأعمال ﴿وما تملنون﴾ أي تظهرونه منها وحذف العائد لمراعاة القواصل أي يستوى بالنسبة إلى عليه المحيط سره وعلمه وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلان لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين عليه المتعلقين بهما على أبلغ وجه كان عليه تعالى بالسر أقدم منه بالعلان لأن كل شيء يعلم فوقيل ذلك مضمر في القلب فتعلق عليه تعالى بحاله الأولى أقدم من تعلقه بحاله الثانية ﴿والذين يدعون﴾ شروع في تحقيق كون الاصنام بمنزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبق فيه شائبة ريب بتعدد أوصافها وأحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهر قولك لا حول والوان كانت غنية

عن البيان لكنها شرحت التنبيه على كمال حماقة عبديتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصریح أي بالآلة الذين يعبدون الكفار ﴿من دون الله﴾ سبحانه وقرى على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ من الاشياء أصلاً أي ليس من شأنهم ذلك ولما يكن بين نفي الخالقية وبين الخلقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازماً في الصدق أثبت لهم ذلك صريحاً قبيل ﴿وهم يخلقون﴾ أي شأنهم ومقتضى ذاتهم الخلقية لأنها ذوات عمكة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها إلى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما أثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي الخلقية والخالقية ولا يذنب بعدهم الافتقار إلى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز أن يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للشاكلة بينه وبين الأول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبادتهم وأعجز عنهم وايداناً بكامل ركاكة عقولهم حيث أشركوا بخالقهم مخلوقهم وأما جعل الأول أصلاً أيضاً عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له إذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة أصلاً ولما أن أثبات الخلقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما أن بعض المخلوقين أحياهم صرح بذلك قبيل ﴿أموات﴾ وهو خبر ثان للوصول لا للضمير كما قيل أو خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الأموات مما يعتره الحياة سابقاً أو لاحقاً كاجساد الحيوان والتطفل التي ينشأها الله تعالى حيواناً احتز عن ذلك قبيل ﴿غير أحيا﴾ أي لا يمتريها الحياة أصلاً فهي أموات على الإطلاق وأما قوله تعالى ﴿وما يشعرون أبان يعيشون﴾ أي ما يشعر أولئك الآلهة أبان يعيش عبديتهم فعلى طريقة التكميم لهم لأن شعور الجاهل بالأمور الظاهرة يدهي الاستحالة عند كل أحد فكيف بمالا يعلمه الا العلم الخبير وفيه ايدان بأن البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالهية ﴿الحكم لله واحد﴾ لإشراكه شيء في شيء وهو تصریح بالبدعي وتمحيص للنتيجة غيب إقامة الحجية ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وأحوالها التي من جهلها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستأزم لعقوبتهم وذلهم ﴿قلوبهم منكرو﴾ للوحدانية جاحدة لها ولا آيات الدالة عليها ﴿وهم مستكبرون﴾ عن الاعتراف بها أو عن الآيات الدالة عليها والفاء للإيدان بأن أصرارهم على الإنكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى أنه قد ثبت بما قرر من الحجج والبرينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك أصرارهم على مذكر من الإنكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشمار بكونه معللاً بما في حيز الصلة فإن الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع إلى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي إلى قصر النظر على العاجل والأعراض عن الدلائل السمية والعقوبة الموجب لانكارها وإنكار مؤداه والاستكبار عن اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وتصديقه وأما الإيمان بها وبما فيها فيدعو لإحالة إلى التأمل في الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقيناً بالوحدانية وخضوعاً لامر الله تعالى ﴿لاجرم﴾ أي حقاً وقد مر تحقيقه في سورة هود ﴿أن الله يعلم ما يسرون﴾ من إنكار قلوبهم ﴿وما يملنون﴾ من استكبارهم وقولهم للقرآن أساطير الأولين وغير ذلك من قبحهم فيجازيهم بذلك ﴿انه لا يحب المستكبرين﴾ تعليل لما تضمنته الكلام من الوعيد أي لا يحب المستكبرين عن التوحيد وعن الآيات الدالة عليها ولا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عمداً ذكر ﴿واذا قيل لهم﴾ أي لأولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غيب بيان ضلالهم ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ القائل الوافدون عليهم أو المسلمون أو بعض منهم على طريق التكميم وماذا منصوب بما بعده أو مرفوع أي أي شيء أنزل أو ما الذي أنزل ﴿قالوا أساطير الأولين﴾ أي ما تدعون بآلهه والمنزل بطريق السخرية أحاديث الأولين وأباطيلهم وليس من الاتوال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل

«مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام» (ليحملوا) متعلق بقالوا أي قالوا ما قالوا ليحملوا (أو زارهم) الخاصة بهم وهي أو زار ضلالهم (كاملة) لم يكفر منها شيء بنكة أصابتهم في الدنيا كما يكفر بها أو زار المؤمنين (يوم القيامة) ظرف ليحملوا (ومن أوزار الذين يصلونهم) وبعض أوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شر يكاف هذا بضله وهذا بطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير أن يكون غرضاً وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال أو باعتبار حال قولهم لاحال الحمل (بغير علم) حال من الفاعل أي يصلونهم غير عالين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال وأما حمله على معنى غير عالين بأنهم يصلونهم يوم القيامة أو زار الضلال والاضلال على أن يكون العامل في الحال قالوا وتأيد به ما ساقى من قوله تعالى وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث أن حل ما ذكر من أو زار الضلال والاضلال من قبيل آيات العذاب من حيث لا يشعرون فيرده أن الحل المذكور إنما هو يوم القيامة والعذاب المذكور إنما هو العذاب الدنيوي كما استغنى عنه أو حال من المفعول أي يصلون من لا يعلم أنهم ضلال وقاعدة التفسير بالشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذي لب وإنما يتبعهم الأغوية والحيلة والتمويه على أسجلهم ذلك لا يكون عدواً كان يجب عليهم أن يستأثروا ويخبروا بين الحق والحقيق بالاتباع وبين المخطئ (الأساة ما يروون) أي شئ شاذ يروونه ما ذكر (قد مكر الذين من قبلهم) وعيدهم يرجع عن التذكير على أنفسهم كذاب من قبلهم من الأمم الخالية الذين أصابهم وأصابهم من العذاب العاجل أي قد سواهم منصوبات بغيرهم وأما ما رسل الله تعالى (فأبى الله) أي أبى أمره وحكمه (ببائهم) وقرئ بينهم ويؤمنهم (من القواعد) وهي الأساطين التي تصعد أو أساساً منضعت أركانها (خر عليهم السقف من فوقهم) أي سقط عليهم سقف بيانيهم ألا يتصور له القيام بعدتهم القواعد حيث حال أولئك المساكين في نسوبهم كذاباً والمضبوطات التي أرادوا بها الإيقاع برسل الله سبحانه وفي إبطاله لعمال تلك الخيل والمكاييد وجعلها أباها أسباهاً لملاكمهم بحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين فأبى ذلك من قبل أساطينهم بأن منضعت فسقط عليهم السقف فلهكذا وقرئ غر عليهم السقف بعضهم (وأتاهم العذاب) أي الهلاك والدمار (من حيث لا يشعرون) بآياته منه بل يتوقعون آيات عقابه عما يريدون ويشتبهون والمعنى أن هؤلاء المساكين القائلين للقرآن العظيم أساطير الأولين سبواهم من العذاب مثل ما أنتم وهم لا يتدبرون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه (ثم يوم القيامة يجزيهم) فانه عطف على مقدم ينسحب عليه الكلام أي هذا الذي فهم من القتل من عذاب هؤلاء أو ما هو أعظم منه وما ذكر من عذاب أولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيامة يجزيهم أي يلزم بعذاب الجزى على رؤس الاشهاد وأصل الجزى ذل يستحي منه وثم للإيماء إلى ما بين الجزامين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لتخصر الجزى على يوم القيامة كما هو المتبادر من تقدير الظرف على الفعل بل لأن الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بأن لهم جزاء آخر وأبقى النفس مترقة إلى الورود سائلة عنه بأنه ماذا مع تيقنها بأنه في الآخرة فسبق الكلام على وجه يؤذن بأن المقصود بالذكر الجزاء لا كونه يوم القيامة والضمير أما للقرآن الكريم أو لهم ولمن مثلوا بهم من المساكين كما أشير إليه وتخصصهم بأباده السابق والسياق كما استغنى عنه (ويقول) لهم تقضيحاً وتوبيخاً فهو الخ بيان للاختر (أين شركائي) أضافهم إليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة فبه توبيخ أثر توبيخ مع الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شأنهم بأنهم شركاء حقا حين يتوكل بطلانها والمراد بالاستهزاء استحضارها للشفاعة أو المدافعة على طريقة الاستهزاء والتكبيت والاستهزاء عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى

يعتدو بأنهم يجوز أن يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجا فيها أو بأنهم لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون أنهم متصفون من عنوان الإلهية فليس هناك شركاء ولا أماكنها على أن قوله ليتفقدوا ليس بسديد فانه قد تبين عندم الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر التون أي تشاقوني على أن مشاققة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين لاسيا في شأن متعلق به سبحانه مشاققة له عن وجل (قال الذين أوتوا العلم) من أهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويكفرون عليهم أي يقولون توبيخاً لهم وإظهاراً للشك فيهم وتقريراً لما كانوا يعطونهم وتحققاً لما أو عدوهم به وإثارة صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتعمق وقوعه حسباهو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف (أن الجزى) القصبة والذل والهوان (اليوم) منصوب بالجزى على رأى من يرى أعمال المصدر المصدر باللام أو بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العائد والمعمول بالمعطوف لأنه متغير في الظرف واداءه للاشعار بأنهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق (والسوء) العذاب (على الكافرين) بالله تعالى وبآياته ورسله (الذين تتوفاهم الملائكة) بتأييد الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيتهم أيام لما فيها من الهول والموصول في محل الجزى على أنه نعت للكافرين أو يدل منه أو في محل النصب أو الرفع على الذم وفائدته تخصيص الجزى بالسوء بمن استمر كفره إلى حين الموت ودون من آمن منهم ولو في آخر عمره على الكافرين المستمرين على الكفر إلى أن تتوفاهم الملائكة (ظالمى أنفسهم) أي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لأنفسهم وأي ظلم حيث عر ضواها للعذاب المخلد بدلوا فطر الله تبدلاً (فألقوا السلم) أي فليقولن والعدول إلى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى ويقول أن شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جى بتحقيقاً لما حلق بهم من الجزى على رؤس الاشهاد أي فيسلون ويتركون المشاققة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكينة قائلين (ما كنا نعمل) في الدنيا (من سوء) أي من شرك قالوه متكررين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وإنما عبروا عنه بالسوء اعترافاً بكونه سيئاً لا إنكاراً لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز أن يكون تفسير السلم على أن يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه أين شركائي كافي سورة الانعام لا عن قول أولى العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الجزى والسوء (بلى) رد عليهم من قبل أولى العلم وأثبت لما نقوه أي بلى كنتم تعملون ما تعملون (إن الله علم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أوأاته (فادخلوا أبواب جهنم) أي كل صنف باب به المعدله وقيل أبوابها أصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملازمة والمقاساة (خالدين فيها) أن أريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وإن أريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة (فلبئس عتوى التكبرين) عن التوحيد كما قال تعالى تلوهم متكررة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوابهم فيها والمخصوص بالذم محذوف أي جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بأننا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا روماً للمحافظة على أن لا نكذب ثم يرد الله المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم (وقيل الذين اتقوا) أي المؤمنين وضفوا بالتقوى اشعاراً بأن ماصدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى (ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً) سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تعلم ولا تغيير في الصورة والمعنى أي أنزل خيراً فانه جواب مطابق للسؤال وليس كما لواقع في نفس الامر مضموناً وأما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما خذروا

الجواب عن نهي الحق الواقع الذي ليس له من دافع غير وصورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير
روما لما من من انكار الزول وروى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام المومنين من يأتيهم بخبر النبي عليه السلام فإذا
جاءه الوافد كفه المقتسمون وأمره بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد ان رجعت الى قومي
دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيأتي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين
قالوا خيرا **(الذين أحسنوا)** أي أعمالهم أو فعلوا الاحسان **(في هذه)** الدار **(الديار)** **(الديار)** أي مشيئة فيها **(خير)** مما أوتوا في الدنيا من المشيئة أو خير على الإطلاق فيجوز
استاد الخيرية الى نفس دار الآخرة **(ولنعلم دار المتقين)** أي دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ
مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثواب الدنيا والآخرة فلا محل له
من الاعراب أو بدل من خيرا أو تفسير له أي أنزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قاله ترمذي للائل **(جنت عدن)**
خير مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لم جنت ويحذف أن يكون هو المخصوص بالمدح **(يدخلونها)** صفة
لجنت على تقدير تكثير عدن وكذلك **(تجزي من تحبها الانهار)** أو كلاهما حال على تقدير عيشته **(لم فيها)**
في تلك الجنت **(ما يشاؤون)** الظرف الاول خبر لما والى الثاني حال منه والعامل ما في الاول أو متعلق به أي حاصل لم فيها
ما يشاؤون من أنواع المشيئة وتقديره الاحترار من توفيقه بملئته أو ما مر ارام أن تأخير ما حقه التقديم يوجب
تزيين النفس البهيمية كعدو ووجه على اصل ممكن **(كذلك)** مثل ذلك الجزاء الاول **(يجزي الله المتقين)** اللام
للجنس أي كل من يتق من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى
أو للمهد فيكون فيه تحصيل للكفارة **(الذين توفاهم الملائكة)** نعم للمتقين وقوله تعالى **(طيبين)** أي طاهرين
عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدته الايدان بأن ملك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيقهم
ففيه حس للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبين النفس ببشارة الملائكة بهم بالجنة
أو طيبين بقبحن أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكيفية الى جناب القدس **(يقولون)** حال من الملائكة أي قائلين لهم **(سلام)**
عليكم قال القرطبي رحمه الله اذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله الله
تعالى يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة **(ادخلوا الجنة)** اللام للمهد أي جنت عدن الخ ولذلك جردت عن النعت
والمراد دخولهم لها في وقت فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخي المشر به لا بدخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ
ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة **(بما كنتم تعملون)** بسبب تباكم على التقوى والطاعة أو بالذي
كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفيق للتوفيق لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق **(هل ينظرون)** أي ما ينظر
كفار مكة المارد كرم **(الا أن تأتيهم الملائكة)** لقيض أرواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشأن بينهم وبين
انتظاره لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لما شرهم لاسبابه الموجبة له المؤدية اليه فكأنهم يقصدون آتيانه
ويتصدون لوروده وقرى **(بتذكير الفعل)** أو باقي أمر ربك **(العرض)** لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه
الصلوة والسلام اشعار بأن آتيانه لطف به عليه الصلاة والسلام وان كان عذابا عليهم والمراد بالآلام العذاب الديني لا
القيامة لكن لا لان انتظارها يجمع انتظار آتيان الملائكة فلا يلائمه العطف بأولاهم ليست نصافي العناد ان يجوز أن يعتبر
منع الخلو ويراد بآيها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى في آياتي ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
فأصابهم الآفة صريح في أن المراد به ما أصابهم من العذاب الديني **(كذلك)** أي مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم

والتكذيب والاستهزاء **(فعل الذين)** خلوا **(من قبلهم)** من الامم **(وما ظلمهم الله)** بما سبيل من عذابهم
(ولكن كانوا) بما كانوا مستعمرين عليه من القبايح الموجبة لذلك **(أنفسهم يظلمون)** كلنا الظاهر أن يقال ولكن
كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه أوثر ما عليه النظم الكريم لا فائدة أن غائلة ظلمهم آية اليوم وعاقبته مقصورة
عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل أحد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقدم تحقيقه في سورة
يونس **(فأصابهم)** عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان أن فعلهم ذلك ظلم لانفسهم
(سينات ما عملوا) أي أجزية أعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه أيذا بافظاعه لا على حذف المضاف
فانه يوم أن لم أعمالا غير سيئاتهم **(وحاق بهم)** أي أحاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو أبغ من الاصابة
وأفزع **(ما كانوا به يستهزئون)** من العذاب **(وقال الذين أشركوا)** أي أهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم هو المدول
عن الاخبار الى الموصول التقرير بمما في حيز الصلة وذمهم بذلك من أول الامر **(لوشاء الله)** ما بعدنا من دونه من
شيء **(أي لوشاء)** عدم عبادتنا شيء غيره كما تقول لمساعدنا ذلك **(نحن ولا آبائنا)** الذين نفتدى بهم في ديننا
(ولا حرمنا من دونه من شيء) من السوابب والبيئات وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا بالرسول عليه الصلاة والسلام
وطعن في الرسالة استمسكين بأن ما شاء الله تعالى يجب ومالم يشأ ينتفع فلو أنه شاء أن نوحده ولا لنشره شيئا ولا نحرّم
بما حرمنا شيئا كما يقول الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكن الامر كما شأنا من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعها
وحيث لم يكن كذلك ثبت أنه لم يشأ شيئا من ذلك وانما بقوله الرسل من تلقا أنفسهم فاجب عنه بقوله عز وجل
(كذلك) أي مثل ذلك الفعل الشنيع **(فعل الذين من قبلهم)** من الامم أي أشركوا بالله وحرّموا حله وردوا
رسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم على الخطأ وهدوهم الى الحق **(فعل على الرسل)** الذين يبلغون رسالات الله وعزام
أمره ونهي **(الا البلاغ المبين)** أي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا أو موحها وبأبسط طرق الحق واظهار
أحكام الوحي الذي من جملة ما تحت تعلق مشيئة الله تعالى باختياره من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق بقوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا وأما الجاهل الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شأوا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس
ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور أمر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حجة الرسل
أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من أفعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه
من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطرابا بين قائلنا لتعليل
كانه قيل كذلك فعل أسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الا تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيها لا تحقيق مضمونها
وأمرها **(موسى)** الناس قسرا **(والطاهر)** وأراد كلمة على للائذان بأنهم في ذلك أمرورون وأنما يبلغون بحق الناس عليهم
إيفاءه وبهذا ظهر أن حمل قولهم لوشاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى أعلم بالصواب **(ولقد بعثنا)**
في كل أمة رسولا **(تحقيق)** لكيفية تعلق مشيئته تعالى بأفعال العباد بعد بيان أن الاجابة ليس من وظائف الرسالة ولا
من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لم أي بعثنا في كل أمة من الامم الخالية
رسولا خاصا بهم **(أن اعبدوا الله)** يجوز أن تكون أن مفسرة لما في البحث من معنى القول وأن تكون مصدرية
أي بعثنا بأن اعبدوا الله وحده **(واجتنبوا الطاغوت)** هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة **(فهم)** أي من
تلك الامم والفاء فضيحة أي بلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت ففرقوا فهم **(من)**
هدى الله الي الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله **(ومنهم)**

من حقت عليه الضلالة) أى وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراؤه عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بأن ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه الا بطريق القسر والالجام حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده (فسيروا) يا معشر قريش (في الارض فانظروا) في أكتافها (كيف كان عاقبة المكذبين) من عادوهم ومن سار سيرتهم عن حقت عليه الضلالة لعلكم تتعبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايمان بأنه غنى عن البيان وأن ليس الخير كالبيان وترتيب النظر على السير لما أنه بعده وأن ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعال بأنه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء (ان محرص) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرى بفتح الراء وهى لفية (على هدام) أى ان تطلب هدايتهم بجهلك (فان الله لا يهدي من يضل) أى فاعلم أنه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يتخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وإنما وضع الموصول موضع الضمير لتخصيص على أنهم من حقت عليه الضلالة وللإشعار ببعده الحكم ويجوز أن يكون المذكور علة للجزاء المحذوف أى ان محرص على هدام فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضل وهو لا من جعلهم وقرى لا يهدي على بنا المفعول أى لا يقدر أحد على هداية من يضل الله تعالى وقرى لا يهدي بفتح الهاء واذا غام تا يهتدى فى الدال ويجوز أن يكون يهتدى بمعنى يهتدى وقرى يضل بفتح اليا وقرى لا هادى لمن يضل ولمن أضل (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم في الهداية أو يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضى انقسام الاحاد الى الاحاد لأن المراد فى طائفة من الناصرين من كل منهم (وأقسموا بالله) شروع في بيان فن آخر من أباطيلهم وهو انكارهم البعث (جهدا يمانهم) مصدر في موقع الحال أى جاهدين في إيمانهم (لا يبعث الله من يمت) ولقد رد الله تعالى عليهم أبلغ رد بقوله الحق (بلى) أى بلى يبعثهم (وعدا) مصدر مؤكدا لعل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه أو المحذوف أى وعد بذلك وعدا (عليه) صفة لوعد أى وعدا تابعا عليه المجازة لاستماع الخلف في وعده أو لأن البعث من مقتضيات الحكمة (حقا) صفة أخرى له أو نصب على المصدرية أى حق حقا (ولكن أكثر الناس) لجهلهم بشؤون الله عز شأنه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وما لا يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوعهم على التكوين والغاية القصوى منه وعلى أن البعث مما يختص بالحكمة التي جرت عادته سبحانه بمرأعها (لا يعلمون) أنه يبعثهم فيبتون القول بعدمه وأنه وعد عليه حق فيمكنونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الأساطير الاولين (ليبين لهم) غاية لمسائل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذا التين بهم المؤمنين أيضا فانهم وان كانوا الظالمين بذلك لكنه عندما يتحفظه الحال ينصح الامر بفصل عليهم الى مرتبة عيان اليقين أى يبعثهم ليبين لهم بذلك وما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشأن (الذين يخفون فيه) من الحق المتخلف بجمع ما خافوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا أولا (وليعلم الذين كفروا) بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق (أنهم كانوا كاذبين) في كل ما يقولون لاسيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبر عن الحق بالموصول للدلالة على نفاخته وللإشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتيين وما عطف عليه وجعلها ماقاة للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وإبطال مقالة المعتادين المستدعى للتعرض لما يرددهم عن مخالفة

ويعتبرهم الى الاذعان لاحق فان الكفرة اذا علموا أن تحقيق البعث اذا كان لتيين أنه حق ولعلوا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك أجزأهم عن انكاره وأدعى الى الاعتراف به ضرورة أنه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر أنك تصل لأصليين رغبا لانفك واظهارا لكذبك ولأن تكرار الغايات أدل على وقوع الفعل المتغايها والا فالغاية الأصلية للبعث باعتبار ذاته إنما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المتغايها بمرقته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرره كرمقته واضمحأه وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بأن يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جى بصيغة العلم لأن ذلك ليس بمسأله يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مهما قبل ذلك بأن يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نعلق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كاذب الكافرين فليس من هذا القبيل فما يتعلق به علم ضرورى حاصل لهم من قبل أنفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يقين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل ولعلوا أن الكافرين الآية لأن علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك أيضا (انما قولنا) استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابدأ واعادة بعد التيه على انية البعث ومنه يظهر كفيته فالكافة وقولنا مبتدأ وقوله (لشيء) أى أى شيء كان مساعره وهان متعلق به على أن اللام للتبليغ كفى في قولك قتلته ثم قيام وجعلها الزاج سببية أى لأجل شيء وليس بواضح والتعبر عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لأنه كان شيئا قبل ذلك (اذا أردناه) ظرف لقلنا أى وقت ارادتنا لوجوده (أن نقول له كن) خبر للبتدأ (فيكون) اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام أى فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب شرط عذوف أى فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه أحد المخالين اما خطاب المدعوم أو تحصيل الحاصل أو يقال انما يستدعيه انحصار قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار أسباب التكوين فيه كما يفيد قوله تعالى انما أمرا اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تحليل لسبولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير سرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لامر الامر المطاع فالمعنى انما إلهادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب أن يعبر عن مطلق الابداء بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه المقول والالباب وقرى ينصب يكون عطفا على نقول أو تشبيها له بجواب الأمر (والذين هاجروا في الله) أى في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه ولووجه (من بعد ما ظلموا) ولعلمهم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم يراهم الله تعالى المدينة حسبا وعد بقوله سبحانه (لنبيئهم في الدنيا حسنة) أى ما تحسنه أوتيتوه حسنة كما قال قتادة وهو الانسب بما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية وأما ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنها نزلت في صيب وبلال وعمار وخباب وعائس وجبير وأبي جندل بن سهل أخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فأما صيب فقال لهم أنا رجل كبيران كنت معكم لم أنفكم وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه قال ربح البيع يا صيب وقال عمر رضى الله عنه نعم العبد صيب لولم يخف الله لم يبعه فانما يناسب ما حكى عن الأصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلناه عنه من نزول الآية في أصحاب المهاجرين على أن يكون نزولها بالمدينة بين المهاجرين وأما جعل

رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعلتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرى لشؤنهم ومعناه إثبات حجة أولئذونهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب قاطبة وأهل الشرق والغرب كافة **(ولا جبر الآخرة)** أي أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة **(أصكر)** مما يجعل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاءً قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة أفضل **(لو كانوا يعلمون)** الضمير للكفار أي لو علموا أن الله تعالى يجمع هؤلاء المهاجرين خير الدارين لو افقوا في الدين وقيل للمهاجرين أي لو علموا ذلك لبادوا في الاجتهاد وأولئك تألموا لما أصابهم من المهاجرة وشدا تدها **(الذين صبروا)** على الشدائد من أذى الكفار ومفارقة الأهل والوطن وغير ذلك وعمله نصب أو الرفع على المدح **(وعلى ربهم)** خاصة **(يتوكلون)** منقطعين إليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين إليه الأمر كله والجملة أمام معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل أحوال من ضمير صبروا **(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم)** وقرى: بالياء مبنياً بالفعل وهو رد لقريش حين قالوا أنه أجل من أن يكون له رسول من البشر كما هو معنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ أي جرت السنة الإلهية حسب اقتضت الحكمة بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشراً يوحي إليهم بواسطة الملك أو امره ونواحيه لينبئوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب إليهم فقول **(فأسئلوا أهل الذكر)** أي أهل الكتاب أو علماء الأخبار أو كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموا ذلك **(إن كنتم لاتعلمون)** حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على أنه لم يرسل للدعوة العامة ملكاً وقوله تعالى جاعل للملائكة رسلاً مما نزل إلى الملائكة أو إلى الرسل ولا امرأة ولا صبياً ولا ينافيه نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو في المبدأ لأهم من الرسالة وإشارة إلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم **(بالبينات والزبر)** بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدور وقع جواباً عن سؤال من قال لم يرسلوا فقول أرسلوا بالبينات والزبر أي بما أرسلنا داخل تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوز أي ما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيداً بالسوط أو على نية التقديم قبل أداة الاستثناء أي ما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً عند من يجوز تأخر صلة ما قبل إلى ما بعده أو بما وقع صفة للسبب أي الرجال ملتبسين بالبينات أو بنوحى على المفعولية أو الحالية من القائم مقام فاعل يوحى وهو الهم على أن قوله تعالى فأسئلوا اعتراض أو بقوله لاتعلمون على أن الشرط للتبكي كقول الجاهل إن كنت عملت لك فأعطيت حتى **(وأنزّلنا إليك الذكر)** أي القرآن وإنما سمى به لأنه تذكير وتنبيه للمنافقين **(لتبين للناس)** كافة ويدخل فيهم أهل مكة دخولا أولاً **(مازل الهم)** في ذلك الذكر من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال القرون المملوكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بياناً شافياً كما ينبغي عنه صيغة التفعيل في الفعلين لاسيما بعد ورود الثاني أولاً على صيغة الأفعال ولما أن التبيين أهم من التصريح بالمقصود ومن الإرشاد إلى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الإطلاق سواء كان في الأحكام الشرعية أو غيرها ولعل قوله عز وجل **(ولعلمهم يتفكرون)** إشارة إلى ذلك أي إرادة أن تأملوا فيتبينوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي إلى مثل ما أصاب الأولين من العذاب **(فأمن الذين مكروا السيئات)** هم أهل مكة الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صدها به عن الإيمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الأنبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما أن المراد تحذير هؤلاء عن إصابة مثل ما أصاب أولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات تمت لمصدر مخدوف أي مكروا المكورات السيئات

التي قصت عنهم أو مفعول به للفعل المذكور على تنصيصه معنى العمل أي عملوا السيئات فقوله تعالى **(أن ينصف الله بهم الأرض)** مفعول لأن أو السيئات حصة لها هو المفعول أي فأمن المساكين العقوبات السيئة وقوله أن ينصف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاة للعطف على مقدر ينصف عليه النظم الكريم أي أنزلنا إليك الذكريات لم يضمنه الله الذي من جلته أنباء الأمم المملوكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات أن ينصف الله بهم الأرض كما فعل بقارون على توجيحه الإنكار إلى المعطوفين مما أو أنفكروا فأمنوا على توجيحه إلى المعطوف على أن الأمن بعد التفكير مما لا يكدأ يفعله أحد وقيل هو عطف على مقدر بني عنه الصلة أي أكر فأمن الذين مكروا الخ **(أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون)** بآياته أي في حالة غفلتهم أو من مأسهم أو من حيث يرجون آياتاً ما يشعرون كما حكى في سالف مما نزل بالمساكين **(أو يأخذهم في تقلبهم)** أي في حالة تقلبهم في مساكنهم ومتاجرهم **(فهاهم يعجزون)** بممتمتين أو فأتين بالهرب والفرار على ما يورثهم حال التقلب والسير والفاء أما لتلحيل الاختلاف أو لترتيب عدم الانحياز عليه دلالة على شدته وقضاة حسناً قال عليه السلام إن الله لم يخلق لشيء إلا أخذ له ثم يتركه وإراد الجلة الاسمى للدلالة على دوام النفي لأنني الدوام **(أو يأخذهم على تخوف)** أي عطفه وحذر عن الملاك والعذاب بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا يأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا القلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن إصابة العذاب فيهما بالإخذ وعن أصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالانتيان وقيل التخوف التقصص قال قائلهم

تخوف الرجل منها تامكاً قدراً كما تخوف عود النبعة السفن

أي يأخذهم على أن ينقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الأحوال الثلاث بيان قدرة الله سبحانه على اهلاكهم بأي وجه كان لا المحصر فيها **(فانزّلهم كف زحفهم)** حيث لا يعالجكم بالعقوبة وعلم عنكم مع استحقاقكم لها **(أولم يروا)** استهزام إنكارى وقرى: على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألم ينظروا ولم يروا متوجحين **(إلى ما خلق الله من شيء)** أي من كل شيء **(يتفوق ظلاله)** أي يرجع شيئاً فشيئاً حسباً يقتضيه إرادة الخالق تعالى فإن التفوق سطوع الأفاة وقرى: بتأنيث الفعل **(عن العيين والشياطين)** أي لم يروا الأشياء التي لها ظلال متفوقة عن أعينها وشياطينها أي عن جاني كل واحد منها استعير لها ذلك من بين الإنسان وشيئاً **(سجد الله)** حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والأصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأنيها لإرادته تعالى في الامتداد والتفاضل وغيرهما غير متمتعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى **(وهم داخرون)** أي صاغرون متقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وإيراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما أن الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها فإنها كل يوم من أيام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم متفاداً لمسارها من النقيض أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال أن استحبابها من الاحرام داخراً متفاداً لحكمه تعالى ووصفها بالدخور ومن عن وصف ظلالها به أو كلاهما حال من الضمير المشار إليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها متفاداً لله تعالى داخراً فوصفها بهما معنى عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الاجادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها أثر سوى النقيض بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها أو اختلاف مشارقها ومغاربها وأما الحيوان فظله يتحرك بتحريكه وقيل المراد بالحيوان والشياطين بين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب منه تظهر أخذت في الارتفاع والسطوع وشماله هو جانبه الغربي المقابل له فإن الظلال في أول النهار تبتدى من الشرق واقعة على الربع

الغربي من الارض وعند الزوال تبتدى من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ما بين سجد الظلال وأصحابها من الاجرام السفلية التابعة في أخبارها ودخولها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجد المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال أو لا قيل **﴿وَنَسْجِدْ﴾** أي له تعالى وحده يتخضع وينقاد لآلهة غيره استقلالاً أو اشتراكاً فالقصر يتخطم القلب والافراد الا أن الانسب بحال مخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين **﴿مافي السموات﴾** قاطبة **﴿ومافي الارض﴾** كأننا ما كان **﴿من دابة﴾** بيان لما في الارض وتقديمه لقائه وإثلا يقع بين المئين والمئين فصل والافراد مع أن المراد الجمع لقادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال مثله **﴿والملائكة﴾** عطف على مافي السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيماً واجلالاً أو على أن يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح أو يراد به ملائكة السموات وقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم **﴿وم﴾** أي الملائكة مع علو شأنهم **﴿لا يستكبرون﴾** عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجللة اما حال من ضمير الفاعل في يسجد مستند الى الملائكة أو استئناف خبر عنهم بذلك **﴿يتخافون ربهم﴾** أي مالك أمرهم وفيه تربية للهبة واشعار بعلو الحكم **﴿من فوقهم﴾** أي يخافونه جل وعلا خوف هبة واجلال وهو فوقهم بالقصر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده أو يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم والجللة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقدير لأن من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته **﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾** أي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وإيراد الفعل مبنياً للفعل جري على سنن الجلالة وإيدان بصدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره سبحانه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين أن جميع الموجودات ينحسون الخضوع والانقياد للطبع وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد أصلاً لله عز وجل أردف ذلك بحكاية نبيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشرار قيل **﴿وقال الله﴾** عطفاً على قوله **﴿وَنَسْجِدْ﴾** وإظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر الإيدان بأنه متعين الاولية وإنما المنهى عنه هو الاشرار به لا أن المنهى عنه مطلق اتحاد الهين بحيث يتحقق الاتهام بغيره أيهما كان أي قال تعالى لجمع المكلفين **﴿لا تتخذوا الهين اثنين﴾** وانما ذكر العدد مع أن صفة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على أن مساق النبي هي الانذبة وانما تنافية للالهية كما أن وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى **﴿انما هو الله واحد﴾** للدلالة على أن المقصود اثبات الوجدانية وأنها من لوازم الالهية وأما الالهية فأمر مسلم الثبوت له سبحانه واليه أشير حيث أسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على رأي من اكتفى في تحقيق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه **﴿فاياي فارهبون﴾** التفات من الغيبة الى التكلم لتربية الهبة وإثبات الرجاء في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل أي أن كنتم راهبين شيئاً فإياي ارهبوا فارهبون لا غير فإني ذلك الواحد الذي يسجد له مافي السموات والارض **﴿وله مافي السموات والارض﴾** خلقاً وملاكاً تقرير لعله انقياد ما فيها له سبحانه وخاصة لتحقيق اختصاص الهبة به تعالى وتقديم الطرف لتقوية مافي اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى **﴿وله الدين﴾** أي الطاعة والانقياد **﴿واصبا﴾** أي واجبا تانياً لازوالاً لما تقرر أنه الاله وحده الحقيقي بأن يرهب وقيل واصبا من الوصب أي وله الدين ذاك لفظه وقيل الدين الجزء أي وله الجزء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعفاه لمن كفر **﴿أفغير الله تتقون﴾** الهمة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق أي أعقب تقرر الشئون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى وثون ذلك كله ونهيه

عن اتخاذ الاتعداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شأنه ما ذكر تتقون فقطيعون **﴿وما بكم﴾** أي أي شيء يلايسكم ويصاحبكم **﴿من نعمة﴾** أية نعمة كانت **﴿فمن الله﴾** فهي من الله فإشارة لشرطه أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاختيار دون الحصول فإن ملايصة النعمة بهم سبب للاخبار بأنها منه تعالى لا كونها منه تعالى **﴿ثم اذا مكتمن الضر﴾** ساساً يسيراً **﴿فاليه تجأرون﴾** تنصرون في كشفه لآله غيره والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى

يراوح من صلوات الملبسك طورا وسجوداً وطورا وجواراً

وقرى تجرون بطرح الهمة والفاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنى عن أدنى اصابة وإيراده بالجللة الفعلية المعربة عن الحدث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتعليق الضرب بلام الجنس المفيدة لمساس أدنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع إيراد النعمة بالجللة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملايستها للمخاطبين بيا صاحبة وإيراد ما للعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفضامة ولعل إيراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب **﴿ثم اذا كشف الضر عنكم﴾** وقرى كشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تسامى زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترب عليه من مفاجأة الاشرار المدلول عليها بقوله سبحانه **﴿اذا فريق منك يركبون﴾** فان ترتبها على ذلك في أبعاد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعاً فمن التبعيض والغريق فريق الكفرة وان وجهه الى الكفرة فمن اللبان كأنه قيل اذا فريق كافروهم أتم وجودهم أن يكون فيهم من اعتبر وازجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فاتهم مقتصد في تبعيضه أيضاً والتعرض لوصف الربوبية للإيدان بكامل قبس ما ركبوه من الاشرار والكفران **﴿ليكفروا بما آتاهم﴾** من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل **﴿فضموا﴾** أمر تهديد والالتفات الى الخطايا للإيدان بتلوي السخط وقرى بالياء مبنياً للفعل عطفاً على ليكفروا على أن يكون كفران النعمة والتعنص عر ضالم من الاشرار ويجوز أن يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد **﴿فسوف تعلمون﴾** عاقبة أمرهم وما يؤول بهم من العذاب وفيه وعيد أكد مني عن أخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعاراً بأنه ما لا يوصف **﴿ويجعلون﴾** لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى فعدداً لجناياتهم أي يفعلون ما يفعلون من الجوار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشرار به عند كشفه ويجعلون **﴿لما لا يعلمون﴾** أي لما لا يعلمون حقيقة وقدره الخسيس من المخادات التي تتخذونها شركاً لله سبحانه جهالة وسفاهة ويؤمنون أنها تفهم وتنفع لهم على أن ما هو موصولة والمائد اليها عطف أولها لا علم له أصلاً وليس من شأنه ذلك فإشارة موصولة أيضاً والمائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن أفعالهم التي وصفوها بصفات العقلاء أو مصدرية واللام للتعليل أي لعدم علمهم والمجموع له عندوف العلم بمكانه **﴿نصيباً مما رزقناهم﴾** من الزرع والانعام وغيرهما تقرباً اليها **﴿فإنه لتسألن﴾** سؤال توبيخ وتقرع **﴿عما كنتم تكفرون﴾** في الدنيا بأنها آله حقيقة بأن يتقرب اليها وفي تصدير اجللة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنى عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى **﴿ويجعلون لله البنات﴾** هم خرافة وكثانة الذين يقولون الملائكة بنات الله **﴿سبحانه﴾** تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك أو تعجب من جرأتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة **﴿ولهم ما يشتهون﴾** من البنين وما رفوعة المحل على أنه مبتدأ والطرف المتقدم خبره والجللة حالية وسبحانه اعتراض في حاق موقفه وجعلها منصوبة بالانطاف على

النبات أى يجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البتين يؤدى الى جعل الجعل بمعنى يعزم والاختيار (واذا بشر أحدكم بالآتي) أى أخبر بولادتها (خل وجهه) أى صار أو دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياة من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاحتام والتشويش (وهو كظلم) مثل حنقا وغطا (يتوارى) أى يستخفى (من القوم من سوء ما يشرب به) من أجل سوءه والتعبير عنها بما لا سقاطها عن درجة العقلاء (أيمسكه) أى مقردا في أمره محدثا نفسه في شأنه أيمسكه (على هون) ذل وقرى هوان (أم يدسه) يخفيه (في التراب) بالوأة والتذكير باعتبار لفظ ما وقرى بالتأنيث (الأسا) ما يحكون (حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الطون والحجارة لله تعالى عن صاحبة الولد والحال أنهم يتحاشون عنه ويتخارون لأنفسهم البتين فدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع أبائهم إياه لاجعلهم البتين لأنفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز أن يكون مداره التعكيس لقوله تعالى تلك اذا قسمة خزيري (الذين لا يؤمنون بالآخرة) من ذكرت قبائحهم (مثل سوء) صفة السوء الذي هو كالمل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامه عند موتهم وإثبات الذكور للاستظهار بهم وأد البنات لدفع العار وخفية الإمداد المندى كل ذلك بالهجن والقصور والاضمح البائع وضع الموصل موضع الضمير للاشعار بأن مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة (و الله) سبحانه وتعالى (المثل الأعلى) أى الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في الملو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجلود الواسع والزهانة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه وعلا كبريا (وهو العزيز) المحرر بكل الشدة لا يستأجل مؤخرتهم بذنوبهم (الحكيم) الذي يجعل كل ما يفعل يقتضى الحكمة البالغة وهذا أيضا من جملة صفاته العجيبة تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم التي من جعلها ماعدا من قبائحهم وهذا تصرع بما أغاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وإيذان بأن ما أتوه من القبائح قد تناهى الى أمدا غاية وراهم (ماترك عليها) على الأرض المدلول عليها بالناس ويقول له تعالى (من دابة) أى ماترك عليها شيئا من دابة قط بل أهلكها بالمرء بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصين الذين ظلموا حكم خاصة وعن أى هرة رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضمر لنفسه فقال بل والله حتى ان الجبارى تموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذهب ابن آدم أو من دابة ظلمة وقيل لو أهلك الآباء لم يكن الابناء فليزم أن لا يكون في الأرض دابة لما أنها مخلوقة لنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا (ولكن) لا يؤاخذهم بذلك بل (يؤخرهم الى أجل مسمى) لا عمارهم ولعذابهم كي يتوالدوا أو يكثروا عذابهم (فاذا جاء أجلهم) المسمى (لا يستأخرون) عن ذلك الاجل أى لا يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن منع طلبهم (ساعة) ففة وهي مثل في قلة المدة (ولا يستقدمون) أى لا يتقدمون واتما تعرض لذكره مع أنه لا يتصور الاستقدام عند مجيئ الاجل مبالغة في بيان عدم الاستغناء بنظمه في سلك ما يمنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع أنه لا توبة له رأسا قد نظم في سخط من لم تقبل توبته للابذان بأنها سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس (ويجعلون لله) أى يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم (ما يكرهون) لأنفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تنبيه للقرع وتوطئة لقوله تعالى (وتصف استهم الكذب) أى يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف استهم الكذب وهو (أن لهم الحسنى) العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي لن أتبعه الحسنى وقرى الكذب وهو جمع الكذوب على أنه صفة الألسنة (لاجرم) رد لكلامهم ذلك

واقبات لتقضيته أى حقا (أن لهم) مكان ما أملوا من الحسنى (النار) التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم في السوائى (وأنتهم مفرطون) أى مقدمون اليها من أفرطته أى قدمته في طلب الماء وقيل منسبون من أفرطت فلانا خلقا اذا خلطته ونسبته وقرى بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفریط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكونان حينئذ من أحوالهم الاخرى كما عطف عليه (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعد لهم على ذلك أى أرسلنا اليهم رسلا فدعهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك (فزين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة فكشفوا عنها ما صيرن (فهو وليهم) أى قرينهم وبس القرين (اليوم) أى يوم زين لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية أو في الدنيا أو يوم القيامة على طريق حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولى يمتد الى الناصر أى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غير مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز أن يكون الضمير عادى الى مشركي قريش والمدة في زمن الامم السابقة لأعمالهم فهو لى هؤلاء لانهم منهم وأن يكون على حذف المضاف أى لى مثلهم (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (الا بالبين) استثناء مفرغ من أعمالهم أى ما أولئك عليك لغة من العال الاتيين (لهم) أى الناس (التي اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر واحكام الافعال وأحوال المعاد (وهدى ورحمة) معطوفان على عمل التبيين أى للهداية والرحمة (القوم يؤمنون) وانما انتدبوا لكونهم أئمة على فعل المعلى بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لنقدان شرطه ولعل تقديمه عليها لتقدمه في الوجود وتخصيص كونها هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المستعملون آثاره (والله أنزل من السماء) من السحاب أو من جانب السماء حجابا وهذا تكرير لما سبق تأكيذا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من أدلة التوحيد (ما) نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديمه الجور على المنسوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فأجيب به الأرض بما أنبت به فيها من أنواع النباتات (بعد موتها) أى بعد يبسا وما يفيد الفاء من التعقيب المعادى لا يتأنيده ما بين المعطوفين من المبالغة (ان في ذلك) أى في انزال الماء من السماء وإحياء الأرض الميتة به (آية) وآية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسمعون) هذا التذكير ونظائره سماح تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك أصم (وان لكم في الانعام لعبرة) عظيمة وأى عبرة تحارفي دركها العقول وتنبه في فهمها ألباب الفحول (نسيكم) استنفا لبيان ما إليهم أولا من العبرة (بما في بطونهم) أى بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سبيوه في المفردات المبنيه على أفعال كالكباش وأخلاق كما أن تأنيثه في سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير لبعض فان الذين ليس بيمين أوله على المعنى فان المراد به الجلس وقرى بفتح النون هينا وفي سورة المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا) الفرث فضلة ما يبق من العلف في الكرش المنهضة بعض الانضمام وكثيف ما يبق في المعاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان البهيسة اذا اختلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما ولعل المراد به أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذي يفقد البدن لان عدم تكوينها في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث أخلاطا أربعة معها مائة فخير القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المراتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز العليم ثم ان كان الحيوان أثم زاد أخلاطا على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا لاجل الجنين الى

فما رزقناكم فأنتم فيه سواء الآية (أفنتعمة الله فيجدون) حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضى أن يصيغوا نعم الله سبحانه الفاتحة عليهم الى شركائهم ويحمدوا كونها من عند الله تعالى أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجة البالغة بعد ما أنعم الله بها عليهم والباء لتضمنين الجحود معنى الكفر نحو ويحمدوا بها والفاء للعطف على مقدروى داخله فى المعنى على الفعل أى أشركون به فيجدون نعمته وقرئ فيجدون على الخطاب أو ليس المولى برادى رزقهم على مسالكهم بل أنا الذى أوزقهم وإياهم فلا يحسبوا أنهم يعطونهم شيئا وإنما هو رزق أجريه على أيديهم فهم جميعا فى ذلك سواء لامية لهم على مسالكهم ألا يفهمون ذلك فيجدون نعمته الله فهو رد على زعم المفضلين أو على فعلهم المؤذن بذلك أو ما المفضلون برادى بعض فضلهم على مسالكهم فيقتسوا وفى ذلك جميعا مع أن التفضيل ليس الا ليأومهم أشكروا أم يكفروا ألا يعرفون ذلك فيجدون نعمته الله تعالى كأنه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن أى ذرى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنما هم أخوانكم فكمسومهم بما تلبسون وأطعموهم بما تطعمون فما رزقى عبده بعد ذلك الا وراؤه رداؤه وأزاره أزاره من غير تفاوت (والله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) لأنسوا بها وتقسوا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام (وجعل لكم من أزواجكم) وضع الظاهر موضع المضمر للايدان بأن المراد جعل لكل منكم من زوجة لا من زوج غيره (بنين) وبأن نتيجة الأزواج هو التوالد (وحفدة) جمع حافد وهو الذى يسرع فى الخدمة والطاعة ومنه قول القائل واليك نسعى ونخفد أى جعل لكم خدما يسرعون فى خدمتكم وطاعتكم فليل المراد بهم أولاد الأولاد وقيل البنات عبر عنهم بذلك أيضا لانهما جاءا فى قوله تعالى من بعدكم وقيل أولادهم أو لا ما لم أقم الراجح الأول وقيل البنات والمطلوب للاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المصوب عن الموصوفين عن الجهر والمسا من التشويق وتقديم الجهر واللام على الجهر ومن الإيقان من أول الامر يعود متغصا لجعل اليهم أمدا للتشويق وتقوية له أى جعل لمصلحتكم مما يناسبكم أزواجا وجعل لمصنعكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة (ورزقكم من الطيبات) من اللذات أو من الحلاوات ومن التخصيص الممزوق فى الدنيا أعوض شيئا فى الآخرة (أفيا ليطل يومنون) وهو أن الاصنام تفهم وأن الحيوات ونحوها حرام والفاء فى المعنى داخل على الفعل وهو العطف على مقدر أى يكفرون بالله الذى شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أو أريد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه (وبنعمته الله) تعالى الفاتحة عليهم مما ذكر وما لا يحيط به دائرة البيان (هم يكفرون) حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام أو لايهام الاختصاص مبالغة أو لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايدان باستحباب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه (ويعبدون من دون الله) لعله عطف على يكفرون داخل تحت الإنكار التوبيخى أى يكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه (مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا) ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولة منه أى مالا يقدر على أن يرزقهم شيئا لانه السموات مطر أو لانه الأرض نباتا وأن جعل اسم الرزق وقصص على البديلة منه بمعنى قليلا ومن السموات والأرض حصة لرقا أى كانتا منهما ويجوز كونه تأكيدا لا يملك أى لا يملك رزقا ما شيئا من الملك (ولا يستطيعون) أن يملكوه اذ لا استطاعتهم رأسا لانها موات لا حراك بها فاضمير الالهة ويجوز أن يكون للكفرة على معنى أنهم مع كونهم أحياء متصرفين فى الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجناد الذى لا حس به (فلا تضربوا الله الامثال)

التفات الى الخطاب الايدان بالاعتناء بشأن النبى أى لا تتركوا به شيئا والتعريف عن ذلك بضرب المثل للتصديق الى النبى عن الاشراك به تعالى فى شأن من الشون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة أى لا تشبهوا بشأنه تعالى شأننا من الشون واللام مثلاً فى قوله تعالى ضرب الله مثلا الذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لامثلا فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية وظأئره والفاء للدلالة على ترتيب النبى على ما عدد من النعم الفاتحة عليهم من جهة سبحانه وكون ما يشركون به تعالى معزل من أن يملك لهم من أقطار السموات والأرض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل فى الرزق ونعمة الأزواج والأولاد (ان الله يعلم) تحليل للنبى المذكور وعيد على المنهى عنه أى أنه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تدرئون وأنه فى غاية العظم والتعجب (وأنتم لا تعلمون) ذلك والا لما فعلتموه وأنه تعالى يعلم كنه الاشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا وأياكم وقفوا مواقف الامثال لمساو رذيلكم من الامر والنهى ويجوز أن يراد فلا تضربوا الله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وأنتم لا تعلمون ذلك فتعجبون فيها فتعجبون فيه من مهابوى الردى والضلال ثم عليهم كيفية ضرب الامثال فى هذا الباب فقال (ضرب الله مثلا) أى ذكر وأورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنباه عز وجل وبين ما أشركوا به وعلى تباعد ما بحيث يادى بفساد ما تركوه نداء جليا (عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) بدل من مثلاً وتفسيره والمثل فى الحقيقة حاله العارضة لمن المملوكة والعجز التام وبسببها ضرب نفسه مثلاً وصف العبد بالمساو كالتعجب عن الحر لا شرا كما فى كونهما عبادان لله سبحانه وقد ادج فيه أن الكل عبيده تعالى وبعدم القدرة تمييزه عن المكاتب والمأذون الذين لما تصرف فى الجملة وفى ايهام المثل أو لانه يانه بما ذكر مالا يخفى من الفخامة والجلالة (ومن رزقاه) من موصوفة معطوفة على عبدا أى رزقاه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالى ضرب المثل والرزق (منا) من جانبنا الكبير المتعالى (رزقا حسنا) حالاً طيباً أو مستحسناً عند الناس مرضياً (فهو ينطق منه) تفضيلاً واحساناً والفاء لترتيب الاتفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقاه منا رزقا حسنا فأنطق وايدار ما عليه النظم الكريم عن الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الاتفاق واستمراره التجددى (سرا وجهراً) أى حال السر والجهر أو اتفاق سر واتفاق جهر والمراد بيان عموم اتفاقه للاقول وشمول انعامه لمن يحتجب عن قوله جبراً والاشارة الى اصفاف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايدان بفضل عليه والعدول عن تطبيق القرينين بأن يقال وحراً مالكا لالاموال مع كونه أدل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بأن الأحرار أيضا تحت رقة عبوديته سبحانه وتعالى وأن مالكتهم لما يملكونه ليست الا بأن يرزقهم الله تعالى إياه من غير أن يكون لهم مدخل فى ذلك مع محاولة المبالغة فى الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجاه ومالك الملك خلاق العالمين (هل يستون) جمع الضمير للايدان بأن المراد بما ذكر من انصف بالواصف المذكورة من الجنسيتين المذكورين لافراد معينين منهما أى هل يستوى العبيد والأحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع أن الفرقين سيان فى البشرية والخلقية لله سبحانه وأن ما ينطقه الأحرار ليس بما لم يدخل فى عبادته ولا فى تملكه له هو مما أعطاه الله تعالى إياهم حيث لم يستوا الفرقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به مالا دليل أدل منه وهو الاصنام (الخد لله) أى كله لانه مولى جميع النعم لا يستحق أحد غيره وإن ظهرت على أيدي بعض الوسايط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من أن ما يظهر على يد من ينطق بما ذكر واجمع الى الله سبحانه كالوجه قوله تعالى رزقاه (بل أكثرهم لا يعلمون) ما ذكر فيضيفون نعمته تعالى الى غيره

و يعبدونه لاجلها ونفى العلم عن أكثرهم للاشعار بأن بعضهم يعبدون ذلك وإنما لا يعلمون بوجهه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمته الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴿ وضرب الله مثلا ﴾ أي مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه أوضح وأظهر وبعد ما أبهم ذلك لتعظير النفس الى وروده وتزقيته حتى يتمكن لديها عند وروده بين فقيل ﴿ رجلين أحدهما أبكم ﴾ وهو من ولد آخرس ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره بحسب أو فمراة لفظة فهمه وسو ادراكه ﴿ وهو كل ﴾ نقل وعيال ﴿ على مولاه ﴾ على من يعوله وبلى أمره وهذا بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى ﴿ أينما وجهه ﴾ أي حيث يرسله مولاه في أمر بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرىء على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه ﴿ لا يأت بخير ﴾ بنجح وكفاية مهم البتة ﴿ هل يستوى هو ﴾ مع منافيه من الاوصاف المذكورة ﴿ ومن يأمر بالعدل ﴾ أي من هو منطوق فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحسبهم على العدل الجامع لجماع الفضائل ﴿ وهو ﴾ في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعلم ﴿ على صراط مستقيم ﴾ ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حلق ما يقابلها فان حصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية وما يخص هذين استحقاق كمال الامرية المستتبع لحياة المحاسن بأجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر أمر بالعدل الآية لمراعاة الملازمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القريبتين واعلم أن كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد اثباته بما ذكر عقيب ولا يبعد أن يقال ان الله تعالى ضرب مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشتركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ﴿ والله ﴾ تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلاله ولا اشتراكا ﴿ غيب السموات والارض ﴾ أي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين فاطبة بحيث لا يسئل لم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليها التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيها حالا أو مآلا واما باعتبار الغيبة عن أهلها والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعاماة حسباني عنه عنوان الغيبة لانه من حيث المخلوقة والمخلوق كقوله كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بأن عليه سبحانه حضورى فان تحقق العيوب في انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل والله علم غيب السموات والارض ﴿ وما أمر الساعة ﴾ التي هي اعظم ما وقع فيه المارة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتنا عن أهلها أو ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها يعيت من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان ايتهما من الغيوب التي تصدت عليها الادلة أي ما شأنا في سرعة المحي ﴿ الاكلع البصر ﴾ أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها ﴿ أو هو ﴾ أي بل أمرها فيما ذكر ﴿ أقرب ﴾ من ذلك وأسرع زمانا بأن يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر من حركة اية فاهوية اتصالية منطقة على زمان له مزية كذلك قال للاقسام الى اعضاء هي أربعة ايضا بل في أن ذير ونقسم من ذلك الزمان وهو أن ابتدأ تلك الحركة أو ما أمرها الاكالتى الذى يستقر ويقل هو كلع البصر أو هو أقرب وأياما كان فهو تمثيل لسرعة محيها حسبنا عر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالآيتين ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾ ومن جملة الأشياء أن يحيى بها أسرع ما يكون فهو قادر على ذلك وما أمر إقامة الساعة التي كتبها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي امانة الاحياء واحيا الاموات من الآوين والآخرين وتبديل صور الاكران أجمعين وقد أنكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسو لذلك أتى الاكلع البصر أو هو أقرب على ما مر من الوجوه ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن

يوم القيامة بعينه لما أن عليه بخصوصه غائب عن أهلها فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة ﴿ والله ﴾ أخرجه من بطون أمهاتكم ﴿ عطف على قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم أزواجا منتظم مع سلك أدلة التوحيد من قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات يعتم المصرة وقرىء بكسرهما أيضا جمع الام زبدت الماء فيه كما زبدت في اوراق وشذت زيادتها في الواحدة قال أميت خذف والياس أي ﴿ لا تعلمون شيئا ﴾ في موقع الحال أي غير علمين شيئا أصلا ﴿ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴾ عطف على أخرجه وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج أي جعل لكم هذا الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم من ثبات الأشياء وتذكرها بأفئدتكم وتقشروا بها من المشاركات والمباينات بتكرار الاحساس فيحصل لكم علوم بدئية تتكامل بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كقلب من الصدر وهو من جموع الفلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم الجور على المصوبات لما مر من الايدان من أول الامر بكون المجهول ناقصا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن ﴿ لعلمكم تفكرون ﴾ كي تعرفوا ما أنتم به عليكم طورا غيبا طور قشركوه وتقديم السمع على البصر لما أنه طريق تلقى الوحي أو لان ادراكه أقدم من ادراك البصر واغراه باعتباره كونه مصدرا في الأصل ﴿ ألم يروا ﴾ وقرىء بالثاء ﴿ الى الطير ﴾ جمع طائر أي ألم ينظر واليه ﴿ مسخرات ﴾ مذلات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء مقادا آخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والظلك والدواب للانسان والواقع هنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تبيين على الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى ﴿ في جو السماء ﴾ أي في الهواء المتباعد من الارض والسلك واللوح أبعد منه واضافته الى السماء لما أنه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ﴿ ما يمكن ﴾ في الجو حين قبض أجنحتهم وبسطها وقوفهم ﴿ الا الله ﴾ عز وجل بقدرته الواسعة فان نقل جسدها ورفق قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات أو من الطير واما عتاف ﴿ ان في ذلك ﴾ الذى ذكر من تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة تتمكن بها منه بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذناها كذلك وجعل أجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت أجنحتها وأذناها لا يطبق قلبها بخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتتحرق ما بين يديها من الهواء لانها لاتلاقيه بحجم كبير ﴿ لايات ﴾ ظاهرة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أي من شأنهم أن يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به ﴿ والله جعل لكم ﴾ معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما ساقى من الجور والمصوب لما مر من الايدان من أول الامر بأنه لمصلحة لهم ومنفعهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى ﴿ من يوتكم ﴾ أي من يوتكم المعبودة التي تبنيونها من الحجر والمدرتين لذلك المجهول المهم في الجملة وتأكيدا سبق من التشويق ﴿ سكننا ﴾ فعل بمعنى مفعول أي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم أو تسكنون اليه من غير أن ينتقل من مكانه أي جعل بعض يوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمثون به ﴿ وجعل لكم من جلود الانعام يوتا ﴾ أي يوتا أخر منابر لببوتكم المعبودة هي الخيام والقباب والابخية والفساطيط ﴿ تستخفونها ﴾ تجدونها خفيفة سهلة المأخذ ﴿ يوم ظعنكم ﴾ وقت ترحالكم في النقص والحل والنقل وقرىء بفتح العين ﴿ ويوم اقامتكم ﴾ وقت نزولكم في الضرب والبناء ﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴾ عطف على قوله تعالى من جلود الضأير للاتمام على وجه التنوير أي

وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار الماعز **﴿أثانا﴾** أى متاع البيت وأصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر أثيث **﴿ومتاعا﴾** أى شيئا يتمتع به بفتون التمتع **﴿الى حين﴾** الى أن تقصده منه أو طارك أو الى أن يبلى ويفنى فإنه في معرض البلا والفتنة وقيل الى أن تموتوا والكلام في ترتيب المقاميل مثل ما مر من قبل **﴿والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم﴾** **﴿ظلالا﴾** أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما أن تلك الديار غالية الحرارة **﴿وجعل لكم من الجبال أكثانا﴾** مواضع تكون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المقاميل كالذى مر غير مرة **﴿وجعل لكم سريال﴾** جمع سريال وهو كل ما يلبس أى جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها **﴿تقيقكم الحر﴾** خصه بالذكر كإتفاؤه أحد الضدين عن ذكر الآخر أو لأن وقايته هي الأهم عندهم لما مر **﴿وسريال﴾** من الدروع والجواشن **﴿تقيقكم بأسكم﴾** أى البأس الذى يصل الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين من ثم قدرته على الحيام وأضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الأنعام الخ ثم بما يصير من لا يقدر على ذلك ولا يابو به الا للظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لا يدعنه لاحد حيث قال وجعل لكم سريال الخ ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسريال تقيقكم بأسكم ثم قال **﴿كذلك﴾** أى مثل ذلك الاتمام البالغ **﴿يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾** أى إرادة أن تنظروا فيها أسخ عليكم من التمس الظاهر والباطنة والأنفس والآفاقية فتدروا حق منعها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتتقادوا لأمروا أفراد النعمة ما لان المراد بها المهدر أو لاظهار أن ذلك بالنسبة الى جانب الكبرياء شئ قليل وقرئ تسلمون أى تسلمون من العذاب أو من الشرك وقيل من الجراح بليس الدروع **﴿فان تولوا﴾** فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليلا لما قال ان أعرضوا عن الاسلام ولم يقولوا لك ما اتوا به من البينات والبرهان والعقائد **﴿فانما عليك البلاغ المبين﴾** أى فلا تقصروا من حيثك لأن وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح وقد ضلته بالامر بدليله فهو من باب ومنع السبب موضع المسبب **﴿يعرفون نعمة الله﴾** استئناف لبيان أن توليهم وأعرضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بمساعدته من نعم الله تعالى أصلا فانه يعرفونها ويعترفون أنها من الله تعالى **﴿ثم ينكرونها﴾** بأنهم حيث يعدون غير منعها أو يقولون أنها بشاعة آفست أو بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نعمة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون أسامهم ثم أنكروها عناده ومعنى ثم لاستبعاد الاستكثار بعد المعرفة لأن حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واستناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركون على الإطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه **﴿وأكثرهم الكافرون﴾** أى المنكرون بقلوبهم غير المعتزين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لابتنا في كال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا نقصان العقل أو التفریط في النظر أو لم يقع عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فندبر **﴿ويوم نبعث من كل أمة شييدا﴾** يشهد لهم بالایمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيا **﴿ثم لا يؤمنون للذين كفروا﴾** في الاعتذار اذ اعذرهم ثم للدلالة على أن ابتلاهم بالمنع عن الاعتذار المنع عن الاقفاط الكلى وهو عندما يقال لهم اخسبوا فيها ولا تكلمون أشد من ابتلاهم بشهادة الانبياء عليهم السلام عليهم وأطم **﴿ولما يستعجبون﴾** يسترضون أى

لا يقال لهم أرضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر أو خوفهم يوم نبعث الخ أو يوم نبعث تحقيق بهم ما يحققهم لا يوصف وكذا قوله تعالى **﴿واذا رأى الذين ظلوا العذاب﴾** الذى يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم **﴿فلا يخفون عنهم﴾** ذلك **﴿ولهم ينظرون﴾** أى يملكون كقوله تعالى بل تأتيتهم بغتة فتنبهتهم **﴿واذا رأى الذين أشركوا شركاهم﴾** الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان والشياطين الذين شاركوهم في الكفر باخل عليه وفارطوه في الغي والذلال **﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعون من دونك﴾** أى نعبدكم أو نطيعكم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينهى عنه قوله سبحانه **﴿فألقوا﴾** أى شركاؤهم **﴿الهم القول انكم لكاذبون﴾** فان تكذبهم اياهم فيما قالوا ليس الالمدانة والنجاص عن عائلته مدونة وانما كذبهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راشرين بعبادتهم لم تكن عبادتهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الخ يعبدون أن الجاهل الذين كانوا راشرين بعبادتهم لا يمن أو كذبهم في تسميتهم شركا وأمة تزيينها لله سبحانه عن الشرك والشياطين وان كانوا راشرين بعبادتهم لم يكن لهم نواحياد ايمان لم على وجه القسر والالجا كما قال ابايس وما كان لي عليكم من سلطان الآن ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتمتم أهواكم **﴿وألقوا﴾** أى الذين أشركوا **﴿الى الله يرضى السلم﴾** الاستسلام والالتحاق لحكمة المزمع الغالب بعد الاستكثار عنه في الدنيا **﴿وضل عنهم﴾** أى ضاع وبطل **﴿ما كانوا يفترون﴾** من أن الله سبحانه شركا وأنهم يتصرفون ويشفعون لهم وذلك حين كذبهم وتبرؤا منهم **﴿الذين كفروا﴾** في أنفسهم **﴿وصدوا﴾** غيرهم **﴿عن سبيل الله﴾** بالمنع عن الاسلام واخيل على الكفر **﴿زدناهم عذابا فوق العذاب﴾** الذى كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تسع احدهم فيجد صاحبها حثما أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمير يرفيادون من شدة البرد الى النار **﴿فما كانوا يفسدون﴾** متعلق بقوله زدناهم أى زدناهم عذابهم بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور **﴿ويوم نبعث﴾** تكرر لما سبق تلبية للتهديد **﴿في كل أمة شييدا عليهم﴾** أى نبيا **﴿من أنفسهم﴾** من جنسهم قطعا لمعدتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بأن شهادة أنبيائهم على الامم تكون بمحض منهم **﴿وجئنا بك﴾** اشارة لفظ المحيى على البحث لكامل العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع **﴿شييدا على هؤلاء﴾** الامم وشهادتهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشييد وجئنا بك على هؤلاء شييدا وقيل على أمك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد يوم القيامة **﴿ونزنا عليك الكتاب﴾** الكامل في الكتابة الحقيق بأن يخص باسم الجنس وهو اما استئناف أو حال بتقدير قد **﴿تبيان﴾** بياننا لينا **﴿لكل شئ﴾** يتعلق بأمور الدين ومن جملة ذلك أحوال الامم مع أنبيائهم عليهم السلام فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شييدا عليهم وكذا من جملة ما أخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شييدا عليهم الصلاة والسلام والتبيان كالتلقا في كسر أوله وكونه تبيان لكل شئ من أمور الدين باعتبار أن فيه نصا على بعضها وحالة لبعضها على الستة حيث أمر باتباع النبي عليه السلام وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحشا على الاجماع وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته باتباع أصحابه حيث قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا وطوارق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبيان فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبيده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من أنصار **﴿وهدي﴾** رحمة للمؤمنين فان حرمان الكفرة من معانم آثاره من تفر يطهم لامن جهة الكتاب **﴿وبشرى﴾**

للسلدين خاصة أو يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المتفنون بذلك (ان الله أمر) أي فيما تليها نكنا لكل شيء
وهدي ورحمة وبشرى للسلدين وإيثار صفة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجرد والاستمرار (بالعدل) بمراعاة
التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة
المتوسطة بين الحرمة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخود وفضيلة القوة
الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فن الحكم الاتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية
التعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والتزهد ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير
(والاحسان) أي الاتيان بما أمر به على الوجه اللائق وهو أما بحسب الكمية كالنوع أو بالتواضع أو بحسب الكيفية
كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (وإيتا ذى القربى)
أي إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص اثر تعميم إيتا ما يضافه (وينهى عن الفحشاء) الإفراط في مشايعة
القوة الشهوية كالزنى مثلا (والمعصية) ما ينكر شرعا أو عقلا من الإفراط في اظهار آثار القوة الغضبية (والبغي)
الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين
المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى
الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة
لكفت في كونه تبيان لكل شيء وهدي (يعظكم) بما يأمر وينهى وهو اما استئناف واما حال من الضميرين في
الفعلين (لعلكم تذكرون) طلبا لان تعطلوا بذلك (وأوفوا بعهد الله) هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنها مبايعة سبجانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (إذا عاهدتم) أي حافظوا على حدود ما عاهدتم
الله عليه و يبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا تنقضوا الأيمان) التي تخلفون بها عند المعاهدة (بعد
توكيدها) حسبا هو المعهود في أثناء العهود لا على أن يكون النبي مقيدا بالتوكيد مختصا به (وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا) شاهدا رقيقا فان الكفيل مراعاة لحال المكفول له محافظ عليه (إن الله يعلم ما تفعلون) من نقض الأيمان
والمعهود فيجازيكم على ذلك (ولا تكونوا) فيما تصنعون من النقض (كأني نقضت غولها) أي ما غولته مصدر
بمعنى المفعول (من بعدقوة) متعلق بنقض أي كالرأفة التي نقضت غولها من بعد ابرامه وإحكامه (أنكاثا) طاقات
نكثت فلها جمع نكث واتصاه على الحالية من غولها أو على أنه مفعول ثان لنقضت فإنه بمعنى صيرت والمراد تقييح
حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرافة المعترجة قيل هي ريلة بنت سعد بن تم وكانت خرافة اتخذت مغرلا قدر
فزع وصنارة مثل أصبع وظهره عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواربها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن
فينقضن ما غزلن (تخذون أيمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير في لا تكونوا أو في الجار والمجرور والواقع موقع
الخبر أي مشايعة لأمراء شأنها هذا حال كونكم متخذين أيمانكم مقسدة ودخلا بينكم وأصل الدخول ما يدخل
الشيء ولم يكن منه (أن تكون أمة) أي بأن تكون جماعة (هي أرى) أي أزيد عددا وأفرمالا (من أمة)
من جماعة أخرى أي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقتلهم أو لكثرة منابذهم وقوتهم كقرش فإنهم كانوا إذا واشوكه
في أعدى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم (أنما يلوكم الله به) أي بأن تكون أمة أرى من أمم أي يعاملهم
بذلك معاملة من يتخبركم لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله عليه السلام أم تفترون بكثرة قرش

وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) حين جازاكم
بأعمالكم ثوابا وعقابا (ولو شاء الله) مشيئة قسر الجاه (لجعلكم أمم واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن)
لا يشاء ذلك لكونه من إحصاء القضية الحكيمة بل (يضل من يشاء) إخلاله أي يخلق فيه الضلال حسبا يصرف اختياره
الجوفى إليه (ويهدي من يشاء) هدايته حسبا يصرف اختياره الى تحصيلها (ولتأمن) جميعا يوم القيامة
(عما كنتم تعملون) في الدنيا وهذا إشارة الى ما لوح به من الكسب الذي عليه يدور أمر الهداية والضلال
(ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) تصرخ بالنهي عنه بعد التضمن تأكيذا ومبالغة في بيان قبح المنهى عنه وتعميدا
لقوله سبحانه (فقل قدم) عن حجة الحق (بعد ثبوتها) عابيا ورسوخا فيها بالايمن وأفراد القدم وتذكيرها
للأيدان بأن زلل قدم واحدة أي قدم كانت عزت أو هانت بخود عظيم فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا سوء)
أي العذاب الديني (بما صدقتم) بصدوركم أو بصدق غيركم (عن سيل الله) الذي ينظم الوفاء بالعبود
والأيمان فإن من نقض البيعة وأردت جعل ذلك سنة لغيره (ولصكم) في الآخرة (عذاب عظيم ولا تشتروا
بعهد الله) أي لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله عليه السلام أو آياته الناطقة بإيجاب المحافظة على العهود
والأيمان (ثمنا قليلا) أي لا تستبدلوا بها عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون
لهم على الارتداد من مقام الدنيا (إنما عند الله) عز وجل من النصر والتغنى والثواب الأخرى (هو خير لكم)
عما يعدونكم (إن كنتم تعلمون) أي ان كنتم من أهل العلم والتمييز وهو تحليل للنهي على طريقة التحقيق كما
أن قوله تعالى (ما عنكم) تحليل للخبرية بطريق الاستئناف أي ما تمتنعون به من نعم الدنيا وإن جل بل الدنيا
وما فيها جميعا (تفقد) وإن جم عده و ينقض وإن طال أمده (وما عند الله) من خزائن رحمته الدينية والأخرى
(باق) لا تقادله أما الأخرى فظاهرة وأما الدينية فحيث كانت موصولة بالأخرى ومستتعة لها فقد انتظمت في
سبط الباقيات الصالحات وفي إيثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام لا يخفى وقوله تعالى (ولنجزي)
بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد
القسمي مبالغة في الخلل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزينكم أجرهم بأحسن
ما كنتم تعملون للتوصل الى التعرض لأعمالهم والأشعار بعليتها للجزاء أي والله لنجزين (الذين صبروا) على أذية
المشركين ومشاق الاسلام التي من جماتها الوفاء بالعبود والفقر وقرى بالياء من غير التثنية (أجرهم) مفعول ثان
لنجزين أي لنعطيتهم أجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الأمور المذكورة (بأحسن ما كانوا يعملون)
أي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه الاحسن للأشعار بكآل حسنة كما في قوله سبحانه
وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فإن ذلك مما لا يخفى بآل أحسن بعد
قوله تعالى أجرهم أو لنجزينهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم على معنى لنعطيتهم بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة
ما نطيه بمقابلة الفرد الأعلى منها من الاجر الجزيل بل لانا نطلي الاجر بحسب أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن
تجزى الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في
تضاعف الصبر من بعض جزع ونفظة في سلك الصبر الجليل أو لنجزينهم مجزا أحسن من أعمالهم وأما التفسير بما
ترجع فله من أعمالهم كالأجبات والمندوبات أو بما ترجع تركه أيضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على أن ذلك
هو المدار للجزاء دون ما يستوى فله و ككالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال

الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لآخرها بعض أعمالهم عن مداراة الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها (من عمل صالحا) أي عملا صالحا أي عمل كان وهذا شروعا في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غلب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبمعلمهم المذكور وقوله تعالى (من ذكر أو أنسى) مبالغة في بيان شموله لكل (وهو مؤمن) قديمه اذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب أو تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وإشارته بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في تلك الصلة لأفاده وجوب دوامه ومقاومته للعمل الصالح (فلنحينه حيرة طيبة) في الدنيا يعيش عيشا طيبا أما أن كان موسرا فظاهر وأما أن كان معسرا فطبيب عيشه بالقناعة والرضى بالقصة وتوقع الاجر العظيم كالصالح بطيب نهاره بملاحظة نعم الله بخلاف الفاجر فإنه أن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا فلا بدعه الحرض وخوف الفوات أن يتها بغيثه (ولنجزينهم) في الآخرة (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) حسبما يفعل بالصائرين فليس فيه شائبة تكوار والجمع في الضمائر العائدة إلى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما أن الأفراد فيها سلف لرعاية جانب القنط وإشارته بذلك على العكس لما أن وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للأفراد وإذا قد انتهى الأمر إلى أن مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالغاء الإرشاد إلى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فتقيل (فإذا قرأت القرآن) أي إذا أردت قراءته غير بها عن إرادتها على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب إذا بان المراد هي الإرادة المتصلة بالقراءة (فاستعذ بالله) فأسأله عن جواره أن يعينك (من الشيطان الرجيم) من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فإن له حمة بذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية وتوجيه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعانة عند إرادتها للتنبيه على أنها لغيره عليه الصلاة والسلام وفي سائر الأعمال الصالحة أهم فانه عليه السلام حيث أمر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فاعلمتكم عن عداه عليه السلام فيما عدا القراءة من الأعمال والأمر للدين وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء للجواب وقد أخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة أبو هريرة رضى الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحجرة من القراء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسمع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقر أنه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (أنه) الضمير الشأن أول الشيطان (ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا) وعلى دينهم يتولون (أي الله يفوضون أمورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فأن وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وإشارة بصيغة الماضي في الصلة الأولى للدلالة على التحقق كما أن اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لأفاده الاستمرار التجدد وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة بأعادة المتوكلين والجملة تعليل للاستمرار بالاستعانة أو لجوابه المنوي أي يهلك أو نحو (إنما سلطانه) أي تسلطه ولا يشبه بدعوته المستجابة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالقاء فانه متف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاه عنه وما كان في عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لها وقد أفصح عنه قوله تعالى (على الذين يتولونه) أي يتخذونه وليا ويستجيون دعوتهم ويطيعونه فان المقصور بمعمل من ذلك (والذين هم به) سبحانه وتعالى (مشركون) أو بسبب الشيطان مشركون اذ هو

الذي حملهم على الاشرار بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غلب فيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أن لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وإن كان بينهما واسطة في المضمون وأن من لم يتوكل على الله تعالى يتظلم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل فقيهه بمبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وإثارة الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الأولى لما مر من أفادة الاستمرار التجددى كما أن اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالة مفيدة لعدم دخول غير المشركين من أولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الأولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الأولى فيها سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولوروى الترتيب السابق لفصل كل من الفريقين عما يقابلها (وإذا بدلنا آية مكان آية) أي إذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بأن نسخناها بها (والله أعلم بما يزل) أولا وآخرا وبأن كلاما من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تغلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لا تغلب الأمور الداعية إلى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور رحا تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات إلى الغيبة مع اسناد الخبر إلى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض أو حالية وقرئ بالتخفيف من الازال (قالوا) أي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ (إنما أنت مفتر) أي متقول على الله تعالى تأمر بشئ ثم يدرك فتنبه عنه وحكاية هذا القول عنهم هنا للإيذان بأن ذلك كفر ناشئ من نزغات الشيطان وأنه وليهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون شيئا أصلا أو لا يعلمون أننى النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم إلى الأكثر لما منهم من يعلم ذلك وإنما ينكره عتادا (قل زله) أي القرآن المدلول عليه الآية (روح القدس) يعنى جبريل عليه السلام أي الروح المطهر من الأدران البشرية وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كاحقة حاتم إلى الجود حيث قيل حاتم الجود للبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه وفي صيغة الفعل في الموضعين إشعار بأن التدرج في الازال مما تقتضيه الحكم البالغة (من ربك) في إضافة الرب إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق إفادة آثار الربوبية عليه صلى الله عليه وسلم وليس في إضافته إلى يا المتكلم المبني على التلقين المحض (بالحق) أي ملتبس بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفرقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على أن النسخ حق (ليثبت الذين آمنوا) على الإيمان بأنه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا النسخ وتبدروا ما فيه من رعاية المصالح اللاتفة بالحال رسخت عقائدكم وأطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الأفعال (وهدى وبشرى للساكنين) المتقادين لحكمة تعالى ومما يعطون على محل ليثبت أي تثبيتا وهاديا وبشارة وفيه تعريض بحصول أصدقاء الأمور المذكورة لمن سواهم من الكفار (ولقد فعلنا بهم يقولون) غير مانقل عنهم من المبالغة الشنعاء (إنما يعلمه) أي القرآن (بشر) على طريق البت مع ظهور أنه نزل روح القدس عليه الصلاة والسلام وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تضمنته من الوعد وصيغة الاستقبال لأفاده استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددى في متعلقه فانهم مستمرين على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبريل الروى غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبريل وإسار كانا يصنعان السيف بمكة وقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عابسا غلام حويط بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلبان الفارسي وأنما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه مع كونه أدخل في ظهور كذبهم للإيذان بأن مدار خطابهم ليس نسبته عليه السلام إلى التعلم من شخص معين

بل من البشر كانوا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الأولين والآخرين ﴿لسان الذي ينادون إليه أجمعين﴾
 الاتحاد الإمامة من أحد القبر إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استبر لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا
 أحد فلان في قوله وأحد في دينة أي لغة الرجل الذي يميلون إليه القول عن الاستقامة أعجبه غير بينة وقرى بفتح الياء
 والحاء وتعريف اللسان ﴿وهذا﴾ أي القرآن الكريم ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو بيان وفصاحة واجتهان مسانفتان
 لا يبطال طعنهم وتقريره أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه فإن زعمتم أن بشرًا يمد به معناه فكيف يعلم هذا النظم
 الذي أعجز جميع أهل الدنيا والتشبيث في أثناء الطعن بأذيال أمثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم ﴿ان الذين
 لا يؤمنون بآيات الله﴾ أي لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء وأخرى أساطير
 معدة من البشر ﴿لا يهديهم الله﴾ إلى الحق أو إلى سبيل النجاة هداية موصلة إلى المطلوب لماعلم أنهم لا يستحقون ذلك
 لسو محاطهم ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ وهذا تهديد لهم ووعد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى
 ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطلة شتيهم وردطعنهم وقوله تعالى ﴿انما يفترى
 الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ رد لقولهم انما أنت مفتر وقيل الامر عليهم ببيان أنهم هم المفترون بعد رده
 بتحقيق أنه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد علم الايمان لا يخفى من شدة اتصاله
 بالرد الأول والمعنى والله تعالى أعلم أن المفترى هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر أن تكذيبها
 على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لأن حقيقة الكذب والحكم بأن ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في
 كونه كذبا وافتراء كالحكم بأن ما ليس بكلامه تعالى ككلامه تعالى والتصريح بالكذب للباغية في بيان قبحه وصيغة المضارع
 لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه أعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفترى الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن
 بآيات الله لانه لا يتقرب عقابا عليه ليرتدع عنها وأما من يؤمن بها ويخاف ما تظلمت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر
 عنه افتراء البتة ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله ﴿هم الكاذبون﴾ على الحقيقة
 أو الكاملون في الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته تعالى والظن فيها بأمثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك
 أن الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلاف الله تعالى أو بوقوع ما لم يقع كذلك
 مدافعة لله تعالى في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنى عنه معا والذين عادتهم الكذب لا يزعمهم
 عنه وازع من دن أو مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما أنت مفتر ﴿من كفر بالله﴾ أي تلفظ بكلمة الكفر ﴿من
 بعد إيمانه﴾ به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا
 ومن موصول وعملها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه أو هو خبر لها معا أو النصب على الذم
 ﴿الا من أكره﴾ على ذلك بأس يخاف على نفسه أو على عيضم من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب
 أو الذم لأن الكفر لغة يتم بالقول كما أشير إليه وقوله تعالى ﴿وقلبه مطمئن بالايمان﴾ حال من المستثنى والعامل هو
 الكفر الواقع بالاكره لا نفس الاكره لأن مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكره لا يجدي نفعا وانما المجدي
 مقارنة الكفر الواقع به أي الا من كفر باكره والامن أكره فكفر والحال أن قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته
 وانما لم يصرح به إيمانه إلى أنه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على أن الايمان هو التصديق بالقلب ﴿ولكن من﴾ لم
 يكن كذلك بل ﴿شرح بالكفر صدرا﴾ أي اعتقده وطاب به نفسا ﴿فعلهم غضب﴾ عظيم لا يكتفه كنهه ﴿من
 الله﴾ أظهر الاسم الجليل لتريه المهابة وتقوية تعظيم العذاب ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ اذ لا جرم أعظم من جرمهم والجمع

في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما أن الافراد في المستكن في الصلة رعاية جانب اللفظ . روى أن قريشا
 أكرهوا عمارا وأبو به ياسرا وممية على الارتداد فأباد أبواه فربطوا سمية بين يديهم ووجشت بحرية في قلبها وقالوا انما
 أسلبت من أجل الرجال فقتلوا وقتلوا ياسرا وهما أول قتيان في الاسلام وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوا عليه
 فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا مليا إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط
 الايمان بلحمه ودعه فأقن عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه
 وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكرام المألجى وان كان لا يفضل
 أن يتجنب عنه عذارا الدين كما فعله أبواه وروى أن مسيلة الكذاب أخذ رجلا فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال
 رسول الله قال فما تقول في قال فأنت أيضا غفلة وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا
 أصم فأعاد ثلاثا فأعاد جوابه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة وأما الثاني فقد صدع
 بالحق ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الكفر بعد الايمان أو إلى الوعيد المذكور ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿استحبوا الحياة
 الدنيا﴾ أثرها ﴿على الآخرة﴾ وأن الله لا يهدي ﴿القوم الكافرين﴾ في علمه المحيط فلا يصممهم عن الزيف وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا أحد
 الأمرين اما إثبات الحياة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بأن أثروا الآخرة على
 الدنيا أو بأن هدام الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مغاير للحكمة والاول بما لا يدخل تحت الوقوع وإليه
 أشير بقوله تعالى ﴿أولئك﴾ أي أولئك الموصوفين بما ذكر من القبايح ﴿الذين طبع الله على قلوبهم وسمهم
 وأبصارهم﴾ ثابت عن أدراك الحق والتأمل فيه ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ أي الكاملون في الغفلة اذ غفلة
 أعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا أعمالهم وصرفوها
 إلى ما لا يقضي الا إلى العذاب المخلد ﴿ثم ان ربك للذي هاجر﴾ إلى دار الاسلام وهم عمار وأصحابه رضي الله
 عنهم أي لم بالولاية والتصريح لا عليهم كما يوجب ظاهر أعمالهم السابقة فالجار والمجرور خير لأن ويجوز أن يكون
 خبرها محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز أن يكون ذلك خبرا لها وتكون ان الثانية تأكيد للاولى وشم
 للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب
 بطريق الإشارة لا عن رتبة حال الكفرة ﴿من بعد ما فتنوا﴾ أي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم
 مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرى على بناء القاعل أي عذبوا المؤمنين كالحضري أكره مولا جبرا حتى ارتد
 ثم أسلما وهاجرا ﴿ثم جاهدوا﴾ في سبيل الله ﴿وصبروا﴾ على مشاق الجهاد ﴿ان ربك من بعد ما﴾ من بعد
 المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصرخ بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من عليه الصلة له أو من بعد الفتنة المذكورة
 فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم ﴿لنفور﴾ لما فعلوا من قبل ﴿رحيم﴾ يتم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد
 وفي العرض لعنوان الربوبية في الموصوفين إيمانه إلى علة الحكم وفي إضافة الرب إلى ضميره عليه السلام مع ظهور
 الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكال اللطف به عليه السلام وأشعار بأن أفضاه آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة
 بواسطة عليه السلام ولكونهم أتباعه ﴿يوم تأتئ كل نفس﴾ منصوب برحيم ومارتب عليه أو باذكر وهو يوم
 القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿تجادل عن نفسها﴾ عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لايها شأن غيرها
 فتقول نفسي نفسي ﴿وتوفى كل نفس﴾ أي تعطي وأيا كاملا ﴿ما عملت﴾ أي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم

السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وابراز الاظهار على الاحتراز بآية التقرير واللافتان باختلاف وقتي المجادلة والتوفيق وان كانتا في يوم واحد **(وهم لا يظلمون)** لا يتقصون أجورهم أو لا يعاقبون بغير موجب ولا يزداد في عقابهم على ذنوبهم **(وضرب الله مثلا قرية)** قيل ضرب المثل صنعه واعتاله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدى الى الاثنين لتضمنه معنى الجعل وتأخير قرينه كونها مفعولا اول لا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التأخير عن الكل محل تجاذب اطراف النظم وتجاولها ولأن تأخير ماحقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لا سببا اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل ما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المؤخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابر واما مقدرة أي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة أو لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نعمة ودخل فيها أهل مكة دخولا أوليا **(كانت آمنة)** ذات أمن من كل خوف **(مطمئنة)** لا يزعج أهلها من عيج **(يأتينا رزقا)** أقوات أهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سببها عن الصفة الاولى لما أن اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر **(ورغدا)** واسعا **(من كل مكان)** من نواحيها **(فكفرت)** أي كفر أهلها **(بأنعم الله)** أي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالنعمة كدروع وأدروع أو جمع نعم كقوس وأقوس والمراد بها نعمة الرزق والأمن المستمر وابراز جمع القلة للافتان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة **(فأذاقنا الله)** أي أذاق أهلها **(لبأس الجوع والحرق)** شبه أثر الجوع والحرق وضررها المحيط بهم باللباس العائى فاستعير له اسمه وأوقع عليه الاذقة المستعارة لطلق الاتصال المثبتة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراك اللامة والذاتفة على نهج التجريد فانها لشروع استعمالها في ذلك وكثرة جر بانها على الالة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للعرف تجريدا أشبه أثرهما وضررها من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس العائى المناسب للخوف بجامع الاحاطة والازوم تشبيه معقول محسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية وأخرى بطعم المر البشع اللاتم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فأوى اليه بأن أوقع عليه الاذقة المستعارة لايصال الضرر المثبتة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراك اللامة والذاتفة وتقديم الطمع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الأمن المقدم فيا تقدم على اتيان الرزق لكونه أنسب بالاذقة أو لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف ونصبه أيضا عطفا على المضاف أو اقامته مقام مضاف عذوف وأصله ولباس الخوف **(بما كانوا يصنعون)** فيما قبل وأعلى وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور أسند ذلك الى أهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وإيقاع الاذقة عليها ارادة للبالغة وفي صيغة الصنعة ايدان بأن كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة **(ولقد جاءهم)** من نعمة المثل جى بما لبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لفضيلة العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق أيضا أي ولقد جاء أهل تلك القرية **(رسول منهم)** أي من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم بوجود الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة ما باتون وما يبدون **(فكذبوه)** في رسالته أو فيا أخبرهم به مما ذكر فالقصة قصبة

وعدم ذكره للافتان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلميح **(فأخذهم العذاب)** المستأصل لكأفهم غب ماذا أقوا بآية من ذلك **(وهم ظالمون)** أي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماه الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاولهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبا يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم القتل فان حال أهل مكة سوءا ضرب المثل لهم خاصة أولئك سارسيرتهم كافة محاذية لخال أهل تلك القرية حذو القننة بالقننة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة ففة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر به لهم طريف من الخوف وكانت نجي اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم أي رسول يحار في ادراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم باختلاف الديور والقبول فكفروا بأنعم الله وكذبوا رسوله عليه السلام فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث أصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف ما أصابهم من جلد شديد وأزمة حصت كل شيء حتى اضطرهم الى أكل الجيف والكلاب الميتة والنظام المحرقة والعلز وهو الور المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعديهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وأما ما أجمع عليه أكثر أهل التفسير من أن التفسير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلم وأن المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما أصابهم من الجذب ووقعة بدر فيعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه **(فكلوا مما رزقكم الله)** مفرع على نتيجة التثبيل وصدلم عما يؤدى الى مثل عاقبته والمضى واذا قد استبان لكم حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتا والى أولا وآخرا فاتتوا عما أتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول عليه السلام كيلا يحل بهم مثل ما حل بهم وأعرافوا حق نعم الله تعالى وأطعوا رسوله عليه السلام في أمره ونهيه وكلموا من رزق الله حال كونه **(حلالا طيبا)** وذروا منافقون من تحريم البحائر ونحوها **(واشكروا نعمة الله)** وأعرافوا حضبا ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخل على الأمر بالشكر وانما أدخلت على الأمر بالاكل ليكون الأكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالا طيبا وقد أدمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في أن هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقفا بعد وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع فن ذا الذي يحذر ومن ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فأخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع بأباه التصدى لاستصلاحهم بالأمر والنهي وتوجيه خطاب الأمر بالاكل الى المؤمنين مع أن ما يتلوهم من خطاب النهي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدى حيث قال فكلوا أتمر يامشر المؤمنين ما رزقكم الله من الغنائم ما لا يليق بشأن التنزيل الجليل **(ان كنتم اياه تعبدون)** أي تطيعون أو ان صرح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة بعبادته تعالى **(انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به)** تحليل لحل ما أمرهم بأكله مما رزقهم أي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمة من البحائر والسوائب ونحوها **(فمن اضطر)** بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك **(غير باغ)** أي على مضطر آخر **(ولا عاد)** أي متجاوز قدر الضرورة **(فان ربك غفور رحيم)** (١) أي لا يؤاخذ بذلك فأقيم سيدهم مقامه في التعرض لوصف الربوبية إما الى علة الحكم (١) قوله **(فان ربك غفور رحيم)** التلاوة فان الله غفور رحيم وحيد فلا حاجة لبيان لكمة التعبير بالربوبية المضافة الى صديقه عليه الصلاة والسلام بقوله (وفي التعرض لوصف الربوبية الخ)

وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما الحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الاماض اليه فالسابع والمحرم الاهلية ثم أكد ذلك بالذبي عن التحريم والتحليل بأمرهم فقال ﴿ولا تقولوا لما تصف السنتكم﴾ الآية صلة مثلها في قوله تعالى ﴿لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموالاً أى لا تقولوا في شأن ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمه في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحى أو قياس مبنى عليه ﴿الكذب﴾ مستصحب بلائقها وقوله تعالى ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ يدل منه ويجوز أن يتعلق بتصف على ارادة القول أى لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وأن يكون القول المقدر حالا من أسنتهم أى قائله هذا حلال الخ ويجوز أن ينصب الكذب بتصف ويتعلق بهذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية أى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب أى الاتحاش ولا تحرموا المجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزينها له في السامع كأن أسنتهم تكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه وأوضح وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرى بالجر صفة لما مع مدحها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكذب كقوله تعالى يدم كذب والمراد بالوصف وصفها بالهائم بالحل والحرمه وقرى الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلام الكواذب وهو جمع الكذاب من قولهم كذابا ذكره ابن جنى ﴿تفتروا على الله الكذب﴾ فان مدار الحل والحرمه ليس إلا أمر الله تعالى بالحل والحرمه واستاء للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير أن يكون ذلك منه واللام للعاقبة ﴿ان الذين يفترون على الله الكذب﴾ في أمر من الأمور ﴿لا يقولون﴾ لا يقولون بمظالمهم التي ارتكبوا الا افتراء للفوز بها ﴿متاع قليل﴾ خبر مبتدأ محذوف أى مقتضبهم فيهم عليه من أعمال الجاهلية متبعة قليلة ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ لا يمت كنهه ﴿وعلى الذين آمنوا﴾ خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين ﴿حرما ما نقصنا عليك﴾ أى بقوله تعالى حرما كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرما عليهم شحوصها الآية ﴿من قبل﴾ متعلق بقصصنا أو تحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيها فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسا أول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وارايم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الىنا ﴿وما ظنناهم﴾ بذلك التحريم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظنون﴾ حيث فعلوا ما حرموا به عليه حسبا على عليهم قوله تعالى فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية ولقد أنعمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلالا لى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن يقول التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك جهنوا ولم يحسموا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبقيهم عقوبة وتشديدا أوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ﴿ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ أى بسبب جهالة أو ملتبسين بها ليعلم الجهل بالله وبقضاياه وعدم التدبر في العواقب لقلية الشبهة والسوء هم الافتراء على الله تعالى وغيره ﴿ثم تأبوا من بعد ذلك﴾ أى من بعد ما عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه لتأكيد والمبالغة ﴿وأصلحوا﴾ أى أصاحوا أعمالهم أو دخلوا في الصلاح ﴿ان ربك من بعد هذا﴾ من بعد التوبة ﴿لغفور﴾ لذلك السوء ﴿رحيم﴾ يثيب على طاعته تركا فضلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازها والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه

السلام مع ظهور الاثر في التائبين للايمان الى أن افاضته آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من أتباعه كما أشير اليه فيسار ﴿ان ابراهيم كان أمة﴾ على حياته لحيازة من الفضائل البشرية ما لا تكاد توجد الا متفرقة في أمة جملة حسابا قبل ليس على الله بمستذكر أن يجمع العالم في واحد وهو ليس أهل التوحيد وقدوة فاحسب التحديق جادل أهل الشرك وألقمهم الحجر بينات باهرة لا تبق ولا تذروا بطل مذاهبهم الزائفة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة أو لا نه عليه السلام كان مؤمنا وحده الناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالخلة والنخلة من أمة اذا قصدوا أو اقدموا على الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته لقوله تعالى اني جاعل للناس اماما وإراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطن في التوبة وتحريم ما أحله الله تعالى للايمان بان حقيقة دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه أمر ثابت لا ريب فيه ﴿فأتان الله﴾ مطعنا لما عابهم به ﴿حنيفا﴾ ما نزل عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ﴿ولم يك من المشركين﴾ في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لا راد على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة أبينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين في قولهم عزير ابن الله في افتراءهم وأدعائهم أنه عليه الصلاة والسلام كان على ملة أبيهم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينظم أمر ابراهيم والتحريم والسبب سابقا ولا حقا ﴿شاكرًا لأنعمه﴾ ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينظم أمر ابراهيم والتحريم والسبب سابقا ولا حقا ﴿شاكرًا لأنعمه﴾ صفة ثالثة لامة وانما أثر صيغة جمع القلة للايمان بأنه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة والتصرح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بأنهم الله تعالى حسبا بين ذلك بضرب المثل ﴿اجتباها﴾ للنبوة ﴿وهذه الى صراط مستقيم﴾ عوصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد احداثه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق أيضا بمجموعة قرينة الاجتباها ﴿وآيتناه في الدنيا حسنة﴾ حالة حسنة من الذكر الجليل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من أهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه الصلاة والسلام ﴿وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ أصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبا سأل بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ﴿ثم أوحينا اليك﴾ مع علو طبقك وسمو رتبك ﴿أن اتبع ملة ابراهيم﴾ الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من أمملت الكتاب اذا أمليت وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه أن الوضع الإلهي مهما نسب الى من يؤيده عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى ديننا قال الراغب الفرق بينهما أن الملة لا تنضاف الا الى النبي عليه السلام ولا تكاد توجد مصافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم ﴿حنيفا﴾ حال من المضاف اليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه بجرى البعض فقد بذلك من قبيل رأيت وجهه فائمة والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايمان بأن هذه النعمة من أجل النعم الفاقصة عليه عليه السلام ﴿وما كان من المشركين﴾ تكرير لما سبق لزادة تأكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله تعالى ﴿انما جعل السبت﴾ أى فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك التني الكلى وتوضيح له باطل ما عسى يتوهم كونه قادما في كنيته حسبا سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون أن السبت من شعائر الاسلام وأن ابراهيم عليه السلام كان محافظا عليه أى ليس السبت من

شرائع ابراهيم وشعائره التي أمرت باتباعها حتى يكون بيته عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيًا للفعل جري على سنن الكبرياء وايدان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاستناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقبل انما جعل السبب (على الذين اختلفوا فيه) للايدان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدى الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شأنه قبل الوقوع اثارا له على ما أمر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار شمول العملية لطرفي الاختلاف وعموم الفاعلة للفرقتين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام أمر اليهود أن يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الاشرمة منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخهم الله سبحانه قرعة دون أولئك المطيعين (وان ربك ليحكم بينهم) أي بين الفريقين المختلفين فيه (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه إيما الى أن ما وقع في الدنيا من مسخ أحد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعي الانجاز التنزيلى وقيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه أي أحلوا الصيد فيه تارة وحرّمه أخرى وكان حتما عليهم أن يتفقوا على تحريمه حسبا أمر الله سبحانه به وضر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف أفعالهم بالاحلال تارة والتحرّم أخرى ووجه ايراده ههنا أنه أريد به انذار المشركين من مسخ الله تعالى على العصاة والمخالقين لا واره كعصرب المثل بالقرية التي كفرت بأنعم الله تعالى ولا ريب في أن كلمة بينهم تحكم بأن المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وأن توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبين أمره صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولجانه فقامل (ادع) أي من بعث اليهم من الامة فاطلبه لخذف المفعول للتعميم وأقبل الدعوة كافي قولهم يعطى ويمنع أي يفعل الاعطاء والمنع خذفه للتصدي الى إيجاد نفس الفعل اشعارا بأن محوم الدعوة غنى عن البيان وانما المقصود الامر بالمجاهدا على وجه مخصوص (الى سبيل ربك) الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم وأخرى بملة ابراهيم عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المسالكية وتبليغ الشيء الى كاله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي عليه الصلاة والسلام في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكليفهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والايما الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى (بالحكمة) أي بالمقابلة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيج للقيمة (والموعظة الحسنة) أي الخطايات المقتنة والمعرّاة النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك تاتهمهم وتقصد ما يتفهم فلاولى لدعوة خواص الامة الطالبيين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز أن يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين (وجادلهم) أي ناظر معانديهم (بالحق) بالبرقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكيناً لشغهم واطفاءً للبهيم كما فعله الخليل عليه السلام (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذي أمرك بدعوة الخلق اليه وأعرض عن قبول الحق بعد ما عين ما عين من الحكم والمواظع والعبير (وهو أعلم

بالمهتدين) اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى أعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو أعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال بموجب استدعاده المكتسب وبحال من يصير أمره الى الاهتداء لما فيه من خير جليل فاشرع له في الدعوة هو الذي تقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين أو ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن وأما حصول الهداية أو الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو أعلم بمن يبيح على الضلال ومن يمتدى اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما أن ساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما أنه تغيير لفظة الله التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك أمر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجران على موجب الدعوة ولذلك جرى به على صيغة الاسم المنحى عن الثبات وتكرير هو أعلم للتأكيد والاشعار بتباين حال المعلومين وما قلنا من العقاب والثواب وبعد ما أمره عليه الصلاة والسلام فيما يخص به من شأن الدعوة بما أمره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولين شاميه فيما يعم الكل يقال (وان عاقبتهم) أي ان أردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحصى ان أكلت فكل قليلا (فما قبلوا بمثل ما عاقبتهم به) أي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كاذب تدان أو على نهج المشاكاة والمقصود انجاب مراعاة العدل مع من يناسبهم من غير تجاوز حين ما آل الجدال الى القتال وأدى النزاع الى القراع فان الدعوة بالمأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصف الوجود عن القيل المعبرة وأدخال الاعاني في قلادة غير معبودة قاضية عليهم بفساد ما أتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الاولون وقد عاقبت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق الحاجة والمناظرة وأرجحت دونهم أبواب المباحة والمخاورة وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حزة رضى الله عنه يوم أحد قد مثل به قال لئن أظفرتني الله بهم لاثنت بسبعين مكانا فزلت كففر عن يمينه وكف عما أراه وقرئ (وان عاقبتهم فعقبوا أي وان عاقبتهم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في الملة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتهم حدث على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الأكيد فقيل (ولئن صبرتم) أي عن المعاقبة المثل (لهو) أي لصبركم ذلك (خير) لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل (لصابرين) مدحاً لهم وثناء عليهم بالصبر أو صفتهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول أنفسهم في جنس الصابرين دخولاً أولياً ثم أمر عليه الصلاة والسلام صريحاً بما نذب اليه غيره تعريضا من الصبر لأنه أولى الناس بغير انهم الامور لا يادعاه بشؤنه سبحانه وفوره وثوقه به فقيل (واصبر) أي على ما أصابك من جهنم من فتن الآلام والآذية وعاقبتهم اعراضهم عن الحق بالكلية (وما صبرك الا بالله) استثناء مفرغ من أعام الاشياء أي وما صبرك ملايساً ومصحوباً بشئ من الاشياء الا بالله أي بذكره والاستعراق في مراقبة شؤنه والتبطل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه الصلاة والسلام وتوحيه عن الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه أو الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسليته من حيث اشتغاله على غايات جميلة وقيل لا يتوفيقه ومعهوته في من حيث تسليته وتيسيره فقط (ولا تحزن عليهم) أي على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومنابهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم (ولا تات في ضيق) بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل أي لا تكن في ضيق صدر وحر ج ويجوز أن يكون الاول تخفيف ضيق كين من هين أي في

أمر ضيق (عاصمكرون) أي من مكرم بك فيها يستقبل فالاول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم أتوا نهي عن اتفادها من لوازم الصبر المأمور به لاسيا على الوجه الاول لزيادة التأكيد وإظهار حال العناية بشأن التسلي والافضل يحظر ببال من توجه الى الله سبحانه بشارش نفسه متزها عن كل ماسواه من الشواغل شيء من مطلوب فينبى عن الحزن بقواته أو محذور فكيف عن الخوف من وقوعه (ان الله مع الذين اتقوا) تحليل لما سبق من الأمر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجوع والحزن وحقيق الصدر وما يضر به دخول كلمة مع من متبوعة المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون وللتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التورق عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعني التزهد عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشارش نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله وفي الذين يتبتلوا اليه بالسكينة ونزوهوا عن كل ما يشغل سره عنه فليحظر ببالهم شيء من مطلوب أو محذور فضلا عن الحزن بقواته أو الخوف من وقوعه وهو المعنى بمسايه الصبر المأمور به حسبما أشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التحليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على أحد التفسيرين فاحقق في مقامه والا فجرد التوفى عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورديقه وانما مداره المعنى المذكور فكأنه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما أثر ما عليه التظلم الكريم بمالعة في الحث على الصبر بالنتية على أنه من خصائص أجل التعوت الجلية وروادفه كما أن قوله تعالى (والذين هم محسنون) للاشعار بأنه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقد نه على أن كلام من الصبر والتقوى من قيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذائق وقد فسر عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تراه فانه ترك وتكرير الموصول للايدان بكفاية كل من الصلوتين في ولايته سبحانه من غير أن تكون احداهما تنمة للآخرى وايراد الاولى فعليه الدلالة على الحدوث كما أن ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما أن التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه الصلاة والسلام داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه الصلاة والسلام ومن شايه عبر عنهم بذلك مدحاهم وثنا عليهم بالتمتين الجميلين وفيه رمز الى أن صنيعه عليه الصلاة والسلام مستتب لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية

اصبر تكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس

عن هرم بن حيان أنه قيل له حين الاحتضار أوص قال انما الوصية من المال وأوصيكم بغيراتي سورة النحل . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاحا أوليته كان له من الاجر كالذي مات وأحسن الوصية والحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله أجمعين

سورة بني اسرائيل
(مائة وأحدى عشرة آية . مصكبة الا آيات في آخرها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذي أسرى بعبده) سبحان علم للتيسيح كعتيان للرجل وحيث كان المسمى معنى لاينا وجنسا لاشخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد الممارك أو حاتم ملي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحانه الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التزينة البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض وعنه فرس سبح أي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيا وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التزهد وفيه مبالغة من حيث اضافة التزهد الى ذاته المقدسة ومناسبة تأمة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كأنه قيل تزهد بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى (ليلا) لا فادقة زمان الاسراء لما فيه من التكرار الدال على البعثة من حيث الاجزاء دلالة على البعثة من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعثة زمان سيرك من الليالي يفيد بعثته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيار السير لا ظرفا له ويؤيد قرأة من الليل أي بعضه وايدار لفظ العبد للايدان به حضه عليه الصلاة والسلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واطافة التزهد او التزهد الى الموصول المذكور للاشعار بعلة ما في حيز الصلة للضاف فان ذلك من أدلة كمال قدرته وبالجملة ونهاية تزهد عن صفات المخلوقين (عن المسجد الحرام) اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام بالبراق وقيل هو دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لأحلمه بالمسجد والباله به أو لأن الحرم كله مسجد فانه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبث بثوبه عليه الصلاة والسلام فتمتع خفية أن يكذبه القوم قال عليه الصلاة والسلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه أبو جهل فأخبره صلى الله عليه وسلم بتحديث الاسراء فقال أبو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم نخدشهم فمن مصفق واضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أنصدقه على ذلك قال انى اصدقه على أبيد من ذلك ففسى الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعدوه المسجد فحلى له بيت المقدس فطلق ينظر اليه وينعتهم فظفر اليه وينعتهم فقالوا أما التعت فقد أصابه فقالوا اخبرنا عن غيرنا فأخبرهم بعد جماله وأحواله وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جعل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو النخلة فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يقدمها جعل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قائلهم الله أنى يؤفكون . واختلف في وقته أيضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعثة واختلف أيضا أنه في البقعة أو في المنام فمن الحسن أنه كان في المنام وأكثر الاقوال بخلافه والحق أنه كان في المنام قبل البعثة وفي البقعة بعدها واختلف أيضا أنه كان جسيانيا أو روحانيا فمن عائشة رضي الله عنها أنها قالت

ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروجه وعن معاوية أنه قال إنما عرج بروجه والحق أنه كان جسمانيا على ما بيننا من التصدير بالتزوية وما في ضمنه من التعجب فإن الروحاني ليس في الاستجداد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجب منه قريش وأساؤه ولا استحالة فيه فإنه قد ثبت في الهندسة أن قطر الشمس ضعف قطر الأرض مائة وثلاثة وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل إلى موضع طرفها الأعلى بحركة الفلك الأعظم مع معاودة حركة فلكها في أقل من ثانية وقد تقرر أن الأجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جانبها الحركة وأن الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيلة الامكان فيقدر على أن يخلق مثل تلك الحركة بل أسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم أو فيها يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة (إلى المسجد الأقصى) أي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ ورائه مسجد وفي ذلك من تزيه معنى التزيه والتعجب ما لا يخفى (الذي باركنا حوله) بركات الدين والدنيا لأنه محيط بالروح ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام (لثريه) غاية للاسراء (من آياتنا) العظيمة التي من جعلها ذهابة في برهة من الليل مسورة شر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول إلى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتثل الانبياء له ويقوفه على مقامهم العلية عليهم الصلاة والسلام والاتفات إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء (انه هو السميع) لاقواله عليه الصلاة والسلام بلا أدنى (البصير) بأفعاله بلا بصير حسبا يؤذن به القصر فيكرمه ويقر به بحسب ذلك وفيه ايحاء إلى أن الاسراء المذكور ليس الا لشكرته عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته والا فالاحاطة بأفعاله وأفعاله حاصلة من غير حاجة إلى التقريب والاتفات إلى الغيبة لثرية المهابية (وآيتنا موسى الكتاب) أي التوراة وفيه ايحاء إلى دعوته عليه الصلاة والسلام إلى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعاً بين الأمرين المتحدفين في المعنى ولم يذكر هنا العروج بالنبي عليه السلام إلى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبا فطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء إلى قبول السامعين أي آتيانه التوراة بعد ما سرنا به إلى الطور (وجعلناه) أي ذلك الكتاب (هدى لبني اسرائيل) يهتدون بما في مطاوبه (أن لا تتخذوا) أي لا تتخذوا نحو كتب البه أن افضل كذا وقرئ بالياء على أن أن مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب هداية لبني اسرائيل لئلا يتخذوا (من دوفى وكيل) أي ديا تكونون اليه أموركم والافراد لما أن فعلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو النداء على قراءة النهي والمراد تأكيد الحل على التوحيد بتذكير النعمة تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام أو على أنه أحد مفعول لا يتخذوا على قراءة النبي ومن دوفى حال من وكيل فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واو لا تتخذوا بالبدال الظاهر من ضمير المخاطب كاهو مذهب بعض البغاداة وقرئ ذرية بكسر الدال (انه) أي ان نوحا عليه الصلاة والسلام (كان عبدا شكورا) كثير الشكر في جماع حالاته وفيه ايدان بأن انجاء من معه كان بركة شكره عليه الصلاة والسلام وحسب للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام (وقضينا) أي أقمنا وأحكامنا منزلة (إلى بني اسرائيل) أو موحيين اليهم (في الكتاب) أي في التوراة فإن الانزال والروح إلى موسى عليه السلام انزال ووحى اليهم (لنفسد في الأرض) جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحكوم بحري القسم كأنه قيل وأقمنا لنفسد (مرتين) مصدر والمعامل فيه من غير جنة أو لاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعبا عليه الصلاة والسلام وحسب أرميا حين أئذهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (ولنعن علوا كبيرا)

لنفسد عن طاعة الله سبحانه أو لنعنا الناس بالظالم والعدوان وتقرظ في ذلك افراطا مجاوزا للحدود (فإذا جاء وعد أولاهما) أي أولى كرقى الافساد أي حان وقت حلول العقاب الموعود (بعثنا عليكم) لمواخذتكم بمخائباتكم (عبادا لنا) وقرئ عبيدا لنا (أولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش في الحروب هم مستجاريب من أهل بنيوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لحراسب وقيل جالوت (لجاسوا) أي ترددوا اطلبكم بالفساد وقرئ بالخاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا (خلال الديار) في أوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا عليهم وكيارهم وأحرقوا التوراة وخرروا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية (وكان) ذلك (وعدا مفعولا) لاعماله بحيث لا صايف عنه ولا مبدل (نمردنا لكم الكرة) أي الدولة والغلبة (عليهم) على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تقيم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قبلى قتل بخت نصر واستمعة لبني اسرائيل أسرارهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك أنه لما ورد بهم من استغفار الملك من جده كشتاف من لحراسب ألقى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد أسرارهم إلى الشام وهلك عليهم دنابل عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر وقيل هي قتل داود عليه السلام لجالوت (وأعدناكم بأموال) كثيرة فعدما هبتموكم (وبين) بعدما سبوا أولادكم (وجعلناكم أكثر نفرا) مما كنتم من قبل أو من عدوكم والتفير من يفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفروهم القوم المجتمعون للذهاب إلى العدو كالعبيد والمعين (إن أحسنتم) أعمالكم سواء كانت لازمة لأنفسكم أو متعديا إلى الغير أي علمتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك إلا بعد أن تكون الأعمال حسنة في أنفسها وإن فعلتم الاحسان (أحسنتم لأنفسكم) لان ثوابها لها (وإن أسأتم) أعمالكم بأن علمتموها على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاق أو فعلنم الاساءة (فلها) اذ عليها وبالها وعن على كرم الله وجهه ما أحسن إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها (فإذا جاء وعد الآخرة) حان وقت ما وعده من عقوبة المرة الأخيرة (ليسوا وأجروكم) متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أي بعثناهم ليسوا وما معنى ليسوا وأجروكم ليجهل آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوا على أن الضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ونفسه بنون العظمة وفي قراءة على رضى الله عنه لقول أن أنه جواب إذا وقرئ نسوان بالنون الخفيفة وليسوان واللام في قوله عز وجل (وليدخلوا المسجد) عطف على ليسوا متعلق بما يتعلق به (كادخلوه أول مرة) أي في أول مرة (وليتبروا) أي يهلكوا (ما علوا) ما علوه واستولوا عليه أو مدة عاومهم (تتبروا) فظيلا لا يوصف بأن سخط الله عز سلطانه عليهم القرس فخرهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جردور وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرآنيهم فوجد فيه دما يغلى فسأهم عنه فقالوا دم قربان لم يقل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك ألوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ماتركت منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليها الصلاة والسلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أظلم فأعاد بأذن الله تعالى قبل أن لا أتى منهم أحدا فهدأ (عسى ربكم أن يرجعكم) بعد المرة الأخيرة ان تقيم توبة أخرى وازجرتم عما كنتم عليه من المعاصي (وإن عدتم) إلى ما كنتم فيه من الفساد مرة أخرى (عدنا) إلى عقوبتكم ولقد عادوا فأعاد الله سبحانه عليهم العقوبة بأن سخط عليهم الا كسرة فقتلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاثابة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام فهم يظنون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي محبسا لا يستطيعون الخروج منها أبد الأبد وقيل بساطا

كما يبسط الحصار وإنما عدل عن أن يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك وإشمارا بيلة الحكم (ان هذا القرآن) الذي آتيناكم به (يهدي) أي الناس كافة لافرة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناها موسى (لتي) للطريقة التي (هي أقوم) أي أقوم الطرائق وأسدها أغنى ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والحصله ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لاسباب بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدائه لها كونه بحيث يهتدى اليها من يتسلك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين حيث (و يبشر المؤمنين) بما في تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرى بالتخفيف (الذين يعملون الصالحات) التي شرحت فيه (أن لهم) أي بأن لهم بمقابلة تلك الاعمال (أجرا كبيرا) بحسب الذات وبحسب الضعيف عشر مرات فصاعدا (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحلكها الشريعة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخفيفها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما أمروا بالامانة به وللمراعاة التناسب بين أعمالهم وجزائنها الذي أنبأ عنه قوله عز وجل (أعدنا لهم عذابا أليما) وهو عذاب جهنم أي أعدنا لهم فيها كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة عذابا أليما وهو أبلغ في الوجع لما أن آيات العذاب من حيث لا يحتسب اقطع وألجج والجلجلة معطوفة على جملة يبشر بأخبار يخبر أو على قوله تعالى أن لهم داخله معه تحت التشهير المراد به مجازا مطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنسبة لواقع حقيقة فيكون ذلك زيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون التشهير بمعنى المراد تبشير المؤمنين ببشارتين نوابه وعقاب أعدائهم وقوله تعالى (و يدع الانسان بالشرك) بيان لحال المهدي اثر بيان حال الهدى واطارها لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس أسند اليه حال بعض أفرادة أو حتى عنه سأل في بعض أحيانه فالمعنى على الاول أن القرآن يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر ورائه من العذاب الاليم وهو أي بعض منه وهو الكافر يدعو نفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قالنا فتنا بما تمعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم واما بأعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم (دعاهم بالخير) أي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لتحقيقا فانه بمنزلة الدعاء به وفيه رمز الى أنه اللاتق بحاله (وكان الانسان) أي من أسند اليه الدعاء المذكور من أفرادة (مجهولا) يسارع الى طلب ما يخضر بالاهتمام عن ضرره أو مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتية لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على أعمالهم تحمل المعجولة على البيع والتسادي في استجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني أن القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو في بعض أحيانه كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه وأهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جهله مجهولا لا يتأني الى أن يزول عنه ما يعتريه روى أنه عليه الصلاة والسلام دفع الى سودة أميرا فأرخت كتافه رحمة لانيته بالليل من ألم القيد فرب فلما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام قال اللهم اقطع يديها فرفقت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عليه السلام اني سألت الله تعالى أن يجعل دعائي على من لا يستحق من أهلي عذابا رحمة أو يدعو بما هو شر وهو بحسبه خيرا وكان الانسان مجهولا غير متبصر لا يتدبر في أموره حتى التدبر ليتحقق ما هو غير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه (وجعلنا الليل والنهار آيتين) شروعا في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من يتتبعه فان

الجميل المذكور وما عطف عليه من نحو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقدم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو أن الليلة أضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة أي جعلنا الملوين بيضا تهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبه يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على أن لها صانعا حكما قادرا عليها وتهديان الى ما هدى اليه القرآن الكريم من ملة الاسلام والتوحيد (فحونا آية الليل) الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود أي نحونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة وعوها جعلها بحجة الضوم مطبوستة لكن لا بعد أن لم يكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي أنشأهما كذلك والفاء تفسيرية لأن نحو المذكور وما عطف عليه لئلا يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل ممان جملة ذلك الجعل ومتماته (وجعلنا آية النهار) أي الآية التي هي النهار على نحو ما مر (مبصرة) أي مضئية يبصر فيها الاشياء وصفا لها بحال أهلها أو مبصرة للناس من أبصره فبصره واما حقيقة وآية الليل والنهار نيراهما ونحو القصر اما خلقه مطبوس النور في نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى الحلق على ما هو معنى نحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعا مضئية بالذات ذات أشعة تظهر بها الاشياء المظلمة (لتبغوا) متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما أشير اليه أي وجعلناها مضئية لتطيلوا لانفسكم في باض النهار (فضلا من ربكم) أي رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوية المنبهة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وإنما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوية (وتعلموا) متعلق بكلا الفعلين أعني نحو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا بأحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراد مدارا للعلم المذكور أي لتعلموا بتفاوت الجديدين أو تزييهما دائما من حيث الاضلال والاحسان مع تعاقبهما أو حرمانهما وسائر أحوالهما (عدد السنين) التي يتعلق بها غرض على لاقامة مصالح الحكم الدينية الدنيوية (والحساب) أي الحساب المتعلق بما في متنها من الاوقات أي الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما ينط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحقيقها مما ينتظمه الحساب وإنما الذي يتعلق به العد طائفة منها وتعلته في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة أعني حيثية تحقيقها وتحصلها من عدة أشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث أنها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها أي يفنيها من غير أن يعتبر في ذلك بحصل شيء معين وتحقيقه ما مر في سورة يونس من أن الحساب احصاء مالكية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث يحصل بطائفة معينة منها حدد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما أشير اليه آفا والعد احصاءه بمجرد تكرير أمثاله من غير أن يحصل منه شيء كذلك ولما أن السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل أضيف اليها العدد وعلق الحساب بما عداها بما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها أسام خاصة وأحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداء من العشرات والمئات والالوف اعتبارا لا يحد في تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتبيين من أول الامر على أن متعلق الحساب بما في تضاعيف السنين من الاوقات أو لأن العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما يتعلق به الحساب تفصيلا أو لأن العدد من حيث أنه لم يعتبر فيه تحصل

شيء آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب أو لأن العلم المتعلق بالاول أقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتحان والله سبحانه أعلم **(وقل شيء)** تفكرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى **(فصلناه تفصيلا)** أي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي أقوم ظهورا بينا **(وكل انسان مكلف الزمناه طائره)** أي عمله الصادر عنه باختاره حسب قدرته كانه طار إليه من عش الغيب وكرر القدر أو ما وقع له في القصة الازلية الواقعة حسب استحقاقه في العلم الاولي من قولهم طار له سهم كذا **(في عنقه)** تصوير لشدة لزوم وكال الارتباط أي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه أبدا بل يلزمه لزوم القلادة أو النعل للعتق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون **(ونخرج له)** بنون العطفة وقد قرئ بالياء مبني للفاعل على أن الضمير لله عز وجل وللفعول والضمير للطائر كما في قرآن يخرج من الخروج **(يوم القيامة)** والبحث للحساب **(كتابا)** تصورا فيه ما ذكر من عمله تقيرا وقطيعة وهو مفعول لتخرج على القارئتين الاوليين أو حال من المفعول المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الآخرين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر **(يلقاه)** أي يلقي الانسان أو يلقاه الانسان **(منشورا)** وما حقت لكنته أو الاول صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من لقيه كذا أي يلقي الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة و وكل بك ملكا فيها عن يمينك وعن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسباتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيناتك حتى اذا مت طربت صحيفةك وجعلت منك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة **(اقرأ كتابك)** أي قائلين لك ذلك عن فتادة بقرآن ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقاة آثار أعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا أو شرا يحدث منه في جوه روحه أمر مخصوص بالآلة يعني ما دام الروح متعلقا بالبدن مشغولا بوردات الحواس والقوى فاذا انقطعتم علاقته عن البدن قامت قيامته لأن النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء وتنكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة **(كني بنفسك اليوم عليك حبيب)** أي كني نفسك والبا زائدة واليوم ظرف لكني وحسبنا تميز وعلى صلته لأنه بمعنى الحساب كالصبرم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي ووضع موضع الشبهة لأنه يعني المدعي ما أمحه وتذكيره لأن ما ذكر من الحساب والكفاية ما يتولاه الرجال أو لأنه مبني على تأويل النفس بالشخص على أنها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث يأنفس انك بالذات مسرور فاذا كر فهل يفتنك اليوم تذكير

(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) فذلك لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لا قوام الطرائق ولزوم الاعمال لا محابها أي من اهتدى بها يهتد بها في تصانيفه من الاحكام وانتهى حمايته عنه فانما تعود منفعة اعدائه الى نفسه لا تنحط الى غير من لم يهتد **(ومن ضل)** عن الطريقة التي يهتدي بها **(فانما يضل عليها)** أي فانما يضل بالضلالة عليها لا على من عداه من لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه **(ولا تزر وازرة وزر أخرى)** تأكيده للجملة الثانية أي لا تحمل نفس حامل للوزر وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ومثقل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان انما ناله طائره في عنقه وأما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى

ليحملوا أو زارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير واتقاه بحسنة وتضرره بيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر ببيئته فان جزءا الحسنه والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع جزءا شفاعة لا جزءا أصل الحسنه والسيئة وكذلك جزءا الضلال مقصور على الضالين وما يجعله المضلون انما هو جزءا الضلال لا جزءا الضلال وانما يخص التأكيده بالجملة الثانية قطعاً للاطلاع الفارقة حيث كانوا يزعمون أنهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعية على أسلافهم الذين قلدوهم **(وما كنا معذبين)** بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال بأصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذه النفس بجناية غيرها أي وما صنع وما استقام متماثل استحبال في سنتنا المبينة على الحكم البالغة أو ما كان في حكمنا الماخض وقضائنا السابق أن نعذب أحدا من أهل الضلال والاولا زار اكتفاء بقضية العقل **(حتى نبعث)** اليهم **(رسولا)** يهديهم الى الحق ويردهم عن الضلال ويقيم الحجج ويهدى الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المذل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده أو المجلس الشامل للتعذيب والاخرى وهو من أفرادها وأما ما كان فالبعث غاية لعدم حجة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخرى لا يمكن وقوعه عقاب البعث والنبوي أيضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يرجيه من الفسق والعصيان ألا يرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهوا أفستة وقوله تعالى **(واذا أردنا أن نهلك قرية)** بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعث التي جعلت غاية لعدم حسنة وليس المراد بالارادة تحقيقها بالفعل اذ لا يتخلف عنها المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزء الا في بل ذو وقته كما في قوله تعالى أتى أمراته أي واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا أنه لا يصح منا قبل البعث أو بتوهمنا ذكرنا شأنه من مطلق العذاب أعنى عذاب الاستئصال المسلم من الظلم والمعاصي دون انتقضيه المحكمة من غير أن يكون له حد معين **(أمرنا)** بواسطة الرسول المبعوث الى أهلها **(مترفيا)** متعصيا وجاريا وملوكا خصهم بالذك مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي أتباع لهم ولأن توجه الامر اليهم أكد وعدم التعرض للماور به اما لظهور أن المراد به الحق والخير لأن الله لا يأمر بالفحشاء لاشياء بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي اليه وأما لأن المراد وجدنا الأمر كما يقال فلان يعطى ويمنع **(ففسقوا فيها)** أي خرجوا عن الطاعة وتمردوا **(لحق عليها القول)** أي ثبت وتحقق موجه بحلول العذاب اثر ما ظهر منهم من الفسق والظلم **(فدمرناها)** بتدمير أهلها **(تدمير)** لا يكتمه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز عن الخلل على الفسق والتسبيل به بأن صب عليهم ما يطهرهم وأنفضيهم الى الفسق وقيل هو بمعنى التكميل يقال أمرت الشيء فأمر أي كثرته فكثرة وفي الحديث خير المال سكر ما يؤرق ميرة ما يؤرق أي كثيرة النتائج ويعضده قرا ما رواه ناس من الافعال والتفصيل وقد جعلنا من الامارة ما جعلناهم أمرا وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على الاعتدال فان مؤدب ذلك أن طغيانهم منوط بآراء الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافر تأبطرتهم وحملتهم على الفسق حلا حقيقا بأن يعبر عنه بالامر به **(وكأهلكنا)** أي وكثيرا ما أهلكنا **(من القرون)** بيان لكم تميزه له والقرن مسمى الزمان يخترق فيها القوم وهي عشرون أو ثلاثون أو أربعون أو ثمانون أو مائة وقد أيد ذلك بأنه عليه الصلاة والسلام دعا لرجل فقال عش قرنا ففأش مائة سنة أو مائة وعشرون **(من بعد نوح)** من بعد زمنه عليه الصلاة والسلام كعاد ونمود ومن بعدهم من قصت أحوالهم في القرآن العظيم ومن لم تنقص وعدم نظم قومه عليه الصلاة والسلام في تلك القرون المهلكة لظهور أمرهم على أن ذكره

عليه الصلاة والسلام رمز الى ذكرهم (وكفى ربك) أي كفى ربك (بذنوب عباده خيرا بصيرا) يحيط بظواهرها و بواطنها فيعاقب عليها وتقدم الخير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادئ الاعمال الظاهرة والعموم حيث يتعلق بغير المصير أيضا وفيه إشارة الى أن البعث والأمر وما يتولها من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فإن ذلك حاصل قبل ذلك وإنما هو لقطع الاعتذار والزام الحقيقة من كل وجه (من كان يريد) بأعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كإعمال البر أو بطريق ترتب المعلومات على العمل كالأسباب أو بأعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الأول الكفرة وأكثر الفسقة وعلى الثاني أهل الرياء والنفاق والمهاجر للدين والمجاهد لمحض الغلبة (العاجلة) فقط من غير أن يريد معها الآخرة كما يفي عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان هنا مع الاقتصاد على مطلق الإرادة في قسبه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها إرادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز أن يراد الحياة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها لكن الأول أنسب بقوله (نحلبها فيها) أي في تلك العاجلة فإن الحياة واستمرارها من جملة ما يحل له فالانسب بذلك كناية من كفا في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا تؤته منها (مانشاء) أي مانشاء تعجيله له من نعمها لا كل ما يريد (لمن يريد) تعجيل مانشاء له وهو بدل من الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع الى الموصول المنهي عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على أن الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن أراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتفيد المعجل والمعجل بما ذكر من المشيئة والإرادة أن الحكمة التي عليها يدور تلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى مراده ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه وأما ما يترامى من قوله تعالى من كان يريد الحيرة الدنيا وزينتها ونفسا اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل بل جمع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة أعماله فقد أشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى (ثم جعلنا له) مكان ما جعلنا له (جهنم) وما فيها من أصناف العذاب (يصلها) يدخلها وهو حال من الضمير المجرور أو من جهنم أو استئناف (منذوما مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يرأون المسلمين ويفزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها وبآبها ما يقال إن السورة مكية سوى آيات معينة (ومن أراد) بأعماله (الآخرة) الدار الآخرة وما فيها من النعم المقيم (وسعى لها سعيها) أي السعي اللاتئق بها وهو الاتيان بما أمر والابتعاد عما نهى لا التقرب بما يفتخر عن بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاحلاص (وهو مؤمن) إنما ناصحها لا يخطئه شيء فادح فيه وإيراد الإيمان بالجملة للحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة (فأولئك) إشارة الى الموصول يعنون أن أضافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار ببلور درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى إنما الى أن الاتيان بالمضمومة من الخير تقع على وجه الاجتماع أي أولئك الجامعون لما مر من الخصال الخيدة أعني إرادة الآخرة والسعي الجليل لها والإيمان (كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله تعالى أحسن القبول متابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينه اشعار بأنه المعند فيها (كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه أي كل واحد من الفريقين لا الفريق الآخر المراد للخير الحقيقي بالأسعاف فقط (تبد) أي زيد مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الإهداء ما جعل لاحدهما من العطايا العاجلة وما أعد للآخر من العطايا الآجلة المشار إليها بمشكورية السعي وإنما لم يصرح به تعالى على ما سبق تصريحاً وتلويحاً واتكالا على ملحق عبارة وإشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى (هؤلا) بدل من كلا (وهؤلا) عطف عليه أي هؤلا المعجل لهم وهؤلا المشكور وسعيهم فإن الإشارة متعصدة لذات المشار اليه بماله من العنوان

للاذات فقط كالأخبار فيه تذكير لما به الإمداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه أفراد الفريق الآخر وتأكيدها للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى (من عطا ربك) أي من معطاه الواسع الذي لا تنأيه متعلق بنعمد ومعنى عن ذكر ما به الإمداد ومنه على أن الإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل (وما كان عطا ربك) أي دنيا ما كان أو آخرى ما وإنما أظهر أظهارا لمزيد الاعتناء بشأنه واشعارا بعليته للحكم (محظورا) متنوعا بمن يريد به هو فأنص على من قدر له بموجب المشيئة المبينة على الحكمة وإن وجدته ما يقتضي الحظر كالكافر وهو في معنى التعليل لشمول الإمداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموحدين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الإمداد وعدم الحظر (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) كيف في عمل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الإمداد وعدم محظورية العطا بالثبته على استحسان مراتب أحد العطاءين والاستدلال بها على مراتب الآخر أي أنظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيها أمدناهم به من العطايا العاجلة فن وضع ورفيع وظالم وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعوك تعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الأدنى على حال الأعلى كما أفصح عنه قوله تعالى (وللاخرة أكبر) أي هي وما فيها أكبر من الدنيا وقرئ أكثر (درجات وأكبر تفضيلا) لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقاود ردها ولا يكتسب كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز أن يراد بماله الإمداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الأول فإن تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني إرادة ووصولا عما توهم اختصاصها بالاولين فالمتى كل واحد من الفريقين عبد العطايا العاجلة لا من ذكرنا إرادته لها فقط من الفريق الأول من عطا ربك الواسع وما كان عطاؤه الديني محظورا من أحد بمن يريد ومن يريد غيره أنظر كيف فضلنا في ذلك العطا بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الأول تحقيقا لشمول الإمداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنع من عاص لعصيان يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الإمداد الديني بالفريق الثاني مع أنه لم يسبق في الكلام ما يؤيد ثبوته لفضلنا إياهم اختصاصه (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والمراد به أمته وهو من باب التيسير والالهاب أو كل أحد ممن يصلح للخطاب (فتعبد) بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شجذ الشجرة حتى قعدت كأنها خربة أو بمعنى المعجز من قعدته أي عجز عنه (منذوما) محذولا خبران أو حالان أي جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بأن الموحدين بين المدح والنصرة (وقضى ربك) أي أمر أمرا مبرما وقرئ وأوصى ربك ووصى ربك (أن لا تعبدوا) أي بأن لا تعبدوا (الآياه) على أن أن مصدرية ولا نافية أو أي لا تعبدوا على أنها مفسرة ولا نافية لأن العبادة غاية التعظيم فلا تنقضي الاثن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة (وبالوالدين) أي وبأن تحسنوا إياهم أو وأحسنوا إليهما (أحسانا) لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش (أما يبين عندك الكبير أحدهما أو كلاهما) أما مركبة من أن الشرطية وما المؤيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقدمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق الى ورود مقامه مدارقضا عفا الرعاية والاحسان وأحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام بهو بما عطف عليه وقرئ بيلغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تأكيذا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيها إبداء مع أن

بأجمع الصور ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه في أثره قليل (فقد ملوما) أي قصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت (محسورا) نادما أو منقطعاً بك لشيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وما قيل من أنه روى عن جابر رضي الله عنه أنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذا أتاه صبي فقال ان أمي تستكيبك دوما فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فعد البيا فذهب الى أمه فقال له قل ان أمي تستكيبك الدرع الذي عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قبضه وأعطاه وقعدع رانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فزلت فيأباه أن السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل أنه عليه السلام أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وكذا عينة بن حصن الفزاري فجاءه عباس بن مرداس فأثفا يقول

أجعل نبي ونهب العيسد بين عينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس يغوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال عليه السلام يا أبا بكر أطلع لسانه على أعطاه مائة من الإبل وكانوا جميعاً من المؤلفة القلوب فزلت (أن ربك يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) تعليل لما مر أي يوسع على بعضه ويضيقه على آخرين حسبما تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الإضافة التي تحرجك الى الاعراض عن السائئين أو فناء ما في يدك اذا بسطها كل البسط الاصلحتك (أنه كان عباده خيرا بصيرا) تعليل لما سبق أي يعلم سرهم وعظيم فعلهم من مصالحهم ما يحق عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبح من أمر الله العالم بالسر والظاهر الذي يده خزان السموات والأرض وأما العبادة فليعلم أن قصدوا وأن يراد أنه تعالى بسط تارقه يقبض أخرى فاستوا بسطة فلا يقبضوا كل القبض ولا تضطروا كل البسط وأن يراد أنه تعالى بسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وأن يكون تحيد القول (ولا تقتلوا أولادكم خشية الملائكة) أي مخالفة لقول وقرئ بكسر الحاء كانوا يبدون بأنهم عفاة الفقر فهو عن ذلك (نحن رزقهم وإياكم) لا أثم فلا تخافوا الملائكة لأنه على عليكم بعدكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان رزقهم وتعليل للنهي المذكور بإبطال موجه في رزقهم وتقديم ضمير الأولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الأنعام للإشارة بأصنافهم في إضافة الرزق أولاد الساعين على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املأ وجهها الاملاق الموقوع ولذلك قيل خشية املأ فكأنه قيل رزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شيء فيعترك ما تقشونه وإياكم أيضا رزقا الى رزقكم (أن قتلهم كان خطا كبيرا) تعليل آخر ببيان أن النهي عنه في نفسه متكر عظيم والخطأ الدب والاثم يقال خطي خطا كاتم أتما وقرئ بالفتح والساكون وبفتحين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الحاء والممد وبفتحها بمدودا وبفتحها وحذف الحمزة وبكسرهما كذلك (ولا تقربوا الزنا) مباشرة بمبادي القرية أو البعيدة فضلا عن مباشرة وإتمامه عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للبالغة في النهي عن نفسه ولأن قربانه داع الى مباشرة وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الإطلاق باعتبار أنه قتل للأولاد لما أنه تضيق للانساب فإن من لم يثبت نسب ميت حكما (أنه كان فاحشة) فعلة ظاهرة الفحش متجاوزة عن الحد (وسا سبيلا) أي بسط طريقا طريقه فانه غضب الإبتعاد المؤدى الى اختلال أمر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي عليه السلام اذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال عليه السلام إياكم والزنا فان فيه ست خصال

ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فذهاب البها ودوام الفقر وقصر العمر وأما التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والمخارد في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) قتلها بأن عصمها بالاسلام أو بالعهد (الاباحق) الاباحدي ثلاث كفر بعد إيمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ أي لا تقتلونها بسبب من الأسباب الا بسبب الحق أو ملتبسين أو ملتبسة بشئ من الأشياء ويجوز أن يكون نعمنا لمصدر محذوف أي لا تقتلونها قتلا ما الا قتلا ملتبا بالحق (ومن قتل مظلوما) بغير حق يوجب قتله أو يبيحه للقتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتض له ولا يفيد قول الولي أنا أمرته بذلك ما لم يكن الأمر ظاهرا (فقد جعلنا لولي) لمن يلي أمره من الوارث أو السلطان عند عدم الوارث (سلطانا) تسلطا واستيلا على القاتل يؤاخذ به القصاص أو بالدية حسبما تقتضيه جنائته أو حجة غالبة (فلا يصرق) وقرئ لا تصرف (في القتل) أي لا يصرق الولي في أمر القتل بأن يتجاوز الحد المشروع بأن يزيد عليه المثلثة أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله أهل الجاهلية أو بأن يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة التثنية مبالغة في إعادة معنى النهي (أنه كان متصورا) تعليل للنهي والضمير للولي على معنى أنه تعالى نصره بأن أوجب له القصاص أو الدية وأمر الحكام بمجموعته في استيفاء حقه فلا يبيع ما وراء حقه ولا يسترد عليه ولا يخرج من دائرة أمر الناصر أو للمقتول طلبا على معنى أنه تعالى نصره بما ذكر فلا يصرق وليه في شأنه أو للذي يقتله الولي طلبا واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد أن الضمير في لا يصرق للقاتل الأول وبعضه قراءة فلا تصرفوا والضميران في التعليل عائدان الى الولي أو المقتول فالمراد بالاسراف حيثئذ اسراف القاتل على نفسه بتعريضه لمسا للمهلك العاجل والأجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل أي لا يصرق على نفسه في شأن القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم (ولا تقربوا مال اليتيم) نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افشاء ذلك اليه وللوصول الى الاستثناء بقوله تعالى (الا بالتي هي أحسن) أي الا بالخصلة والطريقة التي هي أحسن الحاصل والطارق وهي حفظه واستنباره (حتى يبلغ أشده) غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا الوجه المذكور فقط (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالياء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن (أن العهد) أظهر في مقام الاضمار اظهرا لكمال العناية بشأنه أو لأن المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود (كان مشولا) أي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود أي مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على أن أصله الحكيم قاله تخفف المضاعف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز أن يكون تحيلا كأنه يقال للعهد لم نكسث وهلا وفي بك تكبنا لنا كك كال يقال للوؤدة بأي ذنب قتلت (وأوفوا الكيل) أي أتموه ولا تخسروه (اذا كنتم) أي وقت كيلكم للشترين وتقييد الأمر بذلك لما أن التلطيف هناك يكون وأما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الأمر بالتعديل قال تعالى اذا اكنالوا على الناس يستوفون الآية (وزنوا بالقسطاس) وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان أو كبيرا وروى معرب ولا يقدح ذلك في عرية القرآن لا تنظام العربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف (المستقيم) أي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الأمر بإيفاء الوزن لما أن عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا

ما يقع التلطيف مع استقامة الآلة كما أن الاكتفاء بإبقاء الكيل عن الأمر بتعديله لما أن إيفاءه لا يتصور بدون تعديل الكيل وقد أمر بتقريبه أيضا في قوله تعالى أوفوا الكيل والميزان بالقسط (ذلك) أي إيفاء الكيل والوزن بالميزان السوى (خير) في الدنيا اذ هو أمانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجليل بين الناس (وأحسن تأويلا) عاقبة تضليل من آل إذا رجع والمراد ما يؤل إليه (ولا تقف) ولا تتبع من تقا أثره إذا تبعه وقرى (ولا تقف من قاف أثره) أي قفاه ومنه القافة في جمع القائف (ماليك لك به علم) أي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول أو فصل فمن يتبع مسلكا لا يدري أنه يوصله إلى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعي كان أو ظاهريا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل أنه مخصوص بالعقائد وقيل بالبرى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قضا مؤمنا بما ليس فيه حبيسه الله تعالى في ردغة الجبال حتى يأتي بالخروج ومنه قول الكعب

ولا أرى البرى بنسب ذنب ولا أقفوا الخواصن إن رغبنا

(إن السع والبصر والفؤاد) وقرى (يفتح الفؤاد) والواو المقلوقة من المصدرة عند ضم الفاء (كل أولئك) أي كل واحد من تلك الأفعاء فأجريت مجرى العقلاء لما كانت مسئلة عن أحوالها شاهدة على أصحابها وهذا وإن أولا وان غلب في العقلاء لكنه من حيث أنه اسم جمع لذا الذي يعم القليلين جاء لغزيرهم أيضا قال

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

(كان عنه مسئولا) أي كان كل من تلك الأفعاء مسئولا عن نفسه على أن اسم كان ضمير يرجع إلى كل وكذا الضمير المحرر وزود جوز أن يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر أن يقال كنت عنه مسئولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد أسند إليه مسئولا معللا بأن الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحس حتى الإجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل إذا كان جاريا ومجرورا ويجوز أن يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز أن يكون مسئولا مستندا إلى المصادر المدلول عليه بالفعل وأن يكون فاعله المصدر وهو السؤال عنه في محل النصب وسأل ابن جني أبا علي عن قولهم فبك رغب وقال لا يرتفع بما بعده فإين المرفوع فقال المصدر أي فبك رغب الرغبة بمعنى تفعل الرغبة كما في قولهم يعطى ويمنع أي يفعل الأعطاء والمنع ويجوز أن يكون اسم كان أو فاعله ضمير كل يحذف المضاف أي كان صاحبه عنه مسئولا أو مسئولا صاحبه (ولا تمش في الأرض) التقييد لزيادة التقرير والاشعار بأن المشي عليها مما لا يليق بالمرح (مرحاً) تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال أي ذا مرح أو ترح مرحا أو لأجل المرح وقرى بالكسر (أنك لن تحرق الأرض) تعليل للنهي وفيه تهكم بالختال وايدان بأن ذلك مفاخرة مع الأرض وتكبر عليها أي أن تحرق الأرض بدوسك وشدة وطأتك وقرى بضم الراء (ولن تبلغ الجبال) التي هي بعض أجزاء الأرض (طولا) حتى يمكن لك أن تكبر عليها اذ التكبر إنما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما محقود وفيه تعريض بما عليه الختال من رفع رأسه ومشيته على صدور ردميه (كل ذلك) إشارة إلى ما علم في تضاعيف ذكر الآمر والنواهي من الخصال الحسن والعشرين (كان سبته) الذي نهى عنه وهي انتاعرة خصلة (عند ربك مكرها) مبغضا غير مرضى أو غير مراد بالارادة الأولية لا غير مراد مطلقا لقيام الآلة القاطمة على أن جميع الأشياء واقعة بأرادته سبحانه وهو تمة لتعليل الأمور

المنهى عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكرامة مع أن البعض من الكيما لا يذبان بأن مجرد الكرامة عنده تعالى كافية في وجوب الإلتها عن ذلك وتوجيه الإشارة إلى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها إليه ابتداء لما أن البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وإنما لم يصرح بذلك ايدانا بالغنى عنه وقيل الإضاعة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرى سبته على أنه خبر كان وذلك إشارة إلى ما نهى عنه من الأمور المذكورة ومكرها بدل من سبته أوصفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سبته وقد قرى به أو مجرى على موصوف مذكر أي أمرا مكرها أو مجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان أو في الطرف على أنه صفة سبته وقرى سبته وقرى شأنه (ذلك) أي الذي تقدم من التكليف المفصلة (عما أوحى إليك ربك) أي بعض منه أو من جنسه (من الحكمة) التي هي علم الشرائع أو معرفة الحق لذاته والعمل بها ومن الأحكام المحكمة التي لا ينطرق إليها التسام والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن هذه الآيات الثماني عشرة كانت في ألواح موسى عليه السلام وأولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ومن أما متطابقة وأوحى على أنها تبعية أو ابتدائية وأما بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من ضميره المحذوف في الصلة أي كاتنا من الحكمة وأما بدل من الموصول بأعادة الجار (ولا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهى عنه وقد كرر لتبنيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه وأنه رأس كل حكمة وملاكمها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وإن بذفها أساطين الحكما وحك يافوخه عنان السبا وقد رتب عليه ما هو عائدة الإشراف أو لا حيث قيل فتعبد مذموما مخذولا ورتب عليه هنا نتيجة في العقي قليل (فاني في جهنم ملوما) من جهة نفسك ومن جهة غيرك (مذمورا) مبعدا من رحمة الله تعالى وفي إيراد اللفظ مبينا للفعول جرى على سنن الكبرياء وازدراء للمشررك وجعل له من قبل خشية بأخذها أخذ بكفه فطرحا في التنوير (أفأصفاكم ربكم بالبينين وأخذ من الملائكة انان) خطاب للثقلين بأن الملائكة بنات الله سبحانه والأصفا بالشي جعله خالصا والمهمة للانكار والفناء المحلف على مقدر يفسره المذكور أي أفضلكم على جنايه تخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخصوص وآثر لذاته أخسها وأدناها كما في قوله سبحانه ألكم الذكر وله الأنثى وقوله تعالى أمه البنات ولكم البنون وقد قصد هنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد التكبر وتأكيد وأشير بذكر الملائكة عليهم السلام وإيراد الاناث مكان البنات إلى كفرة لهم أخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي أخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انانا (أنكم لتقولون) بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو إضافة الولد إليه سبحانه (قولا عظيما) لا يقادر قدره في استتباع الأثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه أحد حيث يعملونه تعالى من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثل شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تصنفون إليه ماتكرهون من أخس الأولاد وتصفون عليه أنفسكم بالبينين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلق بالانوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان فيلها من مثله ما أقبحا وكفرة ما أشعها وأظلمها (ولقد صرفنا) هذا المعنى وكرناه (في هذا القرآن) على وجهه من التصريف في مواضع منه وإنما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرى بالتخفيف (ليذكروا) ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات إلى الغيبة للايدان باقتضا الحال أن يعرض عنهم ويحكى للسامعين هتاتهم وقرى بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكير ويجوز أن يراد بهذا القرآن ما نطق بطلان مقاتلهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على أساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا لما لا يؤمن

فيه التصريف كقوله يخرج في عرقها نصلي وقد جوز أن يراد به ابطال احصائهم اليه تعالى النبات وأنت تعلم أن ابطالها من آثار القرآن وتأنجها وما يزيدكم أي والحال أنه ما يزيدكم ذلك التصريف البالغ (الانفورا) عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدى الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبايح (قل) في اظهار بطلان ذلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى (ألهة كما يقولون) أي المشركون قاطبة وقرئ بالثاء خطا بلهم من قبل النبي عليه الصلاة والسلام والكاف في محل نصب على أنها نعت لمصدر محذوف أي كانوا ما هم لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة (أذا لا يتفوا) جواب عن مقالهم الشنعاء وجراء للوأي طلبوا (إلى ذي العرش) أي إلى من له الملك والربوبية على الاطلاق (سبيلا) بالمغالة والممانعة كما هو بين المالك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيها آلهة الا الله لمصدقا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة والأول هو الأظهر الأنسب لقوله (سبحانه) فإنه صريح في أن المراد بيان أنه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحسبون وأما ابتغاء السبل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقرب ولا هو مما يازمهم من حيث لا يشعرون بل هو أمر يتقدمونه رأسا أي تزهده بآثاره تزهدها حقيقة (وتعالى) متباعدة (عما يقولون) من العظيمة التي هي أن يكون معه آله وأن يكون له بنات (علوا) تعالى كقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا (كثيرا) لا غاية وراية كيف لا والله سبحانه في أقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من أنه تعالى شركاء أو لاداء في أيدي مراتب المعدم أعني الامتناع لآله تعالى في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يتبع بقاؤه كما قيل فإن ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اقتضاه تعالى له وأن يكون معه آله ولا ريب في أن ذلك ليس بدخول في حد الاسكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من أدنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من شأنه ذلك (نسيح) بالقوفانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت (له السموات السبع والأرض ومن فيهن) من الملائكة والتفان على أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز (وان من شيء) من الأشياء حيوانا كان أو نباتا أو جادا (الا يسبح) ملتبسا (بحمده) أي يزيهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الأقدس من لوازم الامكان ولو احق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بإمكانه وحدونه يذله لا لثوaxe على أنه صانعا عليها قادر احكاما واجبا لذاته قطعاً للسلسلة (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي المشركون لا خلاصكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المثنى لدفعول من باب التفعيل (انه كان حليما) ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهاك في الكفر والاشراك (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن) الناطق بالتسبيح والتزبيح ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع (جعلنا) بقدرتنا ومشيئتنا المبينة على ادعائهم الحكم الخفية (بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) أو أثر الموصول على الضمير ذما لم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفر به من التوحيد ونحوه دلالة على أنها معظم ما أمر بالايمان به في القرآن وتعميدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك (حجابا) يحجبهم من أن يدركوا على ما أنت عليه من النبوة فيهموا قدرك الجليل ولذلك اجترأوا على قفوه العظيمة التي هي قولهم ان تبصروا الارجل مسحورا وحمل الحجاب على ما روى عن أمهات بنت أبي بكر رضي الله عنه من أنه لما زلت سورة ثبت أقبلت العورا أم جميل امرأة أبي لُب وفي يدها فخر والنبي عليه الصلاة والسلام قاعد في المسجد

ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد أقبلت هذه وأخاف أن تراك قال عليه الصلاة والسلام انما لن تراني وقرأ آخر آفا فقلت على أبي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يقبله الذوق السليم ولا يباعه العلم الكريم (منورا) فاسترقا في قولهم سيل مغم أو مستورا عن الحسن بمعنى غير حسي أو مستورا في نفسه بحجاب آخر أو مستورا كونه حجابا حيث لا يدرون أنهم لا يدرون (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية كثيرة جمع كنان (أن يفقهوه) مفعول لأجله أي كراهة أن يفقهوه أو مفعول لسداد على الكلام أي منعناهم أن يفقهوا على كنهه ويعرفوا أنه من عند الله تعالى (وفي آذانهم وقرا) صمما وقلا ما فاء من سماعه اللائق به وهذه تشبيلات معربة عن كمال جليلهم بشؤون النبي عليه الصلاة والسلام وقرطوب قولهم عن فهم القرآن الكريم ويوحى أسماعهم لهجي بهايا بالعدم ففهم لتيسيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتيسيح لسان الحال وايدنا بأن هذا التيسيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لسانه قوي يعترض المشاعر فيطيلها ونظيها على أن حالهم هذا أقيح من حالهم السابق لاحكامها قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقرا ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام جهلا وكفرا من انصافها بأوصاف مائة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا وأساطير وقص عليه حال النبي عليه الصلاة والسلام لا الاخبار بأن هناك أمراء راء ما أدركوه قد حال بينهم وبين أدراكه حائل من قباهم ولا ريب في أن ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال أصله يحد وحده (ولو على أديارهم) أي هربوا ونفروا (نفورا) أو ولو انافروا (نحن أعلم بما يستمعون به) ملتبسين به من اللغو والاستغفاف والخرابك وبالقراءة يروى أنه كان يقوم عن يمينه عليه الصلاة والسلام رجلا من بني عبد الدار وعن يساره رجلا فيصفقون ويصفرون ويخططون عليه بالاشعار (أذ يستمعون اليك) ظرف لأعلم وفادته تأكيد الوعيد بالاخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لأن العلم يستفاد هناك من أحد وكذا قوله تعالى (واذ هم نحوى) لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجى المدلول عليه بسباق النظم والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون ملتبسين به بما لاخبر فيه من الامور المذكورة وبالنبي يتناجون به فيما بينهم أو الاول ظرف ليستمعون والثاني لتناجون والمعنى نحن أعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجى وقت تناجهم ونحو مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف أي ذوو نحوى أو هو جمع نحى كقيل جمع قيسل أي متناجون (أذ يقول الظالمون) بدل من اذهم وفيه دليل على أن ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بأنهم في ذلك ظالمون تجاوزون الحد أي يقول كل منهم للآخرين عند تناجهم (ان تبصروا) ماتبعون ان وجد منكم الاتباع قرضا أو ما تهيون باللغو والخراب (الارجل مسحورا) أي سحر جن أو رجلا ذا سحر أي رثة يتنفس أي بشرامك (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أي مثلك بالشارع والساحر والمجنون (فضلوا) في جميع ذلك عن مناج الحاجة (فلا يستطيعون سبيلا) الى حطن يمكن أن يقبله أحد فيتهاخون ويخطون وياتون بما لا يربط في بطلانه أحد أو الى سبل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى (وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا) استفهام انكارى مفيد لكال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المسأل لما بين غضاضة الحى وبيوسة الرعم من التناقى كأن استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما يولع في دقه ونفثته وقال القراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الخطام واذا متحفظة للظرفية وهو الاظهر والمعامل فيها ما دل عليه قوله

تعالى ﴿أنتا لمعوثون﴾ لانفسه لان ما بعد ان والهجرة واللام لا يعمل فيها قبلها وهو نبئت أو تعاد وهو المرجع للانكار وتقيدته بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدين على حاله بل لتقوية الانكار البعث بوجبه اليه في حالة مثاله له وتكرير الهجرة في قولهم **أنتا تأكيد التكرير** وتعليق الجملة بأن واللام لتأكيد الانكار لا لانكار **أنتا تأكيد** كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهجرة لاختصاصها الصدارة كما في مثل قوله تعالى **أفلا تعقلون** ونظائره على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في البعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يترامى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتوهمهم في الضلال ما لا مزيد عليه ﴿خلقا جديدا﴾ نصب على المصدر من غير لفظه أو الحالية على أن الخلق بمعنى المخلوق ﴿قل﴾ جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه ﴿كونوا حجارة أو حديد أو خفا﴾ آخر **تأكيد** في صدوركم أى يعظم عندهم عن قبول الحياة لكلال المابنة والمنافة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة ﴿فسيقولون من بعدنا﴾ مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المبادعة والمباينة ﴿قل﴾ لهم تحقيقا للحق وإزالة الاستبعاد وإرشادهم الى طريقة الاستدلال ﴿الذى﴾ أى يعيدكم القادر العظيم الذى **فطركم** اختراعكم **أول مرة** من غير مثال يحذيه ولا أسلوب يتحبه وكنتم ترابا ماشم رائحة الحياة أليس الذى يقدر على ذلك بقادر على أن يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بل انه على كل شئ قدير ﴿فسيقولون اليك رؤسهم﴾ أى سيعبر كونها تحرك تعجبا وانكارا ﴿ويقولون﴾ استهزاء ﴿مى هو﴾ أى ما ذكرته من الاعادة ﴿قل﴾ لهم **عسى أن يكون** ذلك **قريبا** نصب على أنه خبر ليكون أو ظرف على أن كان تامة أى أن يقع في زمان قريب وعمل أن مع مافى حينها ما نصب على أنه خبر لعسى وهى ناقصة وانما ضمير عائد الى ما عاد اليه هو أى عسى البعث أن يكون قريبا أو عسى البعث يقع في زمان قريب أو رفع على أنه فاعل لعسى وهى تامة أى عسى كونه قريبا أو وقوعه في زمان قريب **فان** انقرب **يوم يدعوكم** منصوب بفعل مضمر أى اذكروا أو على أنه بدل من قريبا على أنه ظرف أو يكون تامة بالاتفاق أو ناقصة عند من يجوز أعمال الناقصة في الظروف أو بضمير المصدر المستكن في عسى أو يكون أى البعث عند من يجوز أعمال ضمير المصدر كما في قول زهير

وما الحرب الا ما علمت وذقم وما هو عنها بالحدث المرجح

فهو ضمير المصدر وقد تعلق بما بعده من الجار ﴿فستجيئون﴾ أى يوم يبعثكم فتجيئون وقد استعير لها الدعاء والالجابة ايدانا بكال سبولة التأتى وبأن المقصود منهما الاحتشاد للمحاسبة والجواب **بجمدة** حال من ضمير ستجيئون أى متفادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين أو حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها وصيانة أحكامها **وتظنون** عطف على تسيئون أى تظنون عند ما ترون ما ترون من الأمور المماثلة **ان لبعثكم** أى حالتم في القبور **الا قليلا** كالتى مر على قرية أو ما لبعثكم في الدنيا **وقل لعبادى** أى المؤمنين **يقولوا** عند محاورتهم مع المشركين **التي** أى الكلمة التى **هى أحسن** ولا يخالفونهم كقوله تعالى ولا تجدوا لها أهل الكتاب الا بالتي هى أحسن **ان الشيطان يفرغ بينهم** أى يفسد ويبعج الشر والمراءى ويغري بعضهم على بعض لتفريق بينهم المشاقة والمشاراة والمعاراة والمضارة فعمل ذلك يؤدى الى تأكيد العناد وتماضى الفساد فهو تعليل للسابق وقرى **بكر الزا** **ان الشيطان كان** قديما **للانسان عدوا مبينا** ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من أن الشيطان يفرغ بينهم **وبكم أعلم بكم ان يشا يرحمكم** بالترقيق للايمان **أو ان يشا يعذبكم** بالامانة على الكفر وهذا تفسير الى هى

أحسن وما بينهما اعتراض أى قولوا لهم هذه الكلمة وما يشا كلها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فانه مما يرجعهم على الشر مع أن العقاب مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان **وما أرسلناك عليهم وكلاما** موكولا اليك أموره تفسرهم على الايمان وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أحبابك بالمداواة والاحتشال وترك المحافة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقبل نزول في عمر رضى الله عنه شتمه رجل فأمر بالعفو وقيل أفرط أذية المشركين بالمؤمنين فشكروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى أحسن أن يقولوا يهديكم الله ويرحمكم الله **وربك أعلم بمن فى السموات والارض** وتفصيل أحوالهم الظاهرة والكلمة التى بها يستأهلون الاحصاف والاجتباء فيختار منهم لنبوته ولا يهتم من يشاء من يستحقه وهو رد عليهم إذ قالوا بعيد أن يكون يتم أى طالب نيا وأن يكون العراة الجوع أصحابه دون أن يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من فى السموات لا يبال قولهم لولا أنزل علينا الملائكة وذكر من فى الارض ارد قولهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض** بالفضائل النفسانية والتفرد عن الصلوات الجسدية لا بكثرة الاموال والاتباع **وأينما داود زبور** بيان لحيشة تفضيله عليه الصلاة والسلام فان ذلك آية الزبور لا آية الملك والسلطة وفيما يبدآن بتفضيل النبي عليه الصلاة والسلام فان نعمته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة فى الزبور وأن المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادى الصالحون هو ائى عليه الصلاة والسلام وأتمت وتعرف الزبور تارة وتكره أخرى اما لانه فى الاصل قول بمعنى المفعول كالحولب أو قصور جنته كالقول واما لان المراد أينما داود زبور وامن الزبور أو بعضا من الزبور فيه ذكره عليه الصلاة والسلام يقرى بعض الراى على أنه جمع بين مزيور **قل ادعوا الذين زعمتم** انها آلهة **من دونه** تعالى من الملائكة والمسيح وعزير **فلا يستطيعون** كشف الضر عنكم بالردة كالحرض والفرق والتحط وتخوذلك **ولا تخويل** أى ولا تخويله الى غيرهم **أولئك الذين يدعون** أى أولئك الآلهة الذين يدعونه المشركون من المذكورين **يتقنون** يطبلون لانفسهم **الديهم** ومالك أقومهم **الوسيلة** القرية بالطاعة والعبادة **أيهم أقرب** بلد من فاعل يتقنون أى موصولة أى يتبنى من هو أقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه أو ضمن الابتداء معنى الحرص فكانه قبل يحرسون أيهم يكون أقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة **ويرجون رحمته** بها **ويخافون عذابه** بتركها كدأب سائر العباد فأنهم من كشف الضر فضلا عن الالهية **ان عذاب ربك كان عذورا** حقيقا بأن محذرة كل أحد حتى الملائكة والرسول عليهم الصلاة والسلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب وأن بينهم وبين العذاب بونا بعيدا **وان من قرية** بيان لتخصيص حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثرى ان أنه حقيق بالخذروا وأن أساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة أى ما من قرية من قرى الكفار **الا نحن مهلكوها** أى محزوها البتة بالخسف بها أو باهلاك أهلها بالردة لما ارتكبوا من عظام الموبقات المستوجبة لذلك وفى صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل **قبل يوم القيامة** لأن الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا **أو معذبوها** أى معذبوا أهلها على الاستناد المجازى **عذابا شديدا** لا بالقتل والسبي وتخوهم من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهم من ثنون العقوبات الاخرية أيضا حسبا فيصع عنه اطلاق التعذيب عما قيده الاهلاك من قبله يوم القيامة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد أخرجت عقوباتها الى يوم القيامة **كان**

ذلك الذي ذكر من الاعمال والتعذيب (في الكتاب) أي اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا بالبرق
منه شيء الابن فيه بكيفية وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للظالمة
وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحالك من مراحم في تفسيرها أمامك فيخربها الحبيشة وتملك المدينة بالجوع والبصرة
بالغرق والكوفة بالترك والجليل بالصواعق والرواجف وأما خراسان فهلا كهاضوب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ
أبو عمرو الدواني في كتاب الفتن أنه روي عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تغرب أرمينية وأرمينية
آمنة حتى تغرب مصر ومصر آمنة حتى تغرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تغرب الكوفة فإذا كانت
للملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب أفريقيا من
قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من
قبل عدوهم وراهم يحصرهم حتى لا يستطيعون أن يشربوا من الفرات فطارق خراب البصرة من قبل الفرس وخراب الابل من
قبل عدو يحصرهم في البحر وخراب الري من الدلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب
الحند والعين من قبل الجرار والسلطان وخراب مكة من الحبيشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن أبي هريرة رضي
الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد أخرجه العمري من هذا الوجه
وأنت خير بأن تعمم القرية لا يساعد السباق ولا السياق (وما مننا أن نرسل بالآيات) أي الآيات التي اقترحتها
فرش من احيا الموتى وقلب الصفادها ونحو ذلك (الا أن كذب بها الاولون) استثناء مفرغ من أعم الاشياء أي
وما مننا ارسالها شيء من الاشياء إلا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وإن كان بمشيئته
المبينة على الحكم البالغة لا تمنع من ذلك من التكذيب أو غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور
بواسطة استنباعه لاستصالحهم بحكم السنة الانبياء واستانامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والعدا واقضائه الى
أن يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشر في الجبر فمما كان متافيا لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعي
للاستئصال الخالف لما جرى بفعل القضاء من تأخير عقوبات هذا لا مالا في الآخرة لحكم باهرت من جعلها ما يتوهم من ايمان بعض
أعقابهم عبر عن تلك المناقاة المنع على نهج الاستعارة اإذانا بتعاقد مبادئ الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى
لتأييده عليه الصلاة والسلام بالمعجزات وهو السر في ايثار الارسال على الايتام لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى
الزول لولا أن تمسكها يد التقدير واسناد على هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى عمله تعالى بما سيكون من الآخرين
كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم ولو اسمهم لتولوا وهم معززون لا إقامة الحجة عليهم باراز الانحودج
وللايدان بأن مدار عدم الاجابة الى ايتامهم ليس الاضياعهم (وأتينا نمود الناقة) عطف على ما يفصح عنه النظم
الصرخيم فانه قيل وما مننا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون حيث ايتانهم ما اقترحوه من الآيات الباهرة
فكذبوها وأتينا باقتراحهم نمود الناقة (مبصرة) على صيغة الفاعل أي بينة ذات ابصار أو بصائر يدركها الناس
أو اسند اليها حال من يشاهدها مجازا أو جاعلتهم ذوي بصائر من أبصره جعله بصيرا وقرى على صيغة المفعول وفتح
الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرى بالرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف (فظلوا بها) فكفروا بها ظالمين
أي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقور أو ظلوا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقورها ولعل
تخصيصا بالذكر لما أن نمود عرب مثلم وأن لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا
وصدورا أو لانها من جهة أنها حيوان أخرج من الحجر أوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة

أو حديد (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الانحودج) لمن أرسلت هي عليهم بما يعقبا من العذاب المستأصل
كالطليحة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فصل فلا محل للجملة حيث من الاعراب ويجوز أن تكون حالا من ضمير
ظلموا أي ظلموا بها ولم يخافوا عقابته والحال أنما نرسل بالآيات التي هي من جعلها الانحودج من العذاب الذي يعقبا فزل بهم
ما نزل (واذ قلنا لك ان ذكرك أحاط بالناس) أي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى
عليه شيء من أفعالهم الماضية والمستقبلية من الكفر والتكذيب وفي قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا
فتنة للناس) الى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بمصادر عنهم عند مجيء بعض الآيات لا شراك الكل
في كونها أمورا عارضة للعادات منزلة من جانب الله سبحانه لتصدق التي عليه الصلاة والسلام فكذبهم لبعضها مستلزم
لتكذيب الباقي كما أن تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه
عليه الصلاة والسلام ليلة المراج من عجائب الأرض والسماحسبا ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك
بالرؤيا اما لأنه لا فرق بينها وبين الرؤيا أو لأنها وقعت بالليل أولان الكفرة قالوا لعليها رؤيا بل وما جعلنا الرؤيا التي
أرينا كما عيانا مع كونها آية عظيمة وآية حقيقة بأن لا يتلعم في تصديقها أحدا من له أدنى بصيرة الا فتنة افتتن بها
الناس حتى ارتد بعضهم (والشجرة الملعونة في القرآن) عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لمن طاعها على الاسناد
المجازي أو ابتعادها عن الرحمة فانها تنبت في أصل الجحيم في أبعدمكان من الرحمة أو لما جعلنا الا فتنة لهم حيث
أنكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم يحرق بالحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا
حيث كابر واقتضيه عقولهم فاتهم يرون النعامة تنبتل الجمر وقطع الحديد المحادة فلا تضرها ولا يشاهدون المناديل المتخذة من وبر
السندرتلي في النار فالقوة تؤثر فيها ويرون أن في كل شجر نارا وقرى بالرفع على حذف الخبر فانه قيل والشجرة الملعونة
في القرآن كذلك (ونفوفهم) بذلك وبظواهرها من الآيات فان الكل للتخويف واثار صيغة الاستقبال للدلالة
على التجدد والاستمرار ف يزيدهم التخويف (الاطفيانا كبيرا) متجاوزا عن الحد فلما أنا أرسلنا بما اقترحوه من
الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرهم وفعل بهم ما فعل بأشباعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة
الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل أكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسليمة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى ازال الآيات التي اقترحوها لان ازالها ليس بمصلحة من نوع
حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حق لا تدب بهذه المعجزات كما أتى بها موسى وغيره من
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد أحاط بالناس فيهم في قبضة قدرته
لا يقدر على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهم بهم وامض لما أمرتك به من تبليغ الرسالة ألا يرى أن
الرؤيا التي أريناك من قبل جعلنا فتنة للناس موروثة للشبهة مع أنها ما أوردت ضعفا لمارك وقوتورا في حاله وقد فسر
الاحاطة بالهلكة قرش يوم بدر وانما عر عن الماضي مع كونه متظرا حسباني عنه قوله تعالى سيزم الجمع ويولون الله وقوله
تعالى قل الذين كفروا استنزلون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادة سبحانه في أخباره وأولت الرؤيا بما رآه عليه الصلاة
والسلام في المنام من مصارعهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ودماء بدر قال والله لكان في أنظر الى مصارع القوم وهو يوم
الى الأرض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قرش فاستخروا ونمو بما رآه عليه الصلاة والسلام
أنه سيدخل مكة وأخبره أصحابه فوجهه اليها فصد المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ماذكر مدنيا بأنه يجوز
أن يكون الوحي بإهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعين المصارع واقعين بعد الهجرة وأنت خير بأنه

يلزم منه أن يكون اختار الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وأن يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا مارة عليه الصلاة والسلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذرى بهم الله في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم ولا رب في أن تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس **(واذ قلنا للملائكة)** تذكير لما جرى منه تعالى من الأمر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ويعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ودرجة الرحمة وخفاة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الأمر أي واذكر وقت قولنا لهم **(اسجدوا لآدم)** تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك **(فسجدوا)** له من غير تلحم امتثالا للأمر وأداء لحقه عليه الصلاة والسلام **(الابليس)** وكان داخلا في زميرهم مندرجا تحت الأمر بالسجود **(قال)** أي عند ما خرج بقوله عز سلطانه يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين وقوله ما تمك أن لا تسجد اذ أمرتك وقوله ما تمك أن تسجد لما خلقت بيدي كما أشير إليه في سورة الحجر **(أسجد)** وأنا مخلوق من النضر العالي **(لمن خلقت طينا)** نصب على نزع الخافض أي من طين أو حال من الراجع إلى الموصل أي خلقت وهو طين أو من نفس الموصل أي أسجد له وأصله طين والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بالموصل لتعليل انكاره بما في حيز الصلة **(قال)** أي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المنفرد على الأمر بخروجه من بين الملا الأعلى باللحن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفا بما ذكر في مواضع أخر فإن توسط قال بين كلامي اللعين للابيضان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم ابتداءه عليه بل في غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال ومن يقطع من رحمته إلا الضالون **(أرايتك هذا الذي كرم على)** الكاف لتأكيد الخطاب لا لخل لما من الاعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه أي أخبرني عن هذا الذي كرمته على بأن أمرتني بالسجود لم كرمته على وقيل هذا مبتدأ محذوف عنه حرف الاستفهام والموصول مع حقه خبره وبمقصوده الاستحسان والاستحفا أي أجبرني أهذا من كرمته على وقيل معنى أرايتك أتاملت كان المتكلم فيه المخاطب على استحسان ما يغاظ به عقيه **(لئن أخرتن)** حيا **(إلى يوم القيامة)** كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله **(لاحتكن ذريته)** أي لاستأصلهم من قولهم احتك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا أو لا فودتهم حيث ما شئت ولأستولين عليهم استيلا قويا من قولهم حكك الدابة واحتكها إذا جعلت في حكها الأسفل جيلا تقودها به وهذا كقوله لأزبن لم في الأرض ولا غوينهم أجمعين وانما علم تسي ذلك المطلب له تلقيا من جهة الملائكة عليهم الصلاة والسلام وأستأصلا من قولهم أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو تومحان خلقه **(الاقبلا)** منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى **(قال اذهب)** أي افض لشأنك الذي اخترته وهو طرد له وتخليه بينه وبين ماسو له نفسه **(فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم)** أي جزاؤكم وجزاؤهم فقلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المشبعية **(جزاؤم موفورا)** أي جزاء مكلا من قولهم فوالصاحبك عرفة أي وفرو وهو نصب على أنه مصدر مؤكد لما في قوله فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجاوزوا ولللفعل المقدر أحوال موطئة لقوله موفورا **(واستغفرون)** أي استغف من استغفرتهم **(أن تستغفروا بصوتك)** بدعائك إلى الفساد **(وأجلب عليهم)** أي صبح عليهم من الجلبة وهي الصياح **(بغياك ورجلك)** أي بأعوانك وأنصارك من راكب ورجل من أهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما وبجاهد وقادة أنه خيلا ورجلا

من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيال الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله أركبي والرجل اسم جمع للرجل كالصاحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على أنه فعل بمعنى فاعل كتب وتاعب وبضمة مثل حدث وحدث وندس وندس ونفاثرهما أي جعلك الرجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز أن يكون استغفاره بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار أوقع على قوم قصوت بهم صوتا يزعمهم من أما كنهم ويقلقهم عن مراكرهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم **(وشاركهم في الأموال)** يحلهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على مالا ينفي **(والاولاد)** بالحث على التوصل إليهم بالاسباب المحرمات والأشراك ككسبتهم بعد العزى والتضليل بالحل على الاديان الزائفة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة **(وعدهم)** المواعيد الباطلة كشفاة الآلهة والاعتكاف على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل **(وما يعدم الشيطان الاغورا)** اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات إلى النية لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبين شأنه للناس ومن الأشعار بعلة شيطنة للغرور وهو ترزين الخطأ بما يورم أنه صواب **(إن عبادي)** الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم وأن الاضافة لتثبيت الحكم في قوله تعالى **(ليس لك عليهم سلطان)** أي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون **(وكنتي بربك وكيلة)** لم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة إلى ضمير ابليس للأشعار بكيفية كفايته تعالى لم أعنى سلب قدرته على اغوائهم **(ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر)** مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال أي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمناقبكم الفلك ويجريها في البحر **(لتبتغوا من فضله)** من رزقه الذي هو فضل من قبله ومن الرزق الذي هو معطيه ومن مزية أو تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتعميدهم لذكر توحيدهم عند ماس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية **(انه كان بكم)** أزلا وأبدا **(رحما)** حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسبل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لماسبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصحة الرحمة الدينية والنعمة العاجلة المنقسمة إلى الجلية والحقيرة **(وإذا مسكم الضر في البحر)** خوف الغرق فيه **(ضل من تدعون)** أي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة أو المسيح أو غيرهم **(الاياء)** وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعوه لكشفه استقلالاً أو اشتراكاً أو ضل كل من تدعونه عن اغائكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك إلا الله على الاستثناء المنقطع **(فلما نجاكم)** من الغرق وأوصلكم **(إلى البر أعرضتم)** عن التوحيد أو استعتم في كفران النعمة **(وكان الانسان كفورا)** تعليل لما سبق من الاعراض **(أفأنتم)** الممرة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتهم فأنتم **(أن يخفف بكم جانب البر)** الذي هو ما تمك أي يقبله ملتبما بكم أو بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تقيبه على تساوى الجوانب والجهاات بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى وقهره وسلطانه وقرئ بوزن العظمة **(أو يرسل عليكم)** من فوقكم وقرئ بالنون **(حاصبا)** ربحا ترى بالحصاب **(ثم لا تجدوا لكم وكيلة)** يحفظكم من ذلك أو يصرفه عنكم فانه لا زلة لا مره الغالب **(أم أمتن أن يعيدكم فيه)** في البحر أو ثرت كلمة في على كلمة إلى المنبئة من مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه **(تارة أخرى)** استناد الإعادة إليه تعالى مع أن العود إليه

باختيارها باعتبار خلق الدواعي الموجهة لهم الى ذلك وفيه ايما الى كمال شدة هول ما لا يقوه في التارة الاولى بحيث لو لا الاعادة لمساعدوا **(فيرسل عليكم)** وانتم في البحر وقرى بالنون **(فاصفا من الریح)** وهو التي لا تمري بشئ الا كسرتة وجعلته كالريم او التي لها قصف وهو الصوت الشديد كما انها تنقص أي تكسر **(فيرفكم)** بعد كسر فلكم كما ينبغي عنه عنوان القصف وقرى بالنون وبالناء على الاستناد الى ضمير الریح **(بما كفرتم)** بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانعام **(ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها)** أي نازرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا ما نودر كالتأمر من حيثنا كفة وليسبحانه ولا يخاف عقابها **(ولقد كرمنا بي آدم)** قاطبة نكر بما شاملا ليرحم وفاجرهم أي كرمناهم بالصورة والقائمة المعتدلة والتسلط على مالى الارض والتعبد والتعظيم من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به تعالى العبرة ومن حجت ما ذكره من عاصم ورضي الله عنهما من أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة الفرد له في ذلك مبنى على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه يتناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا يديه **(وحملناهم في البر والبحر)** على الدواب والسفن من حلتها اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شئ كذلك وقيل حملناهم فيها حيث لم نخفف بهم الارض ولم نغرقهم بالماء وانتم خير بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك **(وورقناهم من الضياع)** أي ففون التعم وضروب المستلزمات ما يحصل بصنعهم وبغير صنعم **(وفضلناهم)** في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح **(على كثير من خلقنا)** وهم من عدا الملائكة عليهم الصلاة والسلام **(تفضيلا)** عطيا لحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروا بها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحققة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد من له أدنى تمييز فضلا عن فضل على من عدا الملائكة الأعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عاوية عن الخطأ والحلل وليس فيه دلالة على أفضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد هنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه ان قيل أي حاجة الى تعيين نافية التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام من تفضيل جميع أفراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض أفرادهم قلنا لا بد من تمييز البينة اذ ليس من الأفراد الفاجرة للبشر أحد يفضل على أحد من المخلوقات فيها هو المتنازع فيه أصلا بل هم أدنى من كل دني حسبنا يعني عنه قوله تعالى أولئك كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا **(يوم ندعو)** نصب على المفعولية باظهار اذكر أو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظنون وقرى بالياء على البناء للفاعل والمفعول ويدعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول في أقصى أفعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى وأسروا التجوى أو ضميره وظل بدلا منه والنون مخدوفة لقلة الجلالة بها فانها ليست بالاعلامه الرفعة وقد يكتفى بتقديره كما يدعى **(كل أناس)** من بني آدم المذنب فعلمنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت أحوالهم في الآخرة بحسب أحوالهم وأعمالهم في الدنيا **(بامامهم)** أي بمن اتبعوا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر أو يا أهل دين كذا يا أهل كتاب كذا وقيل الامام جمع أم تكلف وخفاف والحكمة في دعوتهم بأمانتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشریف الحسين رضي الله عنهما والستر على أولاد الزنا **(فن أوفى)** يومئذ من أولئك المدعوين **(كتابهم)** حقيقة أعمالهم **(بيعتهم)** ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتشيرا له من أول الامر بما في مطاويه **(فأولئك)** إشارة الى من باعتبار معناه

اذا بان أنهم حزب مجتمعون على شأن جليل أو اشعارا بأن قرأتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لاعلى وجه الانفراد كافي حال الايتام وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم أي أولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتام المزيور **(يقرءون كتابهم)** الذي أوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستبجة لغفون الكرامات **(ولا يظنون)** أي لا ينقصون من أجور أعمالهم المارتمسة في كتبهم بل يؤثرونها مضاعفة **(فتيلا)** أي قدر قيل وهو القشرة التي في شق النواة أو أدنى شئ فان القليل مثل في القلفة والحقارة **(ومن كان)** من المدعوين المذكورين **(في هذه)** الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فزون التكريم والتفضيل **(أعني)** فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما أوليائه من نعمة التكريم والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما أودعناه فيه من المقول والقوى فيما خلق له من العلوم والمعارف الحققة **(فهو في الآخرة)** التي عبر عنها يوم ندعو **(أعني)** كذلك أي لا يهتدي الى ما ينبغي ولا يظفر بما يجدي به لان المعنى الأول هو جيب الثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على أن معناه في الآخرة أشد من عبادي الدنيا ولذلك قرأ أبو عمر والاول والآخر الثاني مضغيا **(وأضل سبيلا)** أي من الاضل لروال الاستعداد الممكن وتعلل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي أوفى كتابه بشالله بدلالة حال ما سبق من الفريق القابل له ولعل المدول عن ذكره بذلك العنوان مع أنه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسنا هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايدان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى وأما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فأما ان كان من أصحاب اليمين وللمر الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان بمسلك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله **(وان كادوا ليفتنونك)** نزلت في ثقب اذ قالوا لذي الصل عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نعشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربنا لنافوا لنا وكل ربنا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة وأن نحرمن وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله أمرني بذلك وقيل في قریش حيث قالوا اجعل لنا آية عذاب آية رحمة وآية رحمة آية عذاب أو قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلمأ لفتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها عذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي ان الشأن قاريب أن يفتنوك أي يخدعوك فأتين **(عن الذي أوحينا اليك)** من أوامرنا ونواهيها وعدنا ووعدنا **(لنفترى علينا غيره)** لتقول علينا غير الذي أوحينا اليك بما اقترحته ثقب أو قریش حسبنا قل **(وافتن لا تخدوك خبيلا)** أي لو اتبعتم أهوامكم لكنتم لهم وليا ولخرجت من ولايتي **(ولولا أن ثبتناك)** على ما أنت عليه من الحق بعصمتنا لك **(لقد كدت تترك الهم شيئا قليلا)** من الركون الذي هو أدنى ميل أي لولا تثبيتنا لك لقارب أن تميل الهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالم لكن أدركت العصمة ففتنتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون الهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في أنه عليه الصلاة والسلام ما من باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته **(إن)** لو قارب أن تترك الهم أدنى ركة **(لأثقتك ضعف الحياة وضعف المات)** أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غير أن خطأ الخطير خطير وكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في المات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت احصاة موصوفها وقيل الضعف من أساء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة ويضعف المات عذاب القبر **(ثم لا تجدوا لكم علينا نصيرا)** يدفع عنك العذاب **(وان كادوا)**

الكلام فيه كافي الأول أي كاد أهل مكة (ليسترونك) أي ابرجوني بك بعد موتهم وسكرهم (من الأرض) أي الأرض التي أنت فيها وهي أرض مكة (ليخرجوك منها وأذن لابلثون) بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب بأعمال أذن على أن الجملة معطوفة على جملة وإن كادوا ليسترونك (خلافا) أي بذلك قال خلعت الديار خلافاهم فكأنما بسط الشواطئ بينهم حصيرا

أي ولو خرجت لا يبقون بعدد ورجل وقرئ خلقت (الاقليلا) الأزمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم أهلكوا يدير بعد هجرة عليه الصلاة والسلام وقبل نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة فقالوا الشام مقام الأنبياء عليهم السلام فان كنت نبياً فالحق بها حتى تؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه الصلاة والسلام فخرج مرحلة فزالت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلى بنو النضير بقليل (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) نصب على المصدرية أي سن الله تعالى سنة وهي أن يهلك كل أمة أخرجت رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى وإضافتها إلى الرسل لأنها سفت لأجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل (ولا تجد لسنةنا تحويلا) أي تقيرا (أقم الصلاة لادولك الشمس) لزوالها كما بني عنه قوله عليه الصلاة والسلام أنا جبريل عليه السلام لادولك الشمس حين زالت فصلي في الظهر واشتقاقه من الدلك لأن من نظر إليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها من ذلكت الشمس أي غربت وقيل أصل الدولك الميل فيتطلم كلام المصنفين واللام لتأقبت مثلها فتحرك ثلاث حركات (اللعن الليل) إلى اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة العشاء وليس المراد إقامتها فيها بين الوقتين على وجه الاستمرار بل إقامة كل صلاة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما أن أعداد ركعات كل صلاة وكولة إلى بيانه عليه السلام ولعل الاكثاف بيان المبدأ والمنتهى في أوقات الصلوات من غير فصل بينها لما أن الانسان فيها بين هذه الأوقات على القطة فبعضها متصل ببعض بخلاف أول وقت العشاء والفجر فإنه باشتغاله فيها بينهما بالنوم ينقطع أحدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الأوقات وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدئه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته إلى غروب الشفق وقوله تعالى (وقرآن الفجر) أي صلاة الفجر نصب عطفا على مفعول أقم أو على الأغراء قاله الزجاج وإنما سميت قرآنا لأنه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركبة ولكن لادلالة له على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة النحر لبد الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصا وفيها عداها دلالة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلاة الفجر (ان قرآن الفجر) أظهر في مقام الإخبار بأية ما يزد الاهتمام به (كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو أخو الموت أو يشهده كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجمل الغفير فالآية على تفسير الدولك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر (ومن الليل) قيل هو نصب على الأغراء أي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغربي به حرقا ولا يجدي نفعا كون معناها التبعض فإن ما مع ليست اسما بالاجماع وإن كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر أي قم بعض الليل (فتجهد به) أي أذل وألقى المهجود أي النوم فإن صيغة التفعّل تهيئ للإزالة كالترحيل والتفتت والتأثم ونظائرهما والضمير المحرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو لبعض المفيوم من قوله تعالى ومن الليل أي تهجد في ذلك البعض على أن الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد أي تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة وإياي فارهبون (نافلة لك) فريضة زائدة على الصلوات الخمس المقررة خاصة بك دون الأمة ولعله هو الوجه في تأخير

ذكرها عن ذكر صلاة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها أو تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فإنه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تيمنا به وزيادة في درجته بخلاف من عداه من الأمة فإن تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم واتصافها بما على المصدرية بتقدير تنفل أو يجعل تهجد بمقتضى أو يجعل نافلة بمعنى تهجد فإن ذلك عبادة زائدة وأما على الحالية من الضمير الرجوع إلى القرآن أي حال كونها صلاة نافلة وأما على المفعولية التهجد إذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المحرور والبعض أي فصل في ذلك البعض نافلة لك (عنى أن يبعثك ربك) الذي يملك إلى كمالك اللاتق بك من بعد الموت الأكبر كما أبعث من النوم الذي هو الموت الأصغر بالصلاة والعبادة (مقاما) نصب على الظرفية على اعتبار فيقيمك أو تضمن البعث معنى الإقامة إذ لا بد من أن يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستمرار ويجوز أن يكون حالا بتقدير مضاف أي يبعثك ذا مقام (محمودا) عندك وعند جميع الناس وفيه تهنين لشدة قيام الليل وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأبي وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف في على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن حذيفة رضى الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم فيه نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ليك وسعديك والشر ليس ليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت (وقل رب أدخلني) أي القبر (مدخل صدق) أي أدخلها مرضيا (وأخرجني) أي منه عند البعث (مخرج صدق) أي أخرجها مرضيا متى بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعد من البعث المقرون بالإقامة المعبودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الإدخال هو المقصد وقيل إدخاله عليه السلام مكة ظاهرا عليها وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيها لعله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤيدا حقه وقيل إدخاله في كل ما يلبسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجا كقوله

وعصية دهر يا ابن مروان لم تدع من المال إلا مسح أو محاف

أي لم تدع فلم يبق (وأجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرف على من يخالفني أو ملكا وعزا ناصر للاسلام حطرت الله على الكفر فأجبت دعوته عليه السلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس ألا إن حزب الله هم القالون ليظفروا على الدين كله ليستخلفهم في الأرض (وقل جاء الحق) أي الاسلام والوحى الثابت الراسخ (وزهد الباطل) أي ذهب هلك الشرك والكفر وتسويات الشيطان من زهد روحه إذا خرج (ان الباطل) كأنما كان (كان زهوقا) أي شأنه أن يكون مضطجلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابه الدعاء بالسلطان النصير الذي لقته . عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثة وستون صنبا فجعل ينكت بمنصرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهد الباطل فينكب لوجه حتى أتى جميعها ويق صم خراقة فرق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي أرم به فعصر فرمى به فكسره (ونزل من القرآن) وقرئ تنزل من الانزال (ما هو شفاء) لما في الصدور من أدواء الرب وأسقام الاوهام (ورحة المؤمنين) بالمؤمنين بمافي تصاعيفه أي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالنداء الشافي للرضى ومن بيانه قدمت على المبين اعتنا فان كل القرآن

كذلك وعن النبي عليه السلام من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله أو تبعضية لكن لا بمعنى أن بعضه ليس كذلك بل بمعنى أنا نزل منه في كل نوبة ما تستدعي الحكمة نزوله حيث يقع ذلك من نزل عليهم بسبب موافقة لأحوالهم الداعية إلى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لأبانه من المرضى المحتاجين إليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعية باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه ﴿ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾ أي لا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للإشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الاستقام الا خسارا أي هلاكاً بكفرهم وتكذيبهم لا نقصاناً كما قيل فإن ما بهم من دا الكفر والضلال حقيق بأن يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنهي عن حصول بعض مبادئ الاسقام فيهم وزادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدريجاً ازدادوا بذلك هلاكاً وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من شبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة إلى القرآن مع انهم هم الموردون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سبباً لذلك وفيه تعجب من أمره حيث يكون مدار الشفاء والهلاك ﴿واذا أنصنا على الانسان بالصحة والعمه﴾ **﴿اعرض﴾** عن ذكرنا فضلاً عن القيام بموجب الشكر **﴿ونأى﴾** تباعد عن طاعتنا **﴿مجانبه﴾** التأني بالجانب أن يلوي عن الشيء عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تأني لا عرض أو عبارة عن الاستكبار لأنه من دين المستكبرين **﴿واذا مسه الشر﴾** من فقر أو مرض أو نازلة من التوازل وفي اسناد المساس إلى الشر بعد اسناد الانعام إلى ضمير الجلالة إيدان بأن الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك **﴿كان يفرس﴾** شديد اليأس من روحنا وهذا وصف الجنس باعتبار بعض أفرادهم عن هو على هذه الصفة ولا يتنافى قوله تعالى وإذا مسه الشر فزدعوا عريض ونفاؤه فإن ذلك شأن بعض آخرين منهم وقيل أريد به الوليد المنيرة وقرئ ناه اما على القلب كما يقال راء في رأي وأما على أنه بمعنى نهض **﴿قل كل﴾** أي كل أحد منكم ومن هو على خلافكم **﴿يعمل﴾** عمله **﴿على شاكلته﴾** طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة أو جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه **﴿فربكم﴾** الذي برأكم على هذه الطبائع المتخالفة **﴿أعلم من هو أهدى سبيلا﴾** أي أسد طريقاً وأبين منهاجاً وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والمادة والدين **﴿ويسألونك عن الروح﴾** الظاهر أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حياته روى أن اليهود قالوا لقرين سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها جيماً أو سكنت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصص وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة **﴿قل الروح﴾** أظهر في مقام الاخبار اظهاراً لكامل الاعتناء بشأنه **﴿من أمر رب﴾** كلمة من بيانية والأمر بمعنى الشأن والاضافة للاختصاص العلمي لا الاجتماعي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف مالا ينبغي كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف إليه أي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعبده من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر **﴿وما أوتيت من العلم الا قليلا﴾** لا يمكن تلقفه بأشكال ذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن نخشون بهذا الخطاب قال عليه الصلاة والسلام بل نحن وأتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤث الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً وساعة تقول هذا أفضل ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام الآية ما قالوا ذلك لراكا كدعواهم فإن الحكمة الإنسانية أن يعلم من الخير ما تنسعه الطاقة البشرية بل ما ينط به المماش والمعاد وذلك بالاضافة إلى مالا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير

في نفسه أو بالنسبة إلى الانسان أو هو من الابداعات الكائنة بمحض الأمر التكويني من غير تحصيل من مادة وتولد من أصل كأعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مبادئه ومآله أنه من عالم الأمر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فإن ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الأمر أو من عالم الخلق وفيه تنبيه على أنه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وإنما الممكن هذا القدر الإجمالي المندرج تحت ما استثنى بقوله تعالى وما أوتيت من العلم الا قليلا أي الاغلب قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فإن تعقل المعارف النظرية إنما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً ولعل أكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيء من أحواله التي يدور عليها معرفة ذاته وأما حل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوده وجعل الجواب اخباراً بحدوده أي كائن يتكونه حادث باحداثه الأمر التكويني فمع عدم ملامته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة عليهم فإن ما سألوا عنه مما ينبغي به علمهم حيث قد أخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم وروحاني أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومعنى من أمر رب من وجهه وكلامه لا من كلام البشر **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾** من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنع للعلم التي أوتيتوها وثبتناك عليه حين كادوا يقتربوك عنه ولو لاد لكنت تركن اليهم شيئاً قليلاً وإنما عبر عنه بالموصول تفخيماً لشأنه وصفه له بما في حيز الصلة ابتداءً وإعلاماً بما حله من أول الأمر وبأنه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسمة ولتذهبن جواباً لكاتب متابع جزاء الشرط بذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الذهاب به المحو من المصاحف والصدور وهو أبغ من الذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أول ما يفتقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلي قوم ولادين لهم وأن هذا القرآن تصحون يوماً وما يفك منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا أناسهم قال يسرى عليه لئلا فيصحب الناس منقرات رف المصاحف وينزعها من القلوب **﴿ثم لا تجدك به﴾** أي بالقرآن **﴿عليها وكلام﴾** من يتوكل علينا استرداد مسطوراً محفوظاً **﴿الارحة من ربك﴾** فإنا إن نالتك لعملنا استرد عليك ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به فيكون امتثاله بإبقائه بعد المتبذره وترغيباً في المحافظة على أدا حقونه وتحذيراً من أن لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو أجل النعم وأعظمها **﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾** كارسالك وانزال الكتاب عليك وإبقائه في حفظك وغير ذلك **﴿قل﴾** للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون ضخامة شأنه الجليل بل يزعمون أنه من كلام البشر **﴿لئن اجتمعت الانس والجن﴾** أي اتفقوا **﴿على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن﴾** المنعوت بما لا تدرك العقول من النعوت الجلية في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لأن المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لأن غيرهما قادر على المعارضة **﴿لا يأتون بمثل﴾** أو ثراً لاظهار على إيراد الضمير الراجع إلى المثل المذكور احترازاً عن أن يتوهم أن له مثلاً معينا أو بذاتاً المراد في الآيات بمثل مآل لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات الالهية وفيهم العرب العاربة أرباب البراعة والبيان وهو جواب للقسمة الذي ينفي عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولو لاها لكان جواباً له بغير جزم لكون الشرط ما ضياً كما في قول زهير

وان أمه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم

وحيث كان المراد بالاجتماع على الآيات بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصديق بالمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد أو من المجموع بأن يتألبوا على تليف كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضداً لتفريقها **﴿ولو كان بعضهم﴾**

لبعض ظهيرا) أى فى تحقيق ما توخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدراى لا يأتون بمثله ولم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفًا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث اتنى عند التظاهر فلا تنفى عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى ان ولوالصليتين من التأكيد كما مر غير مرة وعمله النصب على الحالة حسبما عطف عليه أى لا يأتون بمثله على كل حال مفرغ من هذه الحال المتنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطاعهم الفارغة فى روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كاقيل لكن لا مساقيل من أن الاتيان بمثله أصعب من استرداد عينه ونفى الشيء إنما يقره نفي مادونه لا نفي ماقره فان أصعب الاسترداد بغير أمره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لأن الجملة القسمية ليست موقوفة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه السلام (ولقد صرفنا) كزنا وردنا على أنحاء مختلفة توجب زيادة تقرير بيان وكادة رسوخ وإطشتان (لنأس في هذا القرآن) المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة (من كل مثل) من كل معنى يدعى هو فى الحسن والغربة واستحباب النفس كالمثل ليتفوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أثر الاظهار على الاضمار تأكيد وتوضيح (الا كفورا) أى الاجوردا وانما صح الاستثناء من الموجب مع أنه لا يصح ضربت الا زيدا لأنه متناول بالنفي كأنه قيل ما قبل أكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس فى أبوا الايمان لأن فيه دلالة على أنهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف فى الأمر ونحو ذلك وأنهم بالقوا فى عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الالباب (وقالوا) عند ظهور معجزهم ووضوح مغلو بيهم بالاعجاز التنزيلى وغيره من المعجزات الباهرة متعلمان بما لا يمكن فى العاد وجوده ولا نقض الحكمة وتوحيده من الأمور كقولهم لا يمشى على الماء (لنؤمن لك حتى تفجر) وقرى بالشديد (لنؤمن الأرض) أى مكة (يشوعا) عينا لا ينضب ماؤها بفعل من نبع الماء كعبوت من عب الماء اذا زخر (أو تكون لك جنة) أى بستان تستر أشجاره ما تحتها من العرصة (من نخيل وعنب تفجر الأنهار) أى تجري بأقوة (خلالها تفجيرا) كثير والمراد اما اجراء الأنهار خلالها عند سقيها أو ادامة اجرائها كما ينبت عنه الفاء لا ابتداءه (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كفا) جمع كفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى بالكون كسيرة وسدروى حال من السماء والكاف فى كفا فى محل النصب على أنه صفة مصدر مخدوف أى اسقاطا ما لا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى أو تسقط عليهم كفا من السماء (أو تأتي الله بالملائكة قبلا) أى مقابلا كالمعشر والمعاشر أو كقبلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوف لدلالة عليها أى والملائكة قبلا كما حذف الخبر فى قوله فأتى وقادها الغرب أوجاجة فيكون حالا من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة (أو ترى فى السماء) أى فى معارجها الخذف المضاف يقال رقى فى السلم وفى الدرجة (ولنؤمن رقبك) أى لأجل رقبك فى بعده أول صدق رقبك فيها (حتى تنزل) منها (علينا كتابا) فيه تصديقك (تقرؤه) نحن من غير أن تلقى من قبلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن أمية لنؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سبيلا ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بها نيك الاقتراحات الباطلة الا العناد والنجاس ولو أنهم أوتوا أضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك الا مكارة ولا فقد كان يكفهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التى تخرجها صم الجبال (قل) تعجبا من شدة شكهم وتنزيها لاساحة السجعات عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التى تكاد السموات تنفطر منها أو عن طيلك ذلك وتنبها على بطلان

ما قالوه (سبحان ربي) وقرى قال سبحان ربي (هل كنت الا بشرا) لاملكا حتى يصور رقى فى السماء ونحوه (رسولا) مأمورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير أن يكون لى خيرة فى الامر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله على أيديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله سبحانه بشئ منها وقوله بشرا خبر لكنت ورسولا صفته (وما منع الناس) أى الذين حكيت اباطيلهم (أن يؤمنوا) مفعول ثانى منع وقوله (اذجامهم الهدى) أى الوحى طرف لمنع أو يؤمنوا أى وما منعهم وقت مجى الوحى المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان أن يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك أو ما منعهم أن يؤمنوا بذلك وقت مجى ما ذكر (الا أن قالوا) فى محل الرفع على أنه فاعل منع أى الا قولهم (أبعت الله بشرا رسولا) متكرين أن يكون رسولا لله تعالى من جنس البشر وليس المراد أن هذا القول مصدر عن بعضهم فتح بعض آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل لكل المستمع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول لبيان ما عجزه عن قول يقولونه بأفواههم من غير أن يكون لهم مفهوم ومصدق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع أن لهم مواقع شتى لما أنه معظمها أو لانه هو المانع بحسب الحال أعنى عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذى يتشبثون به حينئذ من غير أن يخطر ببالهم شبهة أخرى من شبههم الواهية وفيه ايدان بكال عنادهم حيث يشير الى أن الجواب المذكور مع كونه حاشا لمواد شبههم ملجأ الى الايمان بمكسور الأمر ويجعلونه مانعا منه (قل) لهم أولا من قبلنا تبينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيج للرب (لو كان) أى لو وجد واستقر (فى الأرض) بدل البشر (ملائكة يمشون مطمئين) قارين فيها من غير أن يعرجوا فى السماء ويعلموا ما يجب أن يعلم (لنزينا عليهم من السماء ملوكا رسولا) يهديهم الى الحق ويرشدوهم الى الخير لتفككتهم من الاجتماع والتلفى منه وأما عامة البشر فهم يحملون من استحقاق المقاضاة الملكية فكيف لا وهى منسوبة بالنسب والتجاسس فبعت الملك اليهم من راحم للحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وانما بيعت الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكل العالين الروحاني والجهاني ليتفقا من جانب وبقوا الى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به وكذلك بشرا فى قوله تعالى أبعت الله بشرا رسولا والأول أولى (قل) لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبنت لهم ما تقتضيه الحكمة فى البعثة ولم يرفعوا اليه رأسا (كنى بالله) وحده (شيدا) على لنى أدبت ما على من مواجب الرسالة أكمل أداء وأنكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا بظاهر المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى (ينبى ويحكم) وما بعده من التعليل وانما لم يقل يننا تحقيقا للبقارة وابانة للبانية وشيدا اما حال أو تميز (انه كان عباده) من الرسل والمرسل اليهم (خيرا بصيرا) عموما بظواهر أحوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار (ومن بعد الله) كلام مبتدأ يفصل ما أشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية أى من بعد الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى (فهو المهتد) اليه والى ما يؤدى اليه من الثواب أو المهتد الى كل مطلوب (ومن يضلل) أى يضل فى الضلال بسوء اختياره كقولا المعادين (فلن تجد لهم) أثر ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من عب ما أوتى فى مقابلة الافراد نظرا الى لفظنا نون بما بوحدة طريق الحق وقلنا اليه وتقدم سبل الضلال وكثرة الضلال (أوليا من دونه) من دون الله تعالى أى أنصارا يبدونهم الى طريق الحق أو الى طريق يصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخرية أو الى طريق النجاة من العذاب الذى يستدعيه ضلالهم على

معنى ان نحمد لا حمد منهم وليا على ما تقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الاحاد الى الاحاد (ونحشرهم) التفات من النية الى التكلم ايدانا بكال الاعتناء بأمر الحشر (يوم القيامة على وجوههم) حال من الضمير المنسوب أى كاتين عليها سجدا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم أو مشيا فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ينشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عسا) حال من الضمير المحرور في الحال السابقة (وبكأوصا) لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يسمعون به ويحورون أن يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار موفى القوى والحواس وأن يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه (ما أوامهم جهنم) اما حال واستئناف وكذا قوله تعالى (كلما خبت زنادهم سعيرا) أى كلما سكن لهمها بأن أكلت جلودهم ولحمهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زنادهم توقدا بأن بدلتهم جلودا غيرها فعددت ملتبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى ليرى هاعيانا حيث لم يعلموها برهاننا كما يفصح عنه قوله تعالى (ذلك) أى ذلك العذاب (جزاؤهم بأنهم) أى بسبب أنهم (كفروا بآياتنا) العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز أن يكون مبتدأ ثانيا بأنهم خبره والجملة خبرا لذلك وأن يكون جزاؤهم بدلا من ذلك أو يائنا لمؤخر الخبر هو الطرف (وقالوا) منكرين أشد الانكار (أننا كنا عظاما ورفانا أننا لم نجعلوا خلقا جديدا) اما مصدر مؤكد من غير لفظه أى لم نجعلوا خلقا جديدا واما حال أى خلقوا من مستأنفين (أولم يروا) أى لم يتفكروا ولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والارض) من غير مادة مع عظمها (قادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر على أن المثل مقدم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا (وجعل لهم أجلا لارب فيه) عطف على أولم يروا فانه في قوة قدر أو المسمى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق أمثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم أجلا محققا لارب فيه هو يوم القيامة (فأبى الظالمون) وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوزا لحد الملة (الا كفورا) أى جمودا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) خزائن رزقه التى أفاضها على كافة الموجودات وأنتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حامد لوزات سوار لطنتى وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص (اذن لاسكنكم) ليخلطكم (بخشية الاتفاق) غفلة التفاد بالاتفاق اذ ليس في الدنيا أحد الا وهو يختار الشئ لنفسه ولو أثر غيره بشئ فانما يؤثره لمعوض يفوقه فاذن هو يغفل بالاضافة الى جود الله سبحانه (وكان الانسان قورا) مبالغا في البخل لان مبنى أمره على الحاجة والفتنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) واختلت الدلالة على نبوته وحة ماجا به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر وتنشق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بديل الثلاث الاخيرة و ياباه أن هذه الثلاث لم تكن منزلة اذ ذلك وأن الأولين لا تتعلق لها بفروعهم وانما أولتهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال أن يهوديا سأل النبي عليه الصلاة والسلام عنها فقال أن لا تشر كوايه شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تشموا بربى الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف عليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودى يده ورجله عليه السلام ولا يساعده ايضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما أنه المهم للسائل وقوله لما أنه كان

في التوراة مطورا وقد علم أنه ماعله رسول الله صلى الله عليه وسلم الامامية الوحي (فاسأل بني اسرائيل) وقرى قبل أى قتلنا له سلم من فرعون وقيل له أرسل من بني اسرائيل أو سلمه عن اسمائهم أو عن حال ذنبهم أو سلمهم أن يعاصدوك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام أى فاسألهم عن تلك الآيات لئلا يزداد يقينا وطمأنينة أو ليظهر صدقك (اذ جاءهم) متعلق بقلنا ويسأل على القرا والمذكورة وبآيتنا أو بمضمهر هو بخبرك أو أذكر على تقدير كون الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام (فقال له فرعون) الفاء فصحة أى فأظهر عند فرعون ما أتت به من الآيات البينات وبلغته ما أرسل به فقال له فرعون (أنى لأنتك باموسى مسحوا) سحرت فتخط عطفك (قال لقد علمت بما أذن هو لى) يعنى الآيات التى أظهرها (الارب السموات والارض) حالتها ومدبرها والتمريض لربوبية تعالى لها للايدان بأنه لا يقدر على ابتاء مثل هاتيك الآيات الهظام الا خالقها ومدبرها (صائر) حال من الآيات أى بينات مكتوبات نصرك صدقك ولكنك تماندو تكاربحو وجحدوا بهواستعنتها أقسم ومن ضرورة ذلك العلم العلم بأنه عليه الصلاة والسلام على كمال رصانة العقل فضلا عن يوم المسحورية وقرى علمت على صيغة التكلم أى قد علمت بغير أن هذه الآيات الباهرة أنزلها الله سبحانه وكيف يوم أن يحرم محرم سحر (والى لأنتك يا فرعون مشورا) صرورا عن الخير وطوبعا على الشر من قولهم ما شريك هذا أى ما صررك أهلكا ولقد قارع عليه السلام طه بقتله وشان بينهما كيف لا وطن فرعون أنك مبدع طه عليه الصلاة والسلام بالخبر البين (فأراد) أى فرعون (أن يستخرجهم) أى يستخرجهم ويرجعهم (من الارض) أرض مصر أو من الارض مطلقا بالقتل كقولهم استغفل أبناءهم واستخرجي اسمع (فأغرقناه ومن معه جميعا) فمكنا عليه مكروه واستمر زناه وقومه بالاغراق (قلنا من بعده) من بعد اغراقهم (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) التى أراد أن يستخرجهم منها (فأذا جاء وعد الآخرة) النكرة الآخرة أو الحامية أو الساعة والدار الآخرة أى قيام القيامة (جنتناكم نيقا) تخليطينا بأكوابهم ثم تحكيهم بكموعهم بعد ما من استعانتكم والقبض على الخرافات من قائل شئ (والحق أنزلناه وبالحق نزل) أى وما أنزلنا القرآن الا ملتصقا بالحق المتعصى لا اله الا الله والحق الذى استعمل عليه وما أنزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بان عدم اعتراء البطلان له أول الامر وآخره (وإذا أرسلناك الإمبرا) بالطبع والثواب (ونذرا) للعاصي من العقاب وهو تحقيق حقيقة بعثه عليه الصلاة والسلام اثر تحقيق حقيقة انزال القرآن (وقرآنا) منصوب بمضمهر يفسر قوله تعالى (فرقناه) وقرى بالتشديد دلالة على كثرة تجزئته (لنقرأه على الناس على مكث) على سهل وثبت فانه أسير للحفظ وأعوز على الفهم وقرى بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) حصيا تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات (قل) للذين كفروا (آمناوه أو لا تؤمنوا) فان أيمانكم به لا يزيدكم كالا وامتاعكم لا يورثه نقصا (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أى العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والحق والمبطل ورأوا فيها نعمتك ونمت ما أنزل اليك (اذ بلى) أى القرآن (عليهم يخرون للأدقان) أى يسقطون على وجوههم (سجدا) تعظيما لأمر الله تعالى أو شكرًا للأعجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثك وتخصيص الأدقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخروا عليها واثار اللام للدلالة على اختصاص الخروا بها كما في قوله نخر صريعا للبدن والقلم وهو تغليل لمسايقهم من قوله تعالى آمناوه أو لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنه قيل تسلي بإيمان

الملاء عن ايمان الجبله ولا تكثرث بايمانهم واعراضهم (ويقولون) في سجودهم (سبحان ربنا) عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده (ان كان وعد ربنا لمفعولا) ان خلفه من الملقاة واللام فائدة أي ان الشأن هذا (ويخرون للادقان يكون) كز الحزور للادقان لاختلاف السبب فان الاول له عظم أمر الله تعالى أو الشكر لانجاز الوعد والثاني لما أوفىهم من مواضع القرآن حال كونهم باكين من خيبة الله (ويزيدهم) أي القرآن يسلمهم (خشوعا) كما يزيدهم علما وقيتا بالله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) زل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأله يارحم فقالوا انه ينالنا عن عبادة الهين وهو يدعو الهنا آخر وقالت اليهود انك لنقل ذكر الرحمن وقدأ كثره الله تعالى في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللطيفين بأنهما عاركان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سبيلان في حسن الاطلاق والافاضة الى المقصود وهو أوفى لقوله تعالى (أيا ما دعوا الله الى اسمه الحسن) والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولها استثناء عنه وأولها خير والتوحيين في أيا دعوا عن المضاف اليه وما يزيد تأكيد مافي أي من الالهام والضمير في له للسبب لأن التسمية له لا للاسم وكان أصل الكلام أيا ما دعوا فهو حسن فوضع هذا الاسم الحسن للبيان والدلالة على ما هو الدليل عليه إذ حسن جميع أسمائه يستدعي حسن ذلك الاسمين وكونها حسنة لدلائها على صفات الكمال من الجلال والجلل والاكرام (ولا تخجل بصلواتك) أي بقرارتك بصلواتك بحيث تسمع للمشركين فان ذلك يجعلهم على السبب واللعوق بها (ولا تخافت بها) أي بقرارتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين (وانع بين ذلك) أي بين الجهر والخفاة على الوجه المذكور (سبيلا) أمر أو سطا قصدا فان غير الأمور أو ساطع أو التعبير عن ذلك بالسبيل اختيار أنه أمر يوجه اليه المتوجيرون ويؤيده المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروى أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان يخفت ويقول أنا جري وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يخبر بها ويقول أطرد الشيطان وأوقف البستان فلما زلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن ينحصر قليلا وقيل المعنى لا تخجل بصلواتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وانع بين ذلك سبيلا للخفاة نارا والجهر ليلا وقيل بصلواتك بدعائك وذهب قوم الى أنها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم خفية (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كما يزعم اليهود والنصارى وينو ملج حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا (ولم يكن له شريك في الملك) أي الالهية كما يفعله التنوية القائلون بتعدد الآفة (ولم يكن له ولي من الدن) ناصر ومانع منه لاعتباره أو لم يوال أحدا من أجل مقلته ليدفعها به وفي الترمذي في أثناء الحمد للصفات الجبلية ليدان بان المستحق للحمد من هذه نعمته دون غيره انذلك يتم الكمال والقدرية الشامة على الإيجاد وما يفرغ عليه من أفضة أنواع النعم وما عدها ناقص بملك نعمة أوتهم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبرا) وفيه تنبيه على أن العبد وان بالغ في التزير والمجدد والجهد في الطاعة والتحميد يمتنى أن يعترف بالتصور في ذلك . وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أقصص القلام من بني عبد المطلب عليه هذه الآية الكريمة . وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قطار في الجنة والقطار ألف أوقية ومائتا أوقية وأخذته سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت

سورة الكهف

(مكية وقيل الاقوله تعالى واصبر نفسك الآية . وهي مائة وأحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) أي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص لم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المتول حيثما كان مر مرارا وفي وصفه تعالى بالموصول اشعار بعظمة مافي حيز الصلة لاستحقاق الحمد واليدان بعظم شأن التزليل للخليل كيف لا وعليه يدور ذلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول عليه الصلاة والسلام بالعبد مضاعفا الى صفة الجلالة تنبيه على بلوغه عليه الصلاة والسلام الى أعلى معارج العبادة وتشريف له أي تشريف وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبدا للرب لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول الصريح من الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى (ولم يجعل له عوجا) أي شيئا من العوج بوج اختلال في النظر وتناف في المعنى أو اعتراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الأعيان وأما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتاع كون الجلال من الأعيان فللدلالة على اتصافه باليدك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالشاعر الظاهرة عدم من قبل مافي المعاني وقيل الفتح في اعوجاج المنصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج غيره عينا كان أو معنى (قبلا) بالمصالح الدينية والدينية للعباد على ما بيني عنه ما بعده من الانذار والتشهير فيكون وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السبابة شاهدا بصحتها ومحيضا عليها أو مستأجرا في الاستفادة فيكون تأكيد لمعاد عليه بني العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبا تنبي عنه الضميمة لأنه نبي عنه العوج مع كونه من شأنه واتصافه على تقدير يكون الخلة المتقدمة معطوفة على الصلة بضمير بني عنه بني العوج تقديره جعله فيها وأما على تقدير كونها عالية فهو على الحال من الكتاب فلا يصل حيث بين أبعاد المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ (ليندر) متعلق بأزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الأول لليدان بأن ما سبق له الكلام هو المفعول الثاني وأن الأول ظاهر لاساحة الذكر أي أول الكتاب ليندر بمصافيه الذين كفروا به (يا أسفا) أي عذبا (شديدا من لده) أي صادرا من عده بالان قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لده بكون الدال المع اسماء الضمة وكسر الدون لانتهاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع (وبشتر) بالتشديد وقرئ بالتخفيف (المؤمنين) أي المصدقين به (الذين يعملون الصالحات) الأعمال الصالحة التي ينتفي تصاعده وإشارة صيغة الاستقبال في الصلة للأشعار بتعدد الأعمال الصالحة واستمرارها وإجرا (الموصول على موصوفه المذكور لما أن مدار قبول الأعمال هو الايمان (أن لهم) أي بأن لهم بمقابلة إيمانهم وأعمالهم المذكورة (أجرا حسنا) هو الجنة وما فيها من الثوابات الحسن (ما كنين) حال من الضمير المجزوف وفي لهم (فيع) أي في ذلك الاجر (أيدا) من غير انتهاء أي عادين فيه وهو نصب على الطريقة لما كنين وتقدم الانذار على التبشير لاطهار كمال العبادة بجزر الكفار عمام عليه مع مراعاة تقديم التبشيرة على التبشيرة وتكرار الانذار بقوله تعالى (ويذر الذين قالوا اتخذوا الهة ولما) متعلقا بفرقة خاصة من عمدة الانذار السابق من مستحق البأس الشديد لليدان بكال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم أي وينذر من بين سائر الكفرة

هؤلاء المتفوهين بشل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويشر المؤمنين للايمان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على أقبح الوجوه وإيثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيها ساف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر أصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين أيضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حاول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا بفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز أن يكون الفاعل في الأفعال الثلاثة ضمير الكتاب أو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام «ما لم به» أي باتخاذ سبحانه وتعالى ولدا «من علم» مرفوع على الابتداء أو الفاعلية لاعتقاد الظرف وعن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية أو مستأنفة لبيان حالهم في مقام أي ما لم بذلك شيء من علم أصلا لا لاختلاطهم بطريقه مع تحقق المعلوم أو امكانه بل لاستحالته في نفسه «ولا لاياتهم» الذين قد دهم فها هو اجمعا في تبه الجهالة والضلالة أو ما لم علم بما قالوه أهو صواب أم خطأ بل انما قالوه ربما عن عمن وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له ذين وبنات بغير علم أو بحقيقة ما قالوه ويعظم رغبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه الآيات وهو الأنسب بقوله تعالى «كبرت كلمة» أي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبت سبحانه الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز أو ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة بتميزا كينس رجلا والخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من أفواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشحام الضم وقرئ كلمة بالرفع «تخرج من أفواههم» صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واستناد الخروج اليها مع أن الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت للابسته بها «ان يقولون» ما يقولون في ذلك الشأن «الا كذبا» أي الاقولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق أصلا والضمير ان لم ولآياتهم مثل حاله عليه الصلاة والسلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة أحبه تأسفا على مفارقتهم وتلفها على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عليه الصلاة والسلام على الحذر والاشفاق من ذلك «فقلل يا باع» أي مهلك «نفسك على آثامهم» غيا وجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة «ان لم يؤمنوا بهذا الحديث» أي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ «ان المؤمنون» أي لأن لم يؤمنوا فاعمل يا باع بحمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه «أسفا» مفعول له لباع أي لفرط الحزن والغضب أو حال ما فيه من الضمير أي متأسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية يجعل التشبيه بين أجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم «انا جعلنا ما على الارض» استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق أي انا جعلنا ما عليها من عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان أو نباتا أو معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا «زينة» مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير أو حال ان حمل على معنى الابداع واللام في «لها» اما متعلقة بزينة أو محذوف هو صفة لها أي كائنه لها أي

ليستع بها الناظرون من المكلفين ويتفخوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والمقارب من حيث تذكرهما لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالة على وجود الصانع ووجده فان الأزواج والاولاد أيضا من زينة الحياة الدنيا بل أعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انسابهم الى أصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء «لنبوهم» متعلق بجعلنا أي جعلنا ما جعلنا لتعاملهم معاملة من يختبرهم «أيهم أحسن عملا» فتجاز بهم بالثواب والعقاب حسبا تبين الحسن من المسمى وامتازت طبقات أفراد كل من الفريقين حسب احتياز مراتب علومهم المرتبة على أنظارهم وتفاوت درجات أعمالهم المتفرقة على ذلك كما قرناه في مطلع سورة هود وأي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء وأحسن خبرها والجملة في محل النصب متعلقة لفعل البولي لمسا فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر وإن ذلك أجرى مجراه بطريق التثنية أو الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي وأحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدل من مفعول لنبوهم والتقدير لنبو الذي هو أحسن عملا لئلا يتخذ يحتمل أن تكون الضمة في أيهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لنرهن من كل شعبة أيهم أشد على الرحمن عينا على أحد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلوة أن تكون للاعراب لأن ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاعتزاز بها والقناعة باليسير منها وصرها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتفقه بها حسبا أنزل له الشرع وأداء حقوقها والشكر لها لا اخذها وسيلة الى الشهوات والاعراض الفاسدة كما يفعله الكفرة وذو أصحاب الأهواء وابراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح أيضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشتغال بأن الغاية الاصلية للجمع المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ماحقق في تفسير قوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا «وانا لجاعلون» فيما سأتى عند تنامي عمر الدنيا «ما عليها» من المخلوقات قاطبة بافتائها بالكية وانما أظهر في مقام الاضمار زيادة التقرير أو لادراج المكلفين فيه «صعيدا» مفعول ثان للجعل والصعيد التراب أو وجه الارض قال أبو عبيدة هو المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لانيات فيه «جرزا» ترابا لانيات فيه بعد ما كان تعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدة الابصار يقال أرض جرز لانيات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال القرطبي جرزت الارض فهي مخرولة أي ذهب نباتها بفسط أو جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اذا أكلت ما عليها وهذه الجملة لتكيد ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تخزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لتختبر أعمالهم فتجازيهم بحسبها وانا لنحزون جميع ذلك عن قريب ويجازونهم بحسب أعمالهم «أم حسب» الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسان أمته وأم منقطعة مقدرة بل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمة الاستفهام عند الجهور وويل وحده عند غيرهم أي بل أصحبت «أن أصحاب الكهف والرقم كانوا» في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر «من آياتنا» من بين آياتنا التي من جعلنا ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تكن بالامس «عجبا» أي آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف أو وصف ذلك بالمصدر مبالغته وهو خير لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى أن قصتهم وإن كانت غارة للعادات ليست بعجبية بالنسبة الى سائر الآيات التي من جعلنا ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنثر الخفيف والكهف الغار الواسع في الجبل والرقم كلهم قال أمية بن أبي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف حمد

وقيل هو لوح رصاصي أو حجرى رقت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادى الذى فيه الكهف فهو من رقت الوادى أى جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأبلة دون فلسطين وقيل أصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم أحسن عمله على ما فصل في الصحيحين (اذأوى) ظرف لعجبا لا لحسب أو مفعول لا ذكر أى حين التجأ (الفتية) أى أصحاب الكهف أو الرقيم على الاضمار على التحقيق ما كانوا عليه فى أنفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من أشرف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فبروا منه بدينهم ولأن صاحبة الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه (الى الكهف) مجازا للجلوس والتخوض ماوى (فقالوا ربنا آتانا من لدنك) من خزان رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثانى قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لما آتانا كائن من لدنك (رحمة) خاصة تشوب المغفرة والرزق والأمان من الاعداء (وهي) لنا من أمرنا الذى نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك وأصل التوبة أحداث هيئة الشئ أى أصلح ورتب وأتم لنا من أمرنا (رشدا) أصابة للطريق الموصلى الى المطلوب واعتدال اليوم والجارين متعلق بهيى لا خلافا في المعنى وتقديم المحجورين على المفعول الصريح لظاهر الاعتناء بهما وإبراز الرغبة فى المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغوبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينشأ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتناؤه بمحصله لا محالة وكذا الكلام فى تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من أمرنا لا يذان من أول الامر يكون المستول مرغوب فيه لديهم أو اجمل أمرنا رشدا كله على أن من تجر يدية مثلهما فى قولك رأيت منك أسدا (فضرنا على آذانهم) أى ألتصم على طريقة التثليل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة الممانعة عن وصول الأصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها فى الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها تحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لاسيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما فى قولهم ضرب الأمير على يد الرعية أى منعهم من التصرف مع عدم ملائمتها لسياق من البحث لا يدل على النوم مع أنه المراد قطعاً والفاء فى ضرنا كما فى قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور به ما ترتب عليه من التقلب ذات اليقين وذات الشئال والبحث وغير ذلك ابتداء رحمة لندبة خافية عن ابصار المتسككين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم (في الكهف) ظرف مكان لضرنا (سنين) ظرف زمان له باعتبار بقاءه لا ابتدائه (عددا) أى ذوات عددا أو تعد عددا على أنه مصدر أو معدودة على أنه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب بظاهر حال القدرة أو للتقليل وهو الالئق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كعص يوم عنده عز وجل (ثم ينشأهم) أى أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت (نعلم) بنون العظمة وقرى بالياء مبني للفاعل بطريق الالتفات وأما ما كان فهو غاية البحث لكن لا يجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز أو يجعله على ما يصح وقوعه غاية للبحث الحادث من العلم الحالى الذى يتعلق به الجزاء كما فى قوله تعالى الا نعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه وقوله تعالى ولعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التى يتحقق فيها العلم بتحقيق متعلقه قطعاً فان تحويل القصة قد ترتب عليه تحويز الناس الى متبع ومتقلب وكذا مداولة الأيام بين الناس ترتب عليه تحويزهم الى الثابت على الايمان والمزول فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم

الحالى والاظهار والتمييز وأما بحث هؤلاء فلم يرتب عليه تفرقهم الى الحصى وغيره حتى يتعلق بهما العلم أو الاظهار والتمييز ويتسنى نظم شئ من ذلك فى سلك العاية وانما الذى ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقدير غير مصيب ومفوض الى العلم الربانى وليس شئ منهما من الاحصاء فشى بل يحمل النظم الكريم على التثليل المبنى على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعاً بل قد يكون لاظهار تجزئه عنه على سبب التكليف التعجيزية كقوله تعالى فأتت بها من المغرب وهو المراد هنا فالعنى بعثناهم لتعاملهم معاملة من يختبرهم (أى الحزين) أى الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما ساقى (أحصى) أى اضبط (لما لبثوا) أى لبثهم (أمداء) أى غاية فيظلم لهم مجرمهم ويفوضوا ذلك الى العلم الخير وشفروا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أديانهم وأديانهم فزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البحث ويكون ذلك لطفاً لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصرهما من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وقياسياً على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدى اليها وهذا أولى من تصوير القتل بأن يقال بعثناهم بعث من يريد أن يعلم الخ حساباً وقع فى تفسير قوله تعالى ولعلم الله الذين آمنوا على أحد الوجوه حيث حل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يترجم منه استارام الادارة لتحقيق المرافعة والمخذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختر واختار هذا وقد قرئ ليلى بمبني المفعول ومبني للفاعل من الاعلام على أن المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة بأى فى موقع المفعول الثانى فقط ان جعل العلم عرفانياً وفى موقع المفعولين ان جعل يقينياً أى يعلم الله الناس أى الحزين أحصى الخ وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغريم والامد بمعنى المدى كناية فى قولهم ابتداء الفتاة وانتهى الفتاة وهو مفعول لأحصى والجار والمجور ورجال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة ضبطها من حيث كتبها المتصلة الذاتية فانه لا يسى احصاء بل ضبطها من حيث كتبها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيلية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز أن يراد بالامد معناه الوضع بتقدير المضاف أى لزمان لبثهم وبدونه أيضاً فان البت عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور وباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كونه المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو أن انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيلية لا تخفى على أحد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار كونه المنفصلة معارضة له بسبب عروضا لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انضمامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق فى الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين أن ما تعلق به الاحصاء فى الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلاثة وتسع سنين وفى الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها أعنى السنين التسعة بعد الثلاثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر وأما تعلقه به بالمعنى الثانى فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واستتاله عليها هذا على تقدير كون ما فى قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز أن تكون موصولة حذف عائدها من الصلة أى للذى لبثوا فيه من الزمان الذى عبر عنه فيما قبل بسنين عدداً فالامد بمعناه الوضعى على ما تحققت وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وأمداء نصب على التمييز وأما ما قيل من أن أحصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع فى سائر الآيات الكريمة فغنى أيهم أحسن عملاً أيهم أقرب لكم نفعاً الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلاً ماخياً

يضر بأن غاية البعث هو العلم بالأحصاء المتقدم على البعث لا بالأحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وأدعاء أن يحيى أفضل التفصيل من المراد عليه غير قياسي مدفوع بأنه عند سيوية قياس مطلقاً وعند ابن عسقلان وفيما ليست حمزته لتفصيل ولا ريب في أن ما نحن فيه من ذلك القليل واستناع عمله إنما هو في غير التمييز من المعمولات وأما أن التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلباسه أن يمنعه بصحة أن يقال أنهم أحفظ لهذا الشعر وزنا أو تقطيعاً أو يقال أن العامل في أمداً فعل محذوف بدل عليه المذكور رأى يحصى لما لبثوا أمداً كما في قوله وأضرب منا بالسيف القوانس وحديث الوقوع في المحذور وبلا فائدة مدفوع بما أشير إليه من فائدة الموافقة للنظر رفع ما فيه من الاعتساف والخلل بمحل من السداد لأن مؤداه أن يكون المقصود بالاختبار اظهار أفضل الخزين وتمييزه عن الأدنى مع تحقق أصل الأحصاء فيهما ومن البين أن لا يتحقق له أصلاً وأن المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه رأساً فهو فعل ماض قطعاً وتوهم بإذنه بأن غاية البعث هو العلم بالأحصاء المتقدم عليه مردود بأن صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى أعلم (نحن نقص عليك) شروع في تفصيل ما أجل في سلف من قوله تعالى إذ أوى الفتية إلى الخ أي نحن نجبرك بتفاصيل أخبارهم وقدم بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام (نبأهم) النبأ الخبر الذي له شأن وخطر (بالحق) ما حصة لصدر محذوف أوجال من ضمير نقص أو من نبأهم أو وصفه له على رأى من يرى حذف الموصول مع بعض صلته أي نقص قصصاً ملتبساً بالحق أو نقصه ملتبساً به أو نقص نبأهم ملتبساً به أو نبأهم الملتبس به ونبأهم حسب ذكره محمد بن إسحق بن يسار أنه قد مر ج أهل الأنجيل وعظمت فيهم الخطأ بأوطفت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتاوتوا كبير أديانوس فانه غلوا فيه غلوا شديد الجاس خلال الديار والبلاد والبعث والفساد وقتل من خالفه من المستسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يقع الناس فيخبرهم بين القتل وعبادة الأوثان فمن رغب في الحياة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحياة الآبدية فقلع قطع أربابه وعلقها في سور المدينة وأربابها فلما رأى الفتية ذلك كانوا أعظماء أهل مدینتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فقتلوا عوا إلى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعاء فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أعوان الجبل فحضرهم سبع نبي فقال لهم ما قال وخبرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان فقالوا إن لنا الهما ملائكة السموات والأرض عظمتهم وجبروتهم أن ندعوا من دونه أحداً ولن نفر لما تدعونا إليه أبداً فاقض ما أنت قاض فأمر بنزع جاعليهم من الثياب الفاخرة وأخرجهم من عنده وخرج هو إلى مدينة يبنوى لبعض شأنه وأمرهم إلى رجوعه ليتأملوا في أمرهم فإن تبوءوا إلا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فأزمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء إلى الكهف الحصين فأخذ كل منهم من بيت أبيه شيئاً فتصدقوا ببعضه وتزودوا بابواب فأووا إلى الكهف فجعلوا يصلون فيه آتاء الليل وأطراف النهار ويتهللون إلى الله سبحانه بالآيات والجزائر وفوضوا أمر نفقتهم إلى عليهما فكان إذا أصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويتشاور ما يهيمهم ويتحسس ما فيها من الاختار ويعود إلى أصحابه فلبثوا على ذلك إلى أن قدم الجبار المدينة فطلبهم وأحضر أباهم فاعتدوا بأنهم عصوه ونهبوا أموالهم وذرؤهم في الأسواق وفرروا إلى الجبل فلما رأى مبلغي ما رأى من الشر رجعا إلى أصحابه وهو يبكي ومعهم قليل من الزاد فأخبرهم بما شهد من الهول ففرعوا إلى الله عز وجل وخروا له سجداً ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في أمرهم فبينما هم كذلك إذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج ديانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فأمر باخراجهم فلم يطلق أحد أن يدخله فلما ضاق بهم ذرعاً قال قاتل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم فقتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً وليكن كفهم قبرهم ففعل ثم كان من

شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم (أنهم فتية) استئناف تحقيق متى على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفق كالصيغة لاصي (أمنوا بربههم) أوثر الالتفات للاشعار بعناية وصف الرابوية لايمانهم ولاة ماصدر عنهم من المقالة حسناً سيحكي عنهم (وزدناهم هدى) بأن ثبتهم على ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات حجاتهم وفي الفتاة من الغيبة إلى ما عليه سبيل النظم سباقاً وسباقاً من التكلم (وربطنا على قلوبهم) أي قلوبنا حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الأهل والأوطان والتعم والاختار واجتروا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على ديانوس الجبار (اذقاهم) منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير معاد فقال أكبرهم في لاجد في نفس شيتان رب رب السموات والأرض فقالوا نحن أيضاً كذلك فقاموا جميعاً (فقالوا ربنا رب السموات والأرض) ضموا دعوهم ما يحقق خواها ويقضي بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لها تقتضي ربوبيته لما فيها أي اقتضاء وقيل المراد قيامهم بربوبيته الجبار من غير مبالاة به حين عاقبتهم على ترك عبادة الأصنام حينئذ يكون ما سبقت من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعاً عما قبله صادراً عنهم بعد خروجه من عنده (إن تدعوا) لن نعبداً (من دونه الهما) معبوداً آخر لاستقلال ولا اشتراكا والدعوى عن أن يقال ربنا للتخصيص على يد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة وللأشعار بأن مدار العبادة وصف الألوهية وللإيدان بأن ربوبيته تعالى بطريق الألوهية لا بطريق المالكية المجازية (لقد قلنا إذا شططاً) أي قولاً ذا شطط أي تجاوز عن الحد أو قولاً لا هو عن الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعزى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع إليه قبل لقد قلنا وإذا جواب وجزا أي لودعوا من دونه الهما والله لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد العقول مغرطاً في الظلم (هؤلاء) هو مبتدأ وفي اسم الإشارة تحقير لهم (قومنا) عطف بيان له (اتخذوا من دونه آلهة) خبره وفيه معنى الإنكار (لولا يأتون) تخصيض فيه معنى الإنكار والتمجيز أي هلا يأتون (عليهم) على الوهيتهم أو على صحة اتخاذهم آلهة (بسلطان بين) بجملة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تكيت لهم والقام حجة (فمن أظلم من افترى على الله كذباً) بنسبة الشريك إليه أعمال عن ذلك علواً كبيراً والمعنى أنه أظلم من كل عالم وإن كان سبيل النظم على إنكار الأظلمية من غير تعرض لإنكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود (واذا اعتزقوهم) أي فارقتموهم في الاعتقاد أو أدرتم الاعتزال لجسائس (وما يعبدون إلا الله) عطف على الضمير المنصوب وما موصولة أو مصدرية أي إذا اعتزقوهم ومعبودهم إلا الله أو لعبادتهم إلا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم شركيين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحصهم في عبادة الأوثان ويجوز كون ما نافية على أنه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالترديد معترض بين إذ وجوابه (فأووا) أي التجؤا (إلى الكهف) قال الفراء هو جواب إذ كما تقول إذ فعلت فافصل كذا وقيل هو دليل على جوابه أي إذا اعتزقوهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسدياً أو إذا أدرتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى الكهف (يشرك لكم) يبسط لكم ويوسع عليكم (ربكم) مالك أمركم (من رحمته) في الدارين (وبهيب لكم) يسهل لكم (من أمركم) الذي أنت يصده من الفرار بالدين (مرفقا) ما ترتفقون وتتفنون به وقرى بفتح الميم وكر الفاء مصدراً كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مراراً من الإيدان من أول الأمر يكون المؤخر من منافعهم والتشويق إلى وروده (وترى الشمس) بيان لحالهم بعد ما أووا إلى الكهف ولم يصرح به أيذاً بعدم الحاجة إلى الظهور جريانهم على موجب الأمر به لكونه صادراً عن رأى صائب وتوهم بلا على ما سلف من

قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد عن يصالح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأته ترى الشمس اذا طلعت تزاور أي تزاور وتتنجى تحذف إحدى التاءين وقرئ بادغام التاء في الواو وتزور كتحرير وتزور وكذا من الزور وهو الميل (عن كهفهم) الذي أوا اليه فالافاضة لادنى ملازمة (ذات البين) أي جهة ذات بين الكهف عند توجه الداخل الى فجوة أي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم (واذا غربت) أي تراها عند غروبها (تقرضهم) أي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقرضهم (ذات الشمال) أي جهة ذات شمال الكهف أي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصرف الله سبحانه على مناهج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى (وهم في فجوة منه) جملة حالية مبنية لكون ذلك أمرا بديها أي تراها تميل عنهم بينما وشمالا ولا تحوم حولهم مع أنهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لو أن صرقتها عنهم بدالتقدير (ذلك) أي ما صنع الله بهم من زواجر الشمس وقرضها حائل الظل والغروب مع كونهم في موقع شعاعها (من آيات الله) العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقيقته التوحيد وكرامة الله عنده سبحانه وتعالى وهذا قيل أن سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شمالا مستقبل بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب الى مخاضاته رأس مشرق السرطان ومقربه والشمس اذا كان مدارها مداره طلعت مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب مخاضة لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبه وتحمل عقوته وتعدل هوائها ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلى ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان أكثر ولذلك أوقع التزاور على كهفهم والقرض على أنفسهم فذلك حيثما اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شأنه وأما جملة اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة أو الى اطلاعه سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم على أخبارهم فلا يساعده ايراده في تشايعف القصة (من يد الله) الى الحق بالتحقيق له (فهي المبته) التي أصاب الفلاح والمراد ما التئام عليهم والشهادة لهم بأصاية المطلوب والاختيار تحقيق ما أمروهم من نشر الرحمة ونسب المرافقة أو التوبة على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المتفجع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها (ومن يضل) أي يخلق فيه الضلال لصراف اختياره اليه (فلن نجد له) أبدا وأن بالمتقى التمتع والاستقصاء (وليس) ناهرا (مرشدا) يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده أو امكانه (وتحسبهم) بفتح السين وقرئ بكسرهما أيضا والخطاب فيه كما سبق (أيقاظا) جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان افتتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى وتقلبهم (وهم قود) أي نيام وهو تقرير لما لم يذ كر في سابق اعتقاد على ذكره السابق من الضرب على آذانهم (وتقلبهم) في قفوتهم (ذات البين) نصب على الظرفية أي جهة تلي آذانهم (وذات الشمال) أي جهة تلي شمالهم كيلا تأكل الارض ما يليها من أبدانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقبلوا لا ظلمهم الارض قبلهم لقلبنا في السنة وقيل تقليبة واحدة يوم عاشورا وقيل في كل تسعين وقرئ يقبلهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر بني عنه وتحسبهم أي وترى تقلبهم (وتظلمهم) قيل هو كلب مرواه قبيهم فظروده مرارهم يرجع فألفقه الله تعالى فقال لا تخشوا جاني فاني أحب أجناسه الله تعالى فناموا حتى أحرمتهم وقيل هو كلب راع قد تبهم على دينهم ويؤيد مقراة كالبهم اذا ظاهروا لحوقهم وقيل هو ظلم صيد أحدهم وزرعه أو غنمه واختلف في أنه فقيل كان امرؤا وقيل أصعب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطير وقيل بان وقيل تنوه وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد

ابن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب أصحاب الكهف وحمار لهم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان أسدا (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك أحمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز أعماله مطلقا والمتراع من المرقق الى رأس الأصبع الوسطى (بالوصيد) أي بموضع الباب من الكهف (لو اطلعت عليهم) أي لو عابقتهم وتجاهدتهم وأصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو (ولويت منهم قرا) مرأيا شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والغرام من واد واحد واما على الحالية فيعمل المصدر بمعنى الفاعل أي قارا أو جعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قوله تعالى فاقمها أي اقبال واديار واما على أنه مفعول له (ولمستهم رعبا) وقرئ بضم الدين أي خوفا مبالا الصدر رعبه وهو اما مفعول ثان أو خبر ذلك لما ألبسهم الله عن وجيل من الغيبة والمخبة كانت أعينهم مفتحة كالاستيقظ الذي يريد أن يتكلم وقيل اطلول أطفالهم وشموهم ولا يساعدهم ولم يشأ يوما أو بعض يوم وقوله ولا يشعرون بك أحد فاعلم من ذلك عدم اختلاف أحوالهم في أنفسهم وقيل لعظم أحرارهم ولعل تأخير هذا عن ذكر التولية للايدان باستقلال كل منهما في الترتيب على الاطلاع الدلور يعني ترتيب الوجود لئلا يرد اليهم ترتيب المجموع من حيث هو عليه ولا يشعر بعدم زوال الرعب بالقرار كما هو المعتاد وعن معاوية لما غزا الروم فر بالكهف قال لو كشفت لنا عن هؤلاء فظننا بهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية قال معاوية لا أتيت حتى أعلم عليهم حيث ناسوا وقال لم اذهبوا فأنظروا ففعلوا فدخلوا الكهف بعث الله تعالى وبعثهم فترى وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبإبدال الهجاء يا مع التحفيف والتشديد (وكذلك بمتاهم) أي كأعمالهم وحققنا أجسادهم من الليل والتحليل آية دالة على كمال قدرتنا بمتاهم من النوم (ليسا لواء بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه ما حصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبحث الممل فها سبق بالاختيار من حيث أنه من أحكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستبصاره لآثاره (قال) استئناف لبيان تساؤلهم (قاتل منهم) هو رئيسهم واسمه مكشبا (كم ليتم) في منامك لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة (قالوا) أي بعضهم (ليتنا يوما أو بعض يوم) قيل إنما قالوا لما أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا ليتنا يوما فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب (قالوا) أي بعض آخر منهم بما سمعهم من الأدلة أو الهام من الله سبحانه (ربكم أعلم بما ليتم) أي أنتم لا تعلمون مدة ليتم وإنما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الأولين بأجل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى المميزين المعهودين فيسبق وقيل القائلون جميعهم ولكن في حالي ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقضي بأن الكلام جار على مناهج المجاورة والمجاورة لا لتقليل ما علم بالثبات فابعدوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوا اعتراضا عن التعمق في البحث واقتبالا على ما يهيمهم بحسب الحال كما بني عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة وصفها باسم الاشارة يشعر بأن القائل ناولها لبعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء بادغام القاف في الكاف وبكسر الواو ويسكون الراء مع الادغام وحملها دليل على أن التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى (فليظن أيها) أي أهلها (أزكى) أحل وأطيب وأكثر وأرخص (طعاما فلما تكلم برزق منه) أي من ذلك الازكى طعاما (وليتلطف) وليتألف اللطف في المعاملة كيلا يفتن أو في الاستخفاف التلا يعرف (ولا يشعرون بكم أحدا) من أهل المدينة فانه يستدعي شيوخ أخباركم أي لا يفعان ما يؤدي الى ذلك فانه على الاول تأسيس وعلى

الثاني تأكيد للامر بالتلطف **﴿انهم﴾** تعليل لما سبق من الامر والنهي أي ليبلغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم **﴿ان يظهر عليكم﴾** أي يظلموا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في أيها **﴿يرجوكم﴾** ان نتم على ما أتم عليه **﴿أو يبيدوكم في منابهم﴾** أي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى أولئذ قد أنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحديد الذي هو أشد شي عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حطهم هو الثبات على الدين المؤدى اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للبالغة في حمل البعوث على الاستخفاف وحث الباقين على الاهتمام بالتربية فان اعاض النصح أدخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه أكثر وأوفر **﴿ولن نفلحو اذا﴾** أي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجام ان تفوزوا بخير **﴿أبدا﴾** لافي الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى **﴿وكذلك﴾** أي وقا أعتاهم وبشاهم لما سر من ازديادهم في مراتب البقين **﴿أعثرنا﴾** أي أطلعتنا الناس **﴿عليهم ليعلموا﴾** أي الذين أعتراهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة **﴿أن وعد الله﴾** أي وعده بالبعث أو موعده الذي هو البعث وأن كل وعده أول كل موعده فيدخل فيه وعده بالبعث أو البعث الموعود ودخولا أولا **﴿حق﴾** صادق لا خلف فيه أو ثابت لا مرد له لان توهمهم وانتباههم كحال من يموت ثم يعث **﴿وأن الساعة﴾** أي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء **﴿لأريب فيها﴾** لا شك في قيامها فان من شاهد أنه جل وعلا توفي نفوسهم وأمسكها ثلثائة سنة وأكثر حافظا أبادنا من التحلل والتفتت ثم أرسلها اليها لا يبق له شائبة شك في أن وعده تعالى حق وأنه يعث من في القبور فيرد اليهم أرواحهم فيحاسبهم ويجزى بهم بحسب أعمالهم **﴿اذ يتنازعون﴾** ظرف لقوله أعثرنا قدم عليه الغاية اظهار الكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كإقيل لدلالته على أن التنازع يحدث بعد الاعتراض وليس كذلك أي أعتراهم عليهم حين يتنازعون **﴿بينهم أمرهم﴾** ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه أمر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له واحد بقوله لا يقول لبعث الأرواح دون الأجساد وآخر يقول ببعثهم معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف أهل ملكته في البعث حسبا فصل فدخل الملك بيته وأغلق بابه وليس مسحا وجلس على رمال وسأل ربه أن يظهر الحق فألقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذ حفرة لغته فتد ذلك بعثهم الله تعالى ليجري بينهم من التنازع ما جرى روى أن المبعوث لما دخل المدينة أخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فأنهم به أنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا أخبرونا بأن قرية فروا يدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك وأهل المدينة من مسلم وكافر وأصروهم وكلوهم ثم قالت الفتية للملك تستودعك الله ونفذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فتناولوا فأتى الملك عليهم ثيابا وجعل لكل منهم ثوبا من ذهب فراقهم في المنام كارهين للذهب فجعلوا من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكان حتى أدخل أو لا لكلا يغروا فدخل فغص عليهم المدخل فبنا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه أمر الفتية قبل بعثهم أي أعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الأحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الأساطير وأقوال الرجال وعلى التقديرين فالقاه في قوله عز وجل **﴿فقالوا﴾** فصيحة أي أعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فأتوا فقالوا أي قال بعضهم **﴿ابنوا عليهم﴾** أي على باب كهفهم **﴿بنينا﴾** لكلا ينطرق اليهم الناس ضنا بترتبهم ومحافضة عليا وقوله تعالى **﴿ربهم أعلم بهم﴾** من كلام المتنازعين كانهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حطهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في

الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب أو من كلام الله تعالى ردا لقول الخاضعين في حديثهم من أولئك المتنازعين وقيل هو أمرهم وتديبرهم عند وفاتهم أو شأنيهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في أنهم ماتوا أو ناموا كما في أول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾** وهم الملك والمسلون **﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾** وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وابتداء صفة المساجد للدلالة على أن هذا القول ليس بما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق بذكر عضدنا وأما تعلقه بأعثرنا فبأنه أن أعتراهم ليس في زمان تنازعهم فبأنه ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع يتدا بقع في بعضه الآخر وفي بعضه التنازع تصف لا يتخى مع أنه لا يخصر لأخاذه الى التنازع وهو مؤخر في الوقوع **﴿سيقولون﴾** الضمير في الأفعال الثلاثة للخاضعين في قصتهم في عهد النبي عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه استاذ كل منها الى كلهم بل الى بعضهم **﴿ثلاثة رابعهم كلهم﴾** أي هم ثلاثة أشخاص رابعهم أي جعلهم أربعة بانضمام اليهم كلهم قيل قاله اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يقويها ويرقى ثلاثة بادغام الثاني التاء **﴿ويقولون خمسة سادسهم كلهم﴾** قيل قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطوريا **﴿سبعهم بالغيب﴾** ربما بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه أو غشا بالغيب من قولهم رجم بالظن إذا ظن واتصاه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا أي راجعين أو على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد ومن محذوف متأنف واقع موقع الحال من ضمير القعابن معا أي يرجون رجما وعدم إيراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك **﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلهم﴾** هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقين من هذا الوحي وما فيه مما يرشدكم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتفسيره بزيادة الواو المقيدة لزيادة ثلاثة النسبة فيما بين طرفيها لا يوحى آخر كإقيل **﴿قل﴾** تحقيقا للحق وردا على الأولين **﴿رب أعلم﴾** أي أقوى علما **﴿يعتد بهم﴾** بمدحهم **﴿ما يعلمهم﴾** أي ما يعلم عندهم أو ما يعلمهم فضلا عن العلم بعقوبتهم **﴿الاقليل﴾** من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه أنا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحى آخر لما خفى عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكن المسلمون أسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه أنهم سبعة نفر أمثالهم بليخا ومكشليينا ومثليينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يسارهم نوح ودر نوح وشذتوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وفقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفيش ططيوش **﴿فلا تمار﴾** الفاء لتفريع النبي على ما قبله أي اذ قد عرفت جهل أصحاب القولين الأولين فلا تتجادلهم **﴿فيهم﴾** في شأن الفتية **﴿الامر اظهرا﴾** قد مر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فأنه مما يحل بمكارم الاخلاق **﴿ولا تستفت فيهم﴾** في شأنهم **﴿من الخاضعين﴾** **﴿أحدا﴾** فان فيما قص عليك لمدحهم عن ذلك مع أنه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الاقليل من أهل الكتاب فالشاهد الثلاثة في الأفعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه محض عما في الأول من التكلف في جعل أحد الأقوال المحكية المتظرفة في سمط واحد ناشئا عن الحكاية مع كون الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المقول في لتمام والمعنى حينئذ واذا قد وقعت على أن كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا تتجادلهم الا جدا لا ظاهرا لنطق به الوحي المبين من غير تحجيل لجميعهم فان فيه مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جواز أو احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم بالفتنة لان ارجاع اليهم في شأن الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقين من الوحي **﴿ولا تقولن لشيء﴾** أي لاجل

شيء تعزم عليه **(أني فاعل ذلك)** الشيء **(غدا)** أي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا أوليا فإنه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فألوه عليه الصلاة والسلام فقال اشترى غدا أخيرا ولم يستثن فأتيا على الوحي حتى شق عليه وكذبت قریش وما قيل من أن المدلول بالعبارة هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده أن ما بعده ليس بمعناه في مناهل النبی فان وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل **(الأن يشاء الله)** استثناء مفرغ من النهي أي لا تقولن ذلك في حال من الأحوال الاحال ملأ به عيشته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال ان شاء الله أو في وقت من الأوقات الا وقت أن يشاء الله أن تقول له لا مطلقا بل مشيئة أذن فان النسيان أيضا يمشيته تعالى ولا مانع لتعليقه بفعل لعدم دأستثناء اقتران المشيئة بالفعل ومناواة استثناء اعتراضها بالنهي وقيل الاستثناء جار مجرى التأييد كأنه قيل لا تقولن أبدا كقولته تعالى وما كان لنا أن نمود فيها الا أن يشاء الله **(وإذ ذكر ربك)** بقلبك أن شاء الله متداركاً له **(إذا نسيت)** إذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة مالم يحدث وتلك جواز تأخير الاستثناء وعلمه الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر اقراره ولا إطلاق ولا عتاق ولم يعلم خدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الائم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز أن يكون المعنى وإذ ذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمر به ليحثك ذلك على التدارك أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليدركك المنسى وقد حل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها **(وقل عسى أن يهيني ربي)** أي يوفقني **(لأقرب من هذا)** أي لشيء أقرب وأظهر من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل التي يوقى **(رشد)** أي إرشاداً للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حيث آتاه من البينات ما هو أعظم من ذلك وأبين كقصص الأنبياء المتباعد أيامهم والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلية إلى قيام الساعة أو لأقرب رشد وأدنى خيرا من المنسى **(وليثوا في كهفهم)** أحببوا مضروبا على آذانهم **(ثلاثة سنين وازدادوا تسعا)** وهي جملة مستأنفة مبنية على أجل فيها سلف وأشير إلى عزة مناله وقيل أنه حكاية كلام أهل الكتاب فأنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلاثة وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثة سنين شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثة وتسع سنين وستين عطف بيان لثلاثة وقيل بدل وقرئ **(على الاضافة وضما للجمع موضع المفرد وما يحسنه هنا أن علامة الجمع فيه جبر لمحضذف في الواحد وأن الأصل في العدد اضافته إلى الجمع قل الله أعلم بما لبثوا)** أي بالزمان الذي لبثوا فيه **(له غيب السموات والأرض)** أي ما غاب فيها وخفي من أحوال أهلها واللام للاختصاص العالي دون التكري في ذاته غير مختص بالغيب **(أبصره وأسمع)** دل بصيغة التعجب على أن شأنه عليه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه أدراك المدركين لا يحججه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة إليه اللطيف والكشيف والصغير والكبير والحق والجلي والهاضمير الجلالة وعلمه الرفع على القاعلية والباء مزينة عند سبويه وكان أصله أبصر أي صار ذا بصيرة نقل إلى صيغة الأمر لانتفاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء كما في كنى به والتصبي على المنعوية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزينة ان كانت الحزمة التعددية ومعديتها ان كانت الصيغة ورة ولعل تقديم أمر ابصاره تعالى لما أن الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات **(ما لهم)** لاهل السموات والأرض **(من دونه)** تعالى **(من ولي)** يتولى أمورهم وينصرهم استقلالاً **(ولا يشرك في حكمه)** في قضائه أو في علم الغيب

(أحد) منهم ولا يجعل له فيه دخلا وهو كما ترى أبان في نفي الشريك من أن يقال من ولي ولا شريك وقرئ **(على صيغة نهي الحاضر على أن الخطاب لكل أحد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة أصحاب الكهف من حيث أنها بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم من المنعيات على أنه وحى مميز وأمر عليه السلام بالمداومة على دراسته فقال **(واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك)** ولا تسمع لقولهم أنت بقرآن غير هذا أو بدله **(لا مبدل لكلماته)** لا قادر على تبديله وتغييره غيره **(ولن تجد)** أبدا الدهر وإن بالغت في الطلب **(من دونه ملتحدا)** ملجأ تعدل إليه عند المسامحة **(وأصبر نفسك)** احبسها وثبتها مصاحبة **(مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي)** أي دائمين على الدعاء في جميع الأوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ **(بالغدوة)** على أن ادخال اللام عليها وهي علم في الأغلب على تأويل التكرير بهم والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صيب وعمار وخباب ونحوهم رضي الله عنهم وقيل أصحاب الصفة وكانوا نحو سبعة رجل قيل أنه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نخ هؤلاء الموالي الذين كأنهم يريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام أنؤمن لك واتبعك الأرضون فزلت والتعير عنهم بالموصول لتعليل الأمر بما في حين الصلة من الحيلة المداعية إلى ادامة الصلوة **(يريدون)** بدعائهم ذلك **(وجهه)** حال من المستكن في يدعون أي من يدين لرضاء تعالى وطاعته **(ولا تعد عينك عنهم)** أي لا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم من عداة أي جاوزه واستعماله بمن لتضمين معنى النبوة أو لا تصرف عينك النظر عنهم إلى غيرهم من عدوته عن الأمر أي صرفته عنه على أن المفعول محذوف لظهوره وقرئ **(ولا تعد عينك ولا تعد عينك من الأعداء والتعدية والمراد نبيه عليه السلام عن الأعداء)** بهم لثلاثة زهيم طموحا إلى زى الاغنياء **(تريدون حياة الدنيا)** أي تطلب مجالسة الأشراف والاغنياء وأصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين واستاد الإرادة إليه مجاز وتوجيهه للتلازم كما في قوله**

لمن زحوا فزول بها العيان تنهل
ومن المستكن في الفعل على القراءةتين
(ولا قطع) في تنحية القراء عن مجالسك **(من أغفلنا قلبه)** أي جعلناه غافلا لبطان استعداد له لذكر بالمرء أو وجدناه غافلا كقولك أجنبته وأغفلته إذا وجدته كذلك أو هو من أغفل قلبه أي لم ينس بالذكر **(عن ذكرنا)** كما وأنتك الذين يدعونك إلى طرد الفقراء عن مجلسك فأنهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الأوقات وفيه تنبيه على أن الباعث له على ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهه وأنهما كه في الحسبات حتى خفي عليه أن الشرف بحيلة النفس لا يزيه الجسد وقرئ **(اغفلنا قلبه)** على اسناد الفعل إلى القلب أي حسبا غافلين عن ذكرنا إياه بالمواخذة من أغفلته إذا وجدته غافلا **(واتبع هواه وكان أمره فرطا)** ضياعا وهلاكا أو متقدما للحق والصواب نابذاله ورأى ظهروهم من قولهم فرس فرط أي متقدم للخيل أو هو بمعنى الإفراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي إلى اتباع الهوى المؤدى إلى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعير عنهم بالموصول للإيذان بعلمية ما في حين الصلة للنهي عن الاطاعة **(وقل)** لا أولئك الغافلين لمتبعين هوام **(الحق من ربكم)** أي ما أوحى إلى الحق لا غير فأننا من ربكم أو الحق المعهود من جهة ربكم لأن من جنى حتى يتصور فيه التبديل أو يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى **(من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** آمنن تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريغ عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين أي عقيب تحقق أن ما أوحى إلى حق لا ريب فيه وأن ذلك الحق من جهة ربكم فمن

شأن أن يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يعمل بما لا يكاد يصلح للعمل ومن شاء أن يكفر به فليكفر به من التهديد وإظهار الاستثناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبإيمانهم وجوداً وعدمه مالا يخفى وأما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الأمر لا على مضمون الأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء أن يؤمن به أو أن يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء أن يكفر به أو يكذبك فيه فليكفر بقوله تعالى ﴿إنا أعتدنا﴾ وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيد من الزجر عن الكفر أولاً يفهم من ظاهر التهديد من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فإن أعداد جزائمه من دواعي الأمل والأمل وعلى الوجه الأول هو تعليل للأمر بما ذكر من التهديد التهديد أي قل لهم ذلك إنا أعتدنا ﴿للفالسين﴾ أي هيأت للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعذيب عنهم بالفالسين لتثبيته على أن مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع الشيء في غير موضعه ﴿بارأ﴾ عطية عجيبة ﴿أعاطهم﴾ أي جمعت لهم وإثارت صعبة المساعي للدلالة على التحقيق ﴿سرافقها﴾ أي فسطاطا شديدة ما يحفظهم من النار وقيل السرافق الحجر الذي تكون حول الفسطاط وقيل سرافقها دغائبها وقيل حائط من نار ﴿وان يستغيثوا﴾ من العطش ﴿يفتأوا بماء كاهل﴾ كالحديد المذاب وقيل كدر دى الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبرا بالصليم ﴿يشوى الوجوه﴾ إذا قدم ليشرب أنشوى الوجه لحراره عن النبي عليه الصلاة والسلام هو كتمر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ﴿يشرب الشراب﴾ ذلك ﴿وسامت﴾ النار ﴿مرتفعاً﴾ متكلاً وأصل الارتفاق نصب المرتفع تحت الحد وأنى ذلك في النار وأما هو بمقابلة قوله تعالى حسنت مرتفعاً ﴿ان الذين آمنوا﴾ في محل التعليل للاحث على الإيمان للمفهم من التهديد كأنه قيل وللذين آمنوا ولعل تعبير سكة الايمان بكال تافى مال الفريقين أي أن الذين آمنوا بالحق الذي أوحى إليك ﴿ومعملوا الصالحات﴾ حسباً بين في تصاعيفه ﴿انا لنضع أحسن مما عملوا﴾ خبر أن الأولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف أي من أحسن منهم عملاً أو سننني عنه كما في قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن عملاً في الحقيقة هو الذي آمن وعمل الصالحات ﴿أولئك﴾ المدعونون بالمعوت المجلية ﴿لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار﴾ استئناف لبيان الأجر أو هو الجزاء وما بينهما اعتراض أو هو خبر بعد خبر ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ من الأولى ابتدائية والثانية يائية صفة لاساور والتكثير للتخيم وهو جمع أسورة أو أساور جمع سوار ﴿ويلبسون ثياباً خضراً﴾ خصت الخضرة بلباسهم لأنها أحسن الألوان وأكثرها طراوة ﴿من سندس واستبرق﴾ أي من سائر من الليناج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴿مكتنين فيها على الأرائك﴾ على السرر على ما هو شأن المتعدين ﴿نعم الثواب﴾ ذلك ﴿وصعدت﴾ أي الأرائك ﴿مرتفعاً﴾ أي متكاً ﴿واضرب لهم﴾ أي للفريقين الكافر والمؤمن ﴿مثلاً﴾ رجلين ﴿مفعولان﴾ لا ضرب أولها فأنهما لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان أي اضرب للكافرين والمؤمنين لأن من حيث أحوالهم الاستفادة مما ذكر آنفاً من أن الأولين في الآخرة كذا ولآخرين كذا بل من حيث عيسى الأولين مع ثقلهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابذهم مثاق الفقر مثلاً حال رجلين مقدرين أو محققين هما أخوان من بني إسرائيل أو شريكان كافر اسمه قطورس ومؤمن اسمه يهودا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشتري الكافر بنصيبه شيعاً وعقاراً وصرف المؤمن نصيبه إلى وجوده لمبارف آل أمرها إلى ما حكاها الله تعالى وقيل هما أخوان من بني عزموم كافر هو الاسود ابن عبد الاسد ومسلم هو أبو سلة عبد الله بن عبد الاسد زوج أم سلة رضى الله عنها أولاً ﴿جعلنا لأحدهما﴾ وهو الكافر ﴿جنتين﴾ بستاتين ﴿من أعناب﴾ من كموم متنوعة والجملة بتأنيهاً يارب التشليل أو وصفة لرجلين

﴿وحفظناهما بنخل﴾ أي جعلنا النخل محطاً بهما مؤزراً بها كرومهما يقال حفظه القوم إذا طافوا به وحفظته بهم جعلتهم حافلين حوله فيز يدالها مفعول آخر كقولك غشيت به ﴿وجعلنا بينهما﴾ وسطهما ﴿زرعاً﴾ ليكون كل منهما جامعاً للأقوات والقواركه متواصل العبارة على الهيئة الرائقة والوضع الاتيق ﴿كلنا الجنتين أتت أكلها﴾ ثمها وبلغت مبلغاً صالحاً لكل وقرى يسكون الكافر وقرى كل الجنتين أتت أكله ﴿ولم نعلم منه﴾ لم تنقص من أكلها ﴿شيئاً﴾ كما يعمد ذلك في سائر البساتين فإن الثمار غالباً تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الأشجار يأتي بالثمر في بعض الأعوام دون بعض ﴿ونحننا خلاهما﴾ فيما بين كل من الجنتين ﴿نهر﴾ على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهما وقرى بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء الأكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس الايمان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل عمار الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها وله عكس لأنهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مقرب على بعض فإن إيتاء الأكل متفرع على السبق عادة وفيه إيتاء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السبق كقوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ﴿وكان له﴾ لصاحب الجنتين ﴿ثمر﴾ أنواع من المال غير الجنتين من ثمره إذا ذكره قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحبوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة ﴿فقال لصاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو﴾ أي القائل ﴿بحاوره﴾ أي صاحبه المؤمن وإن جاز العكس أي راجعه في الكلام من حار إذا رجع ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ حشياً وأعوأنا أو أولاداً ذكرنا لأنهم الذين ينفرون معه ﴿ودخل جنته﴾ التي شرحت أحوالها وعددها وصفاتها وهيأتها وتوحيدها ما لم تعدم تعاق الغرض بتعديدها وأما لا اتصال أحدهما بالآخرى وأما لأن الدخول يكون في واحدة فواحدة ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ ضارلاً بعبيد وكفره ﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فإذا قال إذا ذلك فقيل قال ﴿ما أظن أن تبدي هذه﴾ الجنة أي نفى ﴿أبداً﴾ لطول أمه وتمسدى غفلة واعتباره بمهلته ولعله إنما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونفيه عن الاعتراض بهما وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ كأنه فيها سباتي ﴿ولئن رددت﴾ بالبعث عند قيامها كما تقول ﴿إلى ربى لأجدن﴾ يوحى ﴿خيراً منها﴾ أي من هذه الجنة وقرى منهما أي من الجنتين ﴿مقلباً﴾ مرجعاً وعاقبة ومدار هذا الطبع واليمين الفاجرة اعتقاد أنه تعالى إنما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذائق وكرامته عليه سبحانه ولم يدرك ذلك استدراج ﴿قال له صاحبه﴾ استئناف كما سبق ﴿وهو يحاوره﴾ جملة حالية كما مر فأنه انتبه من أول الأمر على أن ما يملؤه كلام معني بشأنه مسوق للحاوره ﴿أكفرت﴾ حيث قلت ما أظن الساعة قائمة ﴿بالذي خلقك﴾ أي في ضمن خلق أصلك ﴿من تراب﴾ فإن خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقته منه لما أن خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت نموذجاً منطوياً على فطرة سائر أفراد الجنس انطواً اجالياً مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقاً للكل منه وقيل خلقك منه لأنه أصل مادتك إذ به يحصل الغذاء الذي منه تحصل النطفة فتدبر ﴿من نطفة﴾ هي مادتك القريبة فالخلق واحد والبدء متعدد ﴿ثم سواك رجلاً﴾ أي عدلك وملك انساناً ذكراً أو صيرك رجلاً والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشارة بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل بأنهم الناس أن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ ﴿لكننا هو الله ربى﴾ أصله لكن انا وقد قرى كذلك لحذف الهمة فتلاقت التنوان فكان الادغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربى

وتلك الجملة خبر أنا والماء منها اليه الضمير وقرئ: يا أيها الف أنافي الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ: لكنك بالها ولكن بطرح أنا ولكن أنا لا اله الا هو ربي ومدارا الاستدراك قوله تعالى أكفرنا كانه قال أنت كافر لكني مؤمن موحدا (ولا أشرك بربي أحدا) فيه إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراف (ولو لا إذ دخلت جنتك قلت) أي هلا قلت عند ما دخلتها وتقدم الطرف على المحضض عليه للإيذان بتعمق القول في أن الدخول من غير ريث لا للقصر (ما شاء الله) أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كائن على أن ما هو صولة مرفوعة المحل أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية منصوبة والجواب بخذوف والمراد بتحقيقه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أبقاها (لا قوة الا بالله) أي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبأن ما يسرك من عمارتها وتدمير أمرها إنما هو بمحضته تعالى وإقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فأنجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أنا ما مؤكديا التكلم أو ضمير فصل بين مفعولي الرؤية أن جعلت عليه أقل ثانيها وسأل أن جعلت بصيرة فيكون أنا حينئذ تأكيد لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ: أقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية أو حال وفي قوله تعالى ولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد (ففسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك) هو جواب الشرط والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله سبحانه أن يقلب ما في وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لأبغى جنة خيرا من جنتك ويسلك لك كفرتك نعمته ويغرب جنتك (ويرسل عليها حسابانا) هو مصدر بمعنى الحساب كالطلان والخبر أن أي مقدارا قدره الله تعالى وحبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسابان وهو حساب ما كسبت يده وقيل مراد جمع حساباته وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيها سبأى الاوإن أكثر (من النبا) فصبح صعيدا زلقا (صدور أريد به المفعول مبالغة أي أرضا ملسا زلقا عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات (أو يصبح) عطف على قوله تعالى تصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل (ماؤها غورا) أي غائرا في الأرض أطلق عليه المصدر مبالغة (فإن تستطيع) أبدا (له) أي للسا الغائر (طلبا) فضلا عن وجدانه ورده (وأحيط بشره) أهلك أمواله المعبودة من جنته وما فيها وأصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدرك أنه قيل فوقع بعض ما توقع من الخدور وأهلك أمواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة (فأصبح بقلب كفيه) ظهر ألبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أتفق فيها) أي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية ولأن ما أتفق في عمارتها كان مما يمكن صيانه عن طوارق الخدائن وقد صرفه الى مصالحها ورجا أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى أنه لا تالها أي يدي الردي ولذلك قال ما أظن أن تبدي هذه أبدا فلما ظهر له أنها بما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من اتفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال (وهي) أي الجنة من الاعناب المحفوفة بتخل (خاوية) ساقطة (على عروشها) أي دعائمها المصنوعة للكرام لسقوطها قبل مقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزروع لما لانها البعدة وهما من مشتماتها وأما الآن ذكر هلاكها معن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلك ما عداها بالطريق الاولى وأما لأن الاتفاق في عمارتها أكثر وقيل أرسل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها وغار ماؤها (ويقول) عطف على قلب أو حال من ضمير رأى وهو يقول (بالي التي لم أشرك بربي أحدا) كأنه تذكره وعظما أحب وعلم أنه إنما أتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما أصابه قبل ويحتمل أن يكون ذلك توبة من الشرك وتندما على ما فرط منه

(ولم تكن له) وقرئ: بالياء التحاتية (فئة ينصرونه) يتقدرون على نصره بدفع الاهلاك أو على رد المهلك أو الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم مثليهم (من دون الله) فانه القادر على ذلك وحده (وما كان) في نفسه (متصرا) متمتعا بقوته عن انتقامه سبحانه (هناك) في ذلك المقام وفي تلك الحال (الولاية لله الحق) أي النصرة له وحده لا يقدر عليها أحد فهو تقرير لمقابلته أو نصرة فيها أولياء المؤمنين على الكفرة كما نصر بمافعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لا وليا له وقرئ: الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان أي هنالك السلطان له عز وجل لا يقلب ولا يتمتع منه أو لا يعبد غيره كقوله تعالى وإذا ركبوا دعوا الله تخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله باليتي لم أشرك الخ كان عن اضطرار وجرح عماده على أسلوب قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك إشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ: برفع الحق على أنه صفة للولاية ونصبه على أنه مصدر مؤكد وقرئ: عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة (واضر لم مثل الحياة الدنيا) أي وأذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وبسرة زوالها لئلا يطمئئروا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرّة أو بين لم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل (كما) استئناف لبيان المثل أي هي كما (أنزلناه من السماء) ويجوز كونه مفعولا ثانيا لأخرب على أنه بمعنى صير (فأخاطب به) أشتبك بسببه (نبات الأرض) فالتف وخالف بعضه بعضا من كثرة وتكافئه أو جمع الماء في النبات حتى روى ورف فتقتضى الظاهر حينئذ فاختلط نبات الأرض ونبات ما عليه النظم الكريم عليه للبالة في الكثرة فالكل من المختلطين موصوف بصفة صاحبه (فأصبح) ذلك النبات الملتف اترجبتها ورفيقها (هشيا) مشويا مكسورا (تذو والرياح) تفرقه وقرئ: تذريه من انزاه وتذروه الريح وليس الشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيا تظيره الرياح فإن لم يكن بالأمس (وكان الله على كل شيء) من الأشياء التي من جهلتها الانشاء والافناء (مقدرا) قادرا على الكمال (المسال والبنون) رية الحياة الدنيا بيان لثأن ما كانوا يفخخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الأخ الكافر أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا اثر يان شأن نفسها بما سر من المثل وتقدم المال على البنين مع كونهم أعز منه كما في الآية المحكية أنفا وقوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين وغير ذلك من الآيات السكرية لعراقته فيها نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الأبرار والافوات فانه زينة وعمد لكل أحد من الآباء والبنين في كل وقت وحين وأما البنون فربيتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولأن المال مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولأن الحاجة اليه أمس من الحاجة اليهم ولانه أقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فإن من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال وتكال وافراد الزينة مع أنها مستندة الى الاثنين لما أنها مصدر في الاصل أطلق على المفعول مبالغة كأنها نفس الزينة والمعنى ان ما يفخخرون به من المال والبنين شيء يتزين به في الحياة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بمما هو من أوصافها التي شأنها أن تزول قبل زوالها (وبالباقيات الصالحات) هي أعمال الخير وقيل هي الصلوات الحسن وقيل سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقيل كل ما أريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ودخولا أوليا أما صلاحها فظاهر وأما بقاؤها فبقا عوائدها عند فناء كل ما تطمع اليه النفس من حظوظ الدنيا (خير) أي ما نعت شأنها من المال والبنين وإخراج بقاء تلك الاعمال وصلاتها مخرج الصفات المخر وخرج عنها مع أن حفظها أن يكون ما مقصود

الافادة لاسيما في مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفذ وما عند الله باق
 للايذان بأن بقاها أمر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي
 يحتاج الى التعرض له خيريتها **﴿عند ربك﴾** أي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة إضافة الزينة
 الى الحياة الدنيا للافصليتها فيها من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لها في الخيرية في الآخرة
﴿ثوابا﴾ عائدة تعود الى صاحبها **﴿وخير أهلا﴾** حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا وأما
 ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله وتكرير خبر الاشعار باختلاف حيتيها الخيرية والمبالغة فيها **﴿ويوم
 نسير الجبال﴾** منصوب بمضمير أي اذكر حين نقامها من أما كتبها ونسبها في الجوع على حينها كما ينبغي عنه قوله تعالى
 وترى الجبال تحسبها جملدة وهي تمر من السحاب أو نسير أجرامها بعد أن نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير
 المشركين عما فيه من الدواعي وقيل هو مخطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك أي الباقيات الصالحات خير عند الله
 ويوم القيامة وقرئ **﴿تسير على صفة البناء للفعول من التسجيل جري على سنن الكبرياء بالذات بالاستغناء عن الاستناد الى الفاعل
 لتعبه وقرئ تسيير﴾** وترى الأرض أي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن تأقمت
 الرؤية وقرئ **﴿ترى على صفة البناء للفعول﴾** **﴿بارزة﴾** أما بر وزمان تحت الجبال فظاهر وأما ما عدا فكانت الجبال تحل لبيت
 وبين الناظر قبل ذلك فالآن أحضر فاعا صنفها لا ترى فيها عوجا ولا أمتا **﴿وحشرناهم﴾** جرحناهم الى الموقف من كل أرب
 وإشار صيغة الماضي بعد نسير وترى لله لالة على تحقق الحشر المتخرج على البحث الذي ينكره المشركون وعليه يدور أمر
 الجراء وكذا الكلام فيما عطف عليه من جوارقيل هو لله لالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاحوال
 كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك **﴿فلم تغادر﴾** أي لم تترك **﴿منهم أحدا﴾** يقال غادره وأغدره اذا تركوه منه الغدر الذي هو
 ترك الوفاء والغدر الذي هو ما يتركه السيل في الأرض الغائرة وقرئ **﴿بالياء﴾** بالوقوف على اسناد الفعل الى ضمير الأرض
 كما في قوله تعالى وألقنا ما فيها وتخلت **﴿وعرضوا على ربك﴾** شهب حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر
 فيهم بما يأمر وفي الالتفات الى الغية وبناء الفعل للفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه
 السلام من تزية للمباهة والجرى على سنن الكبرياء وإظهار الضمير عليه السلام مالا يلحق **﴿صفا﴾** أي غير متفرقين
 ولا غائلين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد
 واحد صفوا **﴿لقد جئتمونا﴾** على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا أي مقولا لهم أو قلنا لهم
 وأما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فيعيد من جزالة النزول الجليل كيف لا ويلزم منه أن هذا القول هو المقصود بالاصالة
 دون سائر التواريخ مع أنه خاص بالعلق بمساقلة من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبرز الأرض **﴿كأخلفناكم﴾**
 نعم لمصدر مقدر أي جئنا كأننا كجئكم عند خلقنا لكم **﴿أول مرة﴾** أو حال من ضمير جئتمونا أي كائنين كما
 خلقناكم أول مرة حفاة عراة غرلا أو ما معكم شيء بما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا
 فرادى كأخلفناكم أول مرة وتركتهم ماخولناكم ورا ظهوركم **﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا﴾** اضطراب وانتقال
 من كلام الى كلام كلامهم التوبيخ والتفريع أي زعمتم في الدنيا أنه لن نجعل لكم أبدا وقتا تنجز فيه ما وعدناه من البحث
 وما يتبعه وأن تخففه من المثقلة فصل بحرف التي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف امامفعول
 ثان للجعل وهو بمعنى التسيير والاول هو موعدا أو حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع **﴿وضع الكتاب﴾**
 عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي أريد تذكيرها بتذكير وقتها أو رد فيه ما أورد في أمثاله من صيغة

الماضي دلالة على التقرر أيضا أي وضع صحائف الاعمال وإثارة الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها
 في أبدي أحمائها عينا وشيالا وأما في الميزان **﴿فترى الجرمين﴾** قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا
 أولا **﴿مشفقين﴾** خائفين **﴿مما فيه﴾** من الجرائم والذنوب **﴿ويقولون﴾** عند وقوفهم على ما في تضاعفه تقيرا
 وقطميرا **﴿يا ويلتنا﴾** منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لا قوة
 أي يا ويلتنا احضري هذا أو ان حضورك **﴿هالذا الكتاب﴾** أي أي شيء الله وقوله تعالى **﴿لا تقادر صغيرة ولا كبيرة
 الا أحصاها﴾** أي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب واستنفاة مبنية على سؤال
 نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يقادر سيرة صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها **﴿ووجدوا
 ما عملوا﴾** في الدنيا من السيئات أو جزاء ما عملوا **﴿حاضرا﴾** مسطورا عقيدا **﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾** فيكتب
 ما لم يعمل من السيئات أو يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة القلم الاولى **﴿واذ قلنا للأنبياء﴾** أي اذكر
 وقت قولنا لهم **﴿اسجدوا لآدم﴾** سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله **﴿فسجدوا﴾** جميعا امتثالاً بالامر **﴿الا
 ابليس﴾** فانه لم يسجد بل أي واستكبر وقوله تعالى **﴿كان من الجن﴾** كلام متأقف سبق مساق التعليل لما يفيد
 استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ماله لم يسجد فقيل كان أصله جنيا **﴿ففسق عن أمر ربه﴾** أي خرج عن طاعته
 كما ينبغي عنه الفاء أو صار فاسقا كافرا بسبب أمر الله تعالى اذ لولاه لما أتى والتعرض لوصف الربوبية المافية للفسق
 لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد التذكير على المتكبرين المغتربين بأنسابهم وأموالهم المستكبرين عن
 الانظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنيع ابليس وأنهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبغي عنه قوله تعالى
﴿أفستخذونه﴾ الخ فان الهمة للانكار والتعجب والفاء للتعجب أي أعقبت عليكم بصدور تلك القبايح عنه تتخذونه
﴿وذريته﴾ أي اولاده وأتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذرية في ذره
 فيعقب فتطلق البيضة عن جماعة من الشياطين **﴿أوليا من دوني﴾** فتسببواهم في قطعهم بطل طاعتي **﴿وهم﴾**
 أي والحال أن ابليس وذريته **﴿لكن عدو﴾** أي أعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم
 العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقيد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده
 فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومنافيه قطعاً **﴿بئس للظالمين﴾** أي الواضعين للشيء في غير موضعه **﴿بدلاً﴾**
 من أنه سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكال السخط والاشارة
 الى أن ما فعلوه ظلم قبيح مالا يخفى **﴿ما أشهدتهم﴾** استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في أنفسهم
 بعد بيان الصوارف عن ذلك من خيافة الخند والفسق والعداوة أي ما حضرت ابليس وذريته **﴿خلق السموات والأرض﴾**
 حيث خلقتهما قبل خلقهم **﴿ولا خلق أنفسهم﴾** أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم
 هذا ما أجمع عليه الجمهور وحذا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الأنفس ولك أن ترجع الضمير الثاني الى
 الظالمين وتلزم التفكيك بناء على قوله المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار
 اتخاذهم **﴿أوليا﴾** بناء على أن أدنى ما يصح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعاً وأما
 نفي اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدارية الانكار المذكور في شيء على أن اشهاد بعضهم خلق بعض
 أن كان مصححاً لتولي الشاهد بناء على دلالة على كاله باعتبار أنه مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو غل بتولي المشهود
 بناء على قصوره عن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور متحصفا في نفي الكمال المصحح للتولي عن الكل وهو

المناط للاتكار المذكور **﴿وما كنت متخذ المضلين﴾** أي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم أولياء **﴿عصدا﴾** أعوانا في شأن الخلق أو في شأن من شئني حتى يتوهم شرهم في التولي بناء على الشرية في بعض أحكام الربوبية وفيه تهكم بهم وإيدان بكلام عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الأمر الجلي الذي لا يكاد يشبهه على البه والضيان فيحتاجون الى التصريح به وإيثاري في الشهادة على نفي شهودهم وتني اتخاذهم أعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بأنهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وأرادته فيهم وأنهم يعمدون من استحقاق اليهود والمعوية من تلقاء أنفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتهم في شأنهم أن يبلغوا ذلك المبلغ بأمر الله عز وجل ولم يكن ذلك يكون وقيل الضمير البشرى والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك وما أطعمتهم على أسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بآياتهم كما يزعمون فلا يلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للذين فانه لا ينبغي لي أن أعتقد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صبح لك الاعتقاد بهم ووضعتهم بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ متخذوا المضلين على الأصل وقرئ **﴿عصدا﴾** يضم العين وسكون الضاد وفتح وسكون بالتخفيف ويضمعين بالاتباع وفتحعين على أنه جمع عاضد كرسد وواحد **﴿ويوم يقول﴾** أي الله عز وجل للكافرين توبيعا وتعجيلا وقرئ بنون العظمة **﴿نادوا شر فاني الذين زعمتم﴾** أنهم شفعائهم ليشفعوا لهم والمراد بهم كل ماعبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته **﴿فدعهم﴾** أي نادوهم للاغالة وفيه بيان لكأن اعتنائهم بأعانتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم أن لا طريق الى المدافعة **﴿فلم يستجيبوا لهم﴾** فلم يفيهم اذ لا إمكان لذلك وفي إيرادهم مع ظهور تهكم بهم وإيدان بأنهم في الحاقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به **﴿وجعلنا بينهم﴾** بين الداعين والمدعويين **﴿موبقا﴾** اسم مكان أو مصدر من وبى وبوقا كوثب وثوبا أو وبى وبقا كفرح فرحا اذا هلك أى هلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن جلك كلفا ولا يفضك تلقا وقيل الين الوصل أى وجعلنا تو اصلهم في الدبال كلفا كلفا لا يفرج عنهم أن يكون المراد بالشرط الملازمة وعزوا عيسى عليهم السلام ومنهم من يؤولون الى ربح العبد أى جعلنا بينهم أمدا بعيدا هلك فيه الاشواط لم يطعمه لا يحميهم في أعلى الجنان **﴿ورأى البحر موتا نار﴾** وضع المظهر مقام المضمرة تصرحا بأجر امهم وذمهم بذلك **﴿فظنوا﴾** أى ما يظنوا **﴿أنهم موافقوها﴾** مخالفتها وأقروا فيها أو ظنوا أذواها من مكان بعيد أنهم موافقوها الساعة **﴿ولم يجدوا عتقا مصرفا﴾** انصرفا أو معدلا ينصرفون اليه **﴿ولقد صرنا﴾** أى كثرنا وأوردنا على وجود كثير من النظم **﴿في هذا القرآن﴾** لمصلحتهم ومنعتهم **﴿من كل مثل﴾** من جعله امر من مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا أو من كل نوع من أنواع المعاني الدائمة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل لتلقوه بالقول فليقلعوا **﴿وكان الانسان﴾** بحسب جلته **﴿أكثر شيا﴾** جدلا أى أكثر الاشياء التي تناق منها الجدل وهو هنا شدة الخصومة بالباطل والمارة من الجدل الذي هو القتل والمجادلة والملاوة لأن كلاما من المجادلين يتولى على صاحبه وانتصابه على التغيير والمعنى أن جعله أكثر من جدل كل مجادل **﴿فوما منع الناس﴾** أى أهل مكة الذين حكيت آياتهم **﴿أن يؤمنوا﴾** من أن يؤمنوا بالله تعالى ويتذكروا ما هم فيه من الاشراك **﴿اذ جاءهم الهدى﴾** أى القرآن العظيم المادى الى الايمان بما فيه من قون المعاني الموجبة له **﴿و يستغفروا ربه﴾** عما فرط منهم من أنواع الذنوب التي من جعلنا مجادلهم للحق بالباطل **﴿الا أن تأتيهم سنة الاولين﴾** أى الا طلب آيات سنهم أو الا انتظار آياتها أو الا تقديره تخلف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستتصال **﴿أو تأتيهم العذاب﴾** أى

عذاب الآخرة **﴿قبلا﴾** أى أنواعا جمع قبيل أو عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ **﴿فتحتين﴾** أى مستقبلا يقال لفتية قبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير أو العذاب والمعنى أن ما تضمنته القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا يحبون الى الجدال المفرط **﴿وما نرسل المرسلين﴾** الى الامم ما تبين بحالهم الاحوال **﴿الا﴾** حال كونهم **﴿مبشرين﴾** المؤمنين بالثواب **﴿ومنذرين﴾** للكفرة والعصاة بالعقاب **﴿ومجادل الذين كفروا بالباطل﴾** باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها فعتا **﴿ليدحضوا به﴾** أى بالجدال **﴿الحق﴾** أى يزولوه عن مركزه ويطلوه من ادحاض القدم وهو ازالها وهو قولهم للرسول عليهم الصلاة والسلام ما أتم الا بشر مثنا ولو شاء الله لآنزل ملائكة ونحوهما **﴿واخذوا آياتي﴾** التي نزلها صم الجبال **﴿وما أنذروا﴾** أى أنذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب أو أنذرهم **﴿هروا﴾** استهزأ وقرئ بسكون الزاى وهو ما يستهزأ به **﴿ومن أظلم من ذكر آيات ربه﴾** وهو القرآن العظيم **﴿فأعرض عنها﴾** ولم يتدبرها ولم يتذكرها وهذا السبك وإن كان مدلوله الوضوح نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا أن مفهومه العرفي أنه أظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بأن ظلم من يجادل فيه ويتخذ هروا خارج عن الحد **﴿ونسى ما قدمت يده﴾** أى علمه من الكفر والمعاصي التي من جعلتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها **﴿انا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾** أغشية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم **﴿أن يفقهوه﴾** مفقولة لمدل عليه الكلام أى منعناهم أن يفقهوا على كنهه أو مفقولة أى كراهة أن يفقهوه **﴿وفي آذانهم﴾** أى جعلنا فيها **﴿وقرا﴾** نقلا عنهم من استماعه **﴿وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا﴾** أى فلن يكون منهم اعتقاد البتة مدة التكليف واذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بكلام عابته باسلامهم كأنه قال عليه الصلاة والسلام ما لي لا أدعهم فليل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الحسة باعتبار معناه كما أن افرادة في المواطن الحسة المتقدمة باعتبار لفظه **﴿وربك﴾** مبتدأ وقوله تعالى **﴿الغفور﴾** خبره وقوله تعالى **﴿ذو الرحمة﴾** أى الموصوف بها خبر بعد خبر وإيراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب وأما الرحمة فهي فعل وإيجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية أو لانه أهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يرب عنه قوله عز وجل **﴿لو يؤخذهم﴾** أى لو يريد مؤاخذتهم **﴿بما كسبوا﴾** من المعاصي التي من جعلها ما حكى عنهم من مجادلهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربه وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات **﴿لعجل لهم العذاب﴾** لاستيجاب أعمالهم لذلك وإيثار المؤاخذة المثبتة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للإيدان بأن النبي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما يفي عنه تأليا وإيثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضى لافادة أن انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارعة الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه **﴿بل لهم موعد﴾** اسم زمان هو يوم يبدأ يوم القيامة والجلة معطوفة على مقدر كأنه قيل لكنهم ليسوا بمؤاخذين بفتنة **﴿ان يجدوا﴾** البتة **﴿من دونه مولا﴾** منجى أو ملجأ يقال وأل أى يحا ووال الى الله أى لجأ اليه **﴿وتلك القرى﴾** أى قرى عاد وثمود

وأضرأبها وهي مبتدأ على تقدير المضاف أي وأهل تلك القرى خير قوله تعالى ﴿أهلكناهم﴾ أو مفعول مضمر
مضمر به ﴿لما ظلموا﴾ أي وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكى عنهم من القبايح وترك المفعول أما التعميم الظلم
أو لئلا يله مارلة اللازم أي لما ظلموا الظلم ولما أضرأبها حرف كما قال ابن عصفور وأما طرف استعمال التعليل وليس المراد
به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان متد من ابتدأ الظلم إلى آخره ﴿وجعلناهم لعلكم﴾ أي عينا خلاصهم
﴿موعدا﴾ أي وقتا معينا لا يجحد لهم عن ذلك وهذا استنباط على ما فصل قريش من تعيين الموعد ليثبتوا لذلك
ولا يفتروا بتأخر العذاب وقرئ ﴿بضم الميم وفتح اللام أي أهلاكهم ويفتحهما﴾ واذ قال ﴿موسى﴾ نصب باعتبار
فعل أي أذكر وقت قوله عليه السلام ﴿لقداء﴾ وهو يروى عن نون بن أفرام بن يوسف عليه السلام سمى قتله أذكان
بخدمته وبقية وقيل كان يعلم منه ويسمى التليد في وإن كان شريفاً وأهل المراد شديداً عذب بيان أن لكل أمة
موعدا تذكر ما في القصة من موعده الملاقاة مع ما فيها من سائر المناهج الحليقة ﴿لا أبرح﴾ من برج الناقص كزال
يزال أي لا أزال أسير لحذف الخبر اعتياداً على قرينة الحال إذا كان ذلك عند التوجه إلى السفر والكمال على ما يعقبه
من قوله ﴿حتى أبلغ﴾ فإن ذلك غاية تستدعي غاية يؤدي إليها ويجوز أن يكون أصل الكلام لا يبرح مسيرى حاصلاً
حتى أبلغ فيحذف المضاف وبمقام المضاف إليه مقامه فيقلب الضمير البارز المجزوء والمحل من قوله واستكنوا الفعل من حقيقة
الغنية إلى التكلم ويجوز أن يكون من برج التام كزاليز والأي لا يفرق ما أنا تصدده حتى أبلغ ﴿جمع البحرين﴾ هو متفق على
فارس والروم على المشرق وقيل ملحة وقيل هما السكر والوس بارميلة وقيل أفرقة وقرئ ﴿بسكر الميم شرق﴾ أو
أعشى حبشاً أسير زماناً طويلاً أتبع مع فوات المطلب والحظ الدهر أو تسكنون ستة وكان منشأ هذه العزيمتان
موسى عليه السلام لما طار على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القطر أمره الله عز وجل أن يذكر قومه
النعمة فقام فيهم خطيباً عظيمة بدعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من أعلم الناس قال أنا فاستجاب الله تعالى عليه
اذ لم يرد العلم إليه عز وجل فأوحى إليه بل أعلم منك عدل عند جميع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في أيام
أفرودون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الأكبر وبني إلى أيام موسى وقيل أن موسى عليه السلام
سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا يسألني قال فأبى عبادك أقصى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع
الهووى قال فأبى عبادك أعلم قال الذي يمتني علم الناس إلى عليه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى
فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني فدلي عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطليه قال على ساحل البحر عند الصخرة
قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتاً في مكنل خبيثاً فقدمه طير هناك فأخذ حوتاً فجعله في مكنل فقال لفتاه إذا فقدت
الحوت فأخبرني فدها عشتيان ﴿فلما بلغا﴾ الفاء نصيحة كما أشير إليه ﴿جمع بينهما﴾ أي جمع البحرين وبينهما طرف
أضيق إليه اتساعاً أو يمتد الوصل ﴿فسيما حوتهما﴾ الذي جعل قعدانه أمانة وجدان المطلب أي نسياناً لعمده أمره
وما يكون منه وقيل نسي يروى عن أن يقدمه موسى عليه السلام أن يأمره فيه بشئ يروى أنهما لما ملقا جميع البحرين وفيه
الصخرة وعين الحيازة التي لا يصيب مأزها ميتاً إلا حي وضعا رؤسهما على الصخرة فناما فلما أصاب الحوت رءالمه
وروجه علس وقد كانا أكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ يروى عن عليه السلام وقيل توصلاً عليه السلام من تلك
العين فانتفضح الماء على الحوت ففاض فوقع في الماء ﴿فأخذ سبيته في البحر سرباً﴾ مسلماً كالسرب وهو الفتق
قبل أسلك الله عز وجل حريقاً له على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى والخضر عليهما السلام وانتصاب سرباً على
أنه مفعول ثانٍ لأخذ وفي البحر حال منه أو من السيل ويجوز أن يتعلق بأخذ ﴿فلما جاوزا﴾ أي جمع البحرين

الذي جعل موعداً للملاقاة قبل أن يجاوزا وسارا الليله والنداء إلى الظهور وأبى على موسى عليه السلام الجوع فقد ذلك ﴿قال﴾
لقداء أتينا عندنا أي ما نتدعي به وهو الحوت كما ينبغي عنه الجواب ﴿لقد أتينا من سفرنا هذا﴾ إشارة إلى ما سارا
بعد مجاوزة الموعد ﴿نصباً﴾ نعباً وأعباء قيل لم ينصب ولم يجمع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر بإتيانه الغداً أما
باعتبار أن النصب إنما يعبرى بسبب الضعف الناشئ عن الجوع وأما باعتبار ما في أثناء التعدي من استراحة ما
﴿قال﴾ أي قتله عليه السلام ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة﴾ أي التجأ إليها وأقنا عندها وذكر الأموات البها مع
أن المذكور فيها سبق مرتين بلوغ جميع البحرين كزيادة تعيين من الحادثة فإن الجمع محل متنع لا يمكن تحقيق المراد المذكور
بسبب الحادثة إليه وتفردها المقدر فإن الأولها والثوم عندها مما يؤدي إلى النسيان عادة والرواية مستمرة للبرق التامة
والمشاهدة الكاملة ومراوده بالاستفهام تعجب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهدته من
العظام التي لا تكذب تسمى وقد جعل قعدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا أسلوب متعارف بين الناس يقول أحدهم
لصاحبه إذا نابه خطب أو أريت ما نأبى يريد بذلك تهويله وتعجب صاحبه منه وأنه مما لا يهمل ونوعه لاستخاره عن
ذلك كقيل والمفعول عذوف اعتياداً على ما قبل عليه من قوله عز وجل ﴿فأبى نسي الحوت﴾ وفيه تأكيد لتعجب
ونزعة لاستعظام المنسى وإيقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير البداهة مع أنه المأمور بإتيانه للفتنة من أول الأمر
على أنه ليس من قيل نسيان المسافر زاده في المنزل وأن ما شاهدته ليس من قيل الأحوال المتعلقة بالنداء من حيث هو
غداً وعلماء بل من حيث هو حوت كسائر الحيوان مع زيادة أي نسيته أن أذكر لك أمره وما شاهدته منه من الأمور
العجيبة ﴿وما أنساه إلا الشيطان﴾ يوسوسه الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ﴿أن أذكره﴾ بـك اشتباهه من الضمير
أي ما أنساني أن أذكره لك وفي تعليق الإنسان بضمير الحوت أولاً ولا يذكره له ثانياً على طريق الإبدال المنسى عن
تعبية المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان أيضاً ليس نفس الحوت بل ذكر أمره وقرئ أن أذكره وإيثار أن أذكره
على المصدر ليلابته فإن مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وإن كانت غريبة لا يصح نسبها لكنه لما تعود بمشاهدة
أمثاله عند موسى عليه السلام وألقاها قل اعتياده بالمحافظة عليها ﴿وأخذ سبيته في البحر سرباً﴾ بيان لطرف من أمر
الحوت منى عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حي واضطرب ووقع في
البحر وأخذ سبيته فيه سبيلاً عجيباً ثانياً مفعولاً لأخذ والطرف حال من أولها أو ثانياً أو هو المفعول الثاني وعجبا
صفة مصدر مبدوف أي اغتالداً عجيباً وهو كون مسلوكه كالطاق والسرب أو مصدر فعل عذوف أي أنصب منه عجبا
وقد قيل أنه من كلام موسى عليه الصلاة والسلام وليس بذاك ﴿قال﴾ أي موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ذلك﴾
الذي ذكرت من أمر الحوت ﴿ما كنا نبع﴾ وقرئ بـأنيات الياء والضمير العائد إلى الموصول مبدوف أصله نبعه
أي نطلبه لكونه أمانة للقبول بالمرام ﴿فارتدا﴾ أي رجعا ﴿على آثارهما﴾ طريقهما الذي جلا منه ﴿نصباً﴾
بقصان قصصاً أي يشعان آثارهما اتباعاً أو مقتضين حتى أتيا الصخرة ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا﴾ التكرار للضمير
والإضافة للتشريف والجمهور على أنه الخضر واسمه بليان ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم الصلاة والسلام
﴿أتينا رجعة من عندنا﴾ هي الوحى والتبوة كما يشعربه تذكير الرحمة واختصاصها بتجناب الكبرياء ﴿وعلمناه من﴾
لداً علماً خاصاً لا يكتفه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم النبوة ﴿قال له موسى﴾ استئناف منى على سؤال نقاش
السابق كانه قيل فإذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى ﴿هل أتبعك على أن تعانني﴾ استئنافاً منى على تبايعه
له على وجه التعلم ﴿فما علمت رشداً﴾ أي علمنا دارشداً أرشد به في ديني والرشد إصابة الخير وقرئ بفتحين وهو

مفعول تعدل ومفعول عدلت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدى الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لا تبعك
أو مصدرا باختيار فعله ولا يتأني نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبى آخر مالا يتعلق له بأحكام شريعته من أسرار
العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليها السلام **(قال)** أى الخضر **(أنك لن تستطيع**
معى صبرا) نفي عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كما نهى لا يصح ولا يستقيم وعمله بقوله **(و كيف نصبر**
على ما لم نخط به خبرا) أيانا بأنه يتولى أموراً خفية المدار منكورة الظواهر والرجل الصالح لاسيا صاحب الشريعة
لا يتألك أن يشعز عند مشاهدتها وفي صحيح البخارى قال الخضر ياموسى ائى على علم من علم الله تعالى عليه لا تعلمه
وأنت على علم من علم الله عليك الله لأعلمه وخبراً تميز أى لم يحط به خبرك **(قال)** موسى عليه الصلاة والسلام
(ستجدنى أن شاء الله صابرا) معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولى الوجدان لكمال الاعتناء
بالثبوت ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر **(ولا أعصى لك أمرا)** عطف على صابرا أى ستجدنى صابرا وغير عاص وفى وعد
هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان أو على ستجدنى فلا محل لمن الاعراب والاول
هو الاول لما عرفته وتظهور تعلقه بالاستثناء حيث ذل عليه دليل على أن أفعال العباد مشيئة الله سبحانه وتعالى **(قال**
فان اتبعنى) اذنه في الاتباع بعد التيا والتى والفاء لتفريع الشرطية على ما من من التزام موسى عليه الصلاة والسلام
للسبر والطاعة **(فلا تسألنى عن شئ)** تشاهده من أفعال أى لا تفتحنى بالسؤال عن حكته فضلا عن المناقشة
والاعتراض **(حتى أحدث لك منه ذكرا)** أى حتى أتى ببيانه وفيه إيذان بأن كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية
حميدة البتة وهذا من أدب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرى **(فلا تسألنى بالنون المثقلة)** فانطلقا **(أى موسى**
والخضر عليهما الصلاة والسلام على الساحل يطلبان السفينة) أما يوشع فقد صرفه موسى عليه الصلاة والسلام الى
بنى اسرائيل قبل انهما رايا سفينة فكلما أهلهما فخرقا الخضر فخلوها بغير نول **(حتى اذا ركبا في السفينة)** استعمل
الركوب في أمثال هذه المواقع بكلمة في مع ترجمته عنها في مثل قوله من جعل تركبها ورتبة في ما يقتضيه تعدية بنفسه
لما أشروا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من أن في ركوبها معنى الدخول **(خرقها)** قيل خرقتها بعد
ما لججوا حيث أخذ فأسا فقطع من الواحها لوحين مسابيل المساء فعد ذلك **(قال)** موسى عليه السلام **(أخرقتها**
لتخرق أهلها) من الاغراق وقرى **(بالتشديد من التفرق ويفرق أهلها من الثلاث)** **(لقد جئت)** أثبت وفعلت
(شيئا أمرا) أى غلبها هائلا من أمر الامر اذا عظم قيل الأصل امر تخفف **(قال)** أى الخضر عليه السلام
(للم أقل انك لن تستطيع معى صبرا) تذكير لما قاله من قبل وتحقق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده
(قال) لا تؤاخذنى بما نسيت **(بنسائى أو بالذى نسيت أو بشئ نسيت)** وهو وصيته بأن لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه
من الأفعال الخفية الأسباب قبل بيانه أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على التماسى كما ورد في صحيح البخارى من أن
الاول كان من موسى نسيانا أو أخرجه الكلام في معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليسط عذره في
الانكار وهو من معارض الكلام الذى يبق بها الكذب مع التوصل الى الغرض أو أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما
تركت من وصيتك أول مرة **(ولا ترهقنى)** أى لا تنشى ولا تجعلنى **(من أمرى)** وهو اتباعه آياه **(عسرا)**
أى لا تعسر على متابعتك ويسرها على بالأغصاء وترك المناقشة وقرى **(عسرا بضمين)** فانطلقا **(الفأ فضيحة أى**
فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا) حتى اذا لقيا غلاما فقتله **(قال)** كان الغلام يلعب مع الغلمان فقتل عذقه
وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه فذبحه بالسكين **(قال)** أى موسى عليه الصلاة والسلام **(أقلت نفسا ذكية)**

طاهرة من الذنوب وقرى **(ذكية)** بغير نفس **(أى بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المصيح بالذكر من بين**
سائر المصحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحسان لانه الأقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل
تغيير النظم الكريم يحصل ما صدر عن الخضر عليه الصلاة والسلام ههنا من جملة الشرط وأرا من ما صدر عن موسى
عليه الصلاة والسلام في معرض الجزاء المقصود افادته مع أن الحقيق بذلك إنما هو ما صدر عن الخضر عليه الصلاة
والسلام من الخوارق البديعة لاستشراق النفس الى ورود خبرها لقلة وقوعها في نفس الأمر وندرة وصول خبرها الى
الاذهان ولذلك رويت تلك التكة في الشرطية الاولى لما أن صد و الخوارق منه عليه الصلاة والسلام خرج
بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب أحوال موسى عليه الصلاة والسلام هل يحافظ على
مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة عارق آخر أو يسارع الى المناقشة كما مر في المرة الاولى فكان
المقصود افادة ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام ففعل ما فعل ولله درشأن التنزيل وأما ما قيل من أن القتل أقيح
والاعتراض عليه أدخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شئ بل هو مؤيد لها
فان كون القتل أقيح من مبادئ قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعى
جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه أدخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضى
جعله كذلك **(لقد جئت شيئا نكرا)** قيل معناه أنكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد
ونحوه وقيل الأمر أعظم من النكر لأن قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة **(قال)** ألم أقل لك انك لن تستطيع
معى صبرا **(زيد لك لزيادة المكافأة بالعقاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرهه الاختصار والاستنكار**
ولم يرع بالتذكير حتى زاد في التكرير في المرة الثانية) **(قال)** أى موسى عليه الصلاة والسلام **(انسانك عن شئ**
بعدها) أى بعد هذه المرة **(فلا تصاحبنى)** وقرى **(من الأفعال أى لا تجعلنى صاحبك)** **(قد بلغت من لدنى عذرا)**
أى قد أعذرت ووجدت من قبلى عذرا حيث خالفك ثلاث مرات عن التى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى
استحي فقال لوليبت مع صاحبه لأبصر أعجب الاعاجيب وقرى **(لدى بتخفيف النون وقرى)** يكون الدال كعند
في عضد **(فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية)** أى أنطاكية وقيل أيلة وهى أبعد أرض الله عن السما وقيل هى برقة وقيل
بلدة بأندلس عن التى صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية ثامنا وقيل شر القرى التى لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف
لابن السبيل حقه وقوله تعالى **(استظما أهلها)** فى محل الجر على أنه صفة لقرية ولعل المدول عن استظماهم على أن
يكون صفة للاهل لإفادة تشجيعهم على سوء صنيعهم فان الأبا من الضيافة وهم أهلها فاطنون بها أقيح وأشنع روى
أنهما طافا في القرية فاستظماهم فلم يطعموهما واستضافاهم **(فأبوا أن يضيفوهم)** بالتشديد وقرى **(بالتخفيف من**
الاضافة يقال ضافة اذا كان له ضيفا وأضافه وحيفه أنزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف مال اليه من خاف السهم
عن الفرض ونظيره زاره من الزوارر) **(فوجدناها جدارا يريد أن ينقض)** أى يدانى أن يسقط فاستعيرت الارادة
للمشارة للذلة لالتعلل بالمبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من النقض بقا لقصصه فانقض ومنه
انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو أفعال من النقض كاحر من الحرة وقرى **(أن ينقض من النقض**
وأن ينقاض من انقاض السن اذا انتقض طولها) **(فأقامه)** قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل أقامه
بعمود عمده به قيل كان سمكة مائة ذراع **(قال)** لو شئت لانتخذت عليه أجرا **(خبرضا له على أخذ الجمل ليتعشبه به**
أو تعرضا بأنه فضول لما في لو من التى كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتألك الصبر

واخذ اهل من اتخذ من غير الله وليا من الاخذ عند البصريين وقرئ تختص أي لا تختص وقرئ يادغام
 (الذي في التاء) أي المختص عليه الصلاة والسلام (هذا فراق بين وبينك) على اعتداله المصدر الى الطرف
 انساها وقد قرئ: على الأصل والمشار إليه اما نفس الفراق كما في هذا الوقت الحاضر أي هذا الوقت وقت فراق
 بين وبينك أو السؤال الثالث أي هذا سبب ذلك الفراق حسبا هو الموصوف (سأنتك) الذين لكنا كيد لم ندم نراهم
 التفتة (يتأويل عالم تستطلع عليه صبرا) التأويل يرجع الشيء الى ما له والمراد به هنا المأكل والمأقاة إذ هو المتأ به
 دون التأويل وهو خلاص السقية من اليد العادة وخلّص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الحسن واستخراج
 البقيين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه الصلاة والسلام للسير دون أن يذال يتأويل ما فعلت
 أو يتأويل ما رأيت ويحتمل ما نزع تعرض به عليه الصلاة والسلام وطالب (أما السقية) التي خرقتها (فكانت
 لمساكين) لضعفها لا يشدرون على مداومة الظلمة وقيل كانت لشره أخوة خمسة منهم زني وخمسة (يعملون في البحر)
 واسناد العمل الى الكل حيثما انما هو بطريق التخليص أو لأن عمل الوكلاء متصلة عمل المواطنين (فأردت أن أعينها)
 أي أجعلها ذات عيب (وكان وراحم ملك) أي أمامهم وقد قرئ: به أو خلطهم وكان رجوعهم عليه لاجل حاله واسمه
 جلدني من كركر وقيل منولة بن جلدني الأرمي (بأخذ كل سقية) أي صالحة وقد قرئ: كذلك (غصبا) من
 أحبابها واتصاه على أنه مصدر بين نوع الاخذ ولعل تفريع إرادة تعيب السقية على مسكة أصحابها قبل بيان خوف
 الغصب مع أن مدارها كلا الأمرين للاعتناء بشأنها إذ هي المحتاجة الى التأويل وللإيدان بأن الأقوى في المدارية هو الأمر
 الأول ولذلك لا يبالى بتخليص سفين سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم أيضا ولأن في تأخير خلاص السقية
 وضربها مع قوم رجوعه الى الحرب (وأما الغلام) الذي خنته (فكان أبواه مؤمنين) لم يصرح بكفره أو
 بكفره امتداده بدم الحاجة الى الذكر نظيره (غشينا أن يعقبا) غفينا أن يعقبا الولدين المؤمنين (طغيانا)
 عليها (وكفرا) لنعتهم بما قوهوه وسوء صنيعهم وبلحق بهما شر أو بلا أو فزن بأصحابها طغيانه وكفره فيجتمع
 في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو بعد جهادها وبهتلبها بقتاله فيردا بسية وانما عتق الحضر عليه الصلاة والسلام
 منه ذلك لأن الله سبحانه أعلمه بحاله وأطلع على سر أمره وقرئ: غلاف ربك أي كره سبحانه كراهة من غلاف سوء عاقبة
 الأمر بغيره ويجوز أن تكون القصة المشهورة على الحكاية بمعنى فكر هذا كقولته تعالى لا اله لك (فأردنا أن يبدلها
 وجهها خيرا) منه بأن يردقها ببدله ولذا خيرا (منه) وفي الترمذي لعنوان الروية والاضافة اليهما ما لا يخفى من
 الدلالة على إرادة وصول الخير اليهما (زكوة) طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة (وأقرب رحما) أي رحمة
 وعصفا قبل ولدت لها جارية تزوجها نبي فولدت نبياً هدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل
 أبدلها ابنا مؤمنا مثلها وقرئ: يبدلها بالتشديد وقرئ: رحما بضم الحاء أيضا واتصاه على التغير مثل زكوة (وأما الجدار)
 المعبر (فكان لثلاثين يمين في المدينة) هي القرية المذكورة فيسبق ولعل التصب عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداله
 بها باعتدالها من يمين وأبيه الصالح قبل اسمها أصرم ومصر حرم واسم المقتول جيسور (وكان تحت كثر لها) من
 فضة وذهب كما في مرزوما والزم على كثر همتي فلهذا وجب والذين يكذون الذهب والفضة لئلا يؤذي زكاتها وسائر
 حقوقها وقيل كان لثمان من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف ينجف وعجبت
 لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يعمل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها
 لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل محض فيها علم (وكان أبوها صالحا) تنبيه على أن سبب ذلك كان صلاحه قبل كان

بينهما وبين الأب الذي حفظا فيسجة آباء (فأراد ربك) أي مالكك ومدير أمورك وفي إضافة الرب الى ضمير موسى عليه
 الصلاة والسلام دون ضميرها تنبيه له عليه الصلاة والسلام على نعمته كالانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه ووجوب
 الاحتراز عن المناقضة فيلحق بحسبها من الأمور المذكورة (أن يلبغا أشدها) أي حطبها وكال وأبهما (ويستخرجا
 بالكلية كثرهما) من تحت الجدار ولولا أني أقنه لا تقص وخرج الكنز من تحتها قبل اقتدارها على حفظ المال وتنبهت موضع
 (رحمة من ربك) مصدر في موقع الحال أي مرحومين منه عز وجل أو مقبول له أو مصدر مؤكد لإرادته فإن إرادة
 الخير رحمة وقيل متعلق بمحض أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده إضافة الرب الى ضمير
 المخاطب دون ضميرها فيكون قوله عز وعلا (وما فعلت عن أمري) أي عن رأيي واجتهادي تأكيد لذلك (ذلك)
 إشارة الى العواقب المنطوية في تلك البيان وما فيه من معنى البعد للإيدان بعد درجتها في الفعالة (تأويل عالم تستطلع)
 أي لم تستطلع لحاف التلخيص (عليه صبرا) من الأمور التي رآته أي ماله وعاقبته فيكون انجاز التفتة الموعودة
 أو الى البيان تحسب فيكون التأويل بعماء وعلى كل حال فهو قد كلف لما تقدم وفي جعل الصلة عين مأمور تكرير للتذكير
 وتشديد للعتاب (لنبيه) اختلقا في حياة الحضر عليه الصلاة والسلام قبيل أنه حي وسيد أنه كان على مقدمة ذي القرنين
 فلما دخل الظلمة أصاب الحضر عين الحياة فزل واقترن منها وشرب من مناتها وأعطى ذو القرنين الطريق فعاد قالوا
 والباس أيضا في الحياة بقتل كل سنة بالموسم وقيل أنه ميت لما روي أن النبي عليه الصلاة والسلام صلى العشاء ذات
 ليلة ثم قال أرايتكم ليتكم هذه فان رأس مائة سنة منها لا ياتي من هو اليوم على ظهر الأرض أحد ولو كان الحضر حينئذ
 حيا لمسا على بعد مائة عام روي أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يفارقه قال له أوصني قال لا تطلب العلم
 لتحسبه واملئه لعمل به (ويسألونك عن ذي القرنين) هم اليهود سألوهم على وجه الامتحان أسأله قرئش بطلبهم
 وصيته الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الأكبر واسمه الاسكندر بن
 فيلقس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مردبه من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان اسود وقيل
 اسمه عبد القهن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قتيان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون بن زيد بن كهلان
 ابن سبأ بن يربع بن قحطان وقال السلي بن أبي اسحق مرزبان بن مدر كذا كره بن هشام وهو أول التابعة وقيل أنه أفر يدون
 ابن النعمان الذي قتل الضحاك وذكر أبو الرمان البيروني في كتابه المسي بالآثار الباقية عن القرون الخالية أن ذا القرنين
 هو أبو كرب سمى بن عير بن أفرقيس الحميري وأن ملكه بلغ مشارق الأرض ومغربها وهو الذي اختصر
 به التبع اليها حيث قال

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يفتني أسلب أمر من حكم مرشد

وجعل هذا القول أقرب لان الاتفاق كما لو من بين كذا المشار وذو ثوب وذو النون وذو رعين وذو بن وذو جدر
 قال الامام الرازي والاول هو الاظهر لأن من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما
 هو الاسكندر اليوناني كما تشبه به كتب التواريخ يروي أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان طوائف ثم قصد
 مدرك العرب وقهرهم ثم أمع حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام
 وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبغ في مدينته ثم انطلق الى أرمينية وباب الآب وادانته العراقيون والقبط
 والبربر ثم توجه نحو دارين دارا وهرمه مرارا الى أن قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند

وقعه وبني مدينة سريديب وغيرهما من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى حرسان وبنيها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهر زور ومات انتهى كلام الامام وروى أن أهل النجوم قالوا انه انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من حطب وكان يدفن كل بلد فيها ويكتب ذلك بصوته وموضعه فيعلم بأبل فرغت وسقطت عن دابة فسقط له دروع فقام عليها فأنته الشمس فأطاردته من خطر فقال هذه ارض من حديد وسماها من حطب فأخبر بالموت فمات وهو ابن ألف وستة مائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب وأغرب منه ما قاله ابن عساکر من أنه بلغني أنه عاش مائة وثلاثين سنة وأولتين وثلاثين سنة وأنه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا يطابق الا على فرض القرنين الثاني والثالث وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه ما لا يتأكد بتأنيده الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته الخليل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهر أنه مشاغل للمكمنين في الدين وكاله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جهة الاشياء النبوة ولقوله تعالى فاذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روى أن عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول لآخر فاذا القرنين فقال لهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح أنه ما كان نبيا ولا ملكا وإنما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودا نطقه البلاغة أنه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعونة الثامنة والستون المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمحلة المستنار الذي هو من الملك بمحلة الوزير وقد ذكر الازرق وغيره أنه أسلم على يدى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فطاف معه بالكعبة هو وسماعيل عليهما السلام وروى أنه حج ماشيا فلبس ابراهيم عليه الصلاة والسلام قدومه تلقاه ودنا له وأومأ بوجهه وقال له أفرس ليركب فقال لا أركب في بلدي الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعسا كرو جميع الانبياء اذا أرادوا عز وكرم وقال أبو الخليل مثل عه على كرم الله وجهه أكل نبيا أم ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا أحب الله وأخبره وناصحه الله فاصحبه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته يدى القرنين فقيل لأنه بلغ قرى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لأنه ملك الروم وفارس وقيل الروم والفرس وقيل لأنه كان في ربه أو في ناحية ما يشبه القرنين وقيل لأنه كان له ذنابان وقيل لأنه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لأنه دعا الناس الى الله عز وجل فحضر بقرته الايمن فبات ثم بعث الله تعالى فحضر بقرته الايسر فبات ثم بعث الله تعالى وقيل لأنه رأى منامه أنه صعد الفلك فأخذ بقرى الشمس وقيل لأنه انقضت في عهده قرانان وقيل لأنه سخر له النور والظلمة فاذا سرى به به النور من أمامه ونحو هذه الظلمة من وراءه وقيل أنه بك شجاعة هذا وأما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير أنه الاسكندر بن فيليب بن مصرم بن هرمن بن سيطون بن روى بن بطي بن يونان ابن ياقث بن نوه بن ثرخون بن رومية بن ثوط بن ثوبيل بن روى بن الاسف بن القرنين البصير بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام كذا نسب ابن عساکر المقدوني اليوناني المصري بابي الاسكندرية الذي يؤرخ بابامه الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل أكثر من ألفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلث مائة سنة وكان ذوريراططاليس الفيلسوف وهو الذي قتل داريا بن دارا وأذل ملوك الفرس وطوى أرضهم ثم قال ابن كثير وانما بنا هذا لأن كثيرا من الناس يعتقد أنها واحد وأن المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملك عادلا وزيه الخضر عليه الصلاة والسلام وقد قيل

انه كان نبيا وأما الثاني فقد كان كافرا وزيه ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان أكثر من ألفي سنة فبين هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لازالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مائة وخمسة عشر يوما أو نحو ذلك عند مدينة سيرجوس اسمها بلدة اليونانيين مقدونيا ثالث سرير ملك هذا الاسكندر وهو اليوم بلقع لا يقيم بها أحد ولكن فيها علام تحكي كمال عظمتها في عهد عمرائها ونهاية شوكة واليها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول من بعض المغاربي السلطانية فعابفت فيها من تعجب عجزائها والآثار ما فيه عبرة لا تولى الانصار (قل) ثم في الجواب «سألتو عليكم» أي ساد ذكر لكم (منه) أي من ذي القرنين (ذكر) أي بأحد كورا وحيث كان ذلك بطريق الوسائط الحكاية عن جهة الله عز وجل قيل سألتوا أو سألتوني شأنه من جهة تعالى ذكره أي قرأنا والسبب لتأكيد الدلالة على التحقيق المناسب لمقام تأييده عليه الصلاة والسلام وتصديقه بتجارب وعده أي لا أتروك التلاوة التي كما في قول من قال

سأشكر عمر الانراختصحتي آيادي لم تخن وان هي جلت

للدلالة على أن التلاوة مستغنى فيها يستفيل كما قيل لأن هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بنهايم القصة بل موصولة بما بعدها رتبنا أسأله عليه الصلاة والسلام عنه وعن الروح وعن أصحاب الكهف فقال لم عليه الصلاة والسلام اتوفى عنا أخرك فأبطلنا عليه الوحي خمسة عشر يوما أو أربعين كما ذكر فيها سلف وقوله عز وجل «انا مكنا له في الارض» شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبها هو الموعود والتمسكين بها الاقدار وتمسك الاسباب يقال مكنته وتمكنه ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة وثلاثا زعموا في الوجود وتقار بهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض مالم تنسك لكم أي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها مالم يجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالهدى والاسباب فكانت قبل مالم تنسككم فيها أي مالم تجعلكم قادرين على ذلك فيها أو مكناهم في الارض مالم تمكنكم لكم وهكذا اذا كان التمكين مأخوذا من المكان داخل توهم بمبدا أصيلة كما أشير اليه في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والمعنى انا جعلنا لكم القدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأى والاسباب حيث سخر له السحاب ومدله في الاسباب وسطه له النور وكان الليل والنهار عليه سوا. وسبل عليه السير في الارض ونزلت له طرقها «وآتيناه من كل شيء» أرادته من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه «سببا» أي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة «فأتبع» بالقطع أي فأراد بلوغ المغرب فأتبع «سببا» يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرى فأتبع من الاتصال والفرق أن الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أي انتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط القرى الذي يقال له أقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالمحاذات التي هي مبدأ الاطوار على أحد القولين «وجدناها» أي الشمس (تقرب في حين حمة) أي ذات حمة وهي الظن الاسود من تحت البياض اذا كثرت حباتها وقرى حامية أي حارة روى أن معاوية رضى الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضى الله عنهما فقال حمة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الجبار كيف تجدد الشمس تقرب قال في ما «بطين وروى في ثايط فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون المين جاسعة بين الوصفين وكون اليه في

الثانية متعاقبة عن الحمرة لانكسار ما قبلها وأما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضي الله عنهم بما سمعه من كعب مع أن قرأته أيضا مسوعة قطعا فليكون قراءة ابن عباس رضي الله عنها قطعة في مدلولها وقراءته معتدلة وله لما بلغ ساحل المحيط رأها كذلك اذ ليس في مطلع بصره غير الماء كما يلوح بقوله تعالى وجدناها تغرب **﴿ووجدناها﴾** عند تلك العين **﴿قوما﴾** قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا بخير الله جل ذكره بين أن يذهبهم بالقتل وأن يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى **﴿قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب﴾** بالقتل من أول الامر **﴿واما أن تتخذ فيهم حسنا﴾** أي أمرا ذا حسن على حذف المضاف أو على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه بالغة وذلك بالعودة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع وعمل أنفع صلتها اما الرفع على الابتداء أو الخبرية وأما التنبه على المعنوية أي اما تعذيبك واقع أو اما أمرك تعذيبك أو اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الالتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان ذلك الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر أو كان ذلك الهاجا لا وجبا بعد أن كان ذلك التخيير موافقا لتربعة ذلك النبي **﴿قال﴾** أي ذو القرنين لذلك النبي أو لمن عنده من خواصه بعدما تاتي أمرته الى مختارا للشئ الأخير **﴿أما من ظلم﴾** أي نفسه ولم يقبل دعوى وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك **﴿فصوف نعذبه﴾** بالقتل وعن قتادة أنه كان يطلع من كفر في القدر ومن آمن أعطاه كساه **﴿ثم يرد الى ربه﴾** في الآخرة **﴿فيعذبه﴾** فيها **﴿عذابا نكرا﴾** أي منكرا فظيما وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على أن الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وأن مقاوكة كانت مع النبي أو مع من عنده من أهل مشورته **﴿وأما من آمن﴾** بموجب دعوى **﴿وعمل﴾** عملا **﴿حسنا﴾** يحسنه الايمان **﴿وله﴾** في الدارين **﴿جوا الحسن﴾** أي لله المتوبة الحسن أو الفعلة الحسن أو الجنة جزاء على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به أو منصوب بمضمر أي ينجزي بها جزاء والجملة حالية أو معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه أو حال أي يجزيا بها أو ينجيز وقرئ منصوبا بغير متون على أنه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا متونا على أنه المتبأ والحسن بالله والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والامر والجواب من باب الأسلوب الحكيم لأن الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال أما الكافر فيراعي في حقه قوة الاسلام وأما المؤمن فلا يتعرض له إلا بما يجب ويجوز أن تكون اما وأما للتوزيع دون التخيير أي وليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالأول لمن بقى على حاله والثاني لمن تاب **﴿وستنقل له من أمرنا﴾** أي ما نأمر به **﴿يسرا﴾** أي سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر أو أطلق عليه المصدر بالغة وقرئ **﴿بضمتين﴾** **﴿ثم أتبع سببا﴾** أي طريقا رجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها **﴿حتى اذا بلغ مطلع الشمس﴾** يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس أو لا من معمورة الأرض وقرئ **﴿يفتح اللام على تقدير مضاف أي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثني عشرة سنة وقيل في أقل من ذلك بناء على ما ذكر من أنه سخر له السحاب وطوى له الاسباب﴾** **﴿وجدناها﴾** تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قبل هم الزنج وعن كعب أن أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاؤت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فلبتكم فاذا أحدهم يغرش أذنه ويلبس الأخرى ومعنى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة ففتشني عن ثم أنفتت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فاذا دخلونا سر بالهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد

من لا يابس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض **﴿كذلك﴾** أي أمر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك أو أمره فيهم كما مره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لوجود أو نجعل أو وصفة قوم أي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم أو سترا مثل سترهم من اللباس والاكتان والجبال وغير ذلك **﴿وقد أحطنا بما لديه﴾** من الاسباب والعدد والعدد **﴿خبرا﴾** يعني أن ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول وأما على الوجه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما يجري عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتأمل **﴿ثم أتبع سببا﴾** أي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال **﴿حتى اذا بلغ بين السدين﴾** بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع أرض الترك كما يلي المشرق لاجلا أورمية وأذربيجان كما توه وقرئ **﴿بالضم﴾** قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح واتصاف بين على المعنوية لانه مبلغ وهم من الظروف التي تشمل أسماء أيضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجز في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك **﴿ووجد من دونها﴾** أي من ورائها مجاوزا عنها **﴿قوما﴾** أي أمة من الناس **﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾** لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال أي لا يفهمون السامع كلامهم واختلقوا في أنهم من أي الاقوام فقال الضحاك هم جبل من الترك وقال السدي الترك سرية من بأجوج وما أجوج خرجت فضررت ذو القرنين السديفت خارجة بقميع الترك منهم وعن قتادة أنهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدي وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال أهل التاريخ أو لاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافت فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والثوب ويافت أبو الترك والخزر والصفالية وبأجوج وما أجوج **﴿قالوا﴾** أي بواسطة مترجمهم أو بالذات على أن يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب **﴿يا ذا القرنين ان بأجوج وما أجوج﴾** قد ذكرنا أنها من أولاد يافت نوح عليه السلام وقيل بأجوج من الترك **﴿وما أجوج من الجبل﴾** واختلاف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدمه على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة تبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب وأضراس كالسباع وهما اسنان انجسيان بدليل منع الصرف وقيل عريان من أوج الظلم اذا أسرع وأصلها الحمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ **﴿بغير همزة ومنع صرفها للتعريف والتأنيث﴾** **﴿مفسدون في الأرض﴾** أي في أرضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس أيضا **﴿فهل نجعل لك خراجا﴾** أي جعلنا من أموالنا والفا لتفريع العرض على افسادهم في الأرض وقرئ **﴿خراجا﴾** ولاحما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الأرض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما تبرعت به **﴿على أن نجعل بيننا وبينهم سدا﴾** وقرئ **﴿بالضم﴾** **﴿قال ما مكنتي﴾** بالادغام وقرئ **﴿بالفتح﴾** أي ما مكنتي **﴿فيه ربي﴾** وجعلني فيه مكنيا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب **﴿خير﴾** أي ما تريدون أن تبدلوه الى من الخرج فلا حاجة في اليه **﴿فأعينوني بقوة﴾** أي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبآلات لا بد منها في البناء والفا لتفريع الامر بالاغاثة على خيرية ما مكنته الله تعالى فيه من ما لم أو على عدم قبول خراجهم **﴿أجعل﴾** جواب الامر **﴿بينكم وبينهم﴾** تقديم اضافة الطرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير بأجوج وما أجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راموه في قولهم

بيننا وبينهم **(ردم)** أى حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو أكبر من السد وأوثق يقال ثوب مرדם أى فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسماف بمرامهم فوق ما يرجونه **(أتوفى زبر الحديد)** جمع زبرة كعزف في غرة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا يتأخر عن آخرهم لأن المأمور به الأيتام بالثمن أو المتأولة كما يثني عنه القراءة بوصول المعزة أى جيتوفى بزبر الحديد على حذف الباء كما في أمرك الخبير ولأن أيتام الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الأمر بالأيتام بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما أن الحاجة إليها أسس اذى الركن في السد ووجودها أعز قيل حفر للأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والتعاس المذاب والبيان من زبر الحديد بينها الحطب والقسم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائله **(حتى إذا ساءى بين الصدفين)** أى أتوه إياها فأخذ بين شيئا فشيئا حتى إذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان سيلوا بها في السلك على التبع المحكى قبل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين فراسا وقرئ: سوى من التسوية وسوى على البناء للجهول **(قال)** للعملة **(انفضوا)** أى بالكريان إلى الحديد المجنى ففعلوا **(حتى إذا جعله)** أى المنفوخ فيه **(نارا)** أى كالتار في الحرارة والهيئة واستاد الجمل المذكور إلى ذى القرنين مع الفصل الفعل للتبعية على أنه المعبدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة **(قال)** للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة ونحوها **(أتوفى)** أفرغ عليه قطرا **(أى أتوفى قطرا)** أى نحاسا مذابا أفرغ عليه قطرا الحذف الأول لدلالة الثاني عليه وقرئ: بالوصل أى جيتوفى كأنه يستدعيهم الاعانة باليد عند الإفراغ واستاد الإفراغ إلى نفسه للسر الذي وقفت عليه أعلا وكذا الكلام في قوله تعالى ساءى وقوله تعالى اجعل **(فما استطاعوا)** بحذف تاء الافعال تخفيفا وحذرا عن تلاقى المتقاربين وقرئ: بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ: بقلب السين صاد والقاصصة أى فعل ما أمر وما بين إيتاء القطر أو الأيتام فأفرغه عليه فاحتلط واتصق بعبته بعض قطار جلاصها لجا بأجوج وأجوج قصدوا أن يملوه ويتقوه فاستطاعوا **(أن يظهره)** أى يعلوه ويرفعوه لا ارتفاعه وملاسته **(وما استطاعوا له نقبا)** أصلاته ونخاته وهذه معجزة عظيمة لأن تلك البر الكثرة إذا أثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على أن يحوم حولها فضلا عن التقيح فيها إلى أن تكون كالنار أو عن إفراغ القطر عليها فكانت سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المياشرين للأعمال فكان ما كان والله على كل شئ قدير وقيل بناء من الصخور مرتبطا ببعضها بعض بكلايب من حديد ونحاس مذاهب في تحاورها بحيث لم يبق هناك درجة أصلا **(قال)** أى ذو القرنين لمن عنده من أهل تلك الديار وغيرهم **(هذا)** إشارة إلى السد وقيل إلى تمكيته من بناءه والفضل المتقدم أى هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرة من السد الذى شأنه ما ذكر من المشقة وصعوبة المال **(رحمة)** أى أثر رحمة عظيمة عبر عنه بها بمبالغة **(من رى)** على كاته العباد لا سيما على مجاوريه وبه ايدان بأنه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو إحسان إلى محض وإن ظهر بمباشرة والتعرض لوصف الربوبية لثبوت معنى الرحمة **(فإذا جاء وعد ربى)** مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج بأجوج وما جوج كما قيل ألا يساعده العظم الكريم والمراد بجيت ما ينظم بجيت ويجى مباديه من خروجهم وخروج الدجال وزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك لا دون وقوعه فقط كما قيل فإن بعض الأمور التي تتحرك تقع بعد بجيت حتما **(جعله)** أى السد المشار إليه مع مناته ووصاته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الإشارة السابقة إلى التمكن المذكور **(دكا)** أى أرضا مستوية وقرئ: دكا أى مدكوك مسوى بالأرض وكل ما انسط بعد ارتفاع فسد ذلك ومنه الجمل الادك أى المنسط السام

وهذا الجمل وقت بجى الوعد بجى بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحته **(وكان وعد ربى)** أى وعده المعبود أو كل ما وعد به فدخل فيه ذلك دخولا أوليا **(حقا)** ثابجا لاعتادة واقعا البتة وهذه الجملة تدل من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر مؤكدا بصدورها وهو آخر ما حكى من قصته وقوله عز وجل **(وتركنا بعضهم)** كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا وبحق لمضمونه أى جعلنا بعض الخلائق **(يوثد)** أى يوم أذخا الوعد بجى بعض مباديه **(يخرج في بعض)** آخر منهم يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط انهم وجنتهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الأولى أو تركنا بعض بأجوج وه أمواج يوج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مردحين في البلاد روى أنهم يأتون البحر فيشربون مائه ويا كون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة ويبيت المقدس ثم يبيت الله عز وجل لغفا في أقطابهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طائرا ثاقبا فيموتهم في البحر ثم يرسل مطرا يغسل الأرض ويظهرها من تنهم حتى ترى كما كالرفقة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتل الدجال **(ونفخ في الصور)** هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى **(نجعتهم)** ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الأولى لأنها داهية عامة ليس فيها حالة خاصة بالكفار ولتلاقي الفصل بين ما يقع في النشأة الأولى من الأحوال والأحوال وبين ما يقع منها في النشأة الأخيرة أى جمعا للخلائق بعدما تفرقت أوصالهم وتزقت أجسام في صعيد واحد حسب الجرا **(جمعا)** أى جمعا على لا يكتبه **(وعرضناهم)** أى أظهرناهم وأبرزناهم **(يوثد)** أى يوم أذخنا الخلائق كافة **(للكافرين)** منهم حيث جعلناهم بجيت برونها ويسمعون لها تغلظا وزفيرا **(عرضنا)** أى عرضنا قطعا ما لا لا يقدر قدره وتخصيص العرض بهم مع أنها بحرأى من أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم خاصة **(الذين كانت أعينهم)** وهم في الدنيا **(في غطاء)** كثيف وغشاوة غليظة تحاطة بذلك من جميع الجوانب **(عن ذكرى)** عن الآيات المؤدية لأولى الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكرى بالتوحيد والتعجب أو كانت أعين بصائرهم في غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشأن أو عن القرآن الكريم **(وكانوا)** مع ذلك **(لا يستطيعون)** لفرط تصامهم عن الحق وكالعداوتهم للرسول عليه الصلاة والسلام **(جمعا)** استماعا لذكرى وكلامى الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لأعراضهم عن الأدلة السمعية كما أن الأول تصور لتعاصيمهم عن الآيات المشاهدة بالأبصار والموصول نعت للكافرين أو بدل منه أو بيان جى به لنهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لأصايب ما أصابهم من عرض جنتهم لهم فإن ذلك إنما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيها عرض لهم في الدنيا من الآيات وأعراضهم عنها مع كونها أسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة **(أغضب الذين كفروا)** أى كفروا في كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ: أظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستباحه كما في قولك أضربت أباك لا انكار الوقوع كما في قوله لا أضرب أبى والفاء المعطوف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعا كما إذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى أفلا تعقلون متفيا أى ألا تسمعون فلا تعقلون لا إلى المعطوف فقط كما إذا قدر متفيا أى أسمعهم فلا تعقلون والمعنى أكفروا في مع جلالة شأنى لغسوا **(أن يتخذوا عبادى من دونى)** من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطانى وملكوتى **(أوليا)** معبودين ينصرونهم من بأسى وما قيل أنها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على أن الحسان ناشئ من التعاضد والتصام وأدخل عليها همزة الانكار دما على ذم قطعها

لده عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايدان بالاستقلال المؤكد للزم بأباه ترك الاعتبار والتعرض لوصف آخر غير التعاضد والتضام على أنهما أخرجنا عن الاحوال الجلية لم ولم يذكرنا من حيث أنهما من أفعال الاختيارية الحادثة بحسبانهم ليجس قريفة عليهما وأيضا فانه دين قديم لم لا يمكن جعله ناشئا عن انصافهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تصف لا يخفى وما في حيز صلة أن سادس مفعول حسب كما في قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة أي احسبوا أنهم يتخذونهم أولياء على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء كسأله إنما يكون من الجانبين وهم عليهم الصلاة والسلام متبعون عن ولايتهم بالمرّة لقولهم سلامك أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف أي احسبوا اتخاذهم ناضحا لهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليا لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجنة وقرئ احسب الذين كفروا أي احسبهم وكافهم أن يتخذهم أولياء على الابتداء والخبر أو الفعل والفاعل فان التثنية اذا اتحدت المفعول ساوى الفعل في العمل فلهذا جئت بمعنى انكار الرفع **(أنا أعدائهم)** أي هيا بنا **(للكافرين)** الممهورين عدل عن الاعتبار بما لم وانما بان ذلك الاعتداد بسب كفرهم لتقصير حسابهم لياطل **(تولا)** أي شيئا يستعملونه به عند ردهم وهو ما يقام للذي أي الصفب فاستخرج من الطعام وفيه تحفة لهم في حسابهم وبهم بهم حيث كان اتخاذهم ايام أولياء من قبل اعتداد المعتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل أنا أعدنا لهم مكان ما أعدوا لانفسهم من العدة والذخيرة جنت عدة وفي إيراد التول اشارة الى أن لهم وراة جنت من العذاب ما هو أعز له وقيل التول موضع النزول ولذلك فهم أن عباس رضي الله عنهما بالمعنى **(قل هل ينظرون)** الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ وأطلع على صفة الشكك لثبته من أول الامر وللإيدان بمفعول التوبين أيضا **(بالآخرين أحوالا)** نصب على التغير والجمع للايدان بقوله هذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحقة في انفسها وفي حسابهم أيضا حيث كانوا معصين بها واتقوا بغيرها ومناشدة آثارها غيب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في انفسهم مع كونها حسنة في حسابهم **(الذين فعل سيئهم)** في اشارة تلك الاعمال أي مشاع وبطل بالكلية **(في الحياة الدنيا)** متعلق بالسعي لا بالفضل لان بطلان سيئهم غير مختص بالدنيا قبل المراء بهم أهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن أبي وقاص ويحاهد رضي الله عنهم ويدخل في الاعمال حيث ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالمعادات وقيل الرهابة الذين يحسبون انفسهم في الصوامع ويحذون على الرياضات الشاقة ولعله ما يصعبهم وغيرهم من الكفرة وحمل الموصول الرفع على أنه غير مستند محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين اخرجوا من جنتهم ورا على أنه نعت للآخرين أو يدل منه أو منصوبا على الذم على أن الجواب مناسب على قوله تعالى أولئك الآية بأباه أن صدره ليس متبعا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستعده مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على جوبطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران عن الوثوق بترتب الرجوع واعتقاد النفع فيما صنعوا على أن التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال وأما اذا لامحالة لأدراجه تحت الامر بقضية نون العظيمة **(وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)** الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي أي يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لانحسابهم بأعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل حل أي يطل سيئهم المذكور والحال أنهم يحسبون أنهم يحسنون في ذلك ويتصنعون بأثاره أو من اللطائف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا أي يطل سيئهم والحال أنهم اخرج والفرق بينهما أن المقارن لحال حسابهم المذكور في الاول ضلال سيئهم وفي الثاني نفس سيئهم الاول

أدخل في بيان خطائهم **(أولئك)** كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكثير تعريف الآخرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سيئهم وتبيين بحيث ينطق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الأمر أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور **(الذين كفروا بآيات ربهم)** بدلالة الداعية الى التوحيد عقلا وقللا والتعرض لعنوان الربوبية لزادة تقييد حالهم في الكفر المذكور **(ولفاته)** بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه **(فحطت)** لذلك **(أعمالهم)** المعهودة جوبطاً كلياً **(فلا تقم لهم)** أي لا وتلك الموصوفين بما مر من جوبط الاعمال وقرئ بالياء **(يوم القيامة وذا)** أي فزدرهم ولا تجعل لهم مقدارا واعتبارا لأن مداره الاعمال الصالحة وقد حطت بالمرّة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب جوبط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع وأما ما هو من أجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك أو لانضع لأجل وزن أعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليرتب عليه التكفير أو عدمه لأن ذلك في الموحدين بطريق الكيفية وأما الكفر فأحاطه بالحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا **(ذلك)** بيان لحال كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان ما ل أعمالهم المحطية بذلك أي الامر ذلك وقوله عز وجل **(جراؤهم جهنم)** جهنمية لما وذلك مبتدأ والجملة خبره والمائدة محذوف أي جزاءهم به أو جزاءهم بدله وجهنم خبره وجهنم عطف بيان للخبر **(بما كفروا)** تصرّح بأن ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبايح التي أنبأ عنها قوله تعالى **(بما كفروا)** أيضا **(ان الذين آمنوا)** بيان بطريق الوعد لما ل الذين اتصفوا بأضداد ما تصفبه الكفرة اثر بيان ما لهم بطريق الوعيد أي آمنوا بآيات ربهم ولفاته **(وعملوا الصالحات)** من الاعمال **(كانت لهم)** فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه إيما الى أن أثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدثت من سوء اختيارهم **(جنات الفردوس)** عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هو الجنة الملتفة الأشجار وقيل هي الجنة التي تبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غلبه كرما وقال المبرد هو فيها سمعت من العرب الشجر الملتف والغلب عليه أن يكون من العنب وعن كعب أنه ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الامرون والمعروف والتاهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار الأربعة فانما سألت الله تعالى فأسأله الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة **(تولا)** خبر كانت الجار والمجرور متعلق بمحذوف على أنه حال من تولا أو على أنه بيان أحوال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزول بمعنى ما يلبأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس تولا أو جعلت نفس الجنات تولا جالفة في الاكرام وفيه ايدان بأنها عند ما أعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزول بالنسبة الى الضيافة وان جعل معنى المنزل فالمعنى ظاهر **(خالدين فيها)** نصب على الحالية **(لا يمتعون عنها حولا)** مصدر كالعرج والصفر أي لا يظلمون تحولا عنها اذا لا يتصور أن يكون شيء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطعن نحوه أبصارهم ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيدهم الخلود والجملة حال من صاحب خالدين أو من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة **(قل لو كان البحر)** أي جنس البحر **(مدادا)** وهو ما تمده الدواة من الخير **(لكلمات ربي)** لتحرير كلماته عليه وحكته

التي من جعلها ماذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشرار (لقد البحر) مع كثرته ولم يبق منه شيء
 لتناهي (فعل أن تفقد) وقرى بالياء والمعنى من غير أن تفقد (كلمات ربي) لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على
 نفاذها بعد نفاذ البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من
 تنعيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاختيار لزيادة التقرر (ولو جئنا)
 كلام من جهة تعالى غير داخل في الكلام الملقن حتى به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد
 والواو لعطف الجملة على نظيرتها المتأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة أى لنفد البحر من غير
 نفاذ كلماته تعالى لولم نجى بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة (بمثله مددا) عونا وزيادة لأن مجموع المتأهين متناه
 بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الأدلة القاطعة على تناهي الابداد وقرى مددا
 جمع مددة وهي ما يستمدد الكاتب وقرى مدادا (قل) لم يعد ما بينت لم شأن كلماته تعالى (انما أنا بشر مثلكم)
 لا ادعى الاحاطة بكلماته النافعة (يوحى الى) من تلك الكلمات (انما الحكم اله واحد) لا شريك له في الخلق
 ولا في سائر أحكام الالهية وانما تميزت عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاء ربه) الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل
 والمراد بلفظه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على أن الاتق محال المؤمن الاستمرار والاستدامة
 على رجاء اللقاء أى فمن استمر على رجاء كرامته تعالى (فليمعمل) لتحصيل تلك الطلبة العزيرة (عملا صالحا) في
 نفسه لا تقاب بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) اشرأكا جليا كما فعله
 الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه ولا اشرأكا خفيا كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجرا واثارا وضع المظهر موضع
 المضمحل في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرر وللإشعار بعلية العنوان للامر والنهي وهما جوب
 الامتثال فعلا وتركها. وروى أن جندب بن زهير رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعمل العمل لله
 تعالى فاذا اطاع عليه سرفى فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فزلت تصديقه وروى أنه صلى
 الله عليه وسلم قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدي به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك
 الأصغر قبل وما للشرك الأصغر قال الرياء. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت
 له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه
 قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى الخ كان له نورا يلا لا الى مكة حشود ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى
 يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يلا لا من مضجعه الى البيت المعمور حشود ذلك النور ملائكة يصلون عليه
 حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام

سورة مريم عليها السلام

(مكية الآية السجدة وهي ثمان أوتسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كيمص) بأمانة اله والياء واظهار الدال وقرى بفتح الهاء واملة الياء بتخميمها وبخفاء النون قبل الصاد لتقار بهما
 وقد سلف أن ما لا يكون من هذه الفواضع مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلطف بها الحكاية فقط ساكنة الانجاز على
 الوقف سواء جعلت أسماء للسور أو مسرودة على نخط التعديد وان لمهما التقاء الساكنين لكونه مفتقرا في باب الوقف قطعاً

حق هذه الفاتحة الكريمة أن يوقف عليها جر ياعلى الاصل وقرى بادغام الدال فيها بعدد لتقار بهما في الخرج فان جعلت
 اسمها للسورة على ما عليه اطلاق الاكثر فحله الرفع اعلى انه خير لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كيمص أى مسمى به
 وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكروا في حكم الحاضر المشاهد كما
 يقال هذا ما اشترى فلان أو على أنه مبتدأ خبره (ذكر رحمة ربك) أى المسمى به ذكر رحمة الخ فان ذكرها لما كان
 مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والاول هو الاول لأن ما يجعل عنوانا
 للوضوع حقه أن يكون معلوم الانتساب اليه عند مخاطب واذلا علم بالتسمية من قبل خفيها الاخبار بها كما في الوجه
 الاول وان جعلت مسرودة على نخط التعديد حسبما جنى الى أهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما بينى عنه
 تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف الميسوطة مراد به السورة ذكر الرحمة الخ أو اسم اشارة أشير به
 اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أى هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره أى فيها بتلى عليك
 ذكرها وقرى ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير أى هذا المثل ذكرها وقرى ذكر على صيغة الامر والتعرض
 لوصف الربوبية المنبئة عن التابع الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايدان بأن تنزيل السورة عليه عليه
 الصلاة والسلام تكميل له عليه السلام وقوله تعالى (عبده) مفعول لرحمة ربك على أنها مفعول لما أضيف اليها
 وقيل للذكر على أنه مصدر أخيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابها كما يقال ذكر في معروف
 فلان أى بلغنى وقوله عز وعلا (ذكر يا) بدل منه أو عطف بيان له (اذ نادى ربه ندا خفيا) ظرف لرحمة ربك
 وقيل لذكر على أنه مضاف الى فاعله اتساعا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتغال من ذكرها كما في قوله
 واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه الصلاة والسلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة
 اليه عز وجل كالجهر أدخل في الاخلاص وأبعد من الرياء وأقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه
 على مباد لا يلبق به تعاطيا في أوان الكبير والشيخوخة وعن عائشة مولى الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه
 السلام لضعف الحرم قالوا كان سه حيث ذنبتين وقيل خمس وستين وقيل سبعين وقيل ثمانين وقيل
 أكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران (قال) جملة مفسرة لتأدى لا محل لها من الاعراب (رب انى وهن
 العظم منى) اسناد الوهن الى العظم لما أنه عماد البدن ودعام الجسد فاذا أصابه الضعف والرخاوة أصاب كله أولاته
 أشد أجزائه صلاية وقواما وأقلا تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه وهن وأفراده للقصود الى الجنس المنى عن
 شمول الوهن لكل فرد من أفرادها ومعنى متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرى وهن بكسر الهاء وبضمها أيضا
 وتأكد الجملة لابرار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها (واشتعل الرأس شيبا) شبه عليه الصلاة والسلام الشيب في
 البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذ منه كل مأخذ باشتغالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة
 ثم أسند الاشتغال الى عمل الشعر ومنبته وأخرجه مخرج التمييز وأطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون
 البلاغة وقال الجوزة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسى فأسند الاشتغال الى الرأس كما ذكر لا فادة شموله
 لكها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولو اذاعة تقريره بالاجمال أولا
 والتفصيل ثانيا ولمزيد تخميمه بالتكرار وقرى بادغام السين في الشين (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى ولم أكن
 بدعائك أياك غائبا في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة مطروقة على ما قبلها أو
 حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل رأسى شيبا وهذا توصل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل

دعوة اثر تيميد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عود عبده بالأجابة دهرًا طويلا لا يكاد يخفيه أبدا لاسيما عند اضطرابه وشدة افتقاره والتمرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن اضافته ما فيه صلاح المريب مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لاسيما توسطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من أسمائه وصفاته ﴿وإني خفت الموالي﴾ عطف على قوله تعالى إني وهن العظم من رتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادئ خوفه عليه السلام من يلى أمره بعد موته ومواليه بنوعه وكانوا أشرا ربي اسرائيل يخافون أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله ﴿من ورأى﴾ أى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه الذين أى قبل الموالي من بعدى أو جور الموالي وقد قرئ كذلك أو بما في الموالي من معنى الولاية أى خفت الذين يلون الامر من ورأى لا يخفت لفساد المعنى وقرئ ورأى بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورأى أى قلوا ويخزوا عن القيام بأمر الدين بعدى أو خفت الموالي القادرون على إقامة مراسم الملّة ومصالح الامة من خف القوم أى ارتحلوا مسرعين أى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوى واعتصام فالطرف حيثئذ متعلق بخفت ﴿وكانت امرأتى عاقرا﴾ أى لا تلد من حين شبابها ﴿فبلى من ليلتك﴾ كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لا بد منه الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله أهم عنده ويجوز تعلق الثانى بمحذوف وقع حالا من المفعول وادنى الاصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرها من الذوات وقد مر تفصيله في أوائل سورة آل عمران أى أعطى من محض فضلك الواسع وقد تركت الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية ﴿وليا﴾ أى ولدا من صلبى وتأخيره عن الجارين لظهور كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التثنية الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبنى النفس مستشفقة له فعدت وروده لها تمكن عندها فضل تمكن ولأن فيه نوع طول بما بعده من الوصف فأنخيرهما عن الكل أو توسطيهما بين الموصوف والصفة مما لا يلقى بجزالة العظم الكرم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه الصلاة والسلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستنباها على الوجه الخارج للعادة ولا يقدح في ذلك أن يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم فاعرب عنه قوله تعالى هناك دعا ذكرىا ربه الآية وعدم ذكره هنا للتحويل على ذكره هناك كما أن عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكره هنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عماترك في موطن آخر من التكت التزلية وقوله تعالى ﴿يرئى﴾ صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء أى يرئى من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون المسال قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركنا صدقة وقيل يرئى الحيورة وكان عليه السلام جبرا ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ يقال ورثته وورث منه لثقتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه أمهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين وكانت زوجة ذكرىا أخت أم مريم أى ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن مائان أخو عمران بن مائان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن ذكرىا قال الكلبي كان بنو مائان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان ذكرىا رئيس الاحبار يومئذ فأراد أن يرثه ولده حورثته ويرث من بنى مائان ملكهم وقرئ ويرث وارث آل يعقوب على أنه حال من المستكن في يرث وقرئ أو يرث آل يعقوب بالنصغير

ففيه إيحاء الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثى على طريقة التجريد أى يرثى به وارث وقيل من للتبعية اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام أنبياء ولا علما ﴿واجعله رب رضيا﴾ مرضيا عندك قولاً وفعلًا وتوسط رب بين مغفولى اجعل للبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه ﴿يازكريا﴾ على ارادة القول أى قال تعالى يازكريا ﴿انا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ لكن لا بأن يخاطبه عليه الصلاة والسلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على أن يحكى له عليه الصلاة والسلام هذه البارة عنه عز وجل على نيج قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لثباته عليه الصلاة والسلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبا تقتضيه المشيئة الالهية المبينة على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا مستجابى الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات ألا يرى الى دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق أبيه والى دعوة النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فنحنها وقد كان من قضائه عز وعلا أن يهب يحيى نيا مرضيا ولا يرثه فاستجاب دعائه في الاول دون الثانى حيث قتل قبل موت أبيه عليهما الصلاة والسلام على ما هو المشهور وقيل بقى بعده برهة فلا اشكال حيثئذ وفي تعيين اسمه عليه الصلاة والسلام تأكيد للوعد وتشريف له عليه الصلاة والسلام وفي تخصيصه به عليه السلام حسبا يعرب عنه قوله تعالى ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾ أى شريكا له في الاسم حيث لم يسم أحد قبله ويحيى من يد تشريف وتخصيم له عليه الصلاة والسلام فان التسمية بالاسم البدعية الممتازة عن أسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا تشبها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه الصلاة والسلام مثل في أنه لم يصب الله تعالى ولم يهبهم معصية قط وأنه لم يسمع شيئا وكان عجوزا عاقر وأنه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما لا يحد من قوله تعالى صدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والافضل انما سمى يحيى وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمى به لانه سحره رحم أمه أو سحر دين الله تعالى يدعونه ﴿قال﴾ استئناف معنى على السؤال كما أنه قيل فاذا قال عليه الصلاة والسلام حيثئذ قيل قال ﴿رب﴾ ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للبالغ في التضرع والمناجاة الجدى في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوم خطابه للملك من توهّم أن عليه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات ﴿أنى يكون لى غلام﴾ كلمة أى بمعنى كيف أو من أين وكان امانامة وآنى اللام متعلقان بها وتقديم الجاز على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما أخر أى كيف أو من أين يحدث لى غلام ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حال من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له أى أنى يحدث كاتالى غلام أو ناقصة اسميا ظاهر حاله من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى ﴿وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ حال منه متوكدة للاستبعاد اثر تأكيد أى كانت امرأتى عاقرا لم تلد من حين شبابها وشبابى فكيف وهى الآن عجوز وقد بلغت أنا من أجل كبر السن مساواة وقولا في المقاصل والعظام أو بلغت من مد ارج الكبر ومراتبه ما يسى عتيا من عتايته وأصله عتو وكعود فاستقلت توالى الضميتين والواو بن فكسرت التاء فانقلب الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية أيضا لاجتماع الواو والياء وسبق احدهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بعضها ولعل البداة هنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لسانه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وانما المذكور هنا بلوغه أقصى مراتب الكبر تمشيا

لما ذكر قبل وأما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فذلك قدمه على ذكر حال أمره لما أن المسارعة إلى بيان تصور شأنه أنسب وأما قاله عليه الصلاة والسلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرته الله لاسيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتمجيها منها واعتدادا بجمعه تعالى عليه في ذلك باظهار أنه من محض لطف الله عز وعلا ونضله مع كونه في نفسه من الأمور المستحيلة عادة لاستبعاد الله وقيل إنما قاله ليحاجب بما أجيب به فيرداد المؤمنون إيقانا ويردع المجهلون وقيل كان ذلك منه عليه الصلاة والسلام استغناء عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد **قال** استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى **كذلك قال ربك** محتملة كما في مثلك لا يخل محلها أما النصب على أنه مصدر تشبيهي لقول الثاني وذلك إشارة إلى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا إلى قوم آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم آية وسعنا قوله تعالى **هو على هين** جملة مفرقة للوعد المذكور دالة على انجازه داخل في حيز قال الأول أنه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت أي مثل ذلك الوعد الحارق للمادة وعدت هو على خاصة هين وإن كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو على هين فالجمله حينئذ حال من ربك والية عبارة عن ضميره كما ستره أو اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة ومفرقة لما قبلها ثم أخرج القول الثاني عن جرح الالتفات جريا على سنن الكبرياء اتزيمه المباشرة وإدخال الوعة كقول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك مكان أنا أرسم ثم استدل اسم الرب المضاف إلى ضميره عليه السلام تشريفه وإشعارا بعلو الحكم فإن تذكير جري بأن أحكام ربوبية تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من إيجاده من المدم وتصريفه في أطوار الخلق من حال إلى حال شيئا فشيئا إلى أن يبلغ كاله الاطلاق به مما يقع أساس استيعاده عليه الصلاة والسلام لحصول الموعود ويورثه عليه الصلاة والسلام الاطشنان بالبخازة لمحالته ثم التفت من ضمير الغائب العائد إلى الرب إلى بالالفة ايدانا بأمر مدار كونه هنا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لاربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام خاصة وتحميدا لما يقبضه وقيل ذلك إشارة إلى مبهم يفسره قوله تعالى هو على هين على طريقة قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دبرهؤلا مقطوع مصحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لأنها لا تدخل بين المفسر والمفسر وأما الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وذلك إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى أي قال عز وعلا الأمر كما وعدت وهو واقع لمحالته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية محطوفة على المحكية الأولى أو حال من المستكن في الجار والمجرور وأما ما كان قريبا من قوله تعالى **وقد خلقناك من قبل ولم تكن شيئا** جملة مستأنفة مفرقة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر إذ هو الواقع اثر لعدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وإنما لم ينسب ذلك إلى آدم عليه الصلاة والسلام وهو الخلق من عدم حقيقة بأن يقال وقد خلقت أباك أو آدم من قبل ولم يكن شيئا مع كفايته في إزالة الاستبعاد بقياس حال ما يشير به على حاله عليه الصلاة والسلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح مناجي القياس حيث نه على أن كل فرد من

أفراد البشر له حظ من انشائه عليه الصلاة والسلام من عدم اذ لم تكن فطرته البدئية مقصورة على نفسه بل كانت أعم منها متطوياً على فطرية سائر أحماد الجنس انطوا اجماليا مستتباً لجرى أن آثارها على الكل فكان إبداعه عليه الصلاة والسلام على ذلك الوجه ابتداء لكل أحد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه الصلاة والسلام على هذا القطع الساري إلى جميع أفراد ذريته أبديع من أن يكون ذلك مقصوراً على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرته تعالى وكمال عله وحكمه وكان عدم ذكرها حينئذ أظهر عنده وأجلى وكان حاله أولى بأن يكون معيار الحال ما يشير به نسب الخلق المذكور إليه كما نسب الخلق والتصوير إلى مخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم كقافية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعف خلق آدم ولم تكن اذذاك شيئا أصلاً بل عدماً بحثاً ونفا صفاً وهذا وأما حل الشيء على المعتد به أي ولم تكن شيئا معتدا به فيما يباد المقام ويرد نظم الكلام وقرئ خلقناك **قال رب اجعل لي آية** أي علامة تدلني على تحقق المسئول ووقوع الحمل ولم يكن هذا السؤال منه عليه الصلاة والسلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فإن ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وإنما كان ذلك لتعريف وقت المولود حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يظلمه الله تعالى عليه لتبني تلك النعمة الجليلة بالسكر من حين حدوثها ولا يورثه إلى أن تظهر ظهوراً معتاداً وقدمت الإشارة في تفسير سورة آل عمران إلى أن هذا السؤال ينبغي أن يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي أن يحيى كان أكبر من يحيى عليه الصلاة والسلام بستة أشهر أو ثلاث سنين ولا رب في أن دعاء ذكره عليه الصلاة والسلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا ذكرها رويها إنما ولدت عيسى عليه الصلاة والسلام وهي بنت عشرين أو بنت ثلاث عشرة سنة والجعل إلهي واللام متعلقة به وتقديرها على المقبول به لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو محذوف وقع حالا من آية اذ لم تأخر لك لصفة لما وقيل بمعنى التصير المستدعي لمفعولين أولها آية وثانيها الظرف وتقدمه لأنه لا مسموع لتكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يفتقر حالها بعد ورود النسخ **قال آيتك** أن لا تكلم الناس أي أن لا تقدر على أن تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والسيح **ثلاث آيات** مع أيامهن للتصريح بما في سورة آل عمران **سوي** حال من فاعل تكلم مفيد لتكون آيتك التكلم بطريق الاحتراز دون الاختيار أي تمنع الكلام فلا تعليق به حال كونك سوي الخلق سليم الخوارج ما لك شائبة منك ولا خرس **أخرج** على قومه من الخراب أي من المصلي أو من العرة وكانوا من وراء الخراب ينظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا إذ خرج عليهم متغيراً لونه فأذكروه وقالوا مالك **فأوحى إليهم** أي أوحى إليهم لقوله تعالى الإرمز وقيل كتب على الأرض وأن في قوله تعالى **أن سبحوا** أما مفسرة لأوحى أو مفسدة والمعنى أي صلوا أو بأن صلوا **بكرة وعشيا** هما ظرفا زمان للتسبيح عن أبي العالقة أن المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر أو زهوا ربكم دار في النهار ولعله كان مأموراً بأن يسبح شكراً وأمر قومه بذلك **يا يحيى** استئناف طوي قبله جعل كثيرة صراحة إلى الأنبياء بما جاز الوعد الصريح أي قلنا يا يحيى **خذ الكتاب** التوراة **بقوة** أي بحمد واستظهار بالتوفيق **وآيتناه الحكم صيا** قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم التوبة استثناء وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكم وفهم التوراة والفقه في الدين روي أنه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال ما اللعب خلقنا **وجننا من لدنا** عطف على الحكم وتوابعه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة مؤكدة لما فاده التوابع من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي وآيتناه رحمة عظيمة عليه كائنه من جناتنا أو رحمة في قلبه وشفقة على أيوب وغيرهما **وذكر** أي طهارة

من الذنوب أو صدقة تصدقنا به على أبويه أو وقفناه للتصدق على الناس (وكان تقيا) مطيعا متجنباً عن المعاصي (وبراً بالديه) عطف على تقيا أي باربهما لطيفاً بهما محسناً اليهما (ولم يكن جباراً عصياً) متكبراً عاقلاً لها أو عاصياً لربه (وسلام عليه) من الله عز وجل (يوم ولد) من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يعث حياة) من هول القيامة وعذاب النار (وذكر في الكتاب) كلام مستأنف خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام وأمر بذكر قصة مريم اثر قصة ذكرها لما بينها من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة للقرآن اذ هي التي صدرت بقصة ذكرها المستتبعة لذكر قصتها ونقص الانبياء المذكورين فيها أي واذكر للناس (مريم) أي نبأها فإن الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى (اذ انتبذت) غرّف لذلك المضاف لكن لا على أن يكون المأمور به ذكر نبأها عند انتبذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكى بعده بطريق الاستئناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتغال من مريم على أن المراد بها نبأها فإن الظرف مشغلة على ما فيها وقيل بدل الكل على أن المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل أذ بمعنى أن المصدرية بكاف قولك أكرمك أذلم تكرمني أي لأن لم تكرمني فهو بدل اشتغال لا محالة وقوله تعالى (من أهلها) متعلق بالانتبذ وقوله (مكناً شرقياً) مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاثبات المترتب وجوداً واعتباراً على أصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر في تأخيرها عنه أي اعتزلت وانعزلت عنهم وأنت مكناً شرقياً من بيت المقدس أو من دارها لتختل هناك للعبادة وقيل قدمت في مشقة لتغتسل من الحيض محتجة بحائط أو بشيء يستترها وذلك قوله تعالى (فانتخبت من دونهم حجاباً) وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت الى بيت خالتها وإذا طهرت عادت الى المسجد فينأى عنها في مقتبلها أتاها الملك عليه الصلاة والسلام في صورة آدمي شاب أمره وضئ الوجه جمعد الشعر وذلك قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا) أي جبريل عليه الصلاة والسلام عبر عنه بذلك توفية للقيام حقه وقرئ (يفتح الرأ) لكونه سبباً لما فيه روح العبادة الذي هو عدة المقرئين في قوله تعالى فأما ان كان من المقرئين فروح وريحان (فتمثل لها بشراً سوياً) سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعمت الآدمية شيئاً وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتأسس بكلامه وتلقى منه ما يأتي إليها من كلماته تعالى اذ لو بداه على الصورة الملكية لغرت منه ولم تستطع مفاوضته وأما ما قيل من أن ذلك لتيسر شهرتها فتجدر نطقها الى رحما فمع مخالفتها لمقام بيان آثار القدرة الحارقة للعادة يكذبه قوله تعالى (قالت اني أعوذ بالرحمن منك) فانه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ماله فضلاً عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لا يتأتى وسر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراه وذكره تعالى بعنوان الرحانية للبلغة في العياد به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة بمادهمها وقوله تعالى (ان كنت تقيا) أي تتق الله تعالى وتبالي بالاستعانة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق عليه أي فاني عائنه أو فمؤذ بتعوي أو فلا تتعرض لي (قال انما أنا رسول ربك) يريد عليه الصلاة والسلام اني لست بمن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما أنا رسول ربك الذي استعنت به (لا أهاب لك غلاماً) أي لا كون سبياً في حبه بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتسريتها وتسلتها والاشعار بعلّة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها وفي بعض المصاحف أمرني أن أهاب لك غلاماً (زكياً) طاهراً من الذنوب أو نامياً على الخير أي مقرباً من سنن الى سنن على الخير والصلاح (قالت اني يكون لي غلام) كما وصفت

(ولم يمسس بشر) أي والحال أنه لم يباشر في بالكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادئ الولادة (ولم أك نبياً) عطف على لم يمسس داخل معه في حكم الحالية فصيح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالكاح أي ولم أكن فاجرة تبغى الرجال وهي قول بمعنى الفاعل أصلاً بغوى فأدغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت القين الياء وقيل هي فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغوكا يقال فلان نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق أو بمعنى المفعول أي يغيبها الرجال للفجور بها (قال) أي الملك تقريراً لمالك وتحقيقاً لها (كذلك) أي الامر كما قلت لك وقوله تعالى (قال ربك) الخ استئناف مقرره أي قال ربك الذي أرسلني اليك (هو) أي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير أن يمسك بشر أصلاً (على) خاصة (هين) وان كان مستحلاً عادة لما أتى لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى (ولنجعله آية للناس) اما علة لمعلل محذوف أي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهاناً يستدلون به على كمال قدرتنا بفعل ذلك أو معطوف على علة أخرى مضمرة أي لتبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الأول اعتراضية والاتفات الى نون العظمة لاختلاف كمال الجلالة (ورحمه) عظمة كاتمة (منها) عليهم يهدون هديته ويسترشدون بأرشاده (وكان) ذلك (أمراً مقصياً) حكماً قد تعلق به قضائنا الازلي وأقدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة أو كان أمراً حقيقاً بأن يقضى ويفعل لتضمنه حكماً بالغة (خلت) بأن نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام في درعها فدخلت النفخة في جوفها قبل ان عليه الصلاة والسلام دفع درعها فنفخ في جبهه فخلت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فخلت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يش مولود وضع ثمانية أشهر غيره وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حلت وضعته وسها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيتتين (فانتبذت به) أي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجحاجم والتربيا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية أي فانتبذت ملتبسة به (مكناً قصياً) بعيداً من أهلها وراجل وقيل أقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل (فأجابها المخاض) أي فأجابها وهو في الاصل متقول من جهه لكنه لم يستعمل في غيره كما في في أعطى وقرئ (الخاص بكسر الميم وكلامها مصدر غنضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج (الى جذع النخلة) لتستره وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والنسن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس أو للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالتعالم عند الناس ولعله تعالى أطمعها ذلك ليربها من آياتها ما يسكن روعتها ويطمعها الرطب الذي هو خرسه النساء الموافقة لها (قالت يا ليتني مت) بكسر الميم من مات يمات كفت وقرئ (بعضها من مات يموت قبل هذا) أي هذا الوقت الذي لقيت فيه مالمقت وانما قالته سم أنها كانت تعلم ماجرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفاً من لائمهم أو حذاراً من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها أو جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم كما روى عن عمر رضي الله عنه أنه أخذ تبتة من الأرض فقال يا ليتني هذه التبتة ولم أكن شيئاً وعن بلال أنه قال ليت بلالاً لم تلده أمه (وكنتم نسياً) أي شيئاً ناسياً شأنه أن ينسى ولا يعتد به أصلاً وقرئ (بالكسر قبل هما لتأت في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالتنقض اسم لما ينقض وبالفصح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزاً من نسات اللين اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكاً فيه وقرئ (نسا كصاً) لا يخطر ببال أحد من الناس وهو نعت للبالغة وقرئ (بكسر الميم اتباعاً له بالسين (فناداها) أي جبريل عليه السلام (من تحتها) قيل أنه كان يقبل الولد وقيل من تحتها أي من مكان أسفل منها تحت

الا لقة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرى فطاطها من تحتها بفتح الميم (أن لا تحرفي) أي لا تحرفي على أن أن مفسر قار بأن لا تحرفي على أنها مصدرية قد حذف عنها الجار (قد جعل ربك ضحكك) أي يمكن أسفل منك وقيل تحت أمرك أن أمرت بالجرى جرى وإن أمرت بالاصالك أمسك (سريا) أي نهرا صغيرا حسابا وى مرفوعا قال ابن عباس رضى الله عنه أن جبريل عليه السلام ضرب برجله الأرض فظهورت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فقله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله عز وجل فيه الماء حيثما كان فقل مثله بالنخلة فأنها كانت نخلة بآسة لأرأس لها ولا ورق فضلا عن الخمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها إذ ذاك رأسا وخوصا وتمرًا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لقام بيان ظهور الخوارق والمبتاد من النظم الكريم وقيل سريا أي سدا أن يلارفع الشأن جليلا وهو عيسى عليه السلام فالنور للتفخيم والجللة لتعليل لا تنفاهل من المفهوم من النهى عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير هالتهنر بها وتأكيد التعليل وتكمل التسلية (وهزى) هز الشئ تحريكه الى الجهات المتقابلة نحو بكاعتضا متداركا والمراد هنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى (اليك) أي الى حيثك واليا في قوله عز وجل (يجدك النخلة) صلفا أكد كافي قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى القوا قال القرطبي العرب هزه وهو عواذ الخطام وأخذ بالخطام أو لالاصاق القدم بمدخولها أي اقبل الهز بجذعها أو هزى القرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز أي هزى اليك الرطب كاتنا بجذعها (تساقط) أي تسقط النخلة (عليك) اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرى: تمسقط ويسقط من الاسقاط بانه واليا وتساقط بالظهار التامين وتساقط بطرح الساية وتساقط بدافعا في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على أن التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى (رطبيا) على القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى الست البواقي تمييز وقوله تعالى (جنيا) صفة له وهو ما قطع قبل بيده فصيل بمعنى مفعول أي رطبيا جنيا أي صالحا للاجتهاد وقيل بمعنى فاعل أي طريا طريا وقرى: جنيا بكسر الجيم للاتباع (فكلوا واشربوا) أي ذلك الرطب وما السرى أو من الرطب وعصيره (وقرى عينا) وطيني نفسا وارضى عنها ما أحزنك وأهلك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتعبدين بالأحكام العادية بأن أظهر لهم من البسائط المنصرفة والمركبات الباتية ما يخفف العادات التكوينية ويرشدكم الى الوقوف على سريرة أمرك وقرى: وقرى بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره أو من القرار فأن دعة السرور باردة ودعة الحزن حارة ولذلك يقال قررة العين وسخة العين للمحسوب والمكروه (فما تزين من البشر أحدا) أي آدميا كائنا من كان وقرى: تزين على لغة من يقول لبأت بالحج لما بين الحمرة والبياض من التأخر (فقولي) له أن استنطقك (اني نذرت للرحمن صوما) أي صمتا وقد قرى: كذلك أو صياما وكان صيامهم بالكوت (فلن أكل اليوم انسيا) أي بعد أن أخبرتك بتذري وأنا أكل الملائكة وأنا جى رى وقيل أمرت بأن تغير بنذرهما بالإشارة وهو الأظهر قال القرطبي العرب تسمى كل ما وصل الى الإنسان كلالا بأى طريق وصل مالم يؤكده بالمصدر فاذا أكد لم يكن الا حقيقة الكلام وإنما أمرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقضتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع في قطع الطعن (فأنت به قوما) أي جانتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت من نفاسها (تحمله) أي حاملة له (قالوا) مؤيدين لها (يا مريم لقد جئت) أي فطمت (شيئا فريا) أي عطفيا بدعا منكرا من قرى الجلباد أي قطعه أو جئت مجتاعجا عبر عنه الشئ تحقيقا للاستغراب (يا أخت هرون) استئناف لتجديد التمييز وتأكيد التوبيخ عنوانا به هرون النبي عليه السلام وكانت من أعقاب من

كان معه في طبقة الأخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به أي كنت عندنا مثله في الصلاح أو شتموها به (ما كان أبوك أمرا سو) وما كانت أمك بنية) تقرير ليكون ما جاءت به فرأى منكرا وتنبه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أخش (فاشارت اليه) أي الى عيسى عليه السلام أن كلوه والظاهر أنها حينئذ بذت نذرها وأنها بمنزل من محاورة الانس حسب أمرت فقيه دلالة على أن المأمورة ببيان نذرها بالإشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به (قالوا) منكرين لجوابها (كيف تكلم من كان في المهد صبيا) ولم تعهد فيها ساف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لا يقع مضمون الجملة في زمان ماضٍ منهم صالح لقريبه وبعده وهو هنا لقريبه خاصة بدليل أنه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصيا حال من المستكن فيه أو هي تامة أو دامة كما في قوله تعالى وكان الله عليا حكيا (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كأنه قيل فاذ كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام (اق عبد الله) أنطقه الله عز وجل بذلك آثر ذي أثر تحقيقا للحق وردا على من يزعم دويته قيل كانت المستطاع لعيسى ذكرها عليها الصلاة والسلام وعن السدي رضى الله عنه لما اشارت اليه غضبوا وقالوا السخريتنا بنا أشد علينا بما فعلت وروى أنه عليه السلام كان يضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وانكأ على يساره وأشار اليهم بيبائه فقال ما قال الخ وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان (أتاني الكتاب) أي الانجيل (وجعلني نبيا وجعلني) مع ذلك (مباركا) نفاعا معلما للتخير والتعجب بلقظ الماضي في الأفعال الثلاثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحترم أو بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل أكله الله عقلا واستنياه طفلا (أبنا كنت) أي حيث كنت (وأوصاني بالصلاة) أي أمرني بها أمرا مؤكدا (والزكاة) زكاة المال انملكته أو بتطهير النفس عن الرذائل (فأمدت حيا) في الدنيا (وبرا بالدق) عطف على مباركا أي جعلني بارا بها وقرى: بالكسر على أنه مصدر وصف به بالغة أو منصوب بمضمر دل عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة والزكاة والتكثير للتفخيم (ولم يجعلني جبارا شقيا) عنيد الله تعالى لفرط تكبره (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) كما هو على عجي على أن التعريف للمهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باليمن على أعدائه فإن أثبات جنس السلام لنفسه تعريض بأثبات ضده لأضداده كما في قوله تعالى والسلام على من أجمع الهدى فانه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى (ذلك) إشارة الى من فصلت نعمته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو مرتبته وبعد منزلته وإمثاره بتلك المناقب الحميدة عن غيره وزوله منزلة المشاهد المحسوس (عيسى بن مريم) لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصقونه (قول الحق) بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقول الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراضا بقرار لمضمون ما قبله وقرى: بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للدكلام السابق أو لتسام القصة وقيل صفة عيسى أو بدله أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرى: قال الحق وقول الحق فإن القول والقول والقال في معنى واحد (الذي فيه يمترون) أي يشكون أو يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله وقرى: بانه الخطاب (ما كان لله) أي ما صح وما استقام له تعالى (أن يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتزيه له تعالى عما يمتوه وقوله تعالى (إذا قضى أمرا فأنما يقول له كن فيكون) تبكيك لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا قضى أمرا من الأمور أن يعلق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخير فن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد

وقرى فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى ﴿وان الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ من تمام كلام عيسى عليه السلام قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرى بغير واو وقرى بفتح الحدة على حذف اللام أى ولأنه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقيل معطوف على الصلاة ﴿هذا﴾ أى الذى ذكرته من التوحيد ﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم يجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا جامعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتضييق والافراط أو فرق النصارى فقالوا للسلطانية هو ان الله وقالت اليهودية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عباده وبنوه ﴿فويل للذين كفروا﴾ وهم اختلفوا في غير عنهم بالموصول اذ بان كفرهم جميعا واشعارا بعبء الحكم ﴿من مشى يوم عظيم﴾ أى من تهود يوم عظيم المول والحساب والجزا يوم القيامة أو من وقت شهوده أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن يشهد عليهم الملائكة والأتقاء عليهم السلام والستبره أذانهم وأيديهم وأرجلهم وسائر أديهم بالكفر والنسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وأمه عليهما السلام ﴿أسعهم وأصبر﴾ تعجب من حدة عصمهم وأصبارهم يومئذ ومن أن أسعهم وأصبرهم يومئذ ﴿يوم تأتونا﴾ الحساب والمراة أى يوم القيامة جدير بأن يتعجب منها بعد أن كانوا فى الدنيا أصحبا أو تهديبا ليسمعون ويصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويصبرهم يومئذ ذلك اليوم وما يحق بهم فيه والجبر والجور وعلى الأول في موقع الرفع وعلى الثاني في جبر النصب ﴿لكن الظالمون اليوم﴾ أى في الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾ لا تدرك غاية حيث أغفلوا الاستماع والنظر والكلفة ووضع الظالمين موضع الضمير للإيذان بأنهم في ذلك ظلوم لا تقسم ﴿وأبدى لهم الحيرة﴾ أى يوم يحير الناس قاطبة أما المسمى فعلى اسمهم وأما المحسن فعلى قلة احسانه ﴿اذ قضى الأمر﴾ أى فرغ من الحساب وتصدير الفرقان الى الجنة والنار روى أن النبي صلى الله عليه وسلم مثل عن ذلك فقال حين بعث بالموث على صورة كبتى ألمع فمدح والفرقان بنظرون فينادى النصارى يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فهداهم الى الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحيرة أو فرغ من الحيرة فان المصدر المرفوع باللام يعمل في المفعول الصريح عند معنهم فكيف بالظرف ﴿وهم في غفلة﴾ أى عما يفعل بهم في الآخرة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ ومجاهدان حالين من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين أى مستترون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض أو من مفعول أنذرهم أى أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل ﴿انا نحن نرتك الزلزال ومن عليها﴾ لا يبق لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو توفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه ﴿والنبايرجون﴾ أى يردون للجزاء لا لغيره استقلالاً أو اشتراكا ﴿واذكر﴾ عطف على أنذرهم ﴿في الكتاب﴾ أى في السورة أو في القرآن ﴿إبراهيم﴾ أى اتل على الناس قصته بلبغا ايام كقوله تعالى واتل عليهم نبا إبراهيم فانهم يمتنون اليه عليه السلام فسامعوا باستماع قصته يقلعون عنهم فيه من القبايح ﴿انه كان صدقا﴾ ملازما للصدق في كل ما بآتى ويذر أو كثير التصديق لكثرة مصادق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره ﴿نبيا﴾ خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما يبنى عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية أى كان جميعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للبالغة في الاحتراز عن

توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق ﴿اذ قال﴾ بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله أو متعلق بكان أو نبيا وتعالى الذكر بالاوليات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الخواص قد مره مرارا أى كان جامعا بين الاثرين حين قال ﴿لايه﴾ آزر متلفظا في الدعوة مستبلا له ﴿ياأبت﴾ أى يأتى فان التاء عوض عن يا الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قل ياأبتا لكون الالف بدلا من الياء ﴿لم تعبد مالا يسمع﴾ ثناءك عليه عند عبادتك له وجوارك اليه ﴿ولا يصبر﴾ خضوعك وخشوعك بين يديه أولا يسمع ولا يصبر شيئا من المسبوعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا أوليا ﴿ولا يفتي﴾ أى لا يقدر على أن يفتي ﴿عنك شيئا﴾ في جلب نفع أو دفع ضرر ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه بأدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلفة عن محبة الرشد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل وبأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحقق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيى الميت المقيب ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعله لماعية صحيحة وغرض صحيح والشئ لو كان حيا يميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضرر مطبقا بإصاال الخير والشر لكان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والافتقار للقدرة القاهرة الواجبة فافلتك بمجاد مصنوع من حجر أو شجر ليس له من أوصاف الاحياء عين ولا أثر ثم دعه الى أن يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما أنه لم يكن مخلوطا من العلم الالهى مستقلا بالنظر سوى مصداق لدعوته بما مر من الاستسالة والاستعطاف حيث قال ﴿ياأبت انى قد جئتني من العلم ما لم يأتك﴾ ولم يسم أباه بالجهل المفرط وان كان في أنصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعراف بأحوال مأساكه من الطريق فاستله برقى حيث قال ﴿فاتبعني أهدك صراطا سويا﴾ أى مستقيا موصلا الى أسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدى الى مهاوى الرذى والمغاطب ثم بطله عما كان عليه بتصويره بصورة يستكرها كل عاقل ببيان أنه مع عرائه عن النفع بالمرّة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما أنه الأمر به فقال ﴿ياأبت لا تعبد الشيطان﴾ فان عبادتك للأصنام عبادة له اذ هو الذى يسو لها لك ويفريك عليها وقوله ﴿ان الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ تعليل لموجب النهى وتأكيده له ببيان أنه مستعص على ربك الذى أنعم عليك بفنون النعم ولا ريب في أن المطيع للعاصى عاص وكل من هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم ويتنقم منه والاطهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصاد على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها أولا نه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته فتذكيره داع لا يه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمة لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله ﴿ياأبت انى أخاف أن يسلك عذاب من الرحمن﴾ تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما اتى به معبوده من العذاب القطيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بأن وصف الرحمة لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك برك الكريم ﴿فتكون للشيطان وليا﴾ أى قرين له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وإبراز الاعتناء بأمره ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فاذا قال أبوهم عند ما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده ﴿أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم﴾ أى أعرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كان الرغبة عنها محال يصدر عن الماقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله ﴿لئن لم تنته لأرجنك﴾

تهديد وتحذير عما كان عليه من العلة والتذكير أي واقعا لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجنك بالحجارة
وقيل باللسان (واجرني) أي فاحذرن واتركني (مليا) أي زمانا طويلا أو مليا بالذهاب مطيقا به (قال)
استئناف كما سلف (سلام عليك) توديع ومشاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكره بعد
ولا أضافك بما يؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربي) أي أستدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك إلى
الايمن كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لآبي بقوله تعالى أنه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل
تبيين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقاءه على الكفر فانه مما لا صاغ
له عقلا ولا نقلا وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا تأباه قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى إلى
أنه عليه السلام قال لعمري أي طالب لا أزال أستغفر لك عالم أنه عنه قول قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين الآية والاستنباط في أن هذا الوعد من إبراهيم عليه السلام وكذا قوله لا تستغفرن لك وما ترتب عليهما من
قوله واغفر لآبي الآية إنما كان قبل انقطاع رجائه عن إيمانه لعدم تبيين أمره لقوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ
منه كما مر في تفهيم سورة التوبة واستئنافه عما يؤتى به في قوله تعالى الا قول إبراهيم عليه السلام لا تستغفرن لك لا يقدح في جوازه
لكن لا لأن ذلك كان قبل ورود البَيِّنِ أولو عدة وعدها إياه كما قيل لما أن النبي إنما ورد في شأن الاستغفار بعد
تبيين الأمر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله النبي أصلا وأن الوعد بالمحذور لا يرفع حظره بل لأن
المراد بما يؤتى به ما يجب الاتساع به حتى لو ورد الوعد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيها حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يقول فإن الله هو الغني الخريد فاستئنافه عن ذلك إنما يجب عدم وجوب استدعاء
الايمن للكافر المرجو إيمانه لاسيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتقدم فيه أحد من العقلاء وأما
عدم جوازه قبل تبيين الأمر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار لا إلى النفس الاستغفار
بقوله واغفر لآبي الآية لأنها كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا
لورودها على نهج التأكيد القسسي وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبيين الأمر فقد مر تحقيقه في
تفسير سورة التوبة وقوله (أنه كان في حضيض) أي بليضا في البر والاطراف لتعليل لمضمون ما قبله (وأعزلكم) أي
أبعد عنكم وعن قومكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بدني حيث لم تنزف فيكم نصاحي (وأدعوني) أعيدته وحده
وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور في تفسير سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد أيضا بقوله رب هب لي
من الصالحين حسبا يساعده السابق والسابق (عسى أن لا أكون بدعا ربي شقيا) أي خائبا ضالعا السعي وفيه تعريض
بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب والتنبيه على حقيقة الحق
من أن الاجابة والائابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالحالته وذلك من الغيوب المختصة
بالعلم الخبير ما لا يخفى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بالمهاجرة إلى الشام (وهبنا له اسحق ويعقوب)
بذلك من فارقهم من أقربائه الكفرة لكن لا عقب المهاجرة فإن المشهور أن الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله
تعالى فبشرناه بنحلام حليم أثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال
عظم النعم التي أعطاها الله تعالى إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء فانهم ما شجرتا الانبياء لها أولاد وأحفاد
أولوا شأن خليل وذووا عدد كبير هذا وقد روي أنه عليه السلام لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة
وولدت له اسحاق وولده لاسحق يعقوب والأول هو الأقرب الاظهر (وكلا) أي كل واحد منهما أو منهما وهو

مفعول أول لقوله تعالى (جعلنا نبياً) قدم عليه التخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم أي كل واحد
منهم جعلنا نبياً لبعضهم دون بعض (وهبنا له من رحمتنا) هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبياً للايضاح بأنهم باب
الرحمة وقيل هي المال والأولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والأظهر أنها عامة لكل خير ديني ودنيوي أو توه
عما لم يؤته أحد من العالمين (وجعلنا لهم إسان صدق عاليا) يفخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته
به وله واجعل لي إسان صدق في الآخرة والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام وإسان العرب لغتهم وأضافته إلى
الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحق ما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتبدل الدول
وتحول المال والرجل (واذكر في الكتاب موسى) قدم ذكره على ذكر اسمعيل لئلا يفصل عن ذكر يعقوب عليها
السلام (أنه كان غافلا) موحدا لأخص عبادته عن الشرك والربا أو أسلم وجهه لله تعالى وأخلص نفسه عما
سواه وقرئ: مخلصا على أن الله تعالى أحاط به (وكان رسولاً نبيا) أرسله الله تعالى إلى الخلق فأثابهم عنه ولذلك
قدم رسولاً مع كونه أخص وأعلى (ونادينا من جانب الطور الايمن) الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة
للجانب أي نادينا من ناحية النبي من اليمن وهي التي تلي عين موسى عليه السلام أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى
ناديته منه أنه تمثل له الكلام من تلك الجهة (وفرناه نجيا) تقرب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه
الملك لما نجاه وأصفاه بأصاحبه ونجيا أي مناجيا حال من أحد الضميرين في نادينا أو فرناه وقيل مرتفعاً لما روي
أنه عليه السلام رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم (وهبنا له من رحمتنا) أي من أجل رحمتنا ورأفنا له
أو بعض رحمتنا (أخاه) أي معاضدة أخيه وموازرة اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى
لا نفسه لأنه كان أكبر منه عليهما السلام وهو على الأول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى (هرون)
عطف يسكن له وقوله تعالى (نبيا) حاله (واذكر في الكتاب اسمعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه
لأبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلا وقوله تعالى (أنه كان صادق الوعد) تعليل لموجب الأمر وإيراده عليه
السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني إن شاء الله من الصابرين فوق
(وكان رسولاً نبيا) فيه دلالة على أن الرسول لا يجب أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم عليه السلام كانوا
على شريعته (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل الرجل بالتكامل على نفسه ومن هو
أقرب الناس إليه قال تعالى وأندعشرك تلك الأقربين وأمر أهلك بالصلاة قرأ نفسك وأهلكم نارا وقصدا إلى تكميل
الكل بتكليمهم لأنهم قدوة يؤتى بهم وقيل أهله أمته فإن الانبياء عليهم السلام آباء الأمم (وكان عذره به مرضيا)
لإتصافه بالنعوت الجليلة التي من جعلها ماذكر من خصاله الحيدة (واذكر في الكتاب إدريس) وهو سبط
شيث وجد آدم نوح فانه نوح بن ملك بن متوشلح بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يراد منه صرفه
نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة
وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب (أنه كان صديقا) ملازما للصدق في جميع أحواله
(نبيا) خبر آخر لكان مخصص للأول إذ ليس كل صديق نبيا (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والرفي
عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجليل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السبا
السادة أو الرابعة روى عن كعب وغيره في سبب رفع إدريس عليه السلام أنه سئل ذات يوم في حاجة فأصابه وهج
الشمس فقال يارب اني قد مشيت فيها يوما وقد أصابني منها ما أصابني فكيف من جعلها مسيرة خمسمائة عام في يوم

واحد اللهم خفف عنه من ثقلها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سألنى أن أخفف عنك حمالها وحرها فأجبتك قال يارب اجعل بينى وبينه خلة فأذن الله تعالى له فرفع الله اليه الساء (أولئك) إشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد الاشارة بعلورتيهم وبعد نزولهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (الذين أنعم الله عليهم) صفته أى أنعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبا أشير اليه بمحلا وقوله تعالى (من النبيين) بيان للموصول وقوله تعالى (من ذرية آدم) بدل منه باعادة الجار ويجوز أن تكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم أعم من الانبياء وأخص من الذرية (ومن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) وهم الباقون (واسرائيل) عطف على ابراهيم أى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وذكيا ويحيى وعيسى عليهم السلام وفيه دليل على أن أولاد البناات من الذرية (ومن هدينا وإبراهيم) أى ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتنبناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى (إذا تبلى عليهم آيات الرحمن خروا وسجدوا وبكيا) خبر لا أولئك ويجوز أن يكون الخبر هو الموصول وهذا استثناء موقفا لبيان خشيتهم من الله تعالى واختابتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا أى ساجدين باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم اتوا القرآن واكبوا فان لم يسكبوا قبا كوا والبيكى جمع بك كالسجد جمع ساجد وأصله بكوى فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ: تبلى بالياء التحتية لأن التأنيث غير حقيقى وقرئ: بكيا بكسر الياء للاتباع قالوا ينبغي أن يدعو الساجد في سجدة بما يليق بآتيها فهنا يقول اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الياء كين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمديك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك (تخلف من بعدهم خلف) يقال لعقب الخير خلف يفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون أى فعتبهم وجاء بعدهم عقب سوء (أطاعوا الصلوة) وقرئ: الصلوات أى تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) من شرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في فنون المعاصي وعن على رضى الله عنه هم من بنى المشيد وركب المنطور وليس المشهور (فصوف يلقون غيا) أى شرافان كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد كقوله

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يقول لا يعدم على الغى لائما

وعن الضحاك جزا غي كقوله تعالى يلق أناما أى جزاء انام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعذ منه أو دينها وقوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يدل على أن الآية في حق الكفرة (فأولئك) إشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا أى فأولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح (يدخلون الجنة) بموجب الرعد المحترم وقرئ: يدخلون على البناات للفعول (ولا يظلمون شيئا) أى لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئا أو لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم (جنات عدن) بدل من الجنة بدل البعض لاشتغالها عليها وما بينها اعتراض أو نصب على المدح وقرئ: بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هي أولئك جنات الخ أو مبتدأ خبره التى وعد الخ وقرئ: جنات عدن نصبا

ورقا وعدن علم لمعنى العدن وهو الإقامة كما أن فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفها أعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التى أنت فيها والسحر والأمس مجرى لذلك مجرى العدن أو هو علم لأرض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساء ابدال ما أضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى (التي وعد الرحمن عبادها) وجعله بدلا منه خلافا للظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على أن البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بأن وعداها وانجازها لكل سعة رحمة تعالى والياء في قوله تعالى (بالغيب) متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات أو من عباده أى وعداها ايام ملتبسة أو ملتبسين بالغيب أى غائبة عنهم غير حاضرة أو غائبتين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار أو بمضمر هو سبب للوعد أى وعداها ايام بسبب إيمانهم (انه كان وعده) أى مواعده كانتا ما كان فيدخل في الجنات الموعودة دخولا أوليا ولما كانت هي ثابتة يرجع اليها قيل (مأثيا) أى بآتيه من وعدة لا بخالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأثيا أى مفعولا مستجزا من آتى اليه احسانا أى فعله (لا يسمعون فيها نوا) أى فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور الرغوى عن أهلها وفيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغي أن يحتجب عنه في هذه الدار ما يمكن (الا سلاما) استثناء منقطع أى لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض أو متصل بطريق التعليق بالمحال أى لا يسمعون لغوا الا سلاما بحيث استحال كون السلام لغوا استحالة ما عليهم بالكلية كإي قوله

ولا عيب فيهم غير أنسيوفهم بين فلول من قراع الكتائب

أو على أن معناه الدعاء بالسلامة وهم أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا أو انما لفائدة الاكرام وقوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشا) وورد على عادة المستمعين في هذه الدار وقيل المراد دوا م رزقهم وورد زهوا لا فليس فيها بكرة ولا عشا (تلك الجنة) مبتدأ وخبر جى به تعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعدم منزلتها وعلورتبتها (التي نورث) أى نورثها (من عبدا من كان تقيا) أى يبقيا عليهم بتقواهم ومنتعمين بها كاتين على الوارث ما لورثه ونعمته به والورثة أقوى ما يستعمل في القالك والاستحقاق من الألفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكين التى كانت لأهل النار لو آمنوا أو أطاعوا زادة في كرامتهم وقرئ: نورث بالتشديد (وما تنزل الا بأمر ربك) حكاية لقول جبريل حين استنصاه رسول الله عليه الصلاة والسلام لماسئل عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم يدرك كيف يحجب ورجا أن يوحى اليه فيه فأبطل عليه أربعين يوما وأرخه عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل بيانا لذلك وأنزل الله عز وجل هذا الآية وسورة الضحى والتزل النزول على مثل لانه مطاوع للتزليل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التزليل على الانزال والمعنى وما تنزل وقاغب وقت الا بأمر الله تعالى على مقتضيه حكمته وقرئ: وما تنزل بالياء والضمير للروح (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا تنتقل من مكان الى مكان ولا تنزل في زمان دون زمان الا بأمره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) أى تاركا لك يعنى أن عدم النزول لم يكن الا لعدم الأمر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركة تعالى لتو ديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي إعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى السكالات للاتق مضافا الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بعلو الحكم ما لا يخفى وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التمجيع والانتباه والمعنى وما تنزل الجنة الا بأمر الله تعالى ولطفه وهو مالك الأمور كلها سالفا ومترقيا وحاضرا فما وجدناه وما نجد من لطفه وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقر بقولهم من جهة الله

تعالى أى وما كان نسباً لآعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى ﴿رب السموات والارض وما بينهما﴾ بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فإن من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يصور أن يحوم حول ساحة سبحانه الغفلة والنسيان وهو خير مبتدأ محذوف أو بدل من ربك والفاء في قوله تعالى ﴿قاعده واضطر لعبادته﴾ لترتيب ما بعدها من موجب الأمرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام أو غير ناس لأعمال العاملين والمعنى حين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة لقاعده الخاف أن يحجب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه أو حين عرفت أنه تعالى لا ينسأك أو لا ينسى أعمال العاملين كما تناسا من كان فأقبل على عبادته واضطر على مشاقها ولا تحزن بابطال الرضى وهو الكفر فانه يراقبك ويراعيك وبالطبع في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطيار باللام لا يحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى واضطر عليها لتضمينه معنى الثبات للعبادة فيما تورط عليه من العبادات والمشايق كقولك للبار واضطر لفرطك أى انت له فيما يورد عليك من شدائده ﴿هل تعلم له سمياً﴾ السمي هو التبريك في الاسم والظاهر أن يراد به هبة التبريك في اسم خاص قد صبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم بوقوع انكار المعلوم وبنيته على أبلغ وجه وآكد وجه لاجل تقديره لساأفاده الفاء من عليه ربوبية العامة لوجوب صادته على لوجوب تخصيصها به تعالى بيان استقلاله عن وجوب ذلك الاسم واتقائه إطلاقه على الغير بالكيفية حقاً أو باطلاً وقيل المراد هو التبريك في الاسم الجليل فإن المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصم بالحلالة أصلاً وقيل هو التبريك في اسم الله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فاعلم هل تعلم شيئاً يسمى بالاستحقاق لها وأما التسمية على الباطل فهي كالتسمية بغير الجلالة لوجوب العادة حيثما عتار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ﴿ويقول الانسان﴾ المراد به اما الجنس بأسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وإن لم يقبله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعبود منهم وهم الكفرة أو أى بن خلف فانه أخذ عظماً بالية فقتلها وقال يزعم محمد أنا نبئت بعد ما نبئت ونصير الى هذه الحال أى يقول بطريق الانكار والاستبعاد ﴿أنذا ما من لسوف أخرج حياً﴾ أى أبعث من الارض أو من حال الموت وتقدير الطرف ولا يؤلفه حرف الانكار لما أن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة واتصافه بفعل بل عليه أخرج لابه فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هبة غلظة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمة واللام للتعريض في بالله فساغ اقتراحها بحرف الاستقبال وقرئ إذا ما مت بهمة واحدة مكسورة على الخبر ﴿أو لا يذكر الانسان﴾ من الذكر الذى يراد به التفكير والاضمار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكير فيما جرى عليه من شئون التكوين المنجية بالقطع عن القول المذكور وهو السرى اسناده الى الجنس أو الى الفرد بذلك العنوان والمهدة للانكار التوبيخ والواو لطف الجملة المنفة على مقدر يدل عليه بقول أى يقول ذلك ولا يذكر ﴿أنا خلقناه من قبل﴾ أى من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقاءه ﴿ولم يك شيئاً﴾ أى والحال أنه لم يكن حينئذ شيئاً أصلاً حيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكيفية مع كونه أبعد من الوقوع فلأن نبهته بجمع المواد المنفردة وإيجاد مثل ما كان فيها من الاعراض أولى وأظهر فانه لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من التكبر وقرئ يذكر ويشكر على الاصل ﴿فوريك﴾ اقسامه باسمه عزت أمتاقه مضافاً الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعلية وتفخيم شأنه عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته ﴿لنحشرهم﴾ لنجس من القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما أخرجناهم من الارض أحياء فيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على أبلغ وجه وآكد كونه أمر واضح غنى عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان

ما بعد ذلك من الاحوال ﴿والشياطين﴾ معطوف على الضمير المنصوب أو مفعول معه . روى أن الكفرة يحشرون مع قرانهم من الشياطين التي كانت تقوهم كل منهم مع شيطان في سلسلة وهذا وإن كان مختصاً بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار أنهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقر ونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعاً كما ساغ نسبة القول المحكى اليه مع كون القائل بعض أفرادهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جهنماً﴾ ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسروراً وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظاً من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشحاتهم بهم والجنى جمع جث من جثا إذا قعد على ركبته وأصله جثو بوأوين فاستقل اجتباها بعد ضمتين فكسرت التاء للتخفيف فالتقلت الواو الاولى يا لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو و يا وبقت أحداهما بالسكون فقلت الواو يا وأدغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعاً لما بعدها وقرئ بضماً ونصبه على الحالية من الضمير البارز أى لنحضرنهم حول جهنم جائين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلاع أو لأنه من توابع الترافف للحصاب قبل التوصل الى الثواب والعقاب فإن أهل الموقف جائون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل أمة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف القاتول وإن كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يباقرن من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانتهم أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة ﴿ثم لنزعين من كل شعبة﴾ أى من كل أمة شاعت ديناً من الأديان ﴿أليم أشد على الرحمن عتياً﴾ أى من كان منهم أعصى وأعتى فطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تبيهاً على أنه تعالى يعفو عن بعض من أهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فاللعن انا يميز من كل طائفة منهم أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فطرحهم في النار على الترتيب أو ندخل كل منهم طبقته اللائقة به وأليم مبنى على الضم عند سبويه لأن حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملاً على كل وبعض للزوم الاضافة وإذا حذف صدر صلت زادت قصته فعاد الى حقه ومنصوب المحل بنزع من ولذلك قرئ منصوباً ومرفوع عند غيره بالابتداء على أنه استفهام وخبره أشد والجلة محكمة والتقدير لنزعين من كل شعبة الذين يقال لهم أليم أشد أو معلق عنها لنزعين لتضمنه معنى التقييد اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شعبة على زيادة من أو على معنى لنزعين بعض كل شعبة كقوله تعالى وهبنا لهم من رحمتنا وعلى البيان فيعتلى بمحذوف كأن سألنا لقال على من عتوا فقبل على الرحمن أو متعلق بأفعل وكذا الياء في قوله تعالى ﴿ثم لنحشرنهم﴾ أعلم بالذين هم أولى بها صلياً أى هم أولى بصلياً أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتياً رؤساء الصبيح فإن عذابهم مضاعف لاضلالهم واصلحهم والصلى كالعنى ضيعة واعلا لا وقرئ بضم الصاد ﴿وان منكم﴾ التفات لظهور مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول أنه قرئ وإن منهم أى منكم أيها الانسان ﴿الاوردها﴾ أى واصليها وحاضر دونها يرمي المؤمنين وهي حامدة وتبار بغيرهم وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي حامدة وأما قوله تعالى أولئك عندهم مبدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها ﴿كان﴾ أى ووردها أيهاها ﴿على ربك حتماً مقضياً﴾ أى أمرأ عتوا أو أوجه الله عز وجل على ذاته وقضى أنه لا بد من وقوعه البتة وقيل أقسم عليه ﴿ثم تنجي الذين اتقوا﴾ الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذى سلف فيساقون الى الجنة وقرئ تنجي بالتخفيف وتنجي وينجي على البناء للمفعول وقرئ نمة تنجي بفتح التاء أى هناك تنجيهم ﴿ونذر الظالمين﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فيها جهنماً﴾ منهاراً بهم كما كانوا قبل فيه دليل على أن المراد بالورود الجثو حوالها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تنجيهم حوالها ويطبق

الفجرة فيها على هياتهم وقوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم﴾ الآية الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظلمة حالهم وخامة ما لهم أي وإذا تتلى على المشركين ﴿آياتنا﴾ التي من جهلتها تلك الآيات الناعية بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى ﴿بينات﴾ أي مرتلات الالفاظ مبنات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول عليه الصلاة والسلام أو بينات الامجاز حال مؤكدة من آياتنا ﴿قال الذين كفروا﴾ أي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على أنهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم الذين له أو قال الذين مردوا منهم على الكفر ومروا على المتو والعناد وهم النضر بن الحرث وأتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى ﴿الذين آمنوا﴾ للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أي قالوا للاجلهم وفي حقهم والاول هو الاول لأن قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى ﴿أي الفريقين﴾ أي المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا ﴿خير﴾ عن أو أنتم ﴿مقاما﴾ أي مكانا وقرئ بعضهم الميم أي موضع إقامة ومزل ﴿وأحسن نديا﴾ أي مجلسا ومجتمعا يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها وتطيبنون ويترنون بالزمن الفاخرة ثم يهملون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك أن خيرتهم حالا وأحسنيتهم مالا عما لا يقبل الانكار وأن ذلك لكرامتهم على الله سبحانه ورفاه عندهم اذ هو العيار على الفضل والفضلان والرفعة والفضة وأن من ضرورته هو أن المؤمنين عليه تعالى لقصور عظيهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جيلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك ببلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهة تعالى بقوله ﴿ولم أهلكنا قبلهم﴾ من قرئهم أحسن آياتنا ورتبنا أي كثيرا من القرون التي كانت أفضل منهم فيما يتصورون به من الحفظ والدينية كعاد وتعود وأضرابهم من الامم الغاية قبل هؤلاء أهلكناهم بنون العذاب ولولنا ما آذناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد مالا يخفى كأنه قيل فليظن هؤلاء أيضا مثل ذلك فكيف معمول أهلكنا ومن قرئ بيان لا بهامنا وأهل كل عصر قرن لم يعدم لانهم يتقدمونهم ما خرد من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى ﴿أحسن آياتنا﴾ في حيز النصيب على أنه صفة لكرم وأنانا تميز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جدمته والحرف ما ليس منه ورتب الرق المنظر فعل من الرقية لما يرى كالمعجزة لما يطعن وقرئ ﴿ربا على قلب الحمرة﴾ يا وادعنا ما أو على أنه من الرق وهو التهمة والقرينة وقرئ ﴿ربا على القلب وريابح الحمرة وريا بالزراي المعجزة من الرق وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة ﴿قل من كان في الضلالة فليمدده الرحمن مدا﴾ لمساكين عافية أمر الامم المهلكة مع ما كان لهم من النفع بفنون الحفظ العاجلة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب هؤلاء المفتخرين بمالهم من الحفظ ببيان مال أمر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المهتمكين في اللغة الغاية المجتهدين بها على أن من على عمومها واما على وجه خاص بهم على أنها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكين لدمهم والاشعار بعلو الحكم أي من كان مستقرا في الضلالة مضنورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدده الرحمن أي يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجهم على صيغة الامر للايدان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبغي عنه قوله عز وجل أو لم نذكركم ما يتذكر فيه من تذكر أو للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى إنما نعلم على لم يزدادوا إنما وقيل المراد به الدعاء بالمدة والتفتيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون الا للصرين عليها اذ بصد حال هديهم الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمة لما أن المد من أحكام الرحمة الدينية وقوله تعالى ﴿حتى اذأرأوا ما يوعدون﴾ غاية المد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار

لوقوعه في حين جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما أن الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظهم وقوله تعالى ﴿اما العذاب واما الساعة﴾ تفصيل للوعد بدل منه على سبيل البديل فانه اما العذاب الديني وبغلة المسلمين واستبلائهم عليهم وتعذيبهم ايام قسلا وأسرا واما يوم القيامة وما لهم فيه من الخزي والكال على طريقة منع الحلو دون منع الجمع فان العذاب الاخرى لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى ﴿فسيعلمون﴾ جواب الشرط والجملة حكيمة بعد حتى أي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الديني أو الاخرى فقط فسيعلمون حينئذ ﴿من هو شرمكانا﴾ من الفريقين بأن يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شرمكانا لا خير مقامنا ﴿وأضعف جندا﴾ أي فئة وأنصارا لا أحسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد أن له ثمة جندا ضعفا كالا ولم تكن له فئة بنصرته من دون الله وما كان متصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون أن لهم أعوانا من الاعيان وأنصارا من الاخيار ويتخرون بذلك في الاندية والمخاغل ﴿ويزيد الله الذين اعتدوا هدى﴾ كلام مستأنف سبق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل عطاف على فليهد له في معنى الخير حسب اعرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمدده الله ويهدي المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اعتدوا زادهم هدى وقيل عطاف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن امهال الكافر ويمتعه بالحياة ليس لفصله عقب ذلك ببيان أن قصور حفظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراده به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى ﴿وبالباقيات الصالحات خير﴾ على تقديرى الاحتشاف والطف كلام مستأنف وارد من جهة تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى ﴿عند ربك﴾ أي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جعلها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه عليه السلام ﴿ثوابا﴾ أي عائدة مما يستمتع به الكفرة من النعم المتجددة الغائية التي يتفخرون بها لاسيا وما لها النعم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما أشير اليه بقوله تعالى ﴿وخير مردا﴾ أي مرجعوا عاقبة وتكرير الخير لزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيدها وفي التفضيل مع أن ما للكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم ﴿أفأريت الذي كفر بآياتنا﴾ أي بآياتنا التي من جعلها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لحباب بن الارت عليه مال فاقضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئني فيكون لي ثمة مال وولد فأعطيت وفي رواية قال لا أكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى أموت وأبعث فساوتني مالا وولدا فأقضيت فزلت فالهمزة للتعجب من حاله والايذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب بأن الاول يتعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يتعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل أرأيت الذي يكذب بالدين والفاء للطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقا أن يؤمن بها كل من يشاهدها ﴿وقال﴾ مستهزئا بها مصدرا لكلامه بالبين الفاجرة والله ﴿لاوتين﴾ في الآخرة ﴿مالا وولدا﴾ أي انظر اليه فتعجب من حاله البديهة وجراته الشنيعة هذا هو الذي يستدعي جزالة النظم الكريم وقد قيل ان أرأيت بمعنى أخبر والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك الذين قالوا أي الفريقين خير مقامنا

الآية وأنت خير بأن المشهور استعمال أرايت في معنى أخبرني بطريق الاستفهام جاريا على أصله أو خرجا إلى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الأمر بالخبر لغيره وقرئ ولما على أنه جمع وله كما سجد جمع أسد أو على أنه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى ﴿أطلع الغيب﴾ رد لكلمته الشنعا وظهور لبطانها اثر ما أشير اليه بالتمجيب منها أي أقدر بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي استأثر به العالمين الخبير حتى ادعى أن يؤق في الآخرة مالا ولدا وأهم عليه ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ بذلك فانه لا يقر حصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين والتعرض لتنوان الرحانية للأشعار بعلمه الرحمة لا بما يمدعيه وقيل العبد كلفة الشهادة وقيل العمل الصالحان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجازاة مع اللعين بحسب منطوق مقالة كما أن كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى ﴿كلا﴾ ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبه على خطائه ﴿سكتب ما يقول﴾ أي سطره أنا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة أي يتبين أفلم تلدني لثيمة أو مستقيم منه انتقام من كتب جرعة الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الاله رقيب عتيد فيقول الأول تزل ي اظهار الشيء الخفي منزلة أحداث الامر المعلوم بجامع أن كلاما منهما اخراج من الكون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤس الاشهاد بأحداثها ومدار الشان تسمية الشيء باسم سبه فان كتابة جريرة المحرم سبب لتقوية قطعنا ﴿وعند له من العذاب مدا﴾ مكان ما يدعيه نفسه من الامداد بالمال والولد أي تقول له من العذاب ما يستحقه أو يزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وإفترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فوط الغضب ﴿وزنه﴾ بموته ﴿ما يقول﴾ أي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايدان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أي نزع عنه ما آتياه ﴿وبأيتنا﴾ يوم القيامة ﴿فردا﴾ لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا أن يؤق ثمة وزادا وقيل زوى عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونظمه ما يستحقه وبآياه معنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لاسمائه والمعنى أنما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله وبأيتنا رافضا له منفردا عنه وأنت خير بأن ذلك مبنى على أن صدر القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وأنه مستمر على التفوه به راجع لوقوع مضمونه ولا ريب في أن ذلك مستحيل من كفر بالبعث وانما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق اداء دينه بالحال ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ حكاية لجناية عامة لكل مستبعدة لصد ما يرجعون رتبة عليها اثر حكاية مقالة الكافر المبهود واستباعتها لتقص مضمونها أي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ﴿ليكونوا لهم عزا﴾ أي ليعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده ﴿كلا﴾ ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل والكار لوقوع ما علقوا به أطلعهم الفارغة ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ أي سيجحد الآلهة بعبادتهم لها بأن ينطقوا الله تعالى وتقول ما عبدتمونا أو سيكفر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم بعبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ﴿ويكونون عليهم ضدا﴾ على الاول تكون الآلهة التي كانوا يرجون أن تكون لهم عزا ضدا للرمي ذلا وهوانا أو تكون عونا عليهم وآله لعذابهم حيث يجعل وقود النار وحسب جهنهم أو حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم وأطلق الضد على العون لما أن عون الرجل يضاد عدوه وينافيه بأعانتة له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضدا وأعداء للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه تدور مضاداتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا

فتح الكاف والتونين على قاب الاالف نونا في الوقف قلب ألف الاطلاق في قوله
أفلى الايام عاذل والعاثان وقول ان أصبت لقد أصاب

أو على معنى كل هذا الرأي كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون كلا سيكفرون الخ ﴿لم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما نطقته الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والاغاني والتبادي في الغي والاهتمام في الضلال والانطراف في العناد والتصميم على الكفر من غير صارق يلومهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد انقضائه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبه على أن جميع ذلك منهم باضلال الشياطين وانغوائهم لا لأن له مسوغا في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوحى تعليق الرواية به بل ما ذكر من أحوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبغي عنه قوله تعالى ﴿تؤذهم أزا﴾ فانه اما حال مقدرة من الشياطين أو استئناف وقع جوابا عما نفا من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤذهم أي تغريهم وتبيحهم على المعاصي تهيجا شديدا بأنواع الوساوس والتسويلات فان الأزواجر والاستفزاز أخوات معانها شدة الأزعاج ﴿فلا تنجل عليهم﴾ أي بأن يهلكوا حسبا تقتضيه جنائيتهم ويبعدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فساداتهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهى عنه بحجة إلى النبي كما في قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة وقوله تعالى ﴿انما تعد لهم عدا﴾ تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم أي لا تستعمل بهلاكهم فانه لم يبق لهم إلا أيام وأنفاس نعددها عدا ﴿يوم نحشر المتقين﴾ منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكل فضاة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم نحشر المتقين أي نجحهم ﴿إلى الرحمن﴾ إلى ربهم الذي يغفرهم برحمته الواسعة ﴿وفدا﴾ واقفين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ﴿ونسوق المجرمين﴾ كما تساق البهائم ﴿إلى جهنم وردا﴾ عطاشا فان من يرد الماء لا يورده الا العطش أو كالدواب التي تزد المساء تفعل بالفر يقين من الانفصال ما لا يفي ببيانه لطلاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم أي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ والذي يقتضيه مقام النبوة بل وتستدعيه جولة التنزيل أن ينصب بأحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مينا لبعض ما فيه من الأمور الدالة على حوله وضميره عائدا إلى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لاخصارهم فيها وقيل إلى المتقين خاصة وقيل إلى المجرمين من الكفرة وأهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي أن تكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى ﴿الا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ على الاول استثناء متصل من لا يملكون ويحل المستثنى اما الرفع على البديل أو النصب على أصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم الا من استعده بالتخلي بالايمان والتقوى أو من أمر بذلك من قوطم عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدى إلى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البديل أو على أصل الاستثناء أي لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون أيضا والمستثنى مرفوع على البديل أو

منصوب على الاصل والمعنى لا يملك الجحيمون أن يشفع لهم الا من كان منهم مصلحاً ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾
 حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر
 حكاية عبدة الاصنام بطريق عطف القصص على القصص وقوله تعالى ﴿لقد جئتم شيئا إذا﴾ رد لمخالفاتهم الباطلة وتحويل
 لامرهم بطريق الالتفات المتني عن كمال السخط وشدة الغضب المفصص عن غلبة التشنيع والتفصيح وتسجيل عليهم
 نهاية الوقاحة والجهل والجراحة والاد بالكسر والفتح العظيم المكر والادة الشدة وأدنى الامر وأدنى اتفلى وعظم
 على أى فعلتم أمرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء وأق يستعملان في معنى فعل فيمدان تعديته وقوله تعالى
 ﴿تكاد السموات﴾ الخ صفة لا دأ أو استئناف بيان عظم شأنه في الشدة والهلول وقرئ بكاد بالذ كبر ﴿يفطرن﴾
 منه ﴿يتشققن مرة بعد أخرى من عظم ذلك الامر وقرئ يفطرن والاول أبلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل
 مطاوع فعل ولان أصل الفعل التكلف ﴿وتنشق الارض﴾ أى تكاد وتنشق الارض ﴿وتخر الجبال﴾ أى تسقط
 وتهدم وقوله تعالى ﴿هذا﴾ مصدر مؤكد لمحدوف هو حال من الجبال أى تهد هذا أو مصدر من المني للفعول
 مؤكد لتخر على غير المصدر لانه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا أو مصدر بمعنى المفعول
 منصوب على الحالية أى مهدودة أو مفعول له أى لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى أن هول تلك الكلمة الشعا
 وعظمتها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطاق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها أو أن فظاعتها
 في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لو لا حيله تعالى لحرب العالم وبددت قواته غضبا على من تفوه بها
 ﴿أن دعوا للرحمن ولدا﴾ منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد أو بحرور باضارها أى تكاد السموات
 يفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجسلة بدل من
 الضمير المحرور في منه كما في قوله على جوده لظن بالماء حاتم وقيل خير مبتدا محذوف أى الموجب لذلك
 أن دعوا الخ وقيل فاعل هذا أى هدها دعاء الولد والاول هو الاولى ودعوا من دعا بمعنى سعى المتعدي الى مفعولين
 وقد انقصر على ثانيهما ليتناول كل مادعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان أى انتسب اليه
 وقوله تعالى ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾ حال من فاعل قالوا أو دعوا مقرة لبطان مقاتلهم واستحالة تحقق
 مضمونها أى قالوا اتخذ الرحمن ولدا أو أن دعوا للرحمن ولدا والحال أنه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب
 مثلا لاستحالة في نفسه و وضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعله الحكم بالنيه على أن كل ماسواه تعالى اما نعمة
 أو منعم عليه فكيف يتسنى أن يجانس من هو مبدأ النعم وهو لا أصولها وفر وعيا حتى يتوهم أن يتخذ ولدا وقد صرح
 له قوم به عن قائلنا ﴿ان كل من في السموات والارض﴾ أى منهم أحد من الملائكة والنفالين ﴿الا آتى الرحمن عبدا﴾
 الا وهو مملوك له لا يؤى اليه بالعبودية والاقبياد وقرئ آت الرحمن على الأصل ﴿لقد أحصاهم﴾ أى حصرهم وأحاط
 بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته ﴿وعدهم عدا﴾ أى عدا أشخاصهم وأنفاسهم
 وأفعالهم وكل شئ عنده بمقدار ﴿وكلهم آتبه يوم القيامة فردا﴾ أى كل واحد منهم آتياه تعالى منفردا من الاتباع
 والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع وقيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى
 وشأنهم كما ذكر فأتى يوم احتمال أن يتخذ شيئا منهم ولدا ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ لما فصلت قبايح
 أحوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن أحوال المؤمنين ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ أى سيجعل لهم في القلوب
 مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والترضى لغنى الرحمانية لما أن الموعدة

من آثارها وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام اني أحب فلانا فأجبه فيجبه
 جبريل ثم ينادى في أهل السما ان الله أحب فلانا فأجبه فيجبه أهل السما ثم يوضع له الحبة في الارض والسين لان
 السورة مكية وكانوا اذ ذاك معقوبين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم أنجزه حين ربالا سلام أو لان الموعدة في القيامة حين
 تعرض حسنتهم على رؤس الاشهاد فيزعم على صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين
 ماسيئون يوم القيامة من الكرامات السنية لما أن الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباعض وتضاد وتقاطع وتلاعن
 ﴿فانما يسرناه﴾ أى القرآن ﴿بلسانك﴾ بأن أنزله على لسانك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال
 أى يسرنا القرآن منزلا له بلغتك والفاء لتعليل أمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد اتمام السورة الكريمة بلغ هذا
 المنزل أو بشر به وأنذر فانما يسرناه بلسانك العربى المبين ﴿لتبشر به المتقين﴾ أى الصائرين الى التقوى باستقامته
 من الامر والنهى ﴿وتنذره قوما لدا﴾ لا يؤمنون به لاجا وعنادا واللذ جمع الاله وهو التشديد المحصورة للجوج
 المعاند وقوله تعالى ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ وعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة قبالهلاك
 وحث له عليه الصلاة والسلام على الانذار أى قرنا كثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى ﴿هل تحس منهم
 من أحد﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله أى هل تشعر بأحد منهم وترى ﴿أو تسمع لهم زكرا﴾ أى صوتا خفيا
 وأصل الزكر هو الخفاء ومنه زكر الرخ اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون الخفى والمعنى أهلكناهم بالكلية
 واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفى . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم
 أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكرا يا وصلق به ويحيى وعيسى ومريم وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعد من
 دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سورة طه

(مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿طه﴾ نغمها قالون وابن كثير وابن عامر وحضف ويعقوب على الأصل والفاء وحده أبو عمرو وورش لاستحالة
 وأما الهاء الباقون وهو من الفوائغ التي يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقين وقيل معناه يارجل وهو مروي
 عن ابن عباس رضى الله عنه والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقادة وعكرمة والكلبي الا أنه عند سعيد على اللغة
 النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية
 قالوا ان صح فعل أصله ياهذا فصرفوا فيه بقلب الياء طه وحذف دامن هذا وما استشهد به من قول الشاعر
 ان السفاضة طه في خلاصكم لا قدس الله أخلاقا للماعين

ليس ينص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز أن يكون الأصل طاهها بصيغة الامر من الوط
 فقلت الهزة في يطاء ألفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هنالك المرتع وها ضمير الارض على أنه خطاب لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم بأن يطاء الأرض بقدسيه لما كان يقوم في تهجدته على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن باباه
 كتابتها على صورة الحرف كما تأتي التفسير يبارجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من
 خصائص حروف المعجم وقرئ طه اما على أن أصله طافقليت همزته هاء كما في أمثال هرقأت أو قلبت الهمة في يطاء ألفا

كما مر ثم بي منه الامر وألحق به هاء السكت وأما على أنه اكتفى في التلطف بشطري الاسمين وأقيا مقامهما في الدلالة على المسميين فكأنهما اسمهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول من قال أو اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسميهما والا فالشطران لم يذكرنا من حيث انهما مسميان باسميهما لبقا معبرا عنهما بل من حيث انهما جزآن لما قد اكتفى بذلكهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلطف بأنفسهما لا باسميهما بأن يراد بتصغير الثانية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسميهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالعنى اكتفى في التلطف بشطري الكلمتين أى الاسمين فغير عنهما أى عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين وأما حمل على معنى أنه اكتفى في الكتابة بشطري الكلمتين يعنى طأ على تقديرى كونه أمرا وكونه حرف نداً وما على تقديرى كونها كناية عن الأرض وكونها حرف تنبيه وعدل عن ذلك الشطرين في التلطف باسميهما فينبى البطلان كيف وطأ على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الأول أمر أو حرف نداً والثاني ضمير الأرض أو حرف تنبيه على أن كتابة صورة الحرف والتلفظ بشيرة من خواص حروف المعجم كما مر فالخى ما سلف من أنها من الفوائخ اما مسرودة على نخط التعديد بأحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا فعل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ فانه استئناف مسوق لتبليغه عليه الصلاة والسلام عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه أشق من راض مهر أى ما أنزلناه عليك لتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقابلة العناء ومعاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحرر على أن يؤمنوا كقولهم عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك أن لم يؤمنوا به بعد ذلك أو لصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما يروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فان لها عليك حقاً أى ما أنزلناه عليك لتعب بنفك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدائد الفاحشة وما بشت الاباحنية السمة وقيل انأباجهل والنضرب الحرت قالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بأننا ما أنزلناه عليك لما قالوا والاولهو الأنسب كما يشهد به الاستثناء الآتى وهذا وأما اسم للقرآن محله الرفع على أنه مبتدأ وما بعده خبره والقرآن ظاهر أو وقع موقع العائد الى المبتدأ كانه قيل القرآن ما أنزلناه عليك لتشقى أو النصب على اضمار فعل القسم أو الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز أن يكون اسماً للسورة أيضاً بخلاف الوجه الأول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لأن المبتدأ يبقى حيث لا عائد ولا قائم مقامه فان القرآن صادق على الصورة لا محالة اما بطريق الاتحاد بأن يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض أو باعتبار الاندراج أن أريد به الكل بل لأن نفي كون انزاله للشقاء يستدعى سبق وقوع الشقاء مرتباً على انزاله قطعاً اما بحسب الحقيقة كما لو أريد به معنى التعب أو بحسب زعم الكفرة كما لو أريد به ضد السعادة ولا ريب في أن ذلك إنما يتصور في انزال ما أنزل من قبل وأما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لفيه عنه أما باعتبار الاتحاد فظاهر وأما باعتبار الاندراج فلا أن ما له أن يقال هذه السورة ما أنزلنا القرآن للمشتمل عليها لتشقى ولا يخفى أن جعلها خبراً عنها مع أنه لا دخل لانزالها في الشقاء السابق أصلاً مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى ﴿الا تذكرة﴾ نصب على أنه مفعول له لأنزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما أنزلنا عليك القرآن لتعب بتبليغه الا تذكرة الآية كقولك ما ضربت لك التأديب

الا اشفاقاً لما أنه يجب في أمثاله أن يكون بين العلتين ملازمة بالسببية والمسببية حتياً كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافتهك بالسوء لتأذى الازجر أعنيك فان التأديب في الأول مسبب عن الشفاق والتأذى في الثاني سبب لجزر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التناقض ولا يجدى أن يراد به التعب في الجملة المجامع للتذكرة لظهور أن لاملازمة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وإنما يتصور ذلك أن لو قيل مكان الا تذكرة لا تكثيراً لئلا يكلف الأجر بقدر التعب ولا من حيث أنه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البديلين وقد عرفت حالهما بل من حيث أنه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المتقطع كما قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتعب في تبليغه ولكن تذكرة ﴿لن يخشى﴾ وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلاً للفاعل الفعل المعامل أى لمن من شأنه أن يخشى الله عز وعلا ويأثر بالانذار لرفعة قلبه ولين عريكته أو لمن علم الله تعالى أنه يخشى بالتخوف وتخصيصها بهم مع محوم التذكرة والتبليغ لانهم المتفوعون بها وقوله تعالى ﴿تنزيلاً﴾ مصدر مؤن كدلمضمر مستأنف مقرر لما قبله أى نزل تنزيلاً أو لما تفيد الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لأن يقال أنزلنا للتذكرة والاولهو الأنسب بما بعده من الالتفات أو منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بخشى على المفعولية أى يخشى تنزيلاً من الله تعالى وأنت خير بأن تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بملحق التنزيل غير معهود نعم يتعلق ذلك ببعض أجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على أنه مفعول له لأنزلنا اذ لا يعمل الشيء بنفسه ولا ينزع به بل على أنه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك أو من القرآن ولا مساغ له الا بأن يكون قيداً لأنزلنا بعد تقديمه القيد الأول وقد عرفت محاله فيا سلف وقرئ تنزيل على أنه خبر مبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى ﴿عن خلق الأرض والسموات العلى﴾ متعلقة بتنزيلاً أو بمضمهر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان غفامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقها بالذكر مع أن المراد خلقهما بجمع ما يتعلق بهما كما يقص عنه قوله تعالى له ما فى السموات وما فى الأرض الآية لاهالتهما واستباها لهما لهما تقدم الأرض لكونه أقرب الى الحس وأظهر عنده وصف السموات بالعلا وهو جمع العليا تأنيث الأعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستع لتعظيم شأن المنزل الداعى الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية الى استئزال المتبردين عن رتبة العتو والطغيان واستهالهم نحو الخشية المنقضية الى التذكرة والابيمان ﴿الرحمن﴾ رفع على المدح أى هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة أن المرفوع مدحاً في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعاً له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على أنه صفة صريحة للوصول وما قبل من أن الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذى وحده مذهب الكوفيين وأما ما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والأرض للاشارة بأن خلقهما من آثار رحمة تعالى كما أن قوله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يبدان بأن ربيته تعالى بطريق الرحمة فلهذا اشار الى أن تنزيل القرآن أيضاً من أحكام رحمة تعالى كما ينبغي عنه قوله تعالى الرحمن علم القرآن ورفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى ﴿على العرش استوى﴾ وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذى شأنه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند مخاطب اللابذان بأن ذلك أمر بين لاسترة به غنى عن الاخبار به صريحاً وعلى

متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة القواصل والجوار والمجور وعلى الأول خبر مبتدا محذوف كما في قرأتنا الجوز وقد جوز أن يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وإن لم يقعد على السرير أصلا والمراد بيان تعلق إرادته الشريفة بإيجاد الكائنات وتزوير أمرها وقوله تعالى ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ سواء كان ذلك بالجزئية منهما أو بالكلية فيهما ﴿وما بينهما﴾ من الموجودات الكائنة في الجودات كالموجودات كالموجودات والسحاب أو أكثرها كالطير أو وحده دون غيره لاشتركة ولا استقلال كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحيا وإماتة وإيجادا واعداما ﴿وما تحت الثرى﴾ أى ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الأرض لزيادة التقرير روى عن محمد بن كعب أنه مات تحت الأرضين السبع وعن السدي أن الثرى هو الصخرة التي عليها الأرض السابعة ﴿وان تجهر بالقول﴾ بيان لاحاطة الله تعالى بجميع الأشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات أى وإن تجهر بذكره تعالى ودعائه فأعلم أنه تعالى غنى عن جهرك فإنه يعلم السر وأخفى أى ما أسرته الى غيرك وشيئا أخفى من ذلك وهو ما أخطرت به يالك من غير أن تغفوه به أصلا أو ما أسرته لنفسك وأخفى منه وهو ما أسرته فيما ساقى وتكثيره للبالغ في الخفاء وهذا ما انتهى عن الجهر كقوله تعالى وإذا ذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وأما إرشاد العباد الى أن الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتبئته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطاع الوسوسة عنها وهذا ما تضمنه الجوار وقوله تعالى ﴿الله﴾ خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما ذكر من صفات الكمال موصوفا بها ذلك المعبود بالحق أى ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى ﴿لا اله الا هو﴾ تحقيق للحق وتصريح بما تضمنته مقابلة من اختصاص الألوهية به سبحانه فان ما أسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية الكل والعلم الشامل بما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى ﴿له الاسماء الحسنی﴾ بيان للمكون ما ذكر من الخلقية والرحمانية والمالكية والعالمية أسماء وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فإنه روى أن المشرى حين سمعوا النبي عليه الصلاة والسلام يقول يا الله يارحمنا قالوا نبأنا أن نعبد الهين وهو يدعو لها آخر والحسن تأنيث الاحسن بوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كآرب أخرى وآبائنا الكبرى ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ استئناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي انتهى مساق الحديث وبيان أنه أمر مستقر في بيان الأنبياء كبرا عن كابر وقد خطب به موسى عليه الصلاة والسلام حيث قيل له اني أنا الله لا اله الا أنا وبه عزم عليه الصلاة والسلام بماله حيث قال إنما الحكم الله الذي لا اله الا هو وأما ما قيل من أن ذلك لترغيب النبي عليه الصلاة والسلام في الاتساق بموسى عليه الصلاة والسلام في تحمل أعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبلغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى ﴿اذ رأى نارا﴾ ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر أى حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم أى اذكر وقت رؤيته نارا روى أنه عليه الصلاة والسلام استأذن شعبيا عليها الصلاة والسلام في الخروج الى أمه وأخيه فرجح بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولده له في ليلة مظلمة شامية مثلمة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصد زنده فيبنا هو في ذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور فقال لا اله الا مكشوا أى أقیموا مكانكم أمرهم عليه الصلاة والسلام بذلك لئلا يتبعوه فيها عزم عليه الصلاة والسلام من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فإنه لا يخطر بالبال

والخطاب المرأة والولد والخادم وقول لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل أو للنفخ كما في قوله من قال وان شئت حرمت النساء مواكم ﴿انى آتيت نارا﴾ أى أبصرتها إحصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الا يناس خاص بإبصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر أو المأمور به ﴿لعل آتيكم منها﴾ أى أجبتكم من النار ﴿قبس﴾ أى يشعل مقتبس من معظم النار وهي المرادة بالجدوة في سورة القصص وبالشباب القبس ﴿أو أجد على النار هدى﴾ هاديا يبدى على الطريق على أنه مصدر سمي به الفاعل مبالغة أو حذف منه المضاف أى ذا هداية أو على أنه اذا وجد الهادى فقد وجد الهدى وقيل هاديا يبدى الى أبواب الدين فان أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسليته أهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعل آتيكم منها بغير أو جدوة الآية وكلمة أو في الموضوعين لمنع الخلود من منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها أولا أنهم عند الاصطلاح يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الايتان بهما مقربا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجى وهي اماعة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالملك والاختيار بإبصار النار وتقديرا عن التصريح بما يوحشهم وأما حال من فاعله أى فأذهب اليها لا تتركه أو كى آتيكم أو راجيا أن آتيكم منها بقبس الآية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا أيها الناس اعبدا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴿فلما أتاهما﴾ أى النار التى أنسا قال ابن عباس رضى الله عنهما رأى شجرة خضراء أطافت بها من أسفلها الى أعلاها نار أيضا تنقد كاضوا ما يكون فوقه متجها من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ما الشجرة تغير ضوئها قالوا النار أربعة أصناف صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام وقالوا أيضا هي أربعة أنواع نوع له نور وأحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا أحراق وهي نار الأشجار ونوع له نور بلا أحراق وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام ونوع له أحراق بلا نور وهي نار جهنم روى أن الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت ثمرة ﴿نودى ياموسى﴾ أى نودى فقيل ياموسى ﴿انى أنا ربك﴾ أو عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح أى بأتى وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وامالة الشبهة روى أنه لما نودى ياموسى قال عليه الصلاة والسلام من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فرسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله تعالى بأتى أسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لأن سماع ما ليس من شأنه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه الصلاة والسلام كلام رب العزة تلقيا ووحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبده وانتقل الى الحسن المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعض وجه ﴿فانقلع عليك﴾ أمر عليه الصلاة والسلام بذلك لان الحفرة أدخل في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يعطون بالكعبة حافين وقيل ليأبى الوادى بقدمه تبركا به وقيل لما أن نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الامل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبية تعالى عليه الصلاة والسلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى ﴿انك بالواد المقدس﴾ تعليل لوجوب الخلع للمأمور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقفسا روى أنه عليه الصلاة والسلام خلعهما وألقاهما ورا الوادى ﴿طوى﴾ بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقبل هو كفى من العلى مصدر لنودى أو المقدس

أى نودى نداماً أو قدس مرة بعد أخرى **﴿وأنا اخترتك﴾** أى اصطفتك للتبوة والرسالة وقرئ **﴿وأنا اخترتك﴾** بالفتح والكسر والفاء في قوله **﴿فاستمع﴾** لترتيب الأمر أو المأمور به على ما قبلها فإن اختياره عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والأمر به واللام في قوله تعالى **﴿لما يوحى﴾** متعلقة باستمع وما موصولة أو مصدرية أى فاستمع الذى يوحى إليك أو لروحى لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من أنه من باب التنازع وأعمال الأول فلا بد حينئذ من إعادة الضمير مع التاني بل لأن قوله تعالى **﴿أنا الله لا اله الا أنا﴾** يدل من ما يوحى ولا ريب في أن اختياره عليه الصلاة والسلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى **﴿فاعبدني﴾** لترتيب المأمور به على ما قبلها فإن اختصاص الالهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل **﴿وأقم الصلاة﴾** خصت الصلاة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نطقت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى **﴿لذكرى﴾** أى لذكرى في شأن ذكرى كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلاة أو لذكرى فيها لا شتمها على الاذكار أو لذكرى خاصة لا تشبه بذكر غيرى أو لاختصاص ذكرى وإيناف وجبى لا ترقى بها ولا تقصد بها غرضاً آخر أو لتكون ذا كراى غير ناس وقيل لذكرى إياها وأمرى بها في الكتب أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وقيل لأوقات ذكرى وهي موافقت الصلاة أول ذكر صلاتى لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لأن الله تعالى يقول **﴿وأقم الصلاة﴾** لذكرى وقرئ **﴿لذكرى﴾** بألف التانيث ولذكرى معاً ولذكر بالتعريف والتذكير وقوله تعالى **﴿أن الساعة آتية﴾** تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلاة أى كائنه لا محالة وانما ساعبر عن ذلك بالآيتين تحقيقاً لحصولها بإرزاها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين **﴿أكاد أخفيها﴾** أى لأظهرها بأن أقول انها آتية ولو لا أن ما في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعتذار لمافعلت أو أكاد أظهرها بإيقاعها من أخفاء اذا أظهر بسبب خفاءه ويؤيد القراءة بفتح الهجزة من خفاء بمعنى أظهره وقيل أخفاء من الاختفاء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى **﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾** متعلق بآتية وما بينهما اعتراض أو بأخفيها على المعنى الأخير وما مصدرية أى لتجزى كل نفس بسعيها في حصول ما ذكر من الأمور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لا ينافي مع أنه جزء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيها في ذكر أو تقاعدا عنه بالمرءة أو سعيها في حصول ما يضافه للإيمان بأن المراد بالذات من إتيانها هو الإثابة بالعبادة وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبأن المأمور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجب على كل نفس أن تسعى في الامتثال بالأمر وتجد في حصول ما ينتجها من الطاعات وحينئذ تحتز عن إقرارها ما يردىها من المعاصي وعليه مدار الأمر في قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً فإن الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبح أيضاً لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالأخيرين لما ذكر من أن المقصود الاصلى من ابتداء تلك البدائع على ذلك الخط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على أتم الوجوه والرائقة وأكمل الانحاء الثلاثة بوجوب العمل بموجبه بحيث لا يبعد أحد عن سنته المستبين بل يبتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبها بحسب القوة والضعف وأما الاعراض عن ذلك والوقوف في مهاوى الضلال فيمعر لمن الوقوع فضلاً عن أن ينظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له أو مسوغ هذا ويجوز أن يراد بالسعى مطلق العمل **﴿فلا يصدنك عنها﴾** أى عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو

الائق بشأن موسى عليه الصلاة والسلام وان كان النهى بطريق التيسير والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى **﴿من لا يؤمن بها﴾** لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فإن ماحقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مستشرقة له فيتمكن عند ورودها افضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول ربما يخل بتقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان يحسب الظاهر نسياناً للكافر عن صد موسى عليه الصلاة والسلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وأكدته فإن النهى عن أسباب الشئ ومبادئ المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال السببية من أصلها كما في قوله تعالى ولا يجر منكم الخ فإن صد الكافر حيث كان سبباً لانصداده عليه الصلاة والسلام كان النهى عنه نهياً بأصله وموجبه وإبطالاً له بالكلية ويجوز أن يكون من باب النهى عن المسبب وإرادة النهى عن السبب على أن يراد منه عليه الصلاة والسلام عن اظهار اين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصددهم إياه عليه الصلاة والسلام كما في قوله لا أر ينك ههنا فان المراد به نهى المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته **﴿واتع هواه﴾** أى ماتهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية **﴿فتردى﴾** أى فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجى عن أهوالها مستتب للهلك لا عاقلة وهو في محل النصب على جواب النهى أو في محل الرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى فأنت تردى **﴿وما نالك يمينك يا موسى﴾** شروع في حكاية ما كلف به عليه الصلاة والسلام من الأمور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما أمر به من الشؤون الخاصة بنفسه في استقياية في حين الرفع بالابتداء وتلك خبره أو بالعكس وهو أدخل بحسب المعنى وأوفق بالجواب ويسمينك متعلق بمضمر وقع حالا أى وماتك قارة أو مأخوذة بيمينك والعامل معنى الإشارة كما في قوله عز وجل وهذا يعلى شيطاناً على ما يقبل تلك موصولة أى مالتى هي يمينك وأياً ما كان فالاستقياية ايقاظ وتنبه عليه الصلاة والسلام على ما سيدول من التعاجيب وتكرير التائيس وبادة التائيس والتنبه **﴿قاله عصى﴾** نسباً الى نفسه تحقيقاً لوجه كونه نبياً وتوحيده بما يعقبه من الأفاعيل المنسوبة اليه عليه الصلاة والسلام وقرئ **﴿عصى﴾** على لغة هذيل **﴿أمركا عليها﴾** أمرأعند عليها عند الاعياء أو الوقوف على رأس القطيع **﴿وأهشها﴾** أى أخطبها الورق وأسقطه **﴿على غشى﴾** وقرئ **﴿أهش﴾** بكسر الهمزة وفتح الحاء من هش الخبز يش إذا انكسر فحشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلل تضمن معنى الانحاء أو الإقبال أى أزجرها من حيا ومقبلاً عليها **﴿ولى فيها رباً أخرى﴾** أى حاجيات أخر من هذا الباب مثل ما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا سار أنفاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتها وألقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قائل بها قبل ومن جملة ما أرب أنها كانت ذات شعبتين وصحن فاذا طال الغصن حناه بالمجنن واذا أراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه الصلاة والسلام فهم أن المقصود من السؤال بيان حقيقة وتفصيل منافصا بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بدعية علم أنها آيات باهرة ومعجزات فاهرة أحدثها الله تعالى وليست من خواص المتربة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والالجمال على معنى أنها من جنس العصى مستتعة لمنافع نبات جنسها لطابق جواب الغرض الذى فهمه من سؤال العلم الخبر **﴿قال﴾** استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فاذ قال عز وجل فقيل قال **﴿ألقها﴾** يا موسى **﴿لترى﴾** من شأنها ما لم يخطر ببالك من الأمور وتكرير التائيس **﴿فألقها﴾** على الأرض **﴿فاذا﴾** هي حية تسعى **﴿وى﴾** أنه عليه الصلاة والسلام حين ألقاها انقلبت حية صفراء غلظت العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبيهت بالجان تارة وشبهت ثعباناً أخرى وغير عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من أول الأمر ثعبان وهو

الاليت بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي لعنان مبين وانما شبهت الجنان في الجلادة وسرعة الحركة لافى صغر الجنة وقوله تعالى تسمى اما صفة لحيه او خبر ان عند من يجوز كونه جملة **(قال)** استئناف كاسبق **(خذها ولا تخف)** عن ابن عباس رضي الله عنهما انقلب لعنانا ذكرنا يتناع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خلف ونفر وملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الاهوال والخوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار بان عدم النهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى **(سنعيدها سيرتها الاولى)** مع كونه استنفاضا مسوقا لتعليل الامتنال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كرامة باظهار معجزة اخرى على يده عليه الصلاة والسلام وايدان بكونها مسخرة له عليه الصلاة والسلام ليكون على طمأنينة من أمره ولا يعتريه شائبة تزول عند حاجة فرعون اى سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى الى هي الهيئة العنصرية قبل بلغ عليه الصلاة والسلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فها وبأخذ بلحيتها والسريرة فغلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة واتصاها على نزع الجار اى الى سيرتها اوعلى أن أعاد مقول من عاده بمعنى عاد اليه أو على الظرفية اى سنعيدها في طريقها أو على تقدير فعلها وإيقاعها حالا من المفعول اى سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها الاولى اى سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل **(واضمم ذلك الى جناحك)** أمر عليه الصلاة والسلام بذلك بعدما أخذ الحية وانقلب عصا كما كانت اى أدخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما أن جناحي العسكر ناحيته مستعار من جناحي الطائر وقد سماها جناحين لانه يمنحهما اى يحملهما عند الطيران وقوله تعالى **(تخرج)** جواب الامر وقوله تعالى **(يضاه)** حال من الضمير فيه وقوله تعالى **(من غير سوء)** متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في **(يضاه)** أى فائته من غير عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوء عن "عورة" لما أن الطباع متغفلة وتغتر عنه روى أن عليه الصلاة والسلام كان آدم فأخرج يده من مدرعته يضاهل شعاع كشعاع الشمس تنشى البصر **(آية أخرى)** أى معجزة أخرى غير العصا واتصاها على الحالية اما من الضمير في تخرج على أنها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في **(يضاه)** وقبل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ أو دونك وقوله تعالى **(لنريك من آياتنا الكبرى)** متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم فانه قبل فعلنا فافعلنا من الامر والاعطار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على أن الكبرى صفة لآياتنا أو نريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على أن الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول وأما ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا وأما تعلقه بما دل عليه آية أى دلالتها لنريك الخ أو بقوله تعالى **(واضمم)** أو بقوله تخرج أو بما قدم من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدى الى عراء آية العصا عن وصف الكبير فتدبر **(انهب الى فرعون)** تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السابقة فصل عما قبله من الاوامر ليدان بأصااته أى اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتي وحذر من فمته وقوله تعالى **(انه طغى)** تعليل للامر أو لوجوب المأمور به أى جاء زالح في التكبر والعنوت والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية **(قال)** استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فاذا قال عليه الصلاة والسلام حين أمر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قاله مستعجلا به عز وجل **(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري)** لما أمر بما أمر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل وأظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطق لساني وسأله تعالى أن يوسع صدره ويفسح قلبه ويحمله عليا يشقون الحق وأحوال الخلق حليا حولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره

بجعل الصبر وحسن الثبات و يتلقاها بصدر فسيح وجأت رابط وأن يسهل عليه مع ذلك أمره الذي هو أجل الأمور وأعظمها وأصعب الخطوب وأمرها بتوفيق الأسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلة الى مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهم المشروح والميسر أولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكريرها اظهارا من يعتنا بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولها له واختصاصهما به **(واحل عقدة من لساني)** روى أنه كان في لسانه عليه الصلاة والسلام رمة من جرة أدخلها فاه في صغره وذلك أن فرعون حله ذات يوم فأخذ لحية فنتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وأمر بقتله فقالت آسية انهضي لا يفرق بين الجمر والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجرة فوضعا في فيه قيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرا ثم لما دعاها قال الى اى رب تدعوني قال الى الذى أبرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكاملها فن قال به تمسك بقوله تعالى قد أوتيت سؤالك ولم يقل به احتج بقوله تعالى هو أفصح منى وقوله تعالى ولا يكاد يبين وأجاب عن الاول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الاقوام ولذلك تكرها ووصفها بقوله من لساني أى عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى **(يفقهوا قولى)** جواب الامر وغرضا من الدعاء في الجملة بتحقيق آيات سؤاله عليه الصلاة والسلام والحق أن ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة أما قوله تعالى هو أفصح منى فلانه عليه الصلاة والسلام قاله قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على أن أفصحته منه عليها الصلاة والسلام لا تستدعي بقاها أصلا بل تستدعي عدم البقاء لما أن الافصحية توجب ثبوت أصل الفصاحة في المفضول أيضا وذلك مناف للعقدة رأسا وأما قوله تعالى ولا يكاد يبين فن باب غلو اللعين في العنوت والطينان والادل على عدم زوالها أصلا وتكريرها انما يغيد قلها في نفسها لا قلها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلة من قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمحذوف به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كانت متعلقا بشئ ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشئ أيضا باعتبار ازالته عنه أو ابتداء حصوله منه **(واجعل لي وزيرا من أهلى هرون أخى)** أى موازرا يعاونني في تحمل أعباء ما كلفته على أن اشتقاقه من الوزر الذى هو الثقل او ملجأ اعتمد برأيه على أنه من الوزر وهو الملجأ وقيل أصله أن ير من الأزر بمعنى القوة فيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته وأزا كقلبا في موازرو ونصبه على أنه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذى هو قوله تعالى هرون اعتنا بشأن الوزارة ولى صلة للجعل أو متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن أهلى اما صفة لوزيرا أو صلة لاجعل وقيل مفعول لاهل وزيرا وهو عطف بيان للوزير ومن أهلى كما مر من الوجهين وأخفى الوجهين بدل من هرون أو عطف بيان آخر وقيل هما وزيرا من أهلى ولى تبين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد ورد بان شرط المفعولين في باب التواسخ صحة انقضاء الجملة الاسمية ولا مسامح لجعل وزيرا مبتدأ وبغيره بما بعده **(أشد به أزرى وأشركه في أمرى)** كلاهما على صيغة الدعاء أى أحكم به فوق واجعله شريكي في أمر الرسالة حتى تتعاون على أدائها كما ينبغي وفضل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الأزر عبارة عن جعله وزيرا وأما الاشراك في الامر فبحث كان من أحكام الوزارة توسط بينهما العاطف **(كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا)** غاية للدعوة الثلاثة الاخيرة فان فعل فيها كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفاه بسبب انضمامه اليه مكثرا في نفسه أيضا بسبب تقويته وتأنيده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب أو في الخلو حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والافراد بل ما يكون منهما في تضاعيف أداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالي التعدد والافراد فان كلا منهما يصدر عنه

بتأييد الآخر من اظهار الحق مالا يكاد يصدر عنه مثله في حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف أو زمان محذوف أي نزلت عملا يليق بك من الصفات والأفعال التي من جعلها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه قسته الباغية من ادعاء الشركة في الألوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجلال والجلال تنزهها كثيرا أو زمانا كثيرا من جلته زمان دعوة فرعون وأوان الحاجة معه وأما ما قيل من أن المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام **﴿أنك كنت بنا بصيرا﴾** أي علما بأحوالنا وبأن مادعوتك به بما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من إقامة مراسم الرسالة بأن هرون نعم الرد في أداء ما أمرت به والياء متعلقة بصيرا قدمت على مراعاة الفواصل **﴿قال قد أوتيت سؤلک﴾** أي أعطيت سؤلک فصل بمعنى مفعول كالخبز والأكلي بمعنى الخبز والمأكل والاياء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره اياها حثا فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقيا بعد كثير الأمر وشد الأزرر باعتباره قبل شئد عضدك بأخيك وقوله تعالى **﴿يا موسى﴾** تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى **﴿ولقد متنا عليك﴾** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان أنه تعالى حيث أنعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلان نعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع أولى وأخرى وتقديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك أي وبالله لقد أنعمنا **﴿مرة أخرى﴾** أي في وقت غير هذا الوقت لا أن ذلك مؤخر عن هذان آخرى تأنيدي آخر بمعنى غير المرة في الاصل اسم السرور الواحد ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعددة كانت أو لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ماله أفراد متجدة متعددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والثارة والدفعة والمراد بها ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ساقى ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى **﴿اذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾** ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الإيحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى **﴿واذ أوحيت إلى الخواصين الآية﴾** واما الإيحاء بواسطة الملك لأعلى وجه النبوة كما أوحى إلى مريم واما الإلهام كما في قوله تعالى **﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾** واما الارشاد الحام والمراد بما يوحى ماسيا من الأمر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر أبهم أو لا تهويلا له وتقنيا لشأنه ثم فسر ليكون أقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي أن يوحى ولا يغفل به فلم شأنه وفطر الاهتمام به وقيل مالا يعلم إلا بالوحى وفيه انه لا يلائم المعنيين الآخرين للوحى اذ لا تفخيم لشأنه في أن يكون مالا يعلم إلا بالإلهام أو بالارادة في المنام وأن في قوله تعالى **﴿أن أقدفيه في التابوت﴾** مفسرة لأن الوحى من باب القول أو مصدرية حذف منها الياء أي بأن أقدفيه ومعنى القذف ههنا الوضع وأما في قوله تعالى **﴿فأقدفيه في اليم﴾** فالإلقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فإذا خفت عليه فألقيه في اليم لا القذف بلا تابوت **﴿فليلقه اليم بالساحل﴾** لما كان القاء البحر اياه بالساحل أمرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والضائر كلها لموسى عليه السلام والمقتدوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان هو التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعاله في ذلك **﴿ياخذ عذولي وعدوله﴾** جواب للأمر بالالقاء وتكرير العدو للباغية والتصريح بالامر والاشعار بأن عدوئته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تقهره بل تؤدي إلى المحبة فان الامر بما هو سبب للإهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بأن هناك لطفًا خفيا متدرجا تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل

من البحر بحيث يجرى ماؤه إلى نهر فرعون لما روى أنها جعلت في التابوت قطنا وضعت فيه ثم قبرته وألقته في اليم وكان يشرع منه إلى إستان فرعون نهر صغير فدفعه الماء إليه فألقى به إلى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثممة مع أسية بنت مراحم فأمر به فأخرج ففتح فاذا هو صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتألك الصبر عنه وذلك قوله تعالى **﴿وألقيت عليك حبة مني﴾** كلمة من متعلقه محذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أي حبة عظيمة كائنه مني قدر رعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بألقيت أي أحبتك ومن أحبه الله تعالى أحبه القلوب لا محالة وقوله تعالى **﴿ولتصنع على عيني﴾** متعلق بألقيت معطوف على علة له مضمره أي ليتعطف عليك ولتربي الخنو والشفقة بمراقبي وحفظي أو بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجليلة مبتدأة أي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرى ولتصنع على صيغة الأمر بسكون اللام وكسرهما وقرى بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك على عيني مني ثلاثا يخالف به عن أمرى **﴿اذ تمشي أختك﴾** ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشيا إلى بيت فرعون وماترتب عليه من القول والرجع إلى أمها وتربيتها بالبر والحنو وهو المصدق لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة أعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ أوحينا على أن المراد به زمان منع متباعد الاطراف وهو الانسب بما ساقى من قوله تعالى فتبينناك من الغم الخ فان جميع ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور وأما كونه ظرفا لألقيت كما يجوز فر بما يوم أن القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في أن معظم آثار القاءها ظهر عند فتح التابوت **﴿فتقول﴾** أي لفرعون وأسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية **﴿هل أدلكم على من يكفله﴾** أي يضمه إلى نفسه ويريه وذلك إنما يكون بقوله ثديها يروى أنه فيما الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاما في الليل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا إلى تتبع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبر مجازتهم متكررة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها قالوا في قوله تعالى **﴿فرجعناك إلى أمك﴾** فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أي فقالوا ولينا عليها فجاءت بامك فرجعناك إليها **﴿كي ترضعها﴾** بلقاءك **﴿ولا تحزن﴾** أي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك والافعال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرعة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن أنت بفقد اشفاقها **﴿وقلت نفسا﴾** هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه **﴿فتبينناك من الغم﴾** أي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء منه بالمهاجرة إلى مدين **﴿وفتناك فتونا﴾** أي ابتليناك ابتلا أو فتونا من الابتلا على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاحتداد بالآلة كحجوز في حجارة وبدور في بدرة أي خلصناك مرة بعد أخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الافال والمشي راجلا وقد الزاد وقد روى أن سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون يقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وصل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم أن لا تدادجاة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام إلى مدين بقضية القاء في قوله تعالى **﴿فلبست سنين في أهل مدين﴾** اذ لا ريب في أن الاجارة المذكورة وما بعدها ما وقع بعد الوصول اليهم وقد أشير بذكر لبته عليه السلام فيهم دون وصوله

اليهم الى جميع ما قاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكائد التي كل واحد منها فتنة
وأى فتنة ومدين بلدة شيعب عليه الصلاة والسلام على ثمانى مراحل من مصر **﴿ثم جئت﴾** الى المكان الذى أونس
فيه النار ووقع فيها لنداء والجواروفى كلمة التراخي ايدان بأن يجتهد عليه السلام كان بعد التيا والى من ضلال الطريق وتفرق
الغنى في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك **﴿على قدر﴾** أى تقدير قدرته لأن أكله واستبكتك في وقت قد عينته لذلك فما
جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام
وهو رأس أربعين سنة وقوله تعالى **﴿يا موسى﴾** تشرى به عليه الصلاة والسلام وتنبه على انتهاء الحكاية التي
هى تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية أولا وقوله تعالى **﴿واصلحتك لنفسى﴾** تذكير لقوله
تعالى وأنا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا بأخيه حسبا استدعاه بعد تذكير المن
السابقة السابقة تأكيداً لوقوفه عليه السلام بحصول غايتها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من
الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة والعدول عن
نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفيناك ونظيره السابقين تمهيد لافراد لفظ النفس الثلاثى بالمقام فانه أدخل
في تحقيق معنى الاصطلاح والاستخلاص أى اصطفتك برسالاتى وبكلامى وقوله تعالى **﴿أذهب أنت وأخوك﴾**
أى وليذهب أخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ماهر المقصود بالاصطلاح **﴿يا ياقى﴾** أى بمعجوزاتى
التي أريتكم من اليد والمصا فانيما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام
ابراهيم فان انقلاب العصا حيواناً آية وكونها ثعباناً عظيماً لا يقادر قدره آية أخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية
أخرى وكونه مع ذلك مسخرأ له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فيه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصا آية
أخرى وكذلك اليد فان يداها في نفسها آية وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية أخرى والبال للصاحبة لا
للتعديدا المراد ذهابها الى فرعون ملتبس بالآيات متمسكين بها في اجراء أحكام الرسالة واكمال أمر الدعوة لا
بمجرد اذهابها وابصاها اليه **﴿ولاتنبا﴾** لا تفترأ ولا تقصرا وقرى **﴿لاتنبا بكسر التاء للاتباع﴾** (في ذكرى) أى بما
يليق في من الصفات الجليلة والافعال الجليلة عند تبليغ رسالتى والدعاء الى وقيل المعنى لاتنبا في تبليغ رسالتى فان الذكر
يقع على جميع العبادات وهو أجلب وأعظمها وقيل لاتنسأى حيثما تغلبت واستمدا بد كرى العون والتأييد واعلم أن
أمر من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكرى **﴿أذهب الى فرعون﴾** جمعها في صيغة أمر الحاضر مع غيبة هرون
اذ ذلك للتغليب وكذا الحكا في صيغة النهى روى أنه أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليهما السلام
وقيل سمع بأقباله فلقاه **﴿انه طنى﴾** تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى **﴿فقل لا له قولاً لنا﴾** لترتيب ما
بعدها على طغيانه فان تالين القول بما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضى الله عنهما
لا تمنعاً في قولك وقيل القول اللين مثل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فانها دعوة في صورة عرض ومشورة
ورده ما سيجي من قوله تعالى قولاً لنا رسولاً ربك لا آتين وقيل كنيأه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد
وأبو مرة وقيل عناده شباباً لا يهرم ويبقى له لذة الطعام والمشرب والمنكح وملاكة لا يزول الا بالموت وقرى **﴿لينا﴾**
﴿لعله تذكر﴾ بما بلغته من ذكرى ويرغب فيما رغبته فيه **﴿أو يخشى﴾** عتاني ومحل الجملة النصب على الحال
من ضمير التثنية أى فقل لا له قولاً لنا راجين أن يتذكر أو يخشى وقلة وألغ الخلو أى باشرا الامر مباشرة من
يرجو ويطلع في أن بشر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه ويجدوى ارساله اليه مع العلم

بجمله الزام الحجة وقطع المذعة **﴿قالا ربنا﴾** استند القول اليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى عليه الصلاة
والسلام بطريق التغليب ايذاناً بأصلاته في كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام له في كل ما باتى وبذرو يجوز أن
يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما حكى ذلك مع قول موسى عليه السلام عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا أيها
الرسول كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكى لنا بصيغة الجمع مع أن كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق
الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب **﴿انساخفاف أن يفرط علينا﴾** أى
يعجل علينا بالقوة ولا يصبر الى اتسام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط
يسبق الخيل وقرى **﴿يفرط من أفرطه اذا حله على المعجزة أى يخاف أن يجعله حامل من الاستكبار أو الخوف على
الملك أو غيرها على المعالجة بالعقاب﴾** (أو أن يظنى) أى يزداد طغياناً الى أن يقول في شأنك مالا ينبغي لكمال
جراته وقساوته واظلاله من حسن الادب واظهار طلة أن مع سداد المعنى بدوته لاظهار كمال الاعتناء بالآخر والاشعار
بتمقق الخوف من كل منهما **﴿قال﴾** استئناف مبنى على السؤال الناشئ من العظم الكريم ولعل استناد الفعل الى
ضمير الغيبة للاشعار بانفعال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم
حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سأتى من قوله تعالى قلنا لا تخف أنك أنت الأعلى فان ما قبله أيضاً وارد بطريق
الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل فاذا قال لهما ربهما عند تقصيرهما اليه فقيل **﴿لا تخافا﴾**
ما توهمتا من الامر من وقوله تعالى **﴿اننى معكما﴾** تعليل لموجب النهى ومزيد تلبية لها والمراد بالمعية كمال الحفظ
والضرة كما ينبغي عنه قوله تعالى **﴿أسمع وأرى﴾** أى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل في كل حال ما
يليق بها من دفع ضرور وشرب وجلب نفع وخير ويجوز أن لا يقدر شئ على معنى اننى حافظكاً سمياً بصيراً والحافظ
الناصر اذا كان كذلك فقدمت وبلغت النصرة غايتها **﴿فأتياه﴾** أمراً باتياناً الذى هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما
أمر بالذهاب اليه فلا تكرر وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده **﴿فقل لا انا رسول ربك﴾** أمراً بذلك
تحقيقاً للحق من أول الامر ليحرف الطاغية شأنهما ويبيى جوابه عليه وكذا العرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله
تعالى **﴿فأرسل معنا بنى اسرائيل﴾** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولى ربه عما يوجب ارسالهم معهما
والمراد بالارسال اطلاقهم من الامر والقصر واخر اجهم من تحت يده المعادية لا تكليفهم أن يذهبوا معهم الى الشام كما ينبغي
عنه قوله تعالى **﴿ولا تعذبهم﴾** أى بايقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم
في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكوراً وأولادهم عامادون
عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسل بين بيان رسالتهم وبين ذكر الجحى **﴿بآية الدالة على صحتها لاظهار الاعتناء
به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بقنوت التكليف الشاقة كما هو
حكم الرسالة عادة ليس بما يشق عليه كل المشقة ولأن في بيان جحى الآية نوع طول كما ترى فأنخير ذلك عنه محل
بتجاوب أطراف النظم الكريم وأما ما قبل من أن ذلك دليل على أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم الى
الايان فكلما **﴿قد جشاك بآية من ربك﴾** تقرى لما تضمنته الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب
الارسال فان مجيئها بالآية من جهة تعالى مما يحقق رسالتهم ويقررها ويوجب الامثال بأمرهما واظهار اسم الرب
في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير الخطاب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان
المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جشك بيته وقوله تعالى أولو جشك بشئ من**

وأما قوله تعالى فأنت بآية أن كنت من الصادقين فافهم أن المراد بها آية من الآيات **﴿والسلام﴾** المستقيم سلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين **﴿على من أتبع الهدى﴾** بتدقيق آيات الله تعالى الهداية إلى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهم أعلى اللطف وجهه لا يفتي **﴿انقاد أوصى البنا﴾** من جهة ربنا **﴿أن العذاب﴾** الدنيوي والآخر **﴿على من كذب﴾** أي بآية تعالى **﴿وتولى﴾** أي أعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به مالا من يد عليه **﴿قال﴾** أي فرعون بعد ما أتاه وبأنه أمرا به وأما طوى ذكره للإيجاز والأشعار بأنهما كما أراد ذلك سارعا إلى الامتثال به من غير تلذذ وبأن ذلك من الظهور بحيث لا حاجة إلى التصریح به **﴿فن ربك﴾** أي موسى لم يصف الرب إلى نفسه ولو بطريق حكمية ما في قوله تعالى أنا رسول ربك وقوله تعالى قد جئتكم بأية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل أضافه إليهما لما أن المرسل لابد أن يكون ربا لرسول أو لا ينفق صرحا برؤيته تعالى للكل بأن قال أنا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاختصار هنا على ذكر رؤيته تعالى لفرعون لكفايته فيها هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسول ربهما أي إذا كنتا رسول ربكما فأخبرنا من ربكما الذي أرسلكما وتخصيص التثنية بموسى عليه الصلاة والسلام مع توجيه الخطاب إليهما لما أنه الأصل في الرسالة وهو ونو زيره وأما ما قبل من أن ذلك لا تعرف أن له عليه الصلاة والسلام ربة فأراد أن يفهمه بغيره ما شاهدته منه عليه الصلاة والسلام من حسن البيان الفاضل لذلك الطمع الفارغ وأما قوله ولا يكاد بين فن غلوه في الحديث والدعاة كما مر **﴿قال﴾** أي موسى عليه الصلاة والسلام بحجابه **﴿ربنا﴾** أما مبتدأ وقوله تعالى **﴿الذي أعطى كل شيء خلقه﴾** خبره أو هو خير مبتدأ محذوف والموصول وصفته وأيا ما كان فلم يريدا بضمير المتكلم أنفسهما فقط حسبا أراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حين الصلة أي هو ربنا الذي أعطى كل شيء من الأشياء خلقه أي صورته وشكله اللاتقي بما ينطبق به من الخواص والمنافع أو أعطى مخلوقاته كل شيء محتاج هي إليه وترتفع به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعر بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرى خلقه على صيغة الماضي على أن الجملة صفة للمضاف أو المضاف إليه وحذف المفعول الثاني إما للاختصار على الأول أي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه أو للاختصار من كونه متروكا عدلولا عليه بقرينة الحال أي أعطى كل شيء خلقه الله تعالى محتاج إليه **﴿ثم هدى﴾** أي إلى طريق الانتفاع والارتقاء بما أعطاه وعرفه كيف يتوصل إلى بقائه وكأله أما اختيارا كما في الحيوانات أو طبعيا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام مقدما على الهداية التي هي عبارة عن إبداع القوى المحركة والمدركة في تلك الأجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه الصلاة والسلام جوابه على نمط رائق وأسلوب لائق حيث بين أنه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الأشياء منم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه أن إرساله تعالى إياه إلى الطاغية من جملة هداياته تعالى إياه بعد أن هداه إلى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة **﴿قال﴾** فبالقرون الأولى لما شاهد اللعين ما نظمه عليه الصلاة والسلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف أن يظهر للناس حقيقة مقالاته عليه الصلاة والسلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا فأراد أن يصرفه عليه الصلاة والسلام عن سنه إلى مالا يعينه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده حتى يظهر فيه نوع غفلة فيساق بذلك إلى أن

يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والأهم الحالية وما ذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه الصلاة والسلام بأن العلم بأحوالهم مفصلة مما لا ملائمة له بنصب الرسالة وأما عليها عند الله عز وجل وأما ما قبل من أنه سألته عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد فإياه قوله تعالى **﴿قال﴾** عليها عند ربي فان مناه أنه من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى وإنما أنا عبد لا أعلم منها إلا ما علمني من الأمور المتعلقة بما أرسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لأجيب ببيان أن من أتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبا نفاق به قوله تعالى والسلام الآيتين **﴿في كتاب﴾** أي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز أن يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استخفاه العالم وقيد بالكتابة كما يلوح به قوله تعالى **﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾** أي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت أبدا فأنهما إعلانا عليه سبحانه وهو على الأول لبيان أن إنيته في اللوح ليس لحاجة تعالى إليه في العلم به ابتداء أو بقاء وأظهر ربي في موقع الإخبار للتأنيذ بذكره وبإعادة التقرير والأشعار بملة الحكم فإن الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والفسان حتى ولقد أجاب عليه الصلاة والسلام عن السؤال بجواب عبقري يدع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابا مع أنه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤنه تعالى ثم تخلص إليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل ما سألني من الالتفات **﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا﴾** على أن الموصول إما مرفوع على المدح أو منصوب عليه أو خبر مبتدأ محذوف أي جعلها لكم ظاهرا تتهادونها أو ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرى مهدا وهو اسم لما يجهد كالفراش أو جمع مهد أي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم **﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾** أي حصل لكم طرقا وسطها بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر لتقنوا منها ما يربكم وتتغنوا بمناقبها ومراقبها **﴿وأول من السياما﴾** هو المظهر **﴿فأخرجنا به﴾** أي بذلك السام وهو عطف على أول داخل تحت الحكاية وإنما التفت إلى التكلم للنبى على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والأيذان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لأمره وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة كما في قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها وقوله تعالى أم من خلق السموات والأرض أنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة خلا أن ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى وأما ههنا حكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فأخرجنا به هو المحكى مع كون ما قبله كلام موسى عليه الصلاة والسلام خلاف الظاهر مع أنه يقوت حيث أن الالتفات لعدم اتحاد المتكلم **﴿أزواجا﴾** أصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتضاب بعضها ببعض **﴿من نبات﴾** بيان أوصاف لازواج أي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى **﴿شقي﴾** أي متفرقة جمع شقيت ويجوز أن يكون صفة لنبات لما أنه في الأصل مصدر يستوى فيه الواحد والجمع ويعني أنها شقي مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى أن أرزاق عباده لما كان تحصلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى **﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾** حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي أخرجنا منها أصناف النبات فاكلتم كلوا وارعوا أنعامكم أي معديا لاتنفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك **﴿أن في ذلك﴾** أشار إلى ما ذكر من شؤنه تعالى وأفعاله وما فيه من معنى البعد للازدان بعلاوته وبعد منزلته في الكمال والتكبر في قوله تعالى **﴿لايات﴾** للتفخيم كما وكيفا أي لايات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤن الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام **﴿الاولى النهي﴾** جمع نية سمي بها العقل لنبهه عن اتباع الباطل

وارتكاب القبائح كما سمي بالعقل والخبر لعقله وحججه عن ذلك أي لذوي العقول الناهية عن الإطاعين التي من جعلها ما يدعي الطاعة ويقله منه فته الباطية وتخصيص كونها آيات بهم مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المتصمون بها (منها خلقناكم) أي في ضمن خلقكم آدم عليه الصلاة والسلام منها فإن كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه الصلاة والسلام إذ لم تكن فطرته الدائمة وصورة على نفسه عليه الصلاة والسلام بل كانت أمودجا مطوياً على فطرة سائر أفراد الجنس انحلوا إجماليا مستتباً لجرى أن آثارها على الكل فكان خلقه عليه الصلاة والسلام منها خلقاً لكل منها وقيل المعنى خلقنا أفعالكم من الطلعة المتولدة من الاغنية المتولدة من الأرض بوساطة وقيل إن الملك الموكل بالرسم يأخذ من تربة المكان الذي يدين فيه المولود فيدهش على النطفة فيخرج من التراب والنطفة (وفيها نبيكم) بالامانة وتفريق الاجراء وإثارة كل شيء على كفة للادلة على الاستقرار المديد فيها (ومننا نخرجكم تارة أخرى) بتأليف أجزائكم لنفسه المختلفة بالاداء على الهيئة السابقة ورة الارواح اليها وكون هذا الإخراج تارة أخرى باعتبار أن خلقهم من الارض إخراج لهم منها وإن لم يكن على وجه التارة الثانية والثالثة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم أطلق على كل قلة واحدة من القلعات المتجسدة كما في المرة (وأند أرباباً) حكاية إجمالية لما جرى بين موسى عليه الصلاة والسلام وبين فرعون أثر حكاية ما ذكره عليه الصلاة والسلام بحالات حياته الدائمة إلى قبول الحق والاعتقاده وتصديرها بالقسم لإيرادها إلى العناية بتصورها وإسناد الارواح إلى نون العظيمة نظراً إلى الحيلة لا إلى موسى نظراً إلى الظاهر لئلا يدل أمر الآيات وتخصيص شأنها وإظهار كمال شناعة المعنى وتضاد في المكارمة والعداوة أي وباقه لقد هربنا فرعون أو عرفناه (آياتنا) حين قال موسى عليه الصلاة والسلام إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فالذي عصاه فإذا هي نيران بين يديه فإذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونها اثنتين باعتبار ما في تضاعفها من بدائع الامور التي كل منها آية فيقوم يعقلون حسناً بين في تفسير قوله تعالى اذهب أنت وأخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون أمور أخرى كل واحد منها دليلاً دعياً فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما أقامها انقلبت نيراناً أشعر فأفرغاه بين يديه ثمانون ذراعاً وضع عليه الاسفل على الأرض والأعلى على سور القصر وتوجه نحو فرعون فحرب وأحدث وانهمز الناس مزدهجين فأت منهم نحو عشرين ألفاً من قومه فصاح فرعون ياموسى أنت ذلك الذى أرسلك لا أخذته فأخذه فماد عصا وروى أنها انقلب حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجلت تقول ياموسى مرق بما شئت ويقول فرعون أنت ذلك الخويزع يده من جبهه فاذا هي بيضاء يا صانعاً نورانياً خارجاً عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة نعيماً من أمره في تضاعف كل من الآيتين آيات جمة لكنها كانت غير مذكورة صراحة أكدت بقوله تعالى (كلها) كانه قيل أرباباً آيتين يصح مستتبهما وتفاصيلها قصداً إلى بيان أنه لم يبق له في ذلك عذراً ولا ماسع لعدم بقية الآيات التسع منها لما أنها إنما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا رب في أن أمر السحرة متركب بعد وأبعد من ذلك أن يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم إلى الاعمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبني اسرائيل من تق الجبل والحجر سواء أريد به الحجر الذي فرثوه أو الذى انفجرت منه العيون وكذا أن يعد منها الآيات الظاهرة على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على أن حكاية عليه الصلاة والسلام إياها لفرعون في حكم إظهارها بين يديه وإرأته إياها لاستحالة الكذب عليه عليه الصلاة والسلام فان حكاية عليه الصلاة والسلام إياها لفرعون بما لم

يجر ذكره ههنا على أن ما ساقى من حمل ما أظهره عليه الصلاة والسلام على السحر والتصدى للعاصفة بالمثل بإياه إياه يتنازع وينطق بأن المراد بها ما ذكرناه قطعاً ولولا ذلك لجاز جعل ما فصله عليه الصلاة والسلام من أفعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية وأحكامها من جملة الآيات (فكذب) موسى عليه الصلاة والسلام من غير تردد وتأخر مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جعوداً وعتاداً (وأنى) الايمان والطاعة لاهوته واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعاً وأنى أن يقل شيئاً منها أو أنى قبول الحق وقوله تعالى (قال أجتنا لنخرجنا من أرضنا بسحر ك يا موسى) استئناف ذب عن تكذيبه وأباهة والهمزة لانكار الواقع واستفحاح وادعاء أنه أمر حال والمجيء اما على حقيقة أو بمعنى الإقبال على الأمر والتصدى له أي أجتنا من مكانك الذى كنت فيه بعد ما غبت عنا أو أقبلت علينا لنخرجنا من مصر بما أظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال والمحاولة محل قومه على ما لمقت لموسى عليه الصلاة والسلام باراً أن مراده عليه الصلاة والسلام ليس بخبر الجماعى إسرائيل من أجهلهم بل إخراج القطع من وطنهم وحياة أموالهم وأملهم بالكلية حتى لا يتوجه إلى اتباعه أحد وبالفواقي المدافعة والمخاصمة وسعى ما أظهره عليه الصلاة والسلام من المعجزة الباهرة سحراً لتصيرهم على المقابلة ثم ادعى أنه يعارضه بمثل ما أتى به عليه الصلاة والسلام فقال (فلأنقيلك بسحر مثله) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فواقعك لتأتلك بسحر مثله سحر ك (ما جعل بيننا وبينك موعداً) أي وعداً كما بينى عنه وصفه قوله تعالى (لا تخلفه) فانه المناسب للمكان والزمان أي لا تخلف ذلك الوعد (نحن ولا أنت) وأما فرض الملأ أمر الوعد إلى موسى عليه الصلاة والسلام للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال وإظهار الجملادة وإرأته أنه متمكن من نيته أسباب المعارضة وترتيب آلات المقابلة طلال الأمد أم قصر كان أن تقديم حقيقه على ضمير موسى عليه الصلاة والسلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للإدخال بمسارعة إلى عدم الاختلاف وأن عدم اختلافه لا يوجب عدم اختلافه عليه الصلاة والسلام ولذلك أكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب (مكاناً سوى) بفعل يدل عليه المصدر لانه فانه موصوف أو بأنه يدل من موعداً على تقدير مكان مضاف إليه حيث تكون مطابقة الجواب في قوله تعالى (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ أو باختيار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول أو وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالتصريح هو ظاهر في أن المراد به المصدر ومعنى سوى متصفاً تستوي مسافته البنا واليك وهو في التعت كقولهم قوم عدى في الشدوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النور أو يوم عيد كان لهم في كل عام واما خصه عليه الصلاة والسلام بالتعيين لإظهار كمال قوته وكونه على ثقة من أمره وعدم ميله إلى الهلاك في ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وذهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشع ذلك فيباين كل حاضر وباد (وأن يحشر الناس نضحى) عطف على يوم أو الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالباء على خطاب فرعون وبالياء على أن الضمير له على سنن الملوك أو لليوم (قولى فرعون) أي انصرف عن المجلس (جمع كيد) أي ما يكاد به من السحرة وأدواتهم (ثم أنى) أي الموعد ومعه ما جهم من كيد وفي كاذبة التراخي إيماء إلى أنه لم يسمع إليه بل أنه بعد لآى وتعلم وقوله تعالى (قال لهم موسى) الخ بطريق الاستئناف المبني على السؤال يقضى بأن المترقب من أحواله عليه الصلاة والسلام حيثئذ والاحتجاج إلى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الكلام وأما إتيانه أو لا فأمر محقق غنى عن التصريح به كأنه قيل فلماذا صنع موسى

عليه الصلاة والسلام عند آتيان فرعون بمن جمعه من السحرة قبل قال لهم بطريق النصيحة (ولم يكن لانتقروا على الله كتباً) بأن تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحرائكم فعل فرعون (فيسحركم) أي يستأصلكم بسيده (بمذابح) هائل لا يضاد قدره وقرى: يستحكم من السحرة على لغة أهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ويجد (وقد غاب من افتري) أي على الله كائن ما كان بأي وجه كان فيدخل فيه الاعتراض المهيته دخولا أوليا أو وقد غاب فرعون المقتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجللة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله (فتنازعوا) أي السحرة حين سمعوا كلامه عليه الصلاة والسلام كان ذلك غاظهم فتنازعوا (أمرهم) الذي أريد منهم من مغالته عليه الصلاة والسلام وتشاوروا وتناظروا (بينهم) في كيفية المعارضة وتخاذلوا أهداب القول في ذلك (وأمر النجوى) أي من موسى عليه الصلاة والسلام لئلا يقف عليه فيدفعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى (قالوا) أي بطريق التاجي والاسرار (أن هذان لساحران) الخ فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلصا من استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من أن قد أهملت عن العمل واللام فارقة وقرى: بتشديد نون هذان وقيل هي نافية واللام بمعنى إلا أي ما هذان إلا ساحران وقرى: أن بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلخاثر بن كعب فانهم يعربون الشية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المخدوف وهذان لساحران خبرها وقيل أن بمعنى هم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيها أن اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل أصله أنه هذان لما ساحران مخففة الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق بالمخفف وقرى: أن هذين لساحران وهي قراءة واضحة (يريدان أن يخرجنا من أرض مصر بالاستيلاء عليها) (بسحرهما) الذي أظهره من قبل (ويذهبا بطريقكم المثل) أي مذهبه الذي هو أفضل المذاهب وأمثلا بأظهار مذهبيهما وإعلانهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لأطريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه ديناً وقيل أرادوا أهل طريقكم وهم بنو إسرائيل لقول موسى عليه الصلاة والسلام أرسل معاني إسرائيل وكانوا أرباب علم فيما بينهم ويأباه أن يخرجهم من أرضهم إنما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني إسرائيل إلى الشام وحمل الإخراج على إخراج بني إسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله على أن هذه المقالة منهم للاغراء بالمغالبة والافتخار بالمناصفة فلا بد أن يكون الإنذار والتحذير بأشد المكاره وأشقها عليهم ولا ريب في أن إخراج بني إسرائيل من بينهم والمذهب بهم إلى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير عذور وقيل الطريقة اسم لوجه القوم وأشرافهم لما أنهم قدوة للغير ولا يخفى أن تخصيص الأذهاب بهم بما لا مزية فيه وقوله تعالى (فأجمعوا كيدكم) تصريح بالمطالِب اثر تمهيد المقدمات والفاء فضيحة أي إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الإخراج والأذهاب فأزعروا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وأمرنا عن قوس واحدة وقرى: فأجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى لجمع كيد أي فأجمعوا أدوات سحرهم ورتبوها كما ينبغي (ثم اتوا صفا) أي مصطفين أمروا بذلك لانه أهب في صدور الرأتين وأدخل في استجلالات الرهبة من المشاهدين قبل كانوا سبعين ألفا مع كل منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه أقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنا من القطب والباقي من بني إسرائيل وقيل تسعة وثلاثمائة من الفرس وثلاثمائة من الروم وثلاثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر ألفا وقيل بضمة ثلاثين ألفا والله أعلم ولعل الموعد كان مكانا متعاضدا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بما ذكر في قطر من أقصاه وتنازعوا أمرهم في قطر آخر منه ثم أمروا بأن يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فر الصنف بالصلي لاجتماع الناس فيه في الاعياد والصلوات

ووجه صحته أن يكون علما لموضع معين من المكان الموعود وأما إرادة مصل من المصليات بعد تعيين المكان الموعود فلا مسامح لها قطعاً وقوله تعالى (وقد أطلع اليوم من استعلى) اعتراض بتدليل من قبلهم مؤكداً لما قبله من الأمرين أي قد فاز بالمطالِب من غلب يريدون بالمطالِب ما وعدهم فرعون من الأجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمسلم المقربين ومن غلب أنفسهم جميعاً على طريقة قولهم بعزة فرعون أنا لنحن الغالبون أو من غلب منهم حثا لم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب أطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم أن قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه الصلاة والسلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك أن قالوا أن غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم أن كان ساحرا فسنبليه وإن كان من الساء فله أمر فيكون أسرارهم حينئذ من فرعون ومثله ويحصل قولهم أن هذان لساحران الخ على أنهم اختلفوا فيما بينهم على الأقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت آراؤهم على ذلك وأبوا إلا المناصفة للمعارضة وأما جعل ضمير قالوا لفرعون ومثله على أنهم قالوا ذلك للسحرة ردالهم عن الاختلاف وأمرهم بالاجتماع والازماع وإظهار الجلادة بالآتيان على وجه الاصطفاف فمحل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم (قالوا) استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المناوأة كأنه قيل فإذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا (يا موسى) وإنما لم تعرض لاجتماعهم وآتيانهم بطريق الاصطفاف إشعاراً بظهور أمرهما وغناهما عن البيان (أما أن تلقى) أي ما تلقىه أولا على أن المفعول محذوف لظهوره أو تفعل الالتقاء أولا على أن الفعل منزل منزلة اللازم (وأما أن تكون أول من ألقى) ما يليقه أو أول من يفعل الالتقاء خيره عليه الصلاة والسلام بما ذكر مراعاة للادب لما رأوا منه عليه الصلاة والسلام ما رآوا من محال الخير ورواية الرأي وإظهار الجلادة بارادة أنه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وأن مع مافي حيزها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف أي اختاراك أولا أو ألقانا أو الأمر ما القاؤك أو القاؤنا (قال) استئناف كاسلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة إياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فإذا قال عليه الصلاة والسلام فقيل قال (بل ألقوا) أنتم أولا ومقابلة للادب بأحسن من أدبهم حيث ثبت القول بالقائهم أولا وإظهار العدم المبالة بسحرهم ومساعدته أو هو من الميل إلى البهـ وليبرز وأما معهم يستغروا أقصى جهدهم ويستفدوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم أن ما سيطر يده سيلقف ما يصنعون من مكاييد السحر (فإذا جالهم وعصيم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) الفاء فضيحة معربة عن سارعهم إلى الالتقاء كما في قوله تعالى قلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب أي فألحقوا فإذا جالهم وهي المفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجهه تصاف إليها لكنها خست بكون متعلقها فعل المفاجأة والجللة ابتداء والمعنى فألحقوا ففاجأهم موسى عليه الصلاة والسلام وقت أن يخيل إليه سعي جبالهم وعصيمهم من سحرهم وذلك أنهم كانوا ألقوا بالزئيق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيّل إليه أنها تتحرك وقرى: تخيل بالهاء على استناده إلى ضمير الحبال والعصى وإبدال أنها تسعى منه بدل اشتغال وقرى: تخيل باستناده إليه تعالى وقرى: تخيل بمحذف احدي الثامين من تخيل (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أي أضرع فيها بعض خوف من مفاجأته بتفتتي البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز من ضررها المتعاد من السمع ونحوه وقيل من أن يخاف الناس شك فلا يتبعوه وليس بذلك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمراعاة القواصل (قلنا لا تخف) أي ما توهمت (أنك أنت الأعلى) تعليل لما يوجهه النبي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبة على أبلغ وجه وآكده كما يرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق

وتكرر الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنفي عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل «وألقى ما في يمينك» أي عصاك كما وقع في سورة الأعراف وإنما أوتر الإبهام تويلا لآمرها وتفخفا لأشأنها وإذنا بأنها ليست من جنس العصي المعبودة المستعينة للأثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر أفراد الجنس مبهمة الكنهه مستعينة لأثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الأمر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا وحمل الإبهام على التحقير بأن يراد لاتبال بكثرة جبالهم وعصبيهم وألقى العويد الذي في يدك فإنه بقدرته الله تعالى يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمتها بأباه ظهور حالها فيها مر مرتين على أن ذلك المعنى إنما يليق بما لو فلتت العصا ما فلتت وهي على هيئتها الأصلية وقد كانت منها ما كان يلقف ما صنعوا «تلقف ما صنعوا» بالجزم جوابا للأمر من لقفه إذا ابتلعه والتقيه بسرعة والتأنيث ليكون ماعبرة عن العصا أي تلتقم ما صنعوه من الخيال والعصى التي خيل اليك سعيها وخضتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والإيذان بالقوية والتزوير وقرئ «تلقف بتقدير القاف واسقاط إحدى التائين من تلقف وقرئ بالرفع على الحال أو الاستئناف والجملة الأمرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجهه ببيان كيفية غلبته عليه الصلاة والسلام وعلوه فأن ابتلاع عصاه لا يابطيهم إلى منها أوجس في نفسه ما أوجس ما يلقط مادته بالسكية وهذا كما ترى صريح في أن خوفه عليه الصلاة والسلام لم يكن ما ذكر من خالجه الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه الصلاة والسلام والالعل بما يزيد من الوعد بما يوجب إيمانهم واتباعهم له عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى «إن ما صنعوا» الخ لتعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما موصول أو موصولة أي أن الذي صنعوه أو أن شيئا صنعوه «كيد ساحر» بالرفع على أنه خبر لأن أي كيد جنس الساحر وتكيره للتوصل به إلى تنكير ما أضيف إليه للتحقير وقرئ بالنصب على أنه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على أن الإضافة لليان كما في علم فقه أو على معنى ذى سحر أو على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى «ولا يفلح الساحر» أي هذا الجنس «حيث أتى» أي حيث كان وأين أقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشأن العصا وكونها معجزة الالهة مع ما في ذلك من تقوية التعليل للإيذان بظهور أمرها والفاء في قوله تعالى «فألقى السحرة سجدا» كما سلف فصيحة معربة عن محذوفين ينساق إليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالأمر واستحالة عدم وقوع التلقف الموعود أي فألقاه عليه السلام فوقع ماوقع من التلقف فألقى السحرة سجدا لما يتقوا أن ذلك ليس من باب السحر وإنما هي آية من آيات الله عز وجل روي أن رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فأين ما ألقيناه من الآلات فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع القادر العالم بظهور ذلك على يد موسى عليه الصلاة والسلام على حجة رسالته لا جرم ألقاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا وأتوا بما هو غاية الخضوع قبل لم يرفعوا رئيسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم أنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا الخ لأن كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم «قالوا» استئناف كما مر غير مرة «أما رب هرون وموسى» تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية القواصل وقد جوز أن يكون ترتيب كلامهم أيضا هكذا أما لكبر سن هرون عليه الصلاة والسلام وأما المبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون رعى موسى عليه الصلاة والسلام في صغره فلو قدموا موسى عليه الصلاة والسلام لم يمتهم بكونهم اللعين وقومه من أول الأمر أن مرادهم فرعون «قال» أي فرعون للسحرة «أمتهم له» أي لموسى عليه الصلاة والسلام واللام تضمنين الفعل معنى الاتباع وقرئ

على الاستفهام التويخي «قبل أن أذن لكم» أي من غير أن أذن لكم في الإيمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي لأن أذنه لم في ذلك واقع بعده أو متوقع «أنه» يعني موسى عليه الصلاة والسلام «لكبريكم» أي في فسك وأعلمكم به وأتذكركم «الذي علمكم السحر» فتواطأتم على ما فاتم أو فعلكم شيئا دون شيء فلذلك علمكم وهذه شبهة زورها اللعين وأقاما على قومه وأراهم أن أمر الإيمان منوط بأذنه فلما كان إيمانهم بغير أذنه لم يكن معتدا به وأنهم من تلامذته عليه الصلاة والسلام فلا عبرة بما أظهره كما لا عبرة بما أظهره وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الإيمان بالله تعالى ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال «فلا تقنن» أي فوالله لا تقنن «أيديكم وأرجلكم من خلاف» أي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو فان مبتدى من المبروض مبتدى من العارض أيضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية أي لا تقنننا مختلفات وتعين تلك الحال للإيذان بتحقيق الأمر وإيقاعه لاجلحة بتعيين كيفية المعبودة في باب السياسة لا إلهما أطلع من غيرها «ولا صلبكني جنوع النخل» أي عليها وإيتارطة في الدلالة على إبقائهم عليها زمانا مديدا تشبها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتغل عليه قالوا هو أول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئ بالتخفيف «ولتعلن أينا» يريد به نفسه وموسى عليه الصلاة والسلام لقوله أمتهم له قبل أن أذن لكم واللام مع الإيمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا اما قصد توضيح موسى عليه الصلاة والسلام والهمز به لأنه لم يكن من التعذيب في شيء وأما لإزالة أن إيمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة الاله ربنا بل كان عن خوف من قبل موسى عليه الصلاة والسلام حيث رأوا ابتلاع عصاه لجبالهم وعصبيهم تخافوا على أنفسهم أيضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى «أشد عذابا وأبقى» أي أدوم «قالوا» غير مكترئين بوعيده «لن نؤثر» لن نخشرك بالآيمان والاتباع «على ما جئنا» من الله على يد موسى عليه الصلاة والسلام «من البينات» من المعجزات الظاهرة فإن مآظير يده عليه الصلاة والسلام من العصا كان مشتغلا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فاتهم كانوا عارفين بجلالها ودقاتها «والذي فطرنا» أي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جئنا وتأخيره لأن ما في صفة آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وإبراده تعالى بعنوان فاطر يته تعالى لم للأشعار بعله الحكم فإن خالقيته تعالى لم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم إشارته له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله أمتهم له قبل أن أذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه أي وحق الذي فطرنا لا تؤثرك الخ ولا مساع كون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب أيضا لما أن القسم لا يجنب بلن الاعلى شذوذ وقوله تعالى «فألقض ما أنت قاض» جواب عن تهديده بقوله لا تقنن الخ أي فاضت ما أنت صانعه أو فاحكم ما أنت حاكم به وقوله تعالى «إنما تقضى هذه الحياة الدنيا» مع ما بعده لتعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الأمر بالقضاء أي إنما تصنع ما ترواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا بحسب ومالنا من رغبة في عذابها ولا رغبة من عذابها «أنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا» التي اقترفتنا فيها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا لئمتنا بتلك الحياة الفانية حتى تأثر بما أوعدنا به من القطع والصلب وقوله تعالى «وما أكرهنا عليه من السحر» عطف على خطايانا أي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه الصلاة والسلام بأكرهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية خصوه بالذكور مع اندراجهم في خطايائهم أظاهرا لغاية نقرتهم عنه ورغبتهم في مغفرتهم وذكر الأكره للإيذان بأنه مما يجب أن يفرد بالاستغفار منه مع صدور عنهم بالأكره وفيه نوع اعتذار

مستجاب المغفرة وقيل أرادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روى أن رؤسهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون أكرهم على تعلم السحر وقيل أنه أكرهم على المعارضة حيث روى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نأثمنا ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم أن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بكرة فرعون أنا لنحن الغالبون (والله خير) أى في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا (وأبى) أى جراً ثواباً كان أو عذاباً أو غير ثواباً وأبى عذاباً وقوله تعالى (انه) الى آخر الشريطين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيراً وأبى جزاء وتحقيق له وإبطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشأن للتنبيه على غفلة مضمونيها لأن مناط وضع الضمير موضع ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا الشأن مبهم له خطر فيقضي الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل ان الشأن الخطير هذا أى قوله تعالى (من يأت ربه مجرماً) بأن مات على الكفر والمعاصي (فإن له جهنم لا يموت فيها) فيتبدى عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه أبى (ولا يحيا) حياة يتنفع بها (ومن يأت مؤمناً) به تعالى وبما جاءه من عنده من المعجزات التي من جعلها ما شاهدناه (قد حمل الصالحات) الصالحة كالخسنة صارية تجري الاسم ولذلك لا تذكر غالباً مع الموصوف وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل (فأولئك) اشارة الى من واجتمع باعتبار معانيها كما أن الأفراد في الضلن السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجاتهم وبعد منزلتهم أى فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات (لهم) بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة (الدرجات العلى) أى المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن العمل الصالح في استبعاد الثواب لأن ما ينط بالإيمان المقرون بالأعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقاً وهل التشاجر الآفیه (جنت عدن) يدل من الدرجات العلى أو يان وقد مر أن عدنا علمى الإقامة أو لأرض الجنة فقوله تعالى (تجرى من تحتها الأنهار) حال من الجنات وقوله تعالى (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار أو الاشارة (وذلك) اشارة الى ما أتبع لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التخصيص (جزاء من تركى) أى تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى أبى وتقديم ذكر حال المجرم للسارعة الى بيان أشد عذابه ودوامه رداً على ما ادعاه فرعون بقوله أنا أشد عذاباً وأبى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس في القرآن أن فرعون فصل بأولئك المؤمنين ما أوعدهم به ولم يثبت في الأخبار (ولقد أوحينا الى موسى) حكاية اجمالية لما انتهى اليه أمر فرعون وقومه وقد طوى في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الأعراف وتصديرها بالقسم لا يراى كمال العناية بمضمونها وأن في قوله تعالى (أن أسر يعادى) اما مفسرة لأن الروحى فيه معنى القول أو مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباداً له تعالى لاظهار المرحمة والاعتناء بأمرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عبادة عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل أى وبالله لقد أوحينا اليه عليه الصلاة والسلام أن أسر بعبادى الذين أرسلتك لتقاذهم من ملوك فرعون أى سر بهم من مصر ليلاً (فاضرب لهم) أى فاجعل أو فاخذ لهم (طريقاً في البحر يباساً) أى يابساً على أنه مصدر وصف به الفاعل مبالة وقرئ ييبا وهو اما مخفف منه أو وصف كصوب أو جمع يابس كصحب

وصف به الواحد للبالغة أو لتعدد حسب تعدد الأسباط (لا تخاف دركا) حال من المأمور أى أننا من أن يدرككم العدو أو وصفه أخرى لطريقاً والمائد مخدوف وقرئ لا تخف جواباً للأمر (ولا تخشى) عطف على لا تخاف داخل في حكمه أى ولا تخشى الفرق وعلى قراءة الجزم استئناف أى وأنت لا تخشى أو عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفى الخوف المذكور للسارعة الى اراحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لم نركن (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى تبعهم ومعه جنوده حتى لحقهم يقال اتبعهم أى تبعهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقهم ويؤيده أنه قرئ فأتبعهم من الافعال وقيل المعنى أتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثانى وقيل الباء زائدة والمعنى فأتبعهم فرعون جنوده أى ساقهم خائفهم وأياً ما كان فالقاء فصحة معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وايداناً بكال مسارقة موسى عليه الصلاة والسلام الى الامثال بالأمر أى ففعل ما أمر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فأتبعهم فرعون بجنوده برأ وبحراً روى أن موسى عليه الصلاة والسلام خرج بهم أول الليل وكانوا اثنا عشر وسبعين ألفاً فآخبر فرعون بذلك فأتبعهم بمساركة وكانت مقدمته سبعائة ألف فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراسى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه الصلاة والسلام بعصاه البحر فانشق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه الصلاة والسلام بمن معه من الأسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده (فغشيهم من اليم ما غشيهم) أى غلام منه وغمرهم ما غمرهم من الأمر الهائل الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذلك فإن مدار التحويل والتفخيم خروجه عن حدود القوم والوصف لسماع قصته يرى فغشاهم من اليم ما غشاهم أى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وجل أو ما غشاهم وقيل فرعون لأنه الذى ورطهم بالهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى (وأضل فرعون قومه) أى سلك بهم سلكاً أدام الى الحية والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعباد الهائل الدينوى المتصل بالعذاب الخالد الأخرى وقوله تعالى (وما هدى) أى ما أرشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيده له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله وما أهديك الاسيل الرشاد فان نفي الهداية عن شخص مشعر بكونه عن تصور منه الهداية في الجلة وذلك إنما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالدينى منهما يأباه مقام بيان سوقه مجنوده الى مساق الهلاك الدينوى وجعلها عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم (يا بني اسرائيل) حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما أفاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما أفاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي عليه الصلاة والسلام على معنى أنه تعالى قد من عليهم بما فعل آبائهم اصالحهم بهم بما ورده ما ساقى من قوله تعالى وما أعملك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفاً على أوحينا أى وقلنا يا بني اسرائيل (قد أجبناكم من عدوكم) فرعون وقومه حيث كانوا يبنونكم القرائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نخبتكم ونجيتكم (وواعدناكم كجاب الطور الأمين) بالنصب على أنه صفة للضاف وقرئ بالجر للجوارى وواعدناكم بواحدة نبيكم آيات جانبه الايمن نظراً الى السالك من مصر الى الشام أى آياتان موسى عليه الصلاة والسلام والنجاة وازال التوراة عليه ونسبت المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه الصلاة والسلام نظراً الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايضا لمقام الامتان حقه كما في قوله تعالى واقصد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخلوقين مع أن المخلوق المصور بالثلاث هو آدم

بدل منه وقوله تعالى ﴿له خوار﴾ أي صرحت عجلت نعمته ﴿فقالوا﴾ أي السامري ومن افتتن به أول ما رآه ﴿هذا الحكم والله موسى ففسى﴾ أي غفل عنه وذهب بطله في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا إلى زيادة تقريرها ثم ترتيب الإنكار عليها لا من جهة القائلين والالتفات لأخبرج لنا والحل على أن عدوهم إلى ضمير الغيبة لبيان أن الإخراج والقول المذكورين للكل لا للعبدة فقط بخلاف الظاهر مع أنه غلغل باعتذارهم فإن مخالفة بعضهم السامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الإخراج والخطاب لهم بما يهون مخالفته للعتذرين فافتتانهم بعد ذلك أعظم جناية وأكثر شناعة وأما ما قيل من أن المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وأن نسبة الاختلاف إلى أنفسهم وهم برآء منه من قيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع أن القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاختلاف فيما بيننا بأمر كنا نملكه بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فأخرج لهم ما أخرج وقال ما قال فلم تقدر على صرفهم عن ذلك ولم تفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضى بفساده سياق النظم الكريم وسيأفقه وقوله تعالى ﴿أفلا يرون﴾ الخ إنكار وتصحيح من جهته تعالى الحال الضالين والمضلين جميعا وتصفية لهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذي لا يشبه بطلانه واستحالة على أحد وهو اتخاذ ما هو الفاعل للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألا يفكر هؤلاء فلا يعلمون ﴿أن لا يرجع إليهم قولا﴾ أي أنه لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون أنه العوقري يرجع بالنصب قالوا فالروية حينئذ بصرية فإن أن التائبة لا تقع بعد أفعال اليقين أي ألا ينظرون فلا يصرون عدم رجوع إليهم قولا من الأقوال وتعلق الابصار بما ذكر مع كونه أمرا عديا للثبته على حال ظهوره المستدعي لزيادة تشفيهم وترك عقوقهم وقوله تعالى ﴿ولا يملك لهم ضررا ولا نفعا﴾ عطف على لا يرجع داخل معه في الروية أي أفلا يرون أنه لا يقدر على أن يدفع عنهم ضررا أو يجلب لهم نفعاً أو لا يقدر على أن يضرمهم أم لا يعده أو ينفعهم أن يعده ﴿ولقد قال لهم هرون من قبل﴾ جملة قسمة مؤكدة لما قبلها من الإنكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصامهم على الرسول اثنيان مكابرتهم لقضية العقول أي والله لقد نصح لهم هرون ونبيهم على كنه الأمر من قبل رجوع موسى عليه السلام إليهم وخطابه إياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كآته عليه السلام أو ما أبصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الاقتان به فسارع إلى تحذيرهم وقال لهم ﴿يا قوم إنما فتنت به﴾ أي أوقعتم في الفتنة بالعجل أو أضلتم به على توجيه القصر المستفاد من كلة إنما إلى نفس الفعل بالقياس إلى مقابله الذي بدعه القوم لا إلى قيده المذكور بالقياس إلى قيد آخر على معنى إنما فعل بكم الفتنة لا الإرشاد إلى الحق لا على معنى إنما فتتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى ﴿وان ربكم الرحمن﴾ بكسر ان عطف على إنما إرشاد لهم إلى الحق إثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستأنهم إلى الحق كأن التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل أي أن ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى ﴿فاتبعوني﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين أي إذا كان الأمر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين وأطيعوا أمرى ﴿هذواتركوا عبادة ما عرفتم شأنه﴾ قالوا ﴿في جواب هرون عليه السلام﴾ ﴿لن نبرح عليه﴾ على العجل وعبادته ﴿عاكفين﴾ مقيمين ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾ جعلوا رجوعه عليه السلام إليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعلل والتوسيف وقد دسوا تحت ذلك أنه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة السامري روى أنهم لما قالوا اعزظهم هرون عليه السلام في اثني عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصباح وكانوا يرقصون حول العجل قال للبعبين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى ﴿قال﴾ استئناف

مبنى على سؤال نشأ من حكاية جوابهم هرون عليه السلام كآته قبل فسادا قال موسى لهم ورن عليهما السلام حين سمع جوابهم له وهل رضى بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو محتاط قد أخذ بحلته ورأسه ﴿يا هرون مامنك اذ رأيتم ضلوا﴾ بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة إلى أن شافوك تلك المقالة الشنعاء ﴿أن لا تتبعني﴾ أي أن تتبعني على أن لا يزيدوه وهو مفعول ثان لمتع وهو عامل في إذ أي شيء متعك حين رويتك لضلالهم من أن تتبعني في الغضب لله تعالى والمخالفة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على أن لا تتبعني فإن المتع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل مامنك أن تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك من جرعة لهم وفيه أن نصائح هرون عليه السلام حيث لم تجرهم عما كانوا عليه فلا تتركهم فمفارقتهم إياهم عنه أولى والاعتذار بانهم إذا علموا أنه بالحقه ويخبره بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فيزجروا عن ذلك بمعزل من حين القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه إلى حين رجوعه عليه السلام ﴿أفصيت أمرى﴾ أي بالصلاة في الدين والمخاطبة عليه فإن قوله له عليهما السلام اخلفني مضمّن للأمر بهما حتيا فإن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة الخليفة ما كان يشره المستخلف لو كان حاضرا والمهزلة للأنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألم تتبعني أو أخلفني فقصيت أمرى ﴿قال يا ابن أم﴾ خص الام بالإضافة استعظاما لحقها وترقيقا لقلبه لا لما قيل من أنه كان أخاه لام فإن الجهر رعى انهما كانا شقيقين ﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ أي ولا يشعر رأسي روى أنه عليه السلام أخذ شعر رأسه بيمنته ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا متصليا في كل شيء فلم يتألك حين رآهم بعددون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى ﴿انني خشيت﴾ الخ استئناف سبق لتعليل موجب النسي ببيان الداعي إلى ترك المقاتلة وتحقيق أنه غير عاص لا مراه بل مثل به أي إلى خشيت لوقالت بعضهم بعض وتفاؤوا وقرقروا ﴿أن تقول فرقت بين نبي اسرائيل﴾ برأيك مع كونهم أبناء واحد كما ينبغي عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه وأراد عليه السلام بالتفريق ما يستدعيه القتال من التفريق الذي لا يرجي بعده الاجتماع ﴿ولم ترقب قولي﴾ يريد به قوله عليه السلام اخلفني في قومي وأصلح الخ يعني اني رأيت أن الإصلاح في حفظ الدهم والمداواة معهم إلى أن ترجع إليهم فلذلك استأنيتك لتكون أنت المتدارك للأمر حسبا رأيت لاسما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴿قال﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باستناد الفساد إلى السامري واعتذار هرون عليه السلام كآته قبل فسادا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار أصل الفتنة على السامري فقيل قال موثقاله هذا شأنهم ﴿فما خطبك يا سامري﴾ أي ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيدته باعتزافه ويفعل به وبما صنعت من العقاب ما يكون نكالا للفتنيتين به ولين خلفهم من الأمم ﴿قال﴾ أي السامري يجيبا له عليه السلام ﴿بصرت بما لم يصروا به﴾ بضم الصاد فيها وقرى بكسرها في الأول وفتحها في الثاني وقرى بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه أي علمت ما لم يعلم القوم وفطنت لما لم يفطنوا له أو رأيت ما لم يروه وهو الانسب بما سألني من قوله وكذلك سولت لي نفسي لاسيا على القراءة بالخطاب فإن ادعاء علم عالم يعلمه موسى عليه السلام جرأة عظيمة لالتحاق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية عالم يره عليه السلام فإنها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى أن جبريل عليه السلام جاءه راكب فوس كان كلما رفع الفرس بيديه أو رجليه على الطريق ليس يخرج من تحت النيات في الحال فعرف أن له شأنًا فأخذ من موطنه حفة وذلك قوله تعالى ﴿فقبضت قبضة من

أثر الرسول ﴿وقرى﴾ من أثر فريس الرسول أى من تربة موطن فريس الملك الذى أرسل اليك ليذهب بك إلى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تأكيداً لمصدر به مقالته والتنبية على وقت أخذ ما أخذه والقبضة المرة من القبض أطلقت على المقبوض مرة وقرى بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرى فقصت قصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني بأطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم ﴿فتبنتها﴾ أى فى الخلى المذاق فكان ما كان ﴿وكذلك سولت نفسى﴾ أى ما فعلته من القبض والتبذير قوله تعالى ذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده وجعل كذلك فى الأصل النصب على أنه مصدر تشبيه أى نعمت لمصدر محذوف والتقدير سولت نفسى تسويلاً كأنما مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحقة لإفادة تأكيد ما أفاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتاً أى ذلك التزيين الديق زينت لى نفسى ما فعلته لا تزييناً أدنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه أن ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغواها لا بشئ آخر من البرهان العقلي أو الالهام الالهى فعند ذلك ﴿قال﴾ عليه السلام ﴿فأذهب﴾ أى من بين الناس وقوله تعالى ﴿فإن لك فى الحياة﴾ الخ تعليل لموجب الامر وفى متعلقة بالاستقرار فى ذلك أى ثابت لك فى الحياة أو بمحذوف وقع حالاً من السكاف والعامل معنى الاستقرار فى الطرف المذكور لاعتقاده على ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى ﴿أن تقول لا ماساس﴾ لمكان أن أى ثابت لك كأنما فى الحياة أى مدتها تأنك أن تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطراب الملقى اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عظام لا يكاد يس أحد أو بمس أحد كأنما من كان الاحسان ما عتته من شديدة فحلم الناس وتعاموا وكان يصيح بأقصى طوقه لا ماساس وحرهم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكاملته ومبايعته وغيرهما يعقداً جراً بانهما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس أوحش من القتال الاجابى الى الحرم ومن الوحش النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرى لا ماساس كفجاء وهو علم للسهة ولعل السر فى مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما أنشأ الفتنة بما كانت ملازمة سبباً لحياة الموات عوقب بما يصاده حيث جعلت ملازمة سبباً للحى التى هى من أسباب موت الاحياء ﴿وان لك موعداً﴾ أى فى الآخرة ﴿إن تخلفه﴾ أى لن تخلفك الله ذلك الوعد بل بنجزه لك البتة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرى بكسر اللام والافتح أنه من أخلفك الموعد أى وجده خلفاً وقرى بالتون على حكاً بقوله عز وجل ﴿وانظر الى الهك الذى ظلت عليه كافاً﴾ أى ظلت مصفاً على عبادته فخذت اللام الأولى تخفيفاً وقرى بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها ﴿لنحرقه﴾ جواب قسم محذوف أى بالنار ويؤيده قرآنه لنحرقه من الاحراق وقيل بالمبرد على أنه مبالغ فى حرق اذا برد بالمبرد وبعضه قرآنه لنحرقه ﴿ثم لننصفه﴾ أى لنذريته وقرى بضم السين ﴿فى اليوم﴾ رماذا أو مبروداً كأنه هباً ﴿نفساً﴾ بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حيث كاد يشهد به الأمر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيهاً على كمال ظهوره واستحالة الخلف فى وعده المؤكد باليمين ﴿انما الحكم الله﴾ استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلويح الخطاب وتوجيه الى الكل أى انما معبودكم المستحق للعبادة الله ﴿الذى لا اله الا هو﴾ فى الوجود لشيء من الأشياء ﴿الا هو﴾ وحده من غير أن يشاركه شئ من الأشياء بوجه من الوجوه التى من جعلتها أحكام الالهية وقرى الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى ﴿وسع كل شئ علماً﴾ أى وسع عليه كل ما من شأنه أن يعلم بكل من الصلة كأنه قيل انما الحكم الله الذى وسع كل شئ علماً لا غيره كأنما كان فيدخل فيه العجل دخولا أولياً وقرى وسع بالتشديد فيكون انتصاب علماً

على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة ونقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولاً أول كأنه قيل وسع عليه كل شئ وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير أمر التوحيد حسياً نطقه به خاتمته وقوله تعالى ﴿كذلك نقص عليك﴾ كلام مستأنف خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام بطريق الوعد الجليل بنزول أمثال ما مر من أنباء الأمم السابقة وذلك إشارة الى اقتصار حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد اللائذان بماورقته وبعد منزلته فى الفضل ومحل السكاف النصب على أنه نعمت لمصدر مقدراً أى نقص عليك ﴿من أنباء ما قد سبق﴾ من الحوادث الماضية الجارية على الأمم الحالية قصاً مثل ذلك القص المسار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن فى قوله تعالى من أنباء فى حيز النصب أما على أنه مفعول نقص باعتبار مضمره وما على أنه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما فى قوله تعالى وما دون ذلك أى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض أنباء ما قد سبق أو بعضها كأنما من أنباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتأخيرها عن عليك لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر أى مثل ذلك القص الديق الذى سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لاقصافاً عنه تبصرة لك وتوفيراً لعلبك وتذكيراً للمعجزاتك وتذكيراً للمستبصرين من أمثك ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ أى كتاباً منظوماً على هذه الأقسام والاعجاز حقيقة بالتفكير والاعتبار وكلامه من متعلقة بآيتناك وتذكير ذكر التفتيح وتأخيرها عن الجار والمجرور لما أن مرجع الافادة فى الجملة كون المؤخر من لدنه تعالى ذكراً عظيماً وقرآناً كريماً جامعاً لكل كمال لا كون ذلك الذى مر مؤخر من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقدم به يذهب بروق النظم الكريم ﴿من أعرض عنه﴾ عن ذلك الذكر العظيم الشأن المستمع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن أما شرطية أو موصولة وأياً ما كانت فالجمله صفة لذكر ﴿فانه﴾ أى المعرض عنه ﴿بجمل يوم القيامة وزراً﴾ أى عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزراً لانتسابها فى ثقلها على المعاقب وصعوبتها واحتلالها بالخل الذى يفسد الحامل وينقص ظهريه أو لأنما جزاء الوزر وهو الائتم والاول هو الانسب بما سبأ من تسميتها حلاً وقوله تعالى ﴿خالدين فيه﴾ أى فى الوزر أو فى احتلاله المستمر حال من المستكن فى يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما أن الخلود فى النار بما يتحقق حال اجتماع أهلها كما أن الافراد فيها سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر الى لفظها ﴿وساء لهم يوم القيامة حمل﴾ أى نفس لهم فيه ضمير مبهم يفسره حملاً والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملاً وزرهم واللام للبيان كما فى هيت لك كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فأجيب لهم وإعادة يوم القيامة لإفادة التقرير وتحويل الأمر ﴿يوم ينفع فى الصور﴾ بدل من يوم القيامة أو منصوب باختيار اذكر أو ظرف لمضمر قد حذف اللائذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسب ما مر فى تفسير قوله تعالى يوم يصع الله الرسل وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً وقرى تنفع بالتون على استناد النفع الى الأمر به تعظيماً وباليه المفتوحة على أن ضميره الله عز وجل أو لاسرافيل عليه السلام وإن لم يجر ذكره لتبهرته ﴿ونحشر الجرمين يومئذ﴾ أى يوم اذ ينفع فى الصور وذكره صريحاً مع تعيين أن الحشر لا يكون الا يومئذ للتحويل وقرى ونحشر الجرمين المحرمون ﴿زرراً﴾ أى حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود الكبد وأصب السبال وأزرق العين أو عيلاً لان حدة الاعى زرق وقوله تعالى ﴿يتخافتون بينهم﴾ أى يخفون أصواتهم ويخفون لها ملاماً صدورهم من الرعب والهلول استئناف بيان ما باتون وما يذون حينئذ أو حال أخرى من الجرمين أى يقول بعضهم

لبعض بطريق المخافة ﴿ان لبثتم﴾ أي ما لبثتم في الدنيا ﴿الا عشرين﴾ أي عشر ليال استقصار المدة لبثهم فيها لو حالوا ولا استطاعتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وأيقنوا أنهم استحقوها على إصاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات أو في القبر وهو الأنسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدون من قبيل المحالات لا يتألمون من أن يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر إلا مدة يسيرة والا فالحال أقطع من أن تمكنهم من الاشتغال بتذكر أيام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ وهو مدة لبثهم ﴿اذ يقولون أثناهم طريفة﴾ أي أعد لهم رأيا أو عملا ﴿ان لبثتم الا يوما﴾ ونسبة هذا القول إلى أمثالهم استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق بل لكونه أدل على شدته لطلوع ﴿ويساؤلك عن الجبال﴾ أي عن مال أمرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركومكة على طريق الاستهزاء ﴿نقل ينسفها ربي نسفا﴾ أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح ففجرها ولفها للسرعة إلى الزمان السابقين ﴿فيذرهما واضيرا﴾ أي يضرهما لاجبال باعتبار أجزائها السائلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها أي فيذرهما انبسطا منها وسواي سطحة سطوح سائر أجزاء الأرض بعد نسف ما منها ونشروا وما للأرض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل ﴿فأعاصفصفا﴾ لان الجبال اذا سويت وجعل سطوحها مساويا لسطوح سائر أجزاء الأرض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قبل السبل وقيل المتكشف من الأرض وقيل المستوى الصاب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصنفان الأرض المنوية للمساكن كان أجزاءه صف واحد من كل جهة وانصب فاعا على الحالة من الضمير المتعصب أو هو مقول ان ليدل على تقسيم معنى التصيير وحصفا اما حال ثانية أو بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى ﴿لا ترى فيها﴾ أي في مقام الجبال أو في الأرض على ما مر من التفصيل ﴿عوجا﴾ بكسر العين أي عوجا ما كأنه لغاية خفاته من قبيل ما في المعاني أي لا تدركه تأملت بالمقاييس الهندسية ﴿ولا أماتا﴾ أي تنو يسير استئناف معين لكيفية ما سبق من القاع الصنفين أو حال أخرى أوصفة لقاعا والحطاب لكل أحد من تنافى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل بتقديمه بتجاوب أطراف النظر الكريم ﴿يومئذ﴾ أي يوم اذ نسفت الجبال على أمثاله اليوم إلى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى ﴿يبدعون الداعي﴾ وقيل بدل من يوم القيامة وليس بذلك أي يقع الناس داعي الله عز وجل إلى الحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام النخرة والواصلات المتفرقة واللحوم المتفرقة قومي إلى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب إلى صوبه ﴿لا عوج له﴾ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه ﴿وخضعت الأصوات للرحمن﴾ أي خضعت لهيبته ﴿فلا تسمع الا همسا﴾ أي صرنا خفيا ومنه الغميس لصوت أخفاف الابل وقد فسر همس بخفق أقدامهم ونقلها إلى الحشر ﴿يومئذ﴾ أي يوم اذ يقع ما ذكر من الأمور العاتلة ﴿لا تنفع الشفاعة﴾ من الشفعا أحدا ﴿الا من أذن له الرحمن﴾ أن يشفع له ﴿ورضى له قولا﴾ أي ورضى لاجله قول الشافع في شأنه أو رضى قوله لاجله وفي شأنه وأما من عداه فلا تكاد تنفعه وإن فرض صدورهما عن الشفعا المتصددين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فلا استثناء كما ترى من أهم المغايل وأما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع لغيره كما يجوزوه فلا سبيل إليه لما أن حكم الشفاعة من لم يؤذن له أن لا يملكها ولا تصدري عنه أصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا

من اتخذ عند الرحمن عهدا قوله تعالى ولا يشفعون الا ان ارتضى فالأخبار عنها مجرد عدم نفعها للشفوع لربما يوم إمكان صدورها عن من لم يؤذن له مع اختلافه بقتضى مقام تبويل اليوم وأما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فعناد عدم الإذن في الشفاعة لعدم قبولها بعد وقوعها ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي ما تقدمهم من الأحوال وقيل من أمر الدنيا وما خلفهم ﴿وما بعدهم﴾ مما يستقبلونه وقيل من أمر الآخرة ﴿ولا يحطون به علما﴾ أي لا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته أي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جعلها العلم الشامل وقيل الضمير لاخذ الموصولين أو لمجدوهم فانهم لا يعدون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾ أي ذلك وخضعت خضوع العاة أي الأسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى ﴿وقد خاب من حمل ظلما﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر من أشرك بالله ولم يقب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم أو اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مقينة عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالملعى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ الخ قسم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كأنه كذلك على الوجه الأول أي ومن يعمل بعض الصالحات أو بعضا من الصالحات على أحد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من أنبا ما قد سبق ﴿وهو مؤمن﴾ فإن الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات ﴿فلا يخاف ظلما﴾ أي منع ثواب مستحق بموجب الوعد ﴿ولا هضميا﴾ ولا كسرا منه ينقص أولا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافها وقرئ فلا يخاف على النبي ﴿وكذلك﴾ عطف على لذلك نقص وذلك إشارة إلى انزال ماسبق من الآيات المنصبة للوعد المبنية على عاسيق من أحوال القيامة وأهوالها أي مثل ذلك الانزال ﴿أنزلناه﴾ أي القرآن كله واضارده من غير سيق ذكره للإيدان بنباهة شأنه وكونه مركزا في العقول حاضرا في الأذهان ﴿قرآنا عربيا﴾ ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من نظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خالق القوى والقدرة ﴿وصرفا فيه من الوعد﴾ أي كرنا فيه بعض الوعد أو بعضا من الوعد حسبا أشير إليه آنفا ﴿لعلهم يتقون﴾ أي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل ﴿أو يحدث لهم ذكرا﴾ اتعاظا واعتبارا مؤدبا بالآخرة إلى الاتقاء ﴿فتملى الله﴾ استعظام له تعالى ولغوؤه التي يصرف عليها عبادة من الأوامر والتواهي والوعد والوعيد وغير ذلك أي ارتفع بذاته وتنزه عن مائته المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وأحواله ﴿الملك﴾ النافذ أمره ونهيه الحقيقي بأن يرحى وعده ويحصى وعيده ﴿الحق﴾ في ملكوته وألوهيته لذاته وألوانه في ذاته وصفاته ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك﴾ أي يتم ﴿وحيه﴾ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقى إليه جبريل عليه السلام الوحي يلقه عند تلفظ كل حرف على لغة لكال اعتنا به بالتلقي والحفظ فنهى عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما أتت استقرار الالفاظ في الأذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن معانيها ما بعدهما وأمر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقليل ﴿وقل﴾ أي في نفسك ﴿رب زدني علما﴾ أي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل إلى طلبك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان محلا قبل أن يأتي بيانه وليس بذلك فان تبليغ الجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في محنته ومشروعيته ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير ماسبق من تضرير الوعد في القرآن وبيان أن أساس بني آدم على العصيان وعرة راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعد في قوله تعالى كذلك نقص عليك من أنبا ما قد سبق يقال عهد إليه الملك وعزم عليه وأوعز إليه وتقدم إليه إذا أمره

وصاد والمعبود محذوف بدل عليه ما بعد واللام جواب قسم محذوف أى وأقسم أو بالله أو وثالثه لقد أمرناه
 وصيانه (من قبل) أى من قبل هذا الزمان (فنى) أى العهد ولم يستمر به حتى غفل عنه وتركه ترك المنسى عنه وقرئ
 فنى أى نساء الشيطان (ولم نجد له عزما) تصحيح رأى وثبات قدم فى الأمور إذ لو كان كذلك لما أزاله الشيطان
 ولما استطاع أن يغيره وقد كان ذلك منه عليه السلام فى بدء أمره من قبل أن يجرب الأمور ويتولى حارها وقارها
 ويدوق شربها وأربها من النبي عليه الصلاة والسلام لو وزنت أجلام بنى آدم بحلم آدم لرجع حليه وقد قال الله تعالى
 ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فإنه أخطأ ولم يعتمد وقوله تعالى ولم نجد أن كان من الوجود العلى فله عزما مفعولا
 قدم الثانى على الاول لكونه ظرفا وأن كان من الوجود المقابل لعدم وهو الانسب لأن مصب الفائدة هو المفعول وليس
 فى الاخبار يكون العزم المدوم له مزيد منية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
 الى المؤخر أو محذوف هو حال من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة
 اسجدوا لآدم) شروع فى بيان المهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر
 خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام أى واذكر وقت قولنا لم وتعلق الذى ذكر الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع
 فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة فى إيجاب ذكرها فإن الوقت مشتمل على تفاصيل الأمور الواقعة فيه فالأمر بذكره
 أمر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على أعيان الحوادث فإذا ذكر صارت الحوادث
 كأنها موجودة فى ذهن المخاطب بوجوداتها العينية أى اذكر ما وقع فى ذلك الوقت مناهضة حتى يتبين لك نسيانه وفقدان
 عزمه (فسجدوا لآدم) قد سبق الكلام فيه مرارا (أبى) جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار
 بعدم سجوده كأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل أبى واستكبر ومفعول أبى إما محذوف أى أبى السجدة دكا فى قوله تعالى أبى
 أن يكون مع الساجدين أو غير منوى رأسا يتنزه عن منزلة اللازم أى فعل الآباء وأظهره (فقلنا) عقيب ذلك اعتناء بنصحه
 (يا آدم ان هذا) الذى رأيت مفعول (عدوك وازوجك فلا يخرجك) أى لا يكون سببا لآخر اجبك (من الجنة)
 والمراد بهما عن أن يكونا بحيث ينسب الشيطان الى آخر اجبهما منها بالطريق البرهاني كافى قولك لا أرىك ههنا والقاء
 لترتيب موجب النهى على عداوته لها أو على الاخبار بها (فتشقى) جواب للنبى واستناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق
 الإخراج الموجبه لهما معا لاصلا فى الامور واستاناز مشقاته لشقائهما مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء
 التعب فى تحصيل مبادئ المعاش وذلك من وظائف الرجال (ان لك أن لا تجمع فيها ولا تعمى وأنت لا تعلم فيها
 ولا تفطن) تعليل لما يوجب النهى فإن اجتماع أسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة فى الاهتمام بتحصيل مبادئ
 البقاء فيها والجد فى الاتيان عما يؤدى الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بأن له عليه السلام فيها تنجها بفنون النعم
 من المأكل والمشرب وتنمنا بأصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع أن فيه من الترفيع فى البقاء فيها ما لا يخفى
 الى ما ذكر من نفى نقائصها التى هى الجوع والعطش والعري والضحى لتذكير تلك الأمور المنكرة والتنبه على ما فيها
 من أنواع الشقوة التى حفره عنها ليلالغ فى التحاى عن السبب المؤدى اليها على أن الترفيع قد حصل بما سوغ لهن المتع
 بجميع ما فيها سوى ما استثنى من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغدا حيث
 شئتما وقد طوى ذكره ههنا كخفاء بما ذكر فى موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترفيع المختصم للترهيب ومعنى أن
 لا تجمع فيها الخ لا لأصعبه شئ من الأمور الأربعة أصلا فإن الشبع والرئ والكسوة ولكن قد تحصل بعد عرض
 أضعافها بعوار الطعام والشراب واللباس والمساكن وليس الأمر فيها كذلك بل كل ما وقع فيها شهوة وميل الى شئ

من الأمور المذكورة تمتع به من غير أن يصل الى حد الضرورة ووجه إفراذه عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفضل
 الظما عن الجوع فى الذكر مع تجانسهما وتقاربهما فى الذكر عادة وكذا حال العرى والضحو المتجانسين لتوقية مقام
 الامتنان حقه بالإشارة الى أن نفي كل واحد من تلك الأمور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظما لربما توهم أن
 نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال فى الجمع بين العرى والضحو على مناهج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على أن نفي
 كل واحد من الأمور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لأن نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والنبعية
 لنفي بعض آخر على يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ أنك بالكسر والجهور على الفتح بالعطف على أن لا
 تجوع ومخفف وقوع الجملة المصدرة بأن المفتوحة اسمها للسكورة المشاركة لها فى إفادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما
 أن المخذور اجتماع حرفى التحقيق فى مادة واحدة لا يرب فيه لاختلاف مناطق التحقيق فى بابي حينما يختلف مالمو
 وقعت خبرا لها فان اتحاد المناطق حيث تدما لا يرب فيه يانه أن كل واحدة من المسكورة والمفتوحة موضوعا لتحقيق
 مضمون الجملة الخبرية المتعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى أن مرجع خبرها ما فيها من الحكم الإيجافى والسلبى وأن مناطق
 ذلك الحكم خبرها لا اسمها فدل ذلك على أنها لا تثبت خبرها لا اسمها لا تثبت اسمها فى نفسه فاللازم من وقوع
 الجملة المصدرة بالمفتوحة اسمها للسكورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر وأما تحقيق ثبوتها فى
 نفسها فهو مدلول المفتوحة حتى ظلم يلزم اجتماع حرفى التحقيق فى مادة واحدة قطعاً وانما لم يجوزوا أن يقال ان
 أن زيدا قائم حق مع اختلاف المناطق بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي أن زيدا قائم للتجافى عن
 صورة الاجتماع والواو العاطفة وإن كانت نائية عن المسكورة التى يتنع دخولها على المفتوحة بلافصل وقائمة مقامها
 فى انقضاء معناها وإجراء أحكامها على مدلولها لكنها حيث لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق لم يلزم من دخولها على
 المفتوحة اجتماع حرفى التحقيق أصلاً فلعنى أن لك عدم الجوع وعدم العرى وعدم الظما خلا لهما لم يقتصر على بيان
 أن الثابت له عليه السلام عدم الظما والضحو مطلقاً كما فصل مثله فى المعطوف عليه بل قصد بيان أن الثابت له
 عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدرى المخفض أن المفيدة له كأنه قيل ان لك فيها عدم ظمك
 على التحقيق (فوسوس اليه الشيطان) أى أنهى اليه وسوسته أو أمرها اليه (قال) أما بدل من وسوس
 أو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ منه كأنه قيل فإذا قال فى وسوسته فقيل قال (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد)
 أى شجرة من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكاً لقوله تعالى إلا أن تكونا ملكين
 أو تكونا من الخالدين (ولهك لا يلبى) أى لا يزول ولا يمتل بوجه من الوجوه (فأكل منها فبدت لهما سوءاتهما)
 قال ابن عباس رضى الله عنهما عريا عن الثور الذى كان الله تعالى ألبسهما حتى بدت فروجهما (وطلفا يخضفان عليهما
 من ورق الجنة) قد مر تفسيره فى سورة الأعراف (وعصى آدم ربه) بما ذكر من أكل الشجرة (فتنوى) ضل
 عن مطلوبه الذى هو الخلود أو عن المأمورية أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فتوى من غوى الفصل إذا
 اغتم من اللان وفى وصفه عليه السلام بالصبيان والقواية مع صغر رلته تعظيم لها وزجر ببلغ الاولاد عن أمثالها (ثم
 اجتباها ربه) أى اصطفاها وقر به اليه بالحل على التوبة والتوفيق لها من اجتنى الثمرى بمعنى جباة نفسه أى جمعه كقولك
 اجتمعت أو من جبي الى كذا فاجتبهه مثل جلبت على العروس فاجتبتها وأصل الكلمة الجمع وفى الترض لعنوان
 الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام (فتاب عليه) أى قبل توبته حين تاب
 هو وزوجته قاتلين وبناظرنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وإفراذه عليه السلام بالاغتيا وقبول

التوبة قد مر وجهه **(وهدي)** أي إلى الثبات على التوبة والتسك بأسباب العصمة **(قال)** استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بأنه تعالى قبل توبته وعدها كأنه قيل فإذا أمره تعالى بعد ذلك قبيل قاله ولزوجه **(أهبطا منها جميعا)** أي انزلا من الجنة إلى الأرض وقوله تعالى **(بعضكم لبعض عدو)** حال من ضمير المخاطب في اهبطوا والجمع لما أنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد أي متعادين في أمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتعارب **(فأما بآتينكم مني هدي)** من كتاب ورسول **(فمن اتبع هدي)** وضع الظاهر موضع المضمر مع الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في إيجاب اتباعه **(فلا يضل)** في الدنيا **(ولا يضي)** في الآخرة **(ومن أعرض عن ذكرى)** أي عن الهدى الذي ذكر لي والداعي إلى **(فإن له)** في الدنيا **(معيشة شتى)** ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ **ضكني كسكري** وذلك لأن مجامع همتهم ومطامع نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهاك على ازديادها وخائف من انتفاسها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال تعالى **وضررت عليهم الذلة والمسكنة** وقال تعالى **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحتنا عليهم بركات من السماء والأرض** وقال تعالى **ولو أن أهل الكتاب آمنوا إلى قوله تعالى لا كلوا من ثمرهم ومن تحت أرجلهم وقيل هو الصريح والزقوم في النار وقيل عذاب القبر** **(ونحشرو)** وقرئ **يسكون الماء** على لفظ الوقف والجزم عطفًا على محل فإنه له معيشة شتى لانه جواب الشرط **(يوم القيامة أعمى)** فاقده البصر كما في قوله تعالى **ونحشروهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكا** وصلا لا أعمى عن الحجة كما قيل **(قال)** استئناف كما مر **(رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا)** أي في الدنيا وقرئ **أعمى** بالامالة في الموضعين وفي الأول فقط لكونه جديرا بالتعريف لكونه رأس الآية ومحل الوقف **(قال كذلك)** أي مثل ذلك فعلت أنت ثم قرئه بقوله تعالى **(أتأتك آياتنا)** واضحة فتدبر حيث لا تخفى على أحد **(ففسيتها)** أي عميت عنها وتركتها ترك المنسى الذي لا يذكر أصلا **(وكذلك)** ومثل ذلك للنسيان الذي كنت فعلته في الدنيا **(اليوم تنسى)** تترك في العسى والعذاب جزاء **(وقال لكن لا أبدا كما قيل بل إلى ما شاء الله ثم يزيله عنه فيرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذا البسم والصم يزلهما الله تعالى عنهم أسع بهم وأبصر يوم يأتوننا)** **(وكذلك)** أي مثل ذلك الجزاء الموافق للجنة **(نجزى من أسرف)** بالإنهاء في الشهوات **(ولم يؤمن بآيات ربه)** بل كذبها وأعرض عنها **(ولعذاب الآخرة)** على الإطلاق أو عذاب النار **(أشد وأبقى)** أي من ضنك العيش أومه ومن الحشر على العسى **(أفلم يدعهم كم أهلكتنا قبلهم من القرون)** كلام مسأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى **وكذلك نجزي الآية والحكمة للانكار** التوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام إما لتنزيلها منزلة اللام فلا حاجة إلى المفعول أولا أنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف وأما كان فالفاعل هو الجنة بضمونها ومعناها وضميرهم للشر كين المعاصرين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم أو فمل بين لهم حال أمرهم كثرة أهلا كنا للقرون الأولى وقد مر في قوله عز وجل أول عهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد إلى الله عز وجل ويؤيده القراءات بنون العظمة وقوله تعالى **كم أهلكتنا الخ** أما معلى الفعل سادس مفعول له أو مقسر لمفعوله المحذوف مكذبا قيل والوجه أن لا يلاحظ لمفعول كأنه قيل أفلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات **كم أهلكتنا الخ** أي بآيات تلك الهداية ومن القرون في محل النصب على أنه وصف لمصيرهم أي كم قرنا كنا من القرون وقوله تعالى **(يمشون فيما كنهم)** حال من القرون أو من مفعول أهلكتنا أي أهلكتناهم وهم في حال أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير

في لهم مؤكدا للانكار والعامل بهد والمعنى أفلم يدعهم أهلا كنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر ونمود وقرابات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لأنار هلاكهم مع أن ذلك مما يجب أن يتدبروا إلى الحق فيعتبروا لتلا محمل بهم مثل ما حل بأولئك وقرئ **يمشون** على البناء للمفعول أي يمكنون من المشي **(إن في ذلك)** تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اعتدائهم وذلك إشارة إلى مضمون قوله تعالى **كم أهلكتنا الخ وما فيه من معنى البعد** للأشعار بعد منزلته وعلو شأنه في باب **(لآيات)** كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فإذن هو هاد وأما هاد ويجوز أن تكون كلمة في تجريدية فافهم **(لأولى النهى)** لذوى العقول الناهية عن القباح التي من أقيها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعالي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى **(ولولا كلمة سبقت من ربك)** كلام مستأنف سبق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى **أفلم يدعهم الآية** من أن يصيبهم مثل ما أصاب القرون الماضية أي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخر لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه **(لكنان)** علق جانيبهم **(لزاما)** أي لا زاما للحولاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جنايتهم ساعة لزومها نزل بأولئك الغاريز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تلوح بأن ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام كما ينبغي عنه قوله تعالى وما كان الله لعذبهم وأنت فيهم والزام أما مصدر لازم وصف به مبالغة وأما أفعال بمعنى مفعول جعل آلة الزوم لقرطازومه كما يقال **لأزأخصم** **(وأجل مسعى)** عطف على كلمة أي ولولا أجل مسعى لأعذبهم وهو يوم القيامة ويوم بدر لما تأخر عذابهم أصلا وقصده عما عطف عليه للسرعة إلى بيان جواب لولا والأشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراجعة فواصل الآية الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العائد إلى الأخذ العاجل المقهور من السياق تدريلا للفصل بالخبر منزلة التأكيد أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسعى لازمين لم كذاب عاد ونمود وأضرابهم ولم ينفرذ الأجل المسعى دون الأخذ العاجل **(فأصبر على يقولون)** أي إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بأهمال بل إهمال لأنه لازم لهم البتة فأصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فإن عليه عليه السلام بأنهم معذبون لأحالة مما يسليه ويحملة على الصبر **(وسبح)** ملتبسا **(بحمد ربك)** أي صل وأنت حامد لربك الذي يهلك إلى كالك على هدائه وتوفيقه أو زهه تعالى عما ينسونه إليه عما لا يليق بشأنه الرفيع حامد الله على ما يزيك بالهدى معترفا بأنهم على التعم كلها والأول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى **(قبل طلوع الشمس)** الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر **(وقيل غروها)** يعني صلاتي الظهر والعصر لأنها قبل غروبها بعدز والهاو جمعها لمناسبة قوله تعالى **قبل طلوع الشمس** وقبل صلاة العصر **(ومن آتاء الليل)** أي من ساعاته جمع إلى الكسر والقصر وأتاء بالفتح والمد **(فسبح)** أي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيما لا اختصاصهما بمراد الفضل فإن القلب فيما أجمع والنفس إلى الاستراحة أميل فتكون العبادة فيما أشق ولذلك قال تعالى **إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا** **(وأطراف النهار)** تكرير لصلاة الفجر والمغرب أي بآيات باختصاصهما بمزيد مزية ويحيى بلفظ الجمع لأمن الالباس كقول من قال ظهرهما مثل ظهور الترسين أو أمر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الأخير وجمعه باعتبار التصنيف أو لأن النهار جنس أو أمر بالتطوع في أجزاء النهار **(لعلك ترحى)** متعلق بيسبح أي يسبح في هذه الأوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ **ترضى** على صيغة البناء للمفعول من أرضى أي يرضيك ربك **(ولا تمدن عينيك)** أي لا تطل نظرها بطريق الرغبة والميل **(إلى ما تمناه)** من زخارف

الدنيا وقوله تعالى ﴿أزواجاً منهم﴾ أى أصنافاً من الكفرة مفعول متعاقب مقدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به وهو حال من الضمير والمفعول منهم أى إلى الذى متعنا به وهو أصناف وأنواع بعضهم على أنهم معنى من التعبيضية أو بعضاً منهم على حذف الموصوف كما مر مراراً ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا أى أعطينا أو به على تضمنين معناه أو بالبدلية من محله أو من أزواجاً بتقدير مضاف أو بدونه أو بالذم وهى الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهى لغة كالجهره فى الجهره أو جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهر والدنيا لتنعيمهم وبها زينهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد ﴿لغتنبهم فيه﴾ متعلق بمتعنا بجى به للتفغير عنه ببيان سوء عاقبته ما لا اثر اظهار بهجه حالاً أى لتعالمهم معاملة من يتبليهم ويختبرهم فيه أو لتنعيمهم فى الآخرة بسببه ﴿ورزق ربك﴾ أى ما ادخر لك فى الآخرة أو ما رزقك فى الدنيا من النبوة والهدى ﴿خير﴾ مما منحهم فى الدنيا لأنه مع كونه فى نفسه أجل ما يتنافس فيه المتنافسون هأمون الثالثة بخلاف ما منحوه ﴿وأبقي﴾ فانه لا يكاد ينقطع نفسه أو أثره أبداً كما عليه زهرة الدنيا ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ أمر عليه السلام بأن يأمر أهل بيته أو التابعين لمن أمته بالصلاة بعدما أمره به بالتأويل على الاستماع على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يفتشوا أرباب الثروة ﴿واصطبر عليها﴾ وثابر عليها غير مشتغل بأمر المعاش ﴿لأنسألك رزقاً﴾ أى لا تكفك أن ترزق نفسك ولا أهلك ﴿نحن نرزقك﴾ وإياهم فقرغ بالك بأمر الآخرة ﴿والعاقبة﴾ الحميدة ﴿التقوى﴾ أى لأهل التقوى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيهاً على أن ملاك الأمر هو التقوى روى أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضرر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه﴾ حكاية لبعض أقوالهم الباطلة التى أمر عليه السلام بالصبر عليها أى هلا يأتينا بآية تدل على صدقه فى دعوى النبوة أو بآية عما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التى تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجتروا على التفوه بهذه العظيمة الشتماء وقوله تعالى ﴿أولم تأتنيهم بيته ما فى الصحف الأولى﴾ أى التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية التى يتردد من جهته عز وجل لعلهم يفتيحوا وتكذيب لهم فيما ادعوا من انكار آياتنا الآية بآيات القرآن الكريم الذى هو أم الآيات وأمس المعجزات وأعظمها وأبقاها لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من الأمور الخارقة للعادات أى أمر كان ولا ريب فى أن العلم أجل الأمور وأعلامها إذ هو أصل الأعمال ومبدأ الأفعال ولقد ظهر مع حياته لجميع علوم الأولين والآخرين على يد أمى لم يمارس شيئاً من العلوم ولم يدرس أحداً من أهلها أصلاً فأى معجزة تراد بعد وروده وأى آية ترام مع وجوده وفى إرادته بعنوان كونه بيته لما فى الصحف الأولى من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية أى شاهدة بحقيقة ما فيها من العقائد الحققة وأصول الأحكام التى أجمعت عليها كافة الرسل وصحة ما تنطق به من أنباء الامم من حيث أنه غنى بما يجازه عما يشهد بحقيقته حقيق بآيات حقة غيره ما لا يخفى من تنويع شأنه وإنارة برهانه ومن يدتبرق وتحقق لا يتيانه واستناد الآيات اليه مع جعلهم إياه ما تائباً للتيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبيئة والهمزة لانكار الوقوع والوإو للعطف على مقدور يقتضيه المقام كأنه قيل لم تأتنيهم سائر الآيات ولم تأتنيهم خاصة بيته ما فى الصحف الأولى تقريراً لآتيانه وإيداناً بأنهم من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره أصلاً وإن اجتروا على انكار سائر الآيات مكابرة وعناداً وقرئ أولم تأتنيهم بالياء التحتية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفاً وقوله تعالى ﴿ولو أنا أهلكناهم بعباد﴾ إلى آخر الآية جملة مستأنفة سبقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بيته لا يمكن انكارها ببيان أنهم يعترفون بها يوم القيامة والمعنى لو أنا أهلكناهم فى الدنيا بعدذاب مستأصل ﴿من قبله﴾ متعلق بأهلكنا أو بمحذوف هو صفة لعذاب أى بعدذاب كائن من قبل آياتنا

البيئة أو من قبل محمد عليه الصلاة والسلام ﴿لقالوا﴾ أى يوم القيامة ﴿ربنا لولا أرسلناك﴾ فى الدنيا ﴿رسولاً﴾ مع كتاب ﴿فتنبع آياتك﴾ التى جاءنا بها ﴿من قبل أن نذل﴾ بالعذاب فى الدنيا ﴿ونخزي﴾ بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل آياتنا فاقطعت معذرتهم فعد ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مازلنا نكذب من شئ ﴿قل﴾ لا أولئك الكفرة المتمردين ﴿كل﴾ أى كل واحد منا ومنكم ﴿مترين﴾ منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم ﴿فترصوا﴾ وقرئ فتمتعوا ﴿فستعلون﴾ عن قريب ﴿من أصحاب الصراط السوى﴾ أى المستقيم وقرئ السواء أى الوسط الجيد وقرئ السو والسوى والسوى تصغير السو ﴿ومن اعتدى﴾ من الضلالة ومن فى الموضعين استفهامية محلى الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها واجملة سادة سد مفعولى العلم أو مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على عمل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب الصراط وقيل العائد فى الأولى بمحذوف والتقدير من هم أصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس

سورة الانبياء

(مكية وهى مائة واثنان عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿اقرب للناس حسابهم﴾ مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الحاجة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذى يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابهم فى ضمن اقتراب الساعة واستناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استبعادها له ولما تراءى فيها من الأحوال والاهوال القطيعة لانساق الكلام الى بيان غفلتهم عنه وعراضهم عما يذكروهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقدمها على الفاعل للسرعة الى ادخال الروعة فإن نسبة الاقتراب اليهم من أول الامر مما يسوقهم ويورثهم رهبة وانزعاجاً من المقرب كما أن تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض لتعجل المسرة لما أن بيان كون الخلق لأجل المخاطبين بما يسيروهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقاً اليه وجعلها تأكيداً للاضافة على أن الاصل المتعارف فيها بين الاوساط اقتراب حساب الناس ثم اقتراب الناس الحساب ثم اقتراب الناس حسابهم مع أنه تعسف تام بمعمل مما يقتضيه المقام وإنما الذى يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دانهم حساب أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفى استناد الاقتراب المنهى عن التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بأن يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تضخيم شأنه وتهويل أمره ما لا يخفى لما فيه من تصوير بصورته مقبل عليهم لا يزال يطالبهم ويصدهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه فى كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه فى الساعة السابقة وهذا وأما الاعتذار بأن قربه بالاضافة الى ماضى من الزمان أو بالنسبة الى الله عز وجل أو باعتبار أن كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضى ولا حاجة اليه فى تحقيق أصل معناه نعم قد يفهم منه عرفاً كونه قريباً فى نفسه أيضاً فيصار حينئذ الى التوجه بالوجه الاول دون الاخيرين أما الثانى فلا سبيل الى اعتباره هنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجرد والتفاوت حتماً وإنما اعتباره فى قوله تعالى لعل الساعة قريب وفظائره مما لإدلاله فيه على

الحدوث وأما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة إلى شيء آخر (وهم في غفلة) أي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرء لأنهم غير مباليين به مع اعترافهم بأنبيائه بل منكرون له ككافرون به مع اقتضاء عقولهم أن الأعمال لا بد لها من الجزاء (معرضون) أي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خيران للضمير وحيث كانت الغفلة أمرا جليلا لهم جعل الخبر الأول طرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون (ما يأتيهم من ذكر) من طائفة نازلة من القرآن تذكروهم بذلك أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ومن في قوله تعالى (من ربه) لا بداء الغاية مجازا متعلقة بأنبيائهم أو محذوف هو صفة لذكر وأيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكال شاعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية للتشديد التشنيع (عذت) بالجر صفة لذكر وقرى بالرفع حملا على محله أي عذت نزل به بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى (الاستمعه) استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتيهم باضيار قد أو بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى (وهم يلبسون) حال من فاعل استمعه وقوله تعالى (لا إلهة قلوبهم) إماما لآخرى منه أو من وأول يلبسون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربه محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لا عين مستهزئة به لا عين عنه أو لا عين به حال كون قلوبهم لا إلهة عنه لتناهي غفلتهم وفطر اعراضهم عن النظر في الأمور والتفكير في العواقب وقرى لا إلهة بالرفع على أنه خبر بعد خبر (وأسروا النجوى) كلام مستأنف مسوق لبيان جنابة خاصة إثر حكاية جناباتهم المعتادة والنجوى اسم من التاجي ومعنى أسرارها مع أنها لا تكون الأسرار منهم بالغوا في اخفائها أو أسروا نفس التاجي بحسب علم بشر أحد بأنهم متاجون وقوله تعالى (الذين ظلموا) بدل من وأسروا مني عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم أسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما أو منصوب على الذم وقوله تعالى (هل هذا إلا بشر مثلكم) الخ في حيز النصب على أنه مفعول لقول مضمرة هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجوهم فقيل قالوا هل هذا الخ أو بدل من أسروا أو معطوف عليه أو على أنه بدل من النجوى أي أسروا هذا الحديث وهل يعني النفي والهمزة في قوله تعالى (أفأتون السحر) للأنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (وأنت تصرون) حال من فاعل تأتون مفعلة للأنكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا إلا بشر مثلكم أي من جنسكم وما أتى به سحر أتعلون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الإذعان والقبول وأنت تعابنون أنه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الرائع أن الرسول لا يكون إلا ملكا وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وزل عنهم أن إرسال البشر إلى عامة البشر هو الذي تقتضيه الحكمة التشريعية قائلهم أنه أتى يؤفكون وإنما أسروا ذلك لأنه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادئ الشر والفساد وتهديد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون (قال رب علم القول في السماء والأرض) حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد ما أوحى إليه أحوالهم وأقوالهم بيانا لظهور أمرهم واتكشاف سرهم وإثبات القول المنظم للسر والجهر على السر لا يثبت عليه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الإيذان بأن عليه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلال والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرى قل رب الخ وقوله تعالى في السماء والأرض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول أي كاتنا في السماء والأرض وقوله تعالى (وهو السميع العليم) أي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جهتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم

بأقوالهم وأفعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد (بل قالوا أضغاث أحلام) اضطراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق إلى حكاية قول آخر مضطرب في مسالك البطلان أي لم يقتضروا على أن يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا إلا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم أنه سحر بل قالوا تخاليط الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا (بل افتراه) من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبه أصل ثم قالوا (بل هو شاعر) وما أتى به شعر يخيّل إلى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل ويتذبذب بين فاسد وأفسد فلا اضطراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفتري ثم إلى أنه قول لشاعر ولا ريب في أنه كان ينبغي حينئذ أن يقال قالوا بل أضغاث أحلام والاعتذار بأن بل قالوا مقول لقولهم المضمرة قبل قوله تعالى هل هذا إلا بشر الخ كأنه قيل وأسروا النجوى قالوا هل هذا بل أضغاث أحلام وإنما صرح بقولوا بعد بل ليدل العبد بما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله (فليأتنا بآية) جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية (كما أرسل الأولون) أي مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى يؤمن به فمأ موصولة ومحل الكاف الجر على أنها صفة لآية ويجوز أن تكون مصدرية فالكاف منصوبة على أنها مصدر تشبيه أي نعت لمصدر محذوف أي فليأتنا بآية آياتنا كما تنامل إرسال الأولين بها وصحة التشبيه من حيث أن الآيات بالآية من فروع الإرسال بها أي مثل آيات مترتب على الإرسال ويجوز أن يعمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الآيات والإرسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب الشبه ذكر الإرسال وفي جانب المشبه ذكر الآيات اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حساما في آخر سورة يونس عليه السلام (ما آتت قبلهم من قرية) كلام مستأنف مسوق لتشذيبهم في تنبيهم عنه عاتقه ما قلهم من الوعد الضمني بالإيمان كما أشير إليه ويان أنهم في اقتراح تلك الآيات كالمباحث عن حقه بطلانه وأن في ترك الإجابة إليه إبقاء عليهم كيف لا ولو أعطوا ما اقترحوا مع عدم إيمانهم قطعاً لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الأمم السالفة على أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لمخالفة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى أن هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقله من قرية أي من أهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى (أهلكناهم) أي بأهلك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيئ ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى (أفهم يؤمنون) لأنكار الوقوع والفاء للعطف إماما على مقدر دخلته الهمزة فأفادت أنكار وقوع إيمانهم ونفيه عقيب عدم إيمان الأولين فالعنى أنه لم يؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطائهم ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فلولاً يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سألوا وأعطوا ما اقترحوا مع كونهم أعنى منهم وأعلم وأما على ما آمنت على أن الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب أنكار وقوع إيمانهم على عدم إيمان الأولين وإنما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأى الجمهور وقوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا) جواب لقولهم هل هذا إلا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم يا أرسل الأولون من التعريض بعدم كونه عليه السلام مثل أولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولأنهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة إلى رده وإبطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ولأن في هذا الجواب نوع بسط يغفل

تقدّمه بتجاوب أطراف النظم الكريم والحق أن ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لأن مقتضى الحكمة أن يرسل إلى البشر البشر وإلى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يشكون مطمئنين لزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فإن عامة البشر بمعزل من استحقاق المناوذة الملكية لتوقفا على تناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مراحم الحكمة التي عليها يدور ذلك التكوين والتشريع وإنما الذي تقتضيه الحكمة أن يبعث الملك منهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكل العالمين الروحاني والجسائي ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى جانب آخر وقوله تعالى ﴿نوحى اليهم﴾ استئناف مبين لكيفية الإرسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد إلى خصوصه والمعنى وما أرسلنا إلى الأمم قبلك رسالا إلى أمك إلا رجالا مختصين من أفراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والإرسال نوحى اليهم بواسطة الملك ما نوحى من الشرائع والأحكام وغيرهما من القصص والأخبار كما نوحى إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى أنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والتين إلى إله في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون أنك لست بدعا من الرسل وأن ما أوحى إليك ليس مخالفا لما أوحى إليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى إليهم بالياء على صيغة المبنى للمفعول جريا على سنن الكبرياء وإدنا بتعين الفاعل وقوله تعالى ﴿فأسألو أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾ تلويح للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة لتبكيهم واستزاجهم عن رتبة الاستبعاد والتكثير أثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه الحقيق بالخطاب في أمثال تلك الحقائق الأنينة وأما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط وعذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم لاتعلمون ما ذكر فاسألوا أيها الجهلة أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لتزول شبهكم أمر وبذلك لأن أخبار الجاهل الغير يوجب العلم لاسيما وهم كانوا يشاعرون المشركين في عداوته عليه السلام ويشاورونهم في أمره عليه السلام ففهم من الدلالة على كمال وضوح الأمر وقوة شأن النبي عليه السلام ما لا يخفى ﴿وما جعلناهم جسدا﴾ بيان لكون الرسل عليهم السلام أسوة لساير أفراد الجنس في أحكام الطبيعة البشرية أثر بيان كونهم أسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الإنسان والجن والملائكة ونصبه اما على أنه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جملة جسدا بعد أن لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جملة كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صخر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة وما حال من الضمير والجعل ابداعا وافراة لارادة الجنس المنتظم للكثير أيضا وقيل بتقدير المتضاف أي ذوى جسد وقوله تعالى ﴿لا يأكولون الطعام﴾ حقيقته أي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الأكل والشرب بل محتاجا إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه ﴿وما كانوا خالدين﴾ لأن مال التحلل هو الفناء لا محالة وفي إثارة ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على أن عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي أشير إليها بقوله تعالى وما جعلناهم إلخ لا بالجمل المستأنف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة أو الأبدية وهم معتقدون أنهم لا يموتون والمعنى جعلناهم أجسادا متغذية صائرة إلى الموت بالآخرة على حسب أجسامهم لا ملائكة ولا أجسادا مستغنية عن الأغذية مصونة عن التحلل كاللائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجمله مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشر لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ عطف على ما يفهم من حكاية وحية تعالى إليهم على الاستمرار التجددى فإنه قيل أوحينا إليهم ما أوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي

بأهلك أعدائهم ﴿فأنجيناهم ومن نשא﴾ من المؤمنين وغيرهم من تستدعي الحكمة إبقائه كمن سيؤمّن هو أو بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ أي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ كلام مستأنف مسوق لتحقيق حجة القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة أعراض الناس عما يأتهم من آياته واستهزاؤهم وتسميتهم تارة سحرا وتارة أضغاث أحلام وأخرى مفترى وشعرا ويان علو رتبته أثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان أنه كساير الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام قد صدر بالتوكيد القسسي إظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وإيدانا بكون مخاطبين في أقصى مراتب التكبر أي والله لقد أنزلنا إليكم بامعشر قریش ﴿كتابا﴾ عظيم الشأن نزل البرهان وقوله تعالى ﴿فيه ذكر لكم﴾ صفة لكتابا مؤكدا لما أفاده التكثير التفخيمي من كونه جليل المقدار بأنه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة أي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون إليه في أمور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطالبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظكم وهو الأنسب بسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله تعالى ﴿فلا تعقلون﴾ انكار توخي في بعث لهم على التدبر في أمر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي لا تفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك أو لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى ﴿وكم قصصنا من قرية﴾ نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى وأهلكنا المسرفين ويان لكيفية اهلاكم ومسيبه وتنبه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير لحملها نصب على أنها مفعول لقصصنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصص الذي هو عبارة عن الكسر بابا أجزاء المكسور وازالة تأنيها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿كانت ظالمة﴾ في محل الجر على أنها صفة لقرية بتقدير مضاف يعني عنه الضمير الآتي أي وكثيرا قصصنا من أهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم ﴿وأنشأنا بعدها﴾ أي بعد اهلاكم ﴿قوما آخرين﴾ أي ليسوا منهم نسا ولا دينا ففهم تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادئ اهلاكم أولئك بقوله تعالى ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ أي أدركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كأنه أدراك المشاهد المحسوس ﴿أذاهم منها يركضون﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم في فرط الاسراع ﴿لاتركضوا﴾ أي قيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال من الملك أو عن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لاتركضوا ﴿وارجعوا إلى ما أنتم فيه﴾ من النعم والتلذذ والاتراف باطار النعمة ﴿ومساكم﴾ التي كنتم تفتخرون بها ﴿لعلكم تسألون﴾ تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل وتفقدون إذا ريثت مساكم خالية وتسألون أين أصحابها أو يسألونكم الوافدون نوالكم على أنهم كانوا أسخياء يتفنون أموالهم رياء أو بخلا فتقبل لهم ذلك تكمالاً إليهم ﴿قالوا﴾ لما يسألونهم الخلاص بالحرب وأيقنوا بنزول العذاب ﴿يا ويلنا﴾ أي هلاكنا ﴿أنا كنا ظالمين﴾ أي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم باستياع العذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى أي دعوة لأن المولود كان يدعو الويل قاتلا يا ويل تعال هذا أو أنك ﴿حتى جعلناهم حصيدا﴾ أي مثل الحصيد وهو المحصول من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع ﴿خامدين﴾ أي ميتين من مخدات النار إذا طفت وهو مع حصيد في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لما لئله الحصيد والخمود أو حال من الضمير المنصوب في جعلناهم أو من المستكن في حصيد أو صفة لحصيد التعدد معنى لأنه في حكم جعلناهم أمثال حصيد ﴿وما خلقتنا

السما والارض) اشارة اجمالية الى أن تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتعة للغايات الجليلة وتنبه على أن ما حكمى من العذاب الهائل والعقاب النازل بأهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء أعمالهم اياه وأن للخطابين المقتدين بأثارهم ذنوباً مثل ذنوبهم أى ما خلقتاها (وما بينهما) من المخالقات التي لا تحصى أجناسها وأفرادها ولا تحصر أنواعها وآحادها على هذا النقط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل (لاعبين) لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالى عن الحكمة بتصوره بصورة مالا يرتاب أحد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقتاها وما بينهما لتكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلاوكم ايكم أحسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهم آية) استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو أى لو أردنا أن نتخذ ما يتلهم به ويلعب (لا نتخذناه من لدنا) أى من جهة قدرتنا أو من عندنا بما يليق بشأنا من المجرىات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام الموضوعة كدبدن الجارية في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وترتيبها لكن يستحيل ارادتنا له لخالفاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا. وقوله تعالى (ان كنا فاعلين) جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أى ان كنا فاعلين لا نتخذناه وقيل ان نافية أى ما كنا فاعلين أى لا نتخذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لاتفاء التالى لاتفاء المقدم أو لارادة اتخاذه فيكون بيانا لاتفاء المقدم المستلزم لاتفاء التالى وقيل اللهو الولد بلغة الفين وقيل الزوجية والمراد الرد على التصارى ولا يخفى بعده (بل نقذف بالحق على الباطل) اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كأنه قيل لكننا لا نريده بل شأنا أن نغلب الحق الذى من جملة الجدى على الباطل الذى من قبيله اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سياتى من الوعيد (قديمه) أى يحكمه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذى هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ونحوه للباطل الدفع الذى هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ قديمه بالنصب وهو ضعيف وقرئ قديمه بضم الميم (فاذا هو زاهق) أى ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجلالة لاسمي من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطان لا ينفخ فكا نه زاهق من الاصل (ولكم الاول ما تصفون) وعيد لقرئش بأن لهم أيضا مثل ما لاوتك من العذاب والعقاب ومن تعليل متعلقة بالاستقرار الذى تعلق به الخبر أو محذوف هو حال من الويل أو من ضمير في الخير وما امام صدرية أو موصولة أو موصوفة أى واستقر لكم الويل والهلاك من أجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل أو بالذى تصفونه أو بشئ تصفونه به من الولد أو فائنا عما تصفونه تعالى به (وله من في السموات والارض) استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وأنه تعالى يحق الحق ويهق الباطل أى له تعالى خاصة جميع المخالقات خلقا وملكا وتديرا وتصرفا وإحياء وإماتة وتغذية وإثابة من غير أن يكون لأحد في ذلك دخل ما استقلالا أو استبعا (ومن عنده) وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقرين عند الملوك بطريق التثيل وهو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم كبيرا (ولا يستحسرون) ولا يكونون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبهة عن المبالغة في الحسور للنتية على أن عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسرها ومع ذلك لا يستحسرون

لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله في الجملة كما أن نفي الظلمية في قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفرض تملقا بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت أصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الأولى وأفرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله تعالى لا يستكبرون حيث ذكر حال من الثانية (يسبحون الليل والنهار) أى ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائماً وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم أو كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ أو حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى (لا يفترون) أى لا يتخلل تسبيحهم فترة أصلا بفرغ أو بشغل آخر (أم اتخذوا آلهة) حكاية لجناية أخرى عن جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان أنه تعالى خلق جميع المخالقات على منهاج الحكمة وأنهم قاطبة تحت ماسكوتة وقهره وأن عبادته مدعون لطاغته ومثايرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملة الانداد ومعنى المصرة في أم المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى (من الارض) متعلق باتخذوا أو محذوف هو صفة آلهة وأيا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى (هم ينشرون) أى يبعثون الموقى صفة آلهة وهو الذى يدور عليه الانكار والتجهيل والتشيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة أى بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموقى كلافان ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشاء ضرورة أنهم من الخصائص الالهية ختموا ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما أشير اليه من التنبه على كمال مباينة عالمهم للانتشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى أفرا الله شك وقوله تعالى أيا الله وآياته ورسوله كتمت تون فان تقديم الجار والمجرور للنتية على كمال مباينة أمره تعالى لأن يشك فيه ويستبرأ به ويجوز أن يحمل ذلك من مستبعات ادعائهم الباطل لأن الالهية مقتضية للاستقلال بالابدا والاعادة حيث ادعوا للاستقلال بالالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانتشار كما أنهم جعلوا بذلك مدعين لأصل الانتشار (لو كان فيهما آلهة الا الله) ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان على انتفاءه بل على استحالة وبراء الجميع لو ردد اثر انكار اتخاذ الآلهة لأن للجمعية من خلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيما والا بمعنى غير على أنها صفة آلهة ولا مساع للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حيثند على أن الفساد لكونها فيما بدون تعالى ولا للرفع على البديل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام جميعا وحيث انتفى التالى علم انتفاء المقدم قطعيا بان الملازمة أن الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيما على الاطلاق تغييرا وتبدلا ويجادا واعداما واحياء وامانة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتأثير كل منهما وهو محال لاستحالة وقوع العلول المعين بفعل متعددة واما بتأثير واحد منها فاليوقى بمعزل من الالهية قطعا واعلم أن جعل التالى فسادهما بعد وجودهما لما أنه اعترف في المقدم بتعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان بقضى باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدرة وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود أصلا وحيث انتفى التالى تمين انتفاء المقدم والفساد في قوله تعالى (فسبحان الله) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدةانية بالبرهان أى فسبحوه سبحانه اللائق به وتنزهه عما لا يليق به من الأمور التي من جملة ما يكون له شرك في الالهية وبراء الجلالة في موضع الاضمار للاشعار بعلية الحكم فان الالهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملة تنزهه

تعالى عما لا يليق به ولترية المهابة وادخال الروعة وقرله تعالى ﴿رب العرش﴾ صفة للاسم الجليل مؤكدة لتزجه
 عز وجل ﴿عما يصفون﴾ متعلق بالتسبيح أى فسبحوه عما يصفونه من أن يكون من دونه آلهة ﴿لا يسأل عما﴾
 يفعل استئناف بيان أنه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته أن يناقشه ويسأله
 عما يفعل من أفعاله اثر بيان أن ليس له شريك في الالهية ﴿وهم﴾ أى العباد ﴿يسألون﴾ عما يفعلون فقيرا
 وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون فيه وعبيد للكفرة ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ اضراب وانتقال من
 اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جعلها الانشا واقامة البرهان
 القاطع على استحالة تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرايها
 عن تلك الخصائص بالمرّة شركاء لله عز سلطانه وتبكيهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق أن
 جميع الكتب السبوية ناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الاشراك والحكمة لانكار الاتحاد المذكور واستحقاقه
 واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤنه الجلية الموجبة لتفرده بالالوهية
 آلهة مع ظهور خلوه عن خواص الالوهية بالسكينة ﴿قل﴾ لهم بطريق التبكيت والقام الحجر ﴿ها تورا برهانكم﴾
 على ما تدعون من جهة العقل والنقل فانه لا صحة لقول لادليل عليه في الاهور الدينية لاسيما في مثل هذا الشأن الخطير
 وما في اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بأنهم برهاننا ضرب من التكميمهم وقرله تعالى ﴿هذا ذكر من معي﴾
 وذكر من قبلي انارة لبرهانه واشارة الى أنه مما نطق به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة
 وزيادة تسبيح لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم أى هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع
 العقلي ذكر أمتى أى عظمتهم وذكر الامم السالفة قد أقمته فأقيموا أتم أيضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب أنزل على
 أمتي وهذا كتاب أنزل على أمة الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف فاجمعوها وانظروا هل في واحد
 منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك فبعبه تكيت لهم متضمن لاثبات تقيض مدعاهم وقرى بالتون والاعمال
 كقوله تعالى أو اطعموا في يوم ذى مسغبة يتينا وبه ومن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبول وبعد وقرله تعالى
 ﴿بل أكرمهم لا يعلمون الحق﴾ اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيهم
 بطلالة البرهان الى بيان أنه لا ينفع فهم الحاجة باظهار حقيقة الحق وبطلان الباطل فان أكثرهم لا يفهمون الحق ولا
 يميزون بينه وبين الباطل ﴿فهم﴾ لاجل ذلك ﴿معرضون﴾ أى مسترون على الاعراض عن التوحيد واتباع
 الرسول لا يراعون عما هم عليه من النقي والضلال وان كررت عليهم البيانات والحجج أو معرضون عما أني
 عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرى الحق بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تأكيداً
 للسببية وقرله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون﴾ استئناف مقرر
 لما أجمل فبقوله من كون التوحيد مما نطق به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرى
 يوحى على صيغة النائب مبني للمفعول وأياما كان فصحة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورة الوحي
 وقالوا اتخذ الرحمن ولداً حكاية لجناية فريق من المشركين حى بها لاظهار بطلانها وبيان تزجه تعالى عن
 ذلك اثر بيان تزجه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حى من خراقة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل
 الواحدى أن قر يشا وبعض أجناس العرب جهينة وبنى سلة وخراقة وبنى مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان
 الرحمانية للثبته عن كون جميع ماسواه تعالى مربوباً له تعالى نعمة أو متعماً عليه لا براز كمال شناعة مقاتلهم

الباطلة ﴿سبحانه﴾ أى تزهه بالذات تزهه اللائق به على أن السبحان مصدر من سبى أى بعدد أو أسبجه
 تسبجه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد أو سبجه تسبجه وقرله تعالى ﴿بل عباد﴾ اضراب
 وبطلان لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى ﴿مكرمون﴾ مقربون عنده وقرى مكرمون بالتشديد
 وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقرله تعالى ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ صفة أخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم
 وانقيادهم لامره تعالى أى لا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى أو بأمرهم به وأصله لا يسبق قولهم قوله تعالى
 فأستند السبق اليهم منسوباً اليه تعالى تزيلاً لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لزيد تنزيههم عن ذلك والتنبية
 على غاية استهجان سبق المعترضين بل الذين يقولون مالا يقوله الله تعالى وجعل القول محلاً للسبق وأذله ثم أنيب اللام عن
 الاضافة للاختصار والتجافى عن التكرار وقرى لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقت أسبقه وفيه زيد استهجان
 للسبق واشعار بأن من سبق قوله تعالى فقد تصدى لمخالفته تعالى في السبق فسبقت أسبقه والعياذ بالله تعالى وزيادة
 تنزيه لهم عما نفي عنهم بيان أن ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فأتى بتوهم صدورهم عنهم ﴿وهم بأمره يصلون﴾ بيان
 لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى
 فيه كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره يعملون لا بغير أمره أصلاً فالتعظيم المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير
 أمره لا الى أمر غيره ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ استئناف وقع تعليلاً لما قبله وتبيهاً لما بعده فأنهم يعلمون بأحواله
 تعالى بما قدموا وأخبروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى
 ﴿ولا يشفعون الا نحن ارتضى﴾ أن يشفع له مهابة منه تعالى ﴿وهم﴾ مع ذلك ﴿من خشيته﴾ عز وجل ﴿مشفقون﴾
 مرتعدون وأصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بين
 يكون معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته بعلى يتمكس الامر ﴿ومن يقل منهم﴾ أى من الملائكة السلام فهم
 وفي كونهم يحمل مما قالوا في حقهم ﴿ان الى اله من دونه﴾ متجاوزاً اياه تعالى ﴿فذلك﴾ الذى فرض قوله فرض محال
 ﴿تجزيه جهنم﴾ كاتر المجرمين ولا يغنى عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة
 ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه أولئك الكفرة ما لا يغنى
 ﴿كذلك تجزي الظالمين﴾ مصدر تشبيهي مؤكد لضمون ما قبله أى مثل ذلك الجزاء الفظيع تجزي الذين يشعرون
 الاشياء في غير مواضعها ويتعدون أطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى نقصان دون الزيادة أى
 لاجزائهم نقص منه ﴿أو لم ير الذين كفروا﴾ تمجيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية البالة على استقلاله تعالى
 بالالوهية وكون جميع ماسواه مقهوراً تحت ملكوته والمعزاة لانكار والواو للعطف على مقدر وقرى بغير واو والروية
 قلبية أى ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿أن السموات والارض كانتا﴾ أى جماعتا السموات والارضين كافي قوله تعالى ان الله
 يمسك السموات والارض أن تنزولا ﴿رفقاً﴾ الرق الضم والالتحام والمعنى احملى حذف المضاف أو هو بمعنى المفعول
 أى كانتا ذواق رقيق أو مرتوقتين وقرى رتقا أى شياً رتقا أى مرتوقاً ﴿فتفتقناهما﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما في
 رواية عكرمة والحسن البصرى وقادة وسعيد بن جبير كانتا شيئاً واحداً ملتزمتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء
 الى حيث هى وأمر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ربحاً فسطحاً ففتقنا
 وعن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة القهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصد الدخان وخلق
 بينه السموات وأمسك القهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدين

كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين وقال ابن عباس في رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا ممتوية صلبة لا تمطر والأرض رتقا لا تبت ففتق السبع بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسموات السبع الدنيا والجمع باعتبار الآفاق أو السموات جميعا على أن لها دخلا في الامطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى بما استقر به وأما بالمعاني الاول فهم وان لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها اما بطريق النظر والتفكير فان الفتق عارض مفترق الى مؤثر قديم وأما بالانفساء من العباد وهو العلة السكت (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من أعظم مواد أو لفرط احتياجه اليه وانفعاذه به أو صيرنا كل شيء من الماء أي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا بمجرد أن المفعولين في الاصل مبتدأ وخبر وحي الخبر عند كونه مطلقا أن يقدم على المبتدأ فان ذلك صحيح محض لا مرجح وقرئ حيا على أنه صفة كل أو مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر (أفلا يؤمنون) انكار لعدم إيمانهم بالله وحده مع ظهور ما يوجب حتمه من الآيات الآفاقية والانتفية الدالة على تفرد عز وجل بالالوهية وعلى كون مسواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق أي أيعلمون ذلك فلا يؤمنون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا ثوابت جمع راسية من راس الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكور بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في محته كقوله تعالى أشهد معكم أني أنا ربكم وما أنا بربكم (أن تيممهم) أي كراهة أن تتحرك وتضطرب بهم أو لا تيممهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس (وجعلنا فيها) أي في الأرض وتكرير الفعل لاختلاف المجموعتين وتوفيق مقام الاستان حقه أو في الرواسي لانها محتاجة الى الطرق (فالجبال) مسالك واسعة وأما قدم على قوله تعالى (سبل) وهو وصف له ليصير حالا فيفيد أنه تعالى حين خلقها خلقها كذلك أو ليدل منها سبلا فدل منها على أنه تعالى خلقها ووسعها السبلات مع ما فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) أي الى مصالحهم ومصلحتهم (وجعلنا السبلات سقفا محفوظا) من الوقوع بقدرتنا القاهرة أو من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا أو من استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وأرادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في عالم الطبيعة والهيئة (معرضون) لا يتدبرون فيها فيبكون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر) اللذين هما آياتهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بقصوى الكلام أي هو الذي خلقهم وحده (كل) أي كل واحد منهما على أن التثنية عوض عن المضاف اليه (في ذلك يسبحون) أي يحمرون في سبط الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كسام الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بل لعدم الالباس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية (أفان مت) بمقتضى حكمتنا (فهم الخالدون) نزلت حين قالوا يتربص به رب يبعث الفلق لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرير القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرء والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعندما من شياتهم بموته عليه السلام فان الشبهة بما يمتريه أيضا مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل كانه قيل أفان فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أي ذائقة مرارة مفارقتها

جسدها برهان على ما ذكره من خلودهم (ونبأكم) الخطاب امة الناس كافة بطريق التلويح أو للكفرة بطريق الالتفات أي نعلمكم معاملة من نبأكم بالشئ والخير بالبلايا والنعمة هل تصبرون وتشكرون أولا (فتنة) مصدر مؤكد لنبأكم من غير لفظه (والينا ترجعون) لا الى غيرنا لاستقلالنا ولا اشتراكنا فتجازيكم حسابا يظهر منكم من الأعمال الغيوب على الاول وعد ووعد وعلى الثاني وعيد محض وفيه إيحاء الى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للتوابع والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات (واذراك الذين كفروا) أي المشركون (ان يتخذونك الا هو) أي ما يتخذونك الا هو به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هو ولا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هو واكاهو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هووا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان أنجب الامايوحى الى في سورة الانعام (أهذا الذي يذكر آياتكم) على ارادة القول أي ويقولون أو قائلين ذلك أي يذكرهم بآياتهم كما في قوله تعالى سمعنا في ذكرهم الخ وقوله تعالى (وهم يذكر الرحمن هم كفرون) في حيز التصب على الخالية من ضمير القول المقدر والمعنى أنهم يعيرون عليه عليه الصلاة والسلام أن يذكر آياتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال أنهم يذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد أو بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب أو بالقرآن ككافرون فهم أحق بالغييب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره ككافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كفرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تأكيد لفظي للدلالة على الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول (خلق الانسان من عجل) جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايدانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روى أنها نزلت في الضر بن الحرث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأعطر الآيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالانسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه أشهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل غيبها فالعنى خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان أنه من دواعي عجلته في الأمور والأظهر أن المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى أولاده وقيل العجل الطين بلغة حير ولا تقرب له ههنا وقوله تعالى (سأريكم آياتي) تلويح للخطاب وحرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد أي سأريكم ثقتي في الآخرة كعذاب النار وغيره (فلا تستعجلون) بالآيات بينا والنبى عما جبلت عليه نفوسهم ليقدموها عن مرادها (ويقولون متى هذا الوعد) أي وقت يحيى الساعة التي كانوا يوعدون وأنما كانوا يقولونه استعجالا نجية بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته بطريق الارزام كما في سورة الملك (ان كنتم صادقين) أي في وعدكم بأنه آياتنا والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن يحيى الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسابا حذف في مثل قوله تعالى فأتينا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعد وطلب لآتيانه بطريق العجلة فان ذلك في قوة الأمر بالآيات بجملة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين (أو يعلم الذين كفروا) استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفضاعة ما فيه من العذاب وأنهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأته وإثارة صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضى لا فائدة استمرار عدم العلم فان المضارع المنى الواقع موقع الماضي ليس ينص في

افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه أيضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن إلى لشكرتك فإن المعنى أن انتفاء الشكر لاستمرار انتفائه الاحسان لا لانتهاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى ﴿حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم﴾ مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه وأضافته إلى الجملة الجارية بحرى الصفة التي حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند الخطاب أيضا مع انكار الكفرة لذلك للأيذان بأنه من الظهور بحيث لا حاجة له إلى الاخبار به وإنما حقه الانتظام في سلك المسلمات المخروغ عنها وجواب لو محذوف أى لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما أشبر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما الاحاطة بالكل بحيث لا يقدر أن على دفعها بأنفسهم من جانب من جوانبهم ﴿ولا هم ينصرون﴾ من جهة التعير في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز أن يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم أى لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الخ استئناف مقرر لجهاهم ومبين لاستمراره إلى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال ﴿بل تأتيهم﴾ عطف على لا يكفون أى لا يكفونها بل تأتيهم أى العدة أو النار أو الساعة ﴿بغثة فبهتهم﴾ أى تغلبهم أو تخبرهم وقرئ القمائل بالتذكير على أن الضمير للوعد أو الحين وكذا الهاء في قوله تعالى ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ بتأويل الوعد بالنار أو العدة والحين بالساعة ويجوز عوده إلى النار وقيل إلى البغثة أى لا يستطيعون ردها عنهم بالكفة ﴿ولا هم ينظرون﴾ أى يهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لا مبال في الدنيا ﴿ولقد استهزى برس من قبلك﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بأنه يصيهم مثل ما أصاب المستهزين بالرسول السالفة عليهم الصلاة والسلام وتصديرها بالقسم لإيادته تحقيق مضمونها وتوئين الرسل للتخفيف والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له أى والله لقد استهزى برسلى شأن خطير وذو عدد كثير كاتنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿لخاق﴾ أى أحاط عقيب ذلك أو نزل أو حل أو نحو ذلك فإن معناه يدور على الضمول واللزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحقيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فله وقوله تعالى ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ للسارعة إلى بيان حقوق الشر بهم وما اما موصول لتفيدة التهويل والضمير المحرور عائد إليها والجاء متعلق بالفعل وتقديره عليه لرعاية الفواصل أى فاحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لاجله وأما مصدرية فالضمير المحرور راجع حيث إلى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل إثاره على الجمع للتنبيه على أنه يحقق بهم جزء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لاجزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط أى ينزل بهم جزء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب أيذانا بكال الملازمة بينهما أو عين استهزائهم أن أريد بذلك العذاب الآخروي بناء على تجسم الأعمال فإن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية متناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بنى الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى إنما نبيكم على أنفسكم الآية إلى آخرها ﴿قل﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أثر تسليته بما ذكر من مصير أمرهم إلى الهلاك وأمر له عليه السلام بأن يقول لا أولئك المستهزئين بطريق التقرع والتبكيت ﴿من يكلؤكم﴾ أى يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ أى من بأسه الذي تستحقون نزوله ليلا أو نهارا وتقدير

الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعا وأشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية أيذان بأن كاثمهم ليس الارحمة العامة وبعد ما أمر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور رحسيا تقتضيه حاطم لاثمهم بحيث لولا أن الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الآفات فهم أحقا بأن يكلفوا الاعتراف بذلك فيخرجوا على ما هم عليه من الاشراك أضرب عن ذلك بقوله تعالى ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ ببيان أن لهم حالا أخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي أنهم لا يخشون ذكره تعالى بياهم فضلا أن يخافوا بأسه ويعبدوا ما كانوا عليه من الأمن والدعة حفظا وكلامه حتى يسألوا عن السكالي على طريقة قول من قال

عرجوا خيوا لعنى دمنة الدار = ماذا تحيون من نوى وأحجار

وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى وإيراد اسم الرب المضاف إلى ضميرهم المنى عن كونهم تحت ملكوته وتديره وترتيبه تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والنهى ما لا يخفى وكلمة أم في قوله تعالى ﴿أم لهم آلهة تنعم من دوننا﴾ منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان أن جهاهم يحفظه تعالى أيام لعدم خوفهم الناس عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية إلى توخيهم باعتقادهم على اهتيم واسنادهم الحفظ إليها والهمزة لانكار أن يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل لهم آلهة تنعم من العذاب تتجاوز زمنا أو حفظنا أو من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واقفون بحفظها وفي توجيه الانكار والنهى إلى وجود الآلهة المرصوفة بما ذكر من المنع لا إلى نفس الصفة بأن يقال أم تنعم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وجل ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطان اعتقادهم أى هم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم ولا يصحبون بالنصر من جنتا فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم وقوله تعالى ﴿بل متنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر﴾ اضرب عما توهموا ببيان أن الداعي إلى حفظهم تمتعنا أيام بما قدر لهم من الاعمار أو عن الدلالة على بطلان ما أوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعمم بالحياة الدنيا وأمهاتهم حتى طال أعمارهم غسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على أنه طمع فارغ وأمل كاذب حيث قيل ﴿أفلا يرون﴾ أى ألا ينظرون فلا يرون ﴿أنا نأى الأرض﴾ أى أرض الكفرة ﴿تنقصنا من أطرافها﴾ فكيف يتوهمون أنهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخبر به الله عز وجل من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيغها إلى دار الاسلام ﴿أفهم الغالبون﴾ على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغالية على ما ذكر من نفس أرض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كأنه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورقيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى أفن كان على بيته من ربه وقوله تعالى قل أفأخذتم من دوننا دليلا وفي التعريف تعرض بعض بان المسلمين هم المتعينون للقبلة المعروفون بها ﴿قل إنما أنذركم﴾ بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجلون مستعجلون بها يتوهم حالهم عند آياته ونهى عليهم جهاهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوى أحوالهم أمر عليه السلام بأن يقول لهم إنما أنذركم ما تستعجلونه من الساعة ﴿بالوحى﴾ الصادق الناطق باتيانها وفضاعة ما فيها من الاحوال أى إنما شأنى أن أنذركم بالاخبار بذلك لا بالآياتين بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية إذ الايمان بهما لا يعانى وقوله تعالى ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ اما من تمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد أمر عليه السلام بأن يقول لهم توخيها وتقرعها وتسجيلا عليهم بكال الجهل والعناد واللام للجنس المتكلم للخطاطين انتظاما أولا وأولمهد فوضع المظهر موضع المتضمن

للتسجيل عليهم بالصام وتقيد نبي الساع بقوله تعالى ﴿اذا ما يندرون﴾ مع أن الصم لا يسمعون الكلام فاندرا
كان أو تبشيرا لبيان كمال شدة الصم في أن اثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار
عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراها واما من
جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي عليه الصلاة والسلام
من الاسباع بنصب الصم والدعاء كما نه قيل قل لهم ذلك وأنت بمنزل من اسماهم وقرى بالياء أيضا على أن الفاعل هو
عليه السلام وقرى على البناء للمفعول أي لا يقدر أحد على اسباع الصم وقوله تعالى ﴿ولئن مستهم نقمة من عذاب
ربك﴾ بيان لسرعة تأثرهم من مجي نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجي خبره على نهي التوكيد القسمي أي وبالله
لئن أصابهم أدنى اصابة أدنى شيء من عذابه تعالى كما ينبي عنه المس والنقمة بجورها وبنائها فان أصل النفع هبوب
رائحة الشيء ﴿ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين﴾ ليدع عن أنفسهم بالويل والهلاك ويمترف عليها بالظلم وقوله تعالى
﴿ونضع الموازين القسط﴾ بيان لما سيقع عند اتيان ما أنذروه أي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال
وقيل وضع الموازين بمثل الارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في
سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به بالغة ﴿يوم القيامة﴾ التي كانوا يستعملونها في جزاءه وألاجل
أهله أو فيه كما في قوله جئت لحس خولن من الشهر ﴿فلا تظلم نفس﴾ من النفوس ﴿شيئا﴾ حقا من حقوقها أو شيئا ما
من الظلم بل يوفي كل ذي حق حقه ان خير انقيرو وان شر افتر والفاء لترتيب اتقاء الظلم على وضع الموازين ﴿وان كان﴾
أي العمل المدلول عليه بوضع الموازين ﴿مثقال حبة من خردل﴾ أي مقدار حبة كائنه من خردل أي وان كان في غاية
القلة والخفارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرى مثقال حبة بالرغم على أن كان ثمانية ﴿آتينها﴾ أي أحضرنا ذلك
العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرى آتينها أي جازينا بها من الايتاء بمعنى
الجزاءة والمكافأة لانهم أتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء وقرى آتينها من الثواب وقرى جئنا بها ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ اذ
لا مزيد على علمنا وعدنا ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء﴾ وذكرنا للبتقين نوع تفصيل لما أجمل في قوله
تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم الى قوله تعالى وأهلكنا المسرفين وشارفنا كيفية اتجاهاهم واهلاك أعدائهم
وتصديدهم بالتوكيد القسمي لاطهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذي ذكره أي وبالله
لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتبا جامعيا بين بونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية
وذكرنا يعظ به الناس وتخصيص المثقين بالذكر لانهم المستضيئون بنوره المعتنمون لغنائم آثاره أو ذكر ما يحتاجون
اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق
أمر القرآن المشارك لسان الكتب الالهية لاسيا التوراة فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اترج
الكفرة مثله بقولهم غلبتنا بآية كما أرسل الاولون وقرى ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان وقوله تعالى ﴿الذين
يخشون ربهم﴾ أي عذابه مجرور المحل على أنه صفة مادحة للبتقين أو يدل أو بيان أو منصوب أو مرفوع على المدح
﴿بالغيب﴾ حال من المفعول أي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم فهم فيه ترض بالكفرة حيث
لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه وقيل من الفاعل ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ أي خائفون منها بطريق
الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة القواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخفية على الاعلاق للابتنان بكونها
معظم الخوفات وللتخصيص على اتصافهم بضد ما انصف به المستعجلون واثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق

ودوامه ﴿وهذا﴾ أي القرآن الكريم أشير اليه بهذا اذنا بغاية وضوح أمره ﴿ذكر﴾ يذكره به من يتذكر وصف
بالوصف الاخير للتوراة مناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة ﴿مبارك﴾ كثير الخير غزير
النفع تبرك به ﴿أنزلناه﴾ اما صفة ثانية لذكر أو خبر آخر ﴿فأنتم له منكرون﴾ انكار لانكارهم بعد ظهور
كون انزاله كآيتاء التوراة كما نه قيل أبعد أن علمت أن شأنه كشأن التوراة في الايتاء والايحاء أتم منكرون لكونه منزلا
من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة بما لا مساغ له أصلا ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ أي الرشد اللائق به
وبأمثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحى والافتدار على اصلاح
الامة باستعمال النواميس الالهية وقرى رشده وهما لغتان كالخزن والخزن ﴿من قبل﴾ أي من قبل ايتاء موسى وهرون
التوراة وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال القرآن من شبه التام وقيل من قبل استيوائه أو قبل بلوغه وبآياه المقام
﴿وكتبا به علمين﴾ أي بأنه أهل لما آتينا به وفيه من الدليل على أنه تعالى عالم بالجزئيات مختار في أفعاله مالا يخفى
﴿اذا قال لا يه وقرمه﴾ ظرف لآتينها على أنه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله وقيل مفعول
لمضمر مستأنف وقع تعليل لما قبله أي اذكر وقت قوله لهم ﴿ما هذه الغائبات التي آتت لها عا كفنون﴾ لتقف على كمال
رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبه بخلق من خلقت الله تعالى وهذا يجاهل منه عليه السلام حيث
سألهم عن اتصافهم بما الى يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم كما نه لا يعرف أنها ماذا مع احاطته بأن حقيقتها حجب
أو شجر اخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطابق الكوف الذي هو عبارة عن الزورم والاستمرار على الشيء
لغرض من الافراض قصد الى تحقيرها واذلالها وتوبيخها لم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية
والا لجنى بكلمة على والمعنى آتت فاعلون الكوف لها وقد جوز تضمين الكوف معنى العبادة كما ينبي عنه قوله تعالى
﴿قالوا وجدنا آياتها عابدين﴾ أجابوا بذلك لما أن مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما
ينبي عنه وصفه عليه السلام اياهم بالكوف لما كانه قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من الكوف عليها فلما لم يكن
لم ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد فأبطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث ﴿قال لقد كنتم آتتم
وآباؤكم﴾ الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة ﴿في ضلال﴾ عجيب لا يقادر قدره ﴿مبين﴾ أي ظاهر بين بحيث لا
يخفى على أحد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لاستقرارهم الماضى الحاصل قبل
زمان الخطاب المتناول لم ولا يأتهم أي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما
والتقليد انما يجوز فيا يحتمل الحقيقة في الجملة ﴿قالوا﴾ لما سمعوا مقالة عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه
ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه
الجد ﴿اجئتنا بالحق﴾ أي بالجد ﴿أم أنت من اللاعين﴾ فتقول ما تقول على وجه الدعاية والمزاح وفي إيراد الشق الاخير
بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايدان برجعانه عندهم ﴿قال﴾ عليه السلام احزابا عما نبأوا عليه مقاتلهم من اعتقاد
كونها أربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد أصناما فظلم لها عا كفنون كما نه قيل ليس الأمر كذلك ﴿بل ربكم رب السموات
والارض الذي يظلمهم﴾ وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضميمه من السموات والارض
وصفه تعالى بالجاهل ان ر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لمن تحقيقا للحق وتقليدا على أن مالا يكون كذلك بمعزل من الربوبية
أي أنشأهم بما فيه من الخلوقات التي من جعلها آتتم وآباؤكم وما تعبدونهم من غير مثال يحتذيه ولا قانون يتبعه ورجع
الضمير الى الغائبات أدخل في تضليلهم وأظهر في الزام الحجية عليهم لمسايقه من الصريح المعنى عن التأمل في كون ما يعبدونه

من جملة المخلوقات (وأنا على ذلك) الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط دون ما عداها كما تأما
كان (من الشاهدين) أي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنة عليه فإن الشاهد على الشيء من حقيقة وحقيقة وشهادته
على ذلك أدلّاه بالحجة عليه وإثباتها كأنه قال وأنا أدين ذلك وأبرهن عليه (وتالله) وقرئ بالياء وهو الأصل والتأنيدي
من الواو التي هي بدل من الأصل وفيها تعجب (لا كيدن أصنامكم) أي لا يجتهدن في كسرها وفيه إيذان بصعوبة الاتيان
وتوقفه على استعمال الخيل وإنما قاله عليه السلام سرا وقيل محمه رجل واحد (بعد أن تولوا مدبرين) من عبادتها
إلى عيذك وقرئ تولوا من التولي بحذف إحدى التامين ويعتدها قوله تعالى قولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى
(فجعلهم) فصحة أي قولوا لجعلهم (جنادا) أي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجند الذي هو القطاع كالخطام
من الخطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة أو جمع جذبه كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذا جمع جذبه وجذا
جمع جند وقرئ أن أرزح في يوم عيدهم فبدوا يبيت الأصنام فذخروها فجدوا لها ووضعوا بينها طعاما آخر جواربه معهم
وقالوا إلى أن ترجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى إبراهيم عليه السلام فظفر إلى الأصنام وكانت سبعين صنما
مصطفا وتمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عيده جوهرا تان قضبان بالليل ففكر الكل بفأس كانت
في يده ولم يبق الا الكبير وعالق الفأس في عنقه وذلك قوله تعالى (الا كبرأ لهم) أي للأصنام (لعلهم إليه) أي
إلى إبراهيم عليه السلام (يرجعون) فيحاجهم بما ساقى فيحجم ويكتمهم وقيل يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن
الكسر لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في الملمات وقيل يرجعون إلى الله تعالى وتوحيده عند تحقّقهم عجز آلهتهم
عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسروهم (قالوا) أي حين رجعوا من عيدهم وأروا ما رأوا (من فعل هذا
بأهتنا) على طريقة الانكار والتوبيخ والتشيع وإنما عيروا عنها بما ذكر ولم يسيروا إليها بؤلا وهي بين أيديهم
مبالغة في التشيع وقوله تعالى (أنه لمن الظالمين) استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع
على أنها خبر لها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والخطم بأهتنا أنه معدود من جملة الظلمة أما لجرائته على أهانتها وهي
حقيقة بالأعظام أو لأفراطه في الكسر والخطم وتماديّه في الاستهانة بها أو بتعريض نفسه للهلكة (قالوا) أي بعض
منهم يجهلون السائين (بمعنا في ذكرهم) أي يعيبهم فلهذا فصل ذلك بما فقوله تعالى يذكرهم أما مفعول ثانٍ لسمع
لتعلقه بالعين أو صفة لفتى مصححة لتعلقه بهذا إذا كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وإن كانوا قد
سمعوا من الناس أنه عليه السلام يذكرهم يسو فلا حاجة إلى المصحح (يقال له إبراهيم) صفة أخرى لفتى أي يطلق
عليه هذا الاسم (قالوا) أي السائلون (فأتوا به على أعين الناس) أي برأى منهم بحيث يكون نصب أعينهم
في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على أحد (لعلهم يشهدون) أي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله أو
بقوله ذلك فالضمير حيث لا يشك ليس للناس بل لبعض منهم منهم أو معبود (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من
حكاية قولهم كأنه قيل فإذا فعلوا به عليه السلام بعد ذلك هل أتوا به أم لا قيل أتوا به ثم قالوا (أأنت فعلت هذا
بأهتيا إبراهيم) اقتضار على حكاية مخاطبتهم إياه عليه السلام للثبته على أن آتياهم به وبما رغبهم إلى ذلك أمر محقق
غنى عن البيان (قال بل فعله كبيرهم هذا) مشيرا إلى الذي لم يكسر سلك عليه السلام سلكا تبرئيا يؤدبه إلى مقصده
الذي هو الزامهم بالحجة على اللطف وجه وأحسن يحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب
حيث أبرز الكبير قولاً في معرض المباشر للقول باسناده إليه كما أبرزه في ذلك المعرض فعلا يجعل الفأس في عنقه وقد
قصد استانه إليه بطريق التيسير حيث كانت تلك الأصنام غاظته عليه السلام حين أبصرها مصطفة مرتبة للعبادة

من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد حسب زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه
وقيل هو حكاية لما يقود إلى تحيز مذهبهم كأنه قال لهم ماتكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى الها
أن يقدر على ما هو أشد من ذلك ويحكى أنه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو
أكبر منها فيكون تمثيلا لأراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكم بعبادته الأصنام وأما
ما قيل من أنه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم بل إنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على
أسلوب تعريض يبالغ فيه غرضه من الزامهم بالحجة وبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك أي فيا كتبه بخط رشيق
وأنت شير بحسن الخط أنت كتبت هذا فقلت له بل أنت كتبت كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء
بالسائل لاضها عنك وإثباتها له فيمحل من التحقيق لأن خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة
لنفسك وادعاء ظهور الأمر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لا يثبت على أن صدورهما عن غيرك محتمل عنده مع
استحالة عندك ولا رب في أن مراده عليه السلام من اسناد الكسر إلى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم
في سؤالهم لا يثبت على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل إنما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في أحوال
أصنامهم كما ينبغي عنه قوله (فالسائلون أن كانوا ينطقون) أي أن كانوا ممن يمكن أن ينطقوا وإنما لم يقل عليه السلام
أن كانوا يسمعون أو يقولون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضا لما أن نتيجة السؤال هو الجواب وأن
عدم نطقهم أظهر وبكيتهم بذلك أدخل وقد حصل ذلك أو لا حسبما نطق به قوله تعالى (فرجعوا إلى أنفسهم)
أي راجعوا عقولهم وتذكروا أن مالا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره وجه من الوجوه
يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن يكون معبودا (فقالوا) أي قال
بعضهم لبعض فيما بينهم (أنكم أنتم الظالمون) أي بهذا السؤال لأنه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للدواخذة
أو ببساطة الأصنام لا من فلسفته بقولكم أنه من الظالمين أو أنتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها (ثم نكسوا على
رؤسهم) أي انقلبوا إلى المحادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم إلى الباطل بصيرة وأسلم الشيء أعلاه وقرئ
نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل أي نكسوا أنفسهم (أقد علمت ما هؤلاء ينطقون) على إرادة القول
أي قائلين والله لقد علمت أن ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على أن المراد استمرار نفي النطق لأنني
استمراره كما توهمه صيغة المضارع (قال) مكتاهم (أف تعبدون) أي أتعلبون ذلك تعبدون (من دون الله)
أي متجاوزين عبادته تعالى (مالا ينفعكم شيئا) من النفع (ولا يضركم) فإن العلم بحاله المنافي للالوهية مما
يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه عليه السلام من أصرارهم
على الباطل البين وإظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استفحاض ما فعلوا وأف صورت المتضجر ومعناه قبحا
وتقاربا للام لبيان المنافق له (أفلا تعقلون) أي ألا تفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم (قالوا) أي قال بعضهم
لبعض لما تجوزوا عن الحاجة وضاعت عليهم الخيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المثل المحجوج إذا قرعت شبهته
بالحجة القاطعة واقتضح لا يبق لمفرع المناصبة (حرقوه) فانه أشد العقوبات (وانصروا آلهمكم) بالانتقام
لها (إن كنتم فاعلين) أي للنصر أولئقي ينتد به قيل القائل نمرو بن كنعان بن السنجاري بن عمرو بن كوس
ابن حام بن نوح وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خضفته الأرض روى أنهم لما أجمعوا على
إحراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوفي قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له فالحرقه في الحجيم

فجعلوا له صلاب الخطب من أصناف الخشب مدة أربعين يوما فأوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها أحد حتى ان كانت الطير تقر بها وهي في أقصى الجو فتحترق من شدة وجهها ولم يكد أحد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فأبى إبليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعهم لهم رجل من الأكراد تخفى الله تعالى به الأرض فهو يتجسس فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضوه فيه مغولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة قال أما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي عليه بحالي لجعل الله تعالى ببركة قوله الخطيرة روضة وذلك قوله تعالى ﴿فلما يانار كوفي بردا وسلاما على ابراهيم﴾ أي كوفي ذات برد وسلام أي ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغت جعل النار المسخرة لتقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كوفي ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أي وسلاما سلاما عليه . روى أن الملائكة أخذوا بطنى ابراهيم وأقعدوه على الأرض فاذا عين ما عذب وورد آخر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروى أنه عليه السلام مكث فيها أربعين يوما أو خمسين وقال ما كنت أطيب عيشا منى اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فتعد الى جنبه يؤتسه فنظر ثم ردد من صرحه فأشرف عليه فرأه جالسا في روضة موقفة ومعه جليس على أحسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فتداهى يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فقم فخرج مقام مسمى فخرج منها فاستقبله ثم ردد وعظمه وقال من الرجل الذى رأيته معك قال ذلك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسنى فقال ابنى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبح له أربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من أبدع المعجزات فان انقلاب النار هوا طيبا ولم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرج العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السند كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم ﴿وأرادوا به كيدا﴾ مكررا عطفيا في الاضرار به ﴿جعلناهم الاخيرين﴾ أي اخسر من كل غامر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق بهانا فاطلما على أنه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لأشد العذاب ﴿ونجينا﴾ لوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين ﴿أى من العراق الى الشام وبركاته العامة أن أكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التى هي مبادئ السماوات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى أنه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتسكة بينهما مسيرة يوم وليلة ﴿وهنا له اسحق ويعقوب نافلة﴾ أى عطية فهي حال منهما أو ولد ولد أو زيادة على ما سأل وهو اسحق فخص يعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة ﴿وولا﴾ أى كل واحد من هؤلاء الأربعة لا بعضهم دون بعض ﴿جعلنا صالحين﴾ بأن وفقناهم الصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين ﴿وجعلناهم أئمة﴾ يقتدى بهم في أمور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي ﴿يهودون﴾ أى الأمة الى الحق ﴿بأمرنا﴾ ثم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين ﴿وأوحينا اليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم عليه فيتم كالمهم بالنظام العمل الى العلم وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى ﴿واقام الصلاة وإيتا الزكاة﴾ وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله ونافته وحذفت اء الاقامة الموضحة من إحدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه ﴿وكانوا لنا﴾ خاصة دون غيرنا ﴿عابدين﴾ لا ينظر بياهم غير عبادتنا ﴿ولوطا﴾ قيل هو منصوب بمضمون بفسره قوله تعالى ﴿آتيناه﴾ أى وآتيناه لوطا وقيل باذكر ﴿حكما﴾ أى حكمة أو نبوة

أو فضلا بين الخصوم بالحق ﴿وعسا﴾ بما ينبغي عليه للانبياء عليهم السلام ﴿ونجينا من القرية التى كانت تعمل الخباثات﴾ أى اللوامة وصفت بصفة أهلها وأسندت اليها على حذف المضاف واقامت مقامه كما يؤذن به قوله تعالى ﴿انهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ فانه كالتعليل له ﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ أى في أهل رحمتنا أو في جنتنا ﴿انه من الصالحين﴾ الذين سبق لهم من الحسن ﴿ونوحا﴾ أى اذكر نوحا أى خبره وقوله تعالى ﴿اذ نادى﴾ أى دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر أى اذكر نباه الواقع وقت دعائه ﴿من قبل﴾ أى من قبل هؤلاء المذكورين ﴿فاستجبنا له﴾ أى دعاه الذى من جملة قوله انى مغلوب فاتصر ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ وهو الطوفان وقيل أذية قومه وأصل الكرب الغم الشديد ﴿ونصرناه﴾ نصرا مستبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وحمله على فاتصر بآياه ما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب استناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى ﴿انهم كانوا قوم سوء﴾ تعليل لما قبله وتهديد لما بعده من قوله تعالى ﴿فأغرقناهم أجمعين﴾ فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الإهلاك قطعا ﴿وداود وسليمان﴾ اما عطف على نوحا معمولا لعامله واما لمضمون معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى ﴿اذ يحكما﴾ ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها أى اذكر خبرهما وقت حكمهما ﴿في الحث﴾ أى فى حق الزرع أو الكرم المتدلى عناقده كقول أبودبل اشتال منها وقوله تعالى ﴿اذ نفثت﴾ أى تفرقت وانتشرت ﴿فيه غم القوم﴾ ليلا بلاراع فرغته وأفدته ظرف للحكم ﴿وكننا الحكمهم﴾ أى لحكم الحاكمين والمتحاكين اليهما فان الاضافة مجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرى لحكمهما ﴿شاهدين﴾ حاضرين عليا والملتزم اعتراض مقرر للحكم ومقبول بزيادة اعتناء بشأنه ﴿فهيئنا سليمان﴾ عطف على يحكما فانه في حكم الماضى وقرى ﴿فهيئناها والضمير للحكمة ومقبول بزيادة اعتناء أنه دخل على داود عليه السلام رجلا فقال أحدهما ان غم هذا دخلت في حثى لىلا فأفدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والآية الا أخبرتنى بالذى أرفق بالفريقين فقال أرى أن تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدها ونسلها وصوبها والحريث الى أرباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يتراد فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك والذى عندي أن حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام غير هذا أرفق بالفريقين ثم قوله أرى أن تدفع الخ صريح في أنه ليس بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عليهما السلام لاختلاف ما عنده بل وجب عليه أن يظهره بدأ وحرم عليه كتمه ومن ضرورته أن يكون القضاء السابق أيضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل أقول والله تعالى أعلم ان رأى سليمان عليه السلام استحسان كما بينى عنه قوله أرفق بالفريقين ورأى داود عليه السلام قياسا أن العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند أبى حنيفة الى المجنى عليه أو بقديه ويبيع ذلك أو يفديه عند الشافعي وقد روى أنه لم يكن بين قسمة الحريث وقيمة الغنم تفاوت وأما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازا ما فاق من الانتفاع بالحريث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحريث الى أن يزول الضرر الذى أتاه من قبله كما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المصنوب منه بازا ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الأبق ترادا وفي قوله تعالى فهيئناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع أن الحكم المجنى على

الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان أقوى منه لما أن ذلك من خصائص شريعتنا على أنه ورد في الاخبار أن داود عليه السلام لم يكن يت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع وأما حكم المسئلة في شريعتنا فنحن على حنيفة ربه الله لاضمان أن لم يكن معها سابق أو قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا نهارا وقوله تعالى ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حَكْمًا وَعِلْمًا﴾ لدفع ما عسى يؤممه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا أي وكل واحد منهما آتينا حكما وعلمًا كثيرا لا سليمان وحده وهذا إنما يدل على أن خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل بل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صفه فانه عليه السلام كان حينئذ ابن إحدى عشرة سنة ﴿وسخرنا مع داود الجبال﴾ شروع في بيان ما يخص بكل منهما من كراماته تعالى اثر يلائم كرامته العامة لها ﴿يسبحن﴾ أي يقدرسن الله عز وجل معه بصوت يمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من الباحة وهو حال من الجبال أو استناف مبین لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتيسيع وهو بعيد ﴿والطير﴾ عطف على الجبال أو مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي والطير مسخرات وقيل على المطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكد والفصل ﴿وكنّا فاعلين﴾ أي من شأننا أن نفعل أمثاله فليس ذلك يندع منا وان كان بدعا عندكم ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ أي عمل الدرع وهو في الأصل اللباس قال قاتلهم لبس لكل حالة لبوسا اما نعيمها واما يوسها

وقيل كانت صفائح خلفها وسردها ﴿لكم﴾ متعلق بعلينا أو محذوف هو صفة لبوس ﴿لتحسبكم﴾ أي اللبوس بناو يل الدرع وقرئ بالتذكير على أن الضمير لداود عليه السلام أو اللبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتغال من لكم بإعادة الجار مبین لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لأم لكم ﴿من بأسكم﴾ قيل من حرب عدوك وقيل من وقع السلاح فيكم ﴿قيل آثم شاكرون﴾ أمر وارد على صورة الاستفهام للبيان أو التفریع ﴿وسليمان الريح﴾ أي وسخرنا له الريح وإيراد اللام هنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامثال بأمره ونهيه والمقبورية تحت ملكوته وأما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والافتداء به في عبادة الله عز وجل ﴿عاصفة﴾ حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر أي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة المهبوب من حيث أنها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال من ضمير المتبدا في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا ﴿تجرى بأمره﴾ بمشيئة حال ثانية أو بدله من الاولى أو حال من ضميرها ﴿الى الارض التي باركنا فيها﴾ وهي الشام رويها بعدما سار به منه بكثرة قال السكاكي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله ﴿وكنّا بكل شيء عالمين﴾ فنجز به حسب اقتضاه الحكمة ﴿ومن الشياطين﴾ أي وسخرنا له من الشياطين ﴿من يخوضون له﴾ في البحار ويستخرجون له من نفائسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ أي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآيات وهؤلاء اما الفرقة

الاولى أو غيرها لعموم كلمة من كانه قبل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما رشح جانبه بقوله تعالى ومن الشياطين روي أن المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى ﴿وكنّا لهم حافلين﴾ أي من أن يزعموا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمن الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار ﴿وأيوب﴾ الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وتاود وسليمان أي واذكر خبر أيوب ﴿اذ نادى ربه أي﴾ أي يأتى ﴿مسنى الضر﴾ وقرئ بالكسر على انصار القول أو تضمنين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحاق استبناه الله تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهب أمواله والمرض في بدنه ثمان عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات روي أن امرأته ماخير بنت ميثا بن يوسف عليه السلام أو رحمة بنت افرام بن يوسف قالت له يوما لدعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله تعالى أن ادعوه وما بلغت مدة بلاني مدة رخاى وروي أن ابليس أتاها على هيئة عظمية فقال أنا اله الارض فعلت بزورك ما فعلت لانه تركني وعبده اله فلو سجد لي سجدت لوددت عليه وعليك جميع ما أخذت منك وفي رواية لو سجدت لي سجدت لرجعت المال والولد وعافيت زورك فرجعت الى أيوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه أحد فأخبرته بالقصة فقال عليه السلام كأنك اخفقت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضر بك مائة سوط وحرام على أن ادعوك بعد هذا شيئا من طعامك وشراك فطردتها فيق طرحا في الكناسة لا يحوم حوله أحد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك ارفع بك فرخص فبعت من تحت عين ما فاعقتل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة أخرى فبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسى حلة وذلك قوله تعالى ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ فاما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الازل والمال الا وقد خضعه الله تعالى وذلك قوله تعالى ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ وقيل كان ذلك بأن ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني فأتركه حتى يموت جوعا ويأكله السباع لا رجمن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة أن تأتيه وتسال عنه فأرسل اليها أيوب ودعاها فقال ماتريدن يا أمة الله فبكى وقالت أريد ذلك المبلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكى وقالت بعلى قال أتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على قبيس فقال أنا ذلك ففرقه بضحك فاعتقته ﴿رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ أي آتيناه ما ذكر لرحمتنا أيوب وتذكرا لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيناويو كما أتى لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم أيوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم ﴿واسماعيل وادريس وذا الكفل﴾ أي واذكرهم وذا الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه أو ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يحى بمعنى النصيب والكفالة والضعف ﴿كل﴾ أي كل واحد من هؤلاء ﴿من الصابرين﴾ أي على مشاق التكاليف وشدائد التوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بدكرهم

(وأدخلناهم في رحمته) أي في النبوة أو في نعمة الآخرة (أنهم من الصالحين) أي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد (وذا النون) أي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (أذ ذهب مغاضبا) أي مراغبا لقومه لما برم من طول دعوته أيام وشدة شكيتهم وتمسدى اصراهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم ليعادهم بنوهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للبالغة أولانه أغضبهم بالمهاجرة لحوق العذاب عندها وقرى مغضبا (فظن أن لن نقدر عليه) أي لن نصيق عليه أولن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده أنه قرى مشددا أولن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن أن لن نقدر عليه أي تعامله معاملة من يظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يجب أن ماله أخذه أي تعامله معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للبالغة وقرى بالياء مخففا ومثقلا للفاعل ومبني للمفعول (فنادى) الفاء نصيحة أي فكان ما كان من المسامحة والتعام الحوت فنادى (في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي الحوتين وظلمتي البحر والليل (أن لاله الا أنت) أي بانه لاله الا أنت على أن أن مخففة من أن وضمير الشأن محذوف أو لا اله الا أنت على أنها مفسرة (سبحانك) أزهك تنزيها لا تقابك من أن يعجزك شيء أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي (أني كنت من الظالمين) لأنفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة (فاستجبنا له) أي دعاه الذي دعاه في ضمن الاعتراض بالذنب على أظلف وجه وأحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكر وب يدعو بهذا الدعاء الاستجابة (ونجينا من الغم) بأن قد فقه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة أيام وقيل الغم غم الانتقام وقيل الخطيئة (وكذلك) أي مثل ذلك الانجاء الكامل (تنجي المؤمنين) من غموم دعوا الله تعالى فيها بالانجاء أدنى منه وفي الامام نجى فلذلك أخصي الجماعة النون الثانية فانها تنجي مع حروف الفم وقرى بتشديد الجيم على أن أصله تنجي لخذف الثانية فاحذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاه لخذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الخذف اجتماع المثليين مع تمذرا لادغام وامتناع الخذف في تنجيا لحرف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماسخ لا يسكن آخره (وزكريا) أي واذكر خبره (اذ نادى ربه) وقال (رب لا تدركني فردا) أي وحيدا بلا ولي يرثي (وأنت خير الوارثين) فخصي أنت ان لم ترزقي وارثا (فاستجبنا له) أي دعاه (ووهبنا له يحيى) وقدم بيان كيفية الاستجابة والهة في سورة مريم (وأصلحنا له زوجة) أي أصلحنا لها لولادة بعد عقرها أو أصلحنا لها للمعاينة بتحصين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى (أنهم كانوا يسارعون في الخيرات) تحليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين أي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخيرات متوجهين اليها كما في اشارة كلفة في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة (ويدعونا رغبا ورهبا) ذوى رغب ورهب أو راغبين في الثواب راغبين للجأبة أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية أو للرغب والرهب (وكانوا لنا غاشقين) أي غشقين متضرعين أو دائمى الوجل والمعنى أنهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحيدة (والتي أحصنت

فرجها) أي اذكر خبر التي أحصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبر عنها بالموصول لتضمين شأنها وتنزيهاها عما رتسموه في حقها آثرى أثير (ففخنا فيها) أي أحينا عيسى في جوفها (من روحنا) من الروح الذي هو من أمرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام (وجعلناها وابنها) أي قصتهما أو حالهما (آية للعالمين) فان من تأمل حالهما تحقق قال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكرار آيات كل واحد منهما وقيل أريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (ان هذه) أي ملة التوحيد والاسلام أشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد (أمكم) أي ملككم التي يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تغفلوا بشئ منها والخطاب للناس قاطبة (أمة واحدة) نصب على الحالية من أمكم أي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لمشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرى أمكم بالنصب على البدلية من اسم ان وأمة واحدة بالرفع على الخبرية وقررتا بالرفع على أنهما خبران (وأنا ربكم) لاله لكم نغري (فاعبدون) خاصة لا غير وقوله تعالى (وتقطعوا أئمنهم بينهم) التفات الى التبعة لئلا ينسب عليهم أفسدوه من التفرق في الدين وجعل أمره قطعا موزعة وينهى قبائح أفعالهم الى الآخرين كأنه قيل ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافة الانبياء عليهم السلام (كل) أي كل واحدة من الفرق المتقطعة أو كل واحد من أحاد كل واحدة من تلك الفرق (الينا راجعون) بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم وإيراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى (من يعمل من الصالحات) الخ تفصيل للجزاء أي فمن يعمل بعض الصالحات أو بعضا من الصالحات (وهو مؤمن) بالله ورسوله (فلا كفران لسيده) أي لأحرمان الثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصوره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وإبراز الانابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاطهار الاعتداد به (واناله) أي لسيده (كاتبون) أي مثبتون في صحاف أعمالهم لا نقادر من ذلك شيئا (وحرام على قرية) أي تمتنع على أهلها غير متصور منهم وقرى حرم وهي لغة للحل والحلال (أهلكتناها) قدرنا هلاكها أو حكمنا بالغايتها طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى (أنهم لا يرجعون) في حين الرفع على أنه مبتدأ خبره حرام أو فاعله سادس خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في أن من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لافي المنى أي تمتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لأن عدم رجوعهم المحقق تمتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع ثبوت الامتناع لعدم رجوع الكل حسبا لنطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لأنهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل تمتنع رجوعهم الى التوبة على أن لاصلة وقرى أنهم لا يرجعون بالكسر على أنه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف أي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المضفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى أنهم لا يرجعون عمائم عليه من الكفر فكيف لا تمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة أيضا على هذا المعنى بخذف اللام عنها أي لأنهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) الخ هي التي يحكي بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثاني غاية للحرمة أي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا حين لا تنفعهم

التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر أى لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع وأجوج وأجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة أجزاء تسعة منها بأجوج وأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حلف المضاف أو إقامة المضاف اليه مقامه وقرى فتحت بالتشديد (وم) أى بأجوج وأجوج وقيل الناس (من كل حذب) أى نثر من الارض وقرى جدت وهو القبر (ينلون) أى يسرعون وأصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرى بضم السين (واقرب الوعد الحق) عطلف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى (فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا) جواب الشرط واذا للفاجأة تدسمد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذاهم يقتلون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصص أو مبهم يفسره ما بعده (ياويلنا) على تقدير قول وقع حالا من الموصول أى يقولون ياويلنا تعال فهذا أو ان حضورك وقيل هو الجواب للشرط (قد كنا في غفلة) تامة (من هذا) الذى ذهبن من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم أنه حق (بل كنا ظالمين) اضراب عما قبله من وصف أنفسهم بالغفلة أى لم تكن غافلين عنه حيث نبها عليه بالآيات والتذليل كنا ظالمين تلك الآيات والتذليل مكذبين بها أو ظالمين لانفسنا بتعريضنا للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) خطاب لكفار مكشوف تصريح بما آل امرهم مع كونه معلوماً مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعتذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التى يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقدر وى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية قال له ابن الزبير خصمك ورب الكلمة اليس ابعدوا عن ربنا والنصارى المسيح وبنو مليح الملاذكروا عليه بقوله عليه السلام ما أجلكم بلغتموه كما أفهمتم أن الملائكة لا يعبدون ولا يعارضون ما روى أنه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك ولا ما روى أن ابن الزبير قال هذا شئ لاغتصاصه أو لكل من عدى من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عدى من دون الله تعالى أذليس شئ منها تصافى عموم كلمة كما أن الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضى شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعلمه عليه السلام بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة من عدم دخوله في طريق الدلالة أيضاً تأكيذاً للرد والالزام وتكريراً للتبكيك والاحكام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخرج بعض المعبودين عن حكم مني عن الغضب على العبد والمعبودين مما يوم الرخصة في عبادته في الجملة بل تحقيق الحق وبيان أنهم ليسوا من المعبودية في شئ حتى يتوهم دخوله في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التى أمرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لا اشتراكهم الاصنام في المعبودية من دون الله تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة وأما نعيم كلمة الملائكة أيضاً وجعل ما سبقت من قوله تعالى ان الذين سبقتم لهم منا الحسن الخ بياناً للتجوز أو التخصيص فما لا يعده السابق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما روى به ويصح به النار من حصبه اذا رماء بالحصباء وقرى يسكون الصاء وصفاً له بالمصدر للبالغة (أتم لها واردون) استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوض من على للدلالة على الاختصاص وأن ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تقليداً (لو كان هؤلاء) أى اصنامهم (الهة) كما يزعمون (ما وردوها) وحيث تبين ورودهم باها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في أن المراد بما يعبدون هى الاصنام

لأن المراد اثبات تقبض ما بدعونه وهم انما يدعون الهية الاصنام لالهية الشياطين حتى يحتج بوردوها النار على عدم الهيتها وأما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكلفة بانجرار السلام اليه عند بيان ما سبق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبير عن حال ساثر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم أجيب ببيان أن المعبودين هم الشياطين وأنهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين (وعلى) أى من العبد والمعبودين (فيها خالدون) لا خلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) أى أنين وتنفس شديد وهو مع كونه من أفعال العبد أضيف الى السكك للتغليب ويجوز أن يكون الضمير للعبد لعدم الالباس وكذا في قوله تعالى (وم فيها لا يسمعون) أى لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفضاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسمعون من الكلام (ان الذين سبقتم منا الحسن) شروع في بيان حال المؤمنين أثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وإيراد الترتيب مع الترهيب أى سبقتم لهم منا في التقدير الحصلة الحسن التى هى أحسن الخصال وهى السعادة وقيل التوفيق للطاعة أو سبقتم لهم كائنات بالشورى بالثواب على الطاعة وهو الادخل الاظهر في الحل عليها لما أن الاولين مع خفتها ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله تعالى فن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانه له كاتبون كما أن ما قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما أجمل في قوله تعالى وحرام الخ (أولئك) اشارة الى الموصول باعتبار انصافه بما في حين الصلاة وما فيه من معنى البعد للايدان بعلو درجاتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل (عنها) أى عن جهنم (معبودون) لانهم في الجملة وشتان بينها وبين النار وما روى أن علياً رضى الله تعالى عنه خطب يوماً فقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عنهم أجمعين ثم أقيمت الصلاة فقام يحمر رداءه ويقول (لا يسمعون حسيها) ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به أى لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً كما هو المعبود عند كون المصوت بعيداً وان كان صوته في غاية الشدة لأنهم لا يسمعون صوتها الحق في نفسه فقط والجملة بدل من معبدون أو حال من ضميره مسوقة للبالغة في انتقادهم منها وقوله تعالى (وم فيها اشتدت أنفسهم خالون) بيان لقوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم من المهالك والمعاطب أى دأبهم في غاية التعم والتقديم الظرف للقصص والاهتمام به وقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر) بيان لنجاتهم من الافزع بالكليبة بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم أكبر الافزع لا يحزنهم ماعداه بالضرورة عن الحسن رضى الله عنه أنه انصرف الى النار وعن الضحاك حتى يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش أطع وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس بذلك فان الآمن من ذلك الفزع من استثناء الله تعالى بقوله الا من شاء الله لاجمع المؤمنين الموصوفين بالأعمال الصالحة على أن الاكثرين على أن ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سأتى في سورة النمل (وتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم مهئين لهم (هذا يومكم) على ارادة القول أى قائلين هذا اليوم يومكم (الذى كنتم توعدون) في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون الثوابات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في أن المراد بالذين سبقتم لهم الحسن كافة المؤمنين الموصوفين بالايمن والأعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل (يوم نظرى الساء) بنون العظمة منصوب بذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل بتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير

المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للبفعول (كطى السجل) وهي الصحيفة أى طيا كطى الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو والكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى (للكتب) متعلقة بمحذوف هو حال من السجل أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أى كطى السجل كائنا للكتب أو الكائن للكتب فإن الكتب عبارة عن الصحف وما كتب فيها فسلطها بهض أجزاءها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل أى كما يطوى الطومار للكتابة أو اسم كالامام فاللام كما ذكر أولا وقيل السجل اسم ملك يطوى كتب أعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدأنا اياه في كونها ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للبقدورية وتناول القدرة لها على السواء وما كافة أو مصدرة وأول مفعول لبدأنا أول فاعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أى نعيد مثل الذى بدأناه وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف (وعدا) مصدر مؤ كدفعه ومقرر لنعيده أو منتصب به لانه عدا بالاعادة (علينا) أى علينا انجاز (انا كنا فاعلين) لما ذكر لاحالة (ولقد كتبنا في الزبور) هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم جنس ما أنزل على الانبياء عليهم السلام (من بعد الذكر) أى التوراة وقيل اللوح المحفوظ أى وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التوراة أو كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا وأثبتنا في اللوح المحفوظ (أن الارض يرثها عبادى الصالحون) أى عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد من تعالى بظواهر الدين واعزاز أهله وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد أرض الجنة كما بيني عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبؤا من الجنة حيث نشأ وقيل الارض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم (أن في هذا) أى فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعود والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة (لبلاغ) أى كفاية أو سبب بلوغ الى البغية (لقوم عابدين) أى تقوم مهمهم العبادة العادة (وما أرسلناك) بما ذكر وبأمثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التى هي مناط لسعادة الدارين (الارحمة للعالمين) هو في حيز النصب على أنه استثناء من أعم العلل أو من أعم الاحوال أى ما أرسلناك بما ذكر لعله من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة أو ما أرسلناك في حال من الاحوال الاحال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لا نظام مصالحهم في النشأتين ومن لم ينتم مغائم آثاره فانما فرط في نفسه وحرمة حقه لأنه تعالى حرمة مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار أنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبا ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (قل انما يوحى الى انما الحكم واحد) أى ما يوحى الى الا أنه لا اله الا الله لك الاله واحد لانه المقصود الاصل من البعثة وأما ما عداه فن الاحكام المنفردة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشئ كقولك انما يقوم زيد أى ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشئ على الحكم كقولك انما زيد قائم أى ليس له الا صفة القيام (فهل أتم مسلمون) أى مخلصون العبادة لله تعالى مخلصون لها به تعالى والفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على أن صفة الوحدة تصح أن يكون طريقها السمع (فان تولوا) عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجه من الوحي (فقل) لهم (أذنتكم) أى أعلتكم ما أمرت به او حربي لكم (على سواء) كائنين على سواء في الاعلام به لم أطوه عن أحد منكم أو مستوين به أنا وأتم في العلم بما أعلتكم به أوفى المعاداة أو ايدانا على سواء وقيل أعلتكم أى على سواء أى

عدل واستقامة رأى بالبرهان النير (وان أدري) أى ما أدري (أقرب أم بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الخسر مع كونه آتيا لاحالة (انه يعلم الجهر من القول) أى ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التى من جملتها ما نطق بجي الموعود (ويعلم ما تكتمون) من الاحزن والاحقاد للسلبين فيجازيك عليه تقيرا وقطميرا (وان أدري لعله فتنة لكم) أى ما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيد في اقتنائكم أو امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) أى وتمتع لكم الى أجل مقدر تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم (قال رب احكم بالحق) حكاية لدعائه عليه الصلاة والسلام وقرئ قل رب على صيغة الأمر أى اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقنعى لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا بيدر أى تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء ورنى أحكم على صيغة التفضيل ورنى أحكم من الاحكام (وربنا الرحمن) مبتدأ أى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى (المستعان) أى المطلوب منه المعونة خبر وخبر آخر للبنداء واطافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لما أن الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما أن اضافته هنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين أيضا لما أن الاستعانة من الوظائف العامة لهم (على ما تصفون) من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تحقق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لاخير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله عليه السلام فنجب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أوليائه عليهم فاصابهم يوم بدر ما أصابهم والجملة اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحنانية وعن النبي عليه السلام من قرأ أقرب حاسبه الله تعالى حسبا يسيرا وصاحفه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

(تم الجزء الثالث من تفسير العلامة أبى السعود ويليهِ الجزء الرابع وأوله سورة الحج)

مخيفة

- ٢ (سورة هود عليه السلام)
- ٥ الجزء الثاني عشر
- ٥ تفسير قوله تعالى (وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها)
- ١٤ تفسير قوله تعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا)
- ٢٢ تفسير قوله تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله يحركها ومرساها ان ربي لغفور رحيم)
- ٣٠ تفسير قوله تعالى (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)
- ٣٨ تفسير قوله تعالى (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)
- ٤٦ تفسير قوله تعالى (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض)
- ٥١ (سورة يوسف عليه السلام)
- ٦٦ تفسير قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا)
- ٧٧ الجزء الثالث عشر
- ٧٧ تفسير قوله تعالى (وما أرى نفسي لامارة بالسوء)
- ٨٦ تفسير قوله تعالى (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل)
- ٩٣ تفسير قوله تعالى (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني ما تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض)
- ٩٥ (سورة الرعد)
- ٩٨ تفسير قوله تعالى (و يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات)
- ١٠٦ تفسير قوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق كن هو أعمى انما يتذكر أولو الألباب)
- ١١٢ تفسير قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبي الذين اتقوا)
- ١١٥ (سورة ابراهيم عليه السلام)
- ١٢٠ تفسير قوله تعالى (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم)
- ١٢٥ تفسير قوله تعالى (ألم ترالى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دارالبوار)
- ١٣٩ الجزء الرابع عشر
- ١٣٩ (سورة الحجر)
- ١٥١ تفسير قوله تعالى (ني عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم)
- ١٦٠ (سورة النحل)
- ١٧١ تفسير قوله تعالى (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة)
- ١٧٨ تفسير قوله تعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاباى فارهبون)
- ١٨٥ تفسير قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا)
- ١٩٠ تفسير قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى)
- ١٩٥ تفسير قوله تعالى (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون)

- ٢٠٣ (الجزء الخامس عشر)
- ٢٠٣ (سورة بني اسرائيل)
- ٢١١ تفسير قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)
- ٢٢٠ تفسير قوله تعالى (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم)
- ٢٢٦ تفسير قوله تعالى (ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات)
- ٢٣٤ تفسير قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض وجعل لهم أجلا لا ريب فيه)
- ٢٣٧ (سورة الكهف)
- ٢٤٣ تفسير قوله تعالى (وترى الشمس اذا طلعت تزاو عن كفهم ذات اليمين)
- ٢٥٠ تفسير قوله تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحققناهما بنخل)
- ٢٥٥ تفسير قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم)
- ٢٦٢ (الجزء السادس عشر)
- ٢٦٢ تفسير قوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت أن أعياها)
- ٢٧٢ (سورة مريم عليها السلام)
- ٢٨٢ تفسير قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)
- ٢٨٧ تفسير قوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا)
- ٢٩٥ (سورة طه)
- ٣٠٨ تفسير قوله تعالى (انا قد أوحى اليك أن العذاب علي من كذب وتولى)
- ٣١٨ تفسير قوله تعالى (وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى)
- ٣٢٥ تفسير قوله تعالى (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد غاب من حمل ظلما)
- ٣٣١ (الجزء السابع عشر)
- ٣٣١ (سورة الانبياء)
- ٣٣١ تفسير قوله تعالى (ومن يقل منهم ائى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)
- ٣٤٥ تفسير قوله تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)
- ٣٥١ تفسير قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه ائى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين)
- (تم فهرس الجزء الثالث من تفسير العلامة أبي السعود)



